مجلة

جامعة القدس المفتوحة

للأبحاث والدراسات

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان التالي:
رئيس هيئة تحرير مجلة جامعة القدس المفتوحة
جامعة القدس المفتوحة
ص.ب: ٥١٨٠٠
هاتف: ٢٤٠٩٨٦١
فاكس: ٢٤٠٣١٥٩
بريد الكتروني: hsilwadi@qou.edu

تصميم واخراج فني:
توب ديزاين
02-2980138

قواعد النشر والتوثيق

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح والتعليم عن بعد، وتقبل أيضا الأبحاث المقدمة الى مؤتمرات علمية محكمة والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث.

يرجى من الأخوة الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الاقتداء بقواعد النشر والتوثيق الاتية:

١. تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.
٢. أن لا يزيد حجم البحث عن ٣٥ صفحة " ٨٠٠٠ " كلمة تقريبا بما في ذلك الهوامش والمراجع.
٣. أن يتسم البحث بالأصالة ويمثل إضافة جديدة الى المعرفة في ميدانه.
٤. يقدم الباحث بحثه منسوخا على " قرص مرن / A Disk " أو CD مع ثلاث نسخ مطبوعة منه، غير مسترجعة سواء نشر البحث أم لم ينشر.
٥. يرفق مع البحث خلاصة مركزة في حدود " ١٠٠ – ١٥٠ " كلمة. ويكون هذا الملخص باللغة الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية ويكون باللغة العربية إذا كان البحث باللغة الإنجليزية.
٦. ينشر البحث بعد إجازته من محكمين اثنين على الأقل تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة من بين أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها على أن لا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.
٧. أن يتجنب الباحث أي إشارة قد تشير أو تدلل على شخصيته في أي موقع من البحث.

٨ . يزود الباحث الذي نشر بحثه بخمس نسخ من العدد الذي نشر فيه، بالإضافة الى ثلاث مستلات منه.

٩ . تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المرجع أو المصدر كتابا فيثبت اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة فيثبت المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة.

١٠ . ترتب المراجع والمصادر في نهاية البحث "الفهرس" حسب الحروف الأبجدية لكنية / عائلة المؤلف ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد.

١١ . بإمكان الباحث استخدام نمط "APA "Style في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، حيث يشار الى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب التالي: "اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة".

المحتويات

الأبحاث

الأبحاث

مؤشرات إدارة الجودة الشاملة
في جامعة القدس
من وجهة نظر طلبتها

د. محمود احمد أبو سمرة*

أ. عمر موسى العباسي*

د. معزوز جابر علاونة**

* قسم التربية، الدراسات العليا، جامعة القدس، القدس، فلسطين

** مساعد اكاديمي، منطقة نابلس التعليمية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها، وبيان تأثير كل من الجنس والكلية والمستوى الدراسي في استجابات الطلبة.

وتكون مجتمع الدراسة من طلبة السنتين الأولى والرابعة في الكليات العلمية والإنسانية وعددهم (٢٥٨٠) طالباً وطالبة، واشتملت عينة الدراسة على(٣١٦) طالبا وطالبة اختيروا بطريقة طبقيّة عشوائية.

وأظهرت نتائج الدراسة ان مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها كانت متوسطة، حيث بلغ المتوسط الحسابي (٢,٤٦) بإنحراف معياري (٠,٦٠)، كما اشارت النتائج الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=٠,٠٥) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها تعزى لمتغيرات (الجنس، والكلية، والمستوى الدراسي). وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات.

Abstract

The study aimed at investigating the indicators of total quality management at Al– Quds University from student's point of view. The effect of gender, type of college, and year of study on students responses about the total quality management were investigated. The population of the study consisted from all students from the first and fourth year levels in Art and Science Colleges at the University.

The results revealed that the level of total quality management of educational system at Al-Quds University was medium from student's point of view.

المقدمة:

شهد موضوع الجودة اهتماما وتطورا واسعا في الغرب منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن، وقد حفزت على مثل هذا التطور عوامل عديدة منها القوانين الحكومية والتسارع التكنولوجي وزيادة الإنتاج واشتداد المنافسة المحلية والدولية (خصوصا بين الولايات المتحدة واليابان)، والحقيقة أن اشتداد المنافسة كان العامل الرئيس لاشتداد أزمة منشات الأعمال، والتي سعت للخروج من المنافسة السعرية الحادة والاتجاه لإيجاد ميزة تنافسية تتفوق بها على المنافسين وتضمن لها حصة مناسبة من السوق، ومن هنا كان الاتجاه للتميز بالجودة وهو الأمر الذي أدى إلى تطور مفاهيم ومناهج الجودة.

وتعتبر إدارة الجودة الشاملة من أحدث المناهج في إدارة الجودة في منشأة الأعمال، وقد شهدت المنشات الصناعية في الدول المتقدمة شيوعا واسعا في تطبيق هذا المنهج وحققت المنافع منه في تحسين مركزها السوقي والتنافسي، وفي زيادة الأرباح والارتفاع بمستوى الأداء، وامتد تطبيق ذلك المنهج إلى قطاعات الخدمات بفعل الأزمة ذاتها التي سبق أن شهدتها منشات الأعمال الصناعية في الغرب، ومن بين منشات الخدمة التي شهدت تطبيقا لإدارة الجودة الشاملة في الغرب مؤسسات التعليم العالي من جامعات وكليات(الطائي وقدادة، ٢٠٠٣).

ومن البديهي أن التعليم الجامعي لا يمكن أن يحقق أهدافه في التنمية الاقتصادية والاجتماعية إذا كانت أوضاعه غير مستقرة، ومناهجه غير قادرة على تلبية احتياجات سوق العمل، لذلك فإن الاهتمام بجودة نظام التعليم الجامعي بعناصره كافة يمثل أهمية قصوى ينبغي على الإدارات الجامعية أن تعيرها جل اهتمامها.

حظيت الجودة بقسط وافر في عمليات إصلاح التعليم باعتبارها إحدى الركائز الأساسية لإدارة الجودة الشاملة Total Quality Management (Tom)، ذلك المدخل الذي وجد لمسايرة المتغيرات الدولية والمحلية، فأصبح المجتمع الدولي ينظر إلى الجودة والإصلاح التربوي على أنهما وجهان لعملة واحدة (أحمد، ٢٠٠٣).

إن مدخل إدارة الجودة الشاملة يتضمن العديد من الأفكار الإدارية، ويتفق إلى حد كبير مع القيم الموضوعية، فهو يهدف إلى إرضاء الطالب، والمجتمع، وتنمية الصراحة والثقة والعمل كفريق، والتحسين التدريجي المستمر، والاهتمام بالحوافز للحث على زيادة الإنتاجية، والأخذ

بمبدأ المشاركة (الشرقاوي، ٢٠٠٣).

ويعتمد مدخل إدارة الجودة الشاملة على وجود معايير Criteria محددة مسبقا يُقوم على أساسها الأداء Performance بصفة مستمرة خلال مراحل إنتاج السلعة أو تقديم الخدمة، واتخاذ الإجراءات التصحيحية منعاً لتراكم الانحرافات (Kanji & Asher، ١٩٩٦).

وإن الأخذ بهذا المدخل الحديث نسبياً له ما يبرره، ويستدعي اهتماماً أكبر من جانب التربويين، إذ أن هناك الكثير من الشواهد التي نراها ونلمسها تحتم علينا التحول نحو فلسفة إدارة الجودة الشاملة، نظراً لما تحمله في طياتها من حلول شافية قادرة على تطوير وإصلاح الجهاز التربوي وإصلاحه. فقد أدى إقبال معظم المجتمعات على التوسع في التعليم مع بداية سبعينيات القرن الماضي إلى التضحية بالجودة التعليمية، مما اسهم في زيادة معدلات البطالة (أحمد، ٢٠٠٣) وان تطبيق إدارة الجودة في الجامعات يتطلب إيمان ودعم الإدارة العليا، وتغيير منطق العلاقات التنظيمية السائدة بما يزيل معوقات الإبداع، وخلق التنظيم الإداري لنشاط الجودة في الجامعة وضمان ديمومته، ومراعاة خصوصية الطالب في تطبيق مبدأ رضا العميل الخارجي بالإضافة إلى مراعاة كون مؤسسات المجتمع المستفيدة من الخريجين هي عملاء خارجيون للجامعات.

خلفية الدراسة والأدب التربوي

لتحديد المقصود بمفهوم إدارة الجودة الشاملة، لا بد من توضيح مفهوم الجودة أو النوعية (Quality)، الذي يشكل المحور الأساس لمدخل إدارة الجودة الشاملة. كغيره من المفاهيم، يعتبر مفهوم الجودة من المفاهيم التي تباينت حولها آراء الباحثين والمفكرين باختلاف توجهاتهم وخلفياتهم، إلا أن هذا الاختلاف لم يمتد إلى جوهر المفهوم، إذ أن الجوهر واحد يتمثل بـ" السعي لتحقيق رضا العميل " (حمود، ٢٠٠٢). وكون هذا المصطلح مستمد من قطاع الأعمال، فإن أغلب من تعرض إلى تعريفه هم من الاقتصاديين:

فيرى بسترفيلد (Besterfield، ١٩٩٤)، أن الجودة تمثل تقنية لضمان بقاء واستمرار ميزة التنافس للمؤسسة.

ويعرفها النبوي (١٩٩٥) بأنها تكامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما تمكنه من كسب رضا العميل وتحقيق رغباته وتوقعاته.

ويعرفها ميخائيل (Michael، ١٩٩٧) بأنها تصور المؤسسة لاحتياجات وتوقعات العميل،

إذ يحكم على جودة السلعة أو الخدمة بمقارنة توقعاته بما سيتم استلامه من المؤسسة.

أما عقيلي (٢٠٠١)، فيرى أن الجودة تعني إنتاج سلعة أو تقديم خدمة بمستوى عالٍ من الكفاءة، وفقاً لمقاييس موضوعة مسبقاً لإنتاج السلعة أو الخدمة، وإيجاد صفة التميز فيها لتلبية احتياجات وتوقعات العميل.

ونظراً لازدياد الاهتمام بموضوع الجودة، ظهر ما يسمى بإدارة الجودة الشاملة، التي أثبتت نجاعتها نظراً لما تشتمل عليه من مبادئ وأفكار موضوعية تهتم بالجانب الإنساني.

وتمثل إدارة الجودة الشاملة في التعليم عند دوبينز وماسون (١٩٩٧): أسلوباً في الممارسة الإدارية، يستوجب تحولاً كبيراً في طريقة إدارة المؤسسة بأكملها والقيم المتبعة بغية الوصول إلى التحسين المستمر للمنتج بما يضمن رضا العملاء داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.

ويرى عشيبة (٢٠٠٠) ان ادارة الجودة الشاملة في التعليم تعني مجموعة الأنشطة والممارسات التي يقوم بها المسؤولون عن تسيير شؤون المؤسسة، والتي تشمل التخطيط للجودة وتنفيذها وتقويمها وتحسينها في جميع مجالات العملية التعليمية في الجامعة.

من التعريفات السابقة، يتبيّن أن إدارة الجودة الشاملة ترتكز على ركائز ثلاث هي:

- السعي الدائم إلى تحقيق رضا العميل.
- اشتراك كافة العاملين في المؤسسة.
- العمل المستمر والدؤوب لتحسين وتطوير الجودة.

وقد أطلق عليها شاملة نظراً لأنها تشمل كل ما يدور داخل المؤسسة أو خارجها من نشاطات وعمليات إدارية ذات علاقة، في الدوائر والأقسام كافة.

ومن المفاهيم ذات الصلة الوثيقة بالجودة: الكفاءة والإنتاجية والنوعية: فقد ميز مرسي (١٩٩٨) بين كل منها، موضحاً أن الكفاءة والإنتاجية فكرتان، بينهما قرابة وثيقة؛ فالإنتاجية هي محصلة الكفاءة، وبالتالي فهي دالة عليها. وتعني الكفاءة التعليمية مدى قدرة النظام التعليمي على تحقيق الأهداف المنشودة منه. وتشمل الكفاءة التعليمية أربعة جوانب هي: الكفاءة الداخلية، والكفاءة الخارجية، والكفاءة الكمية، والكفاءة النوعية، وهي ما يعنينا هنا. فالكفاءة النوعية يقصد بها نوعية الطالب الذي يخرجه النظام التعليمي، وهي بهذا تمثل أحد جوانب الجودة الشاملة، ذلك النظام الإداري الشامل لكل جوانب النظام التعليمي من مدخلات وعمليات ومخرجات وتغذية راجعة.

أما النوعية، فقد عبّر عنها كمال (٢٠٠٢) بأنها خاصية يمتلكها المنتج أو الخدمة بكمية قد تقل أو تكثر لتلبية احتياجات العميل، وبهذا تعطي مفهوم الجودة نفسه (Quality).

نشأة وتطور إدارة الجودة الشاملة:

إن فلسفة الجودة تعود إلى أربعينيات القرن الماضي، ويرجع الفضل في ذلك إلى مجموعة من المفكرين الأمريكان وعلى رأسهم إدوارد ديمنج (Edward Deming) وجوزيف جوران (Joseph Juran) وفيليب جروسبي (Philip Grosby)، ممن كان لهم الفضل الكبير في استخدام الأساليب الإحصائية في فحص الجودة واختبارها من خلال تطبيقات الرقابة الإحصائية (الشرقاوي، ٢٠٠٣).

ويمكن القول ان مفهوم إدارة الجودة الشاملة قد مر بمراحل تاريخية من خلال تطور مفهوم الجودة والرقابة عليها، حيث مر هذا المفهوم بمراحل متلاحقة إلى أن وصل إلى المفهوم الحديث الذي قامت عليه إدارة الجودة الشاملة، وهذه المراحل هي: مرحلة الفحص والتفتيش Inspection and Test ومرحلة مراقبة الجودة Quality Control، ومرحلة تأكيد الجودة Quality Assurance، ومرحلة إدارة الجودة الشاملة TQM (Davis & Burnham، ١٩٩٧، عبد اللطيف، ٢٠٠٢، وعقيلي، ٢٠٠١، وحمود، ٢٠٠٢).

ان الملاحظ للتطور التاريخي لنشأة إدارة الجودة الشاملة يرى أن هذا الأسلوب لم يكن وليد يوم ولحظة، ولم يكن طفرة في الفكر الإداري، بل جاء بعد سلسلة من التطور في الفكر الإداري وظهور بعض جوانب القصور في العديد من المدارس الإدارية، مثل مدخل الإدارة العلمية لزيادة الكفاءة والإنتاجية التي أهملت الجانب الإنساني، ومدرسة النظم ومدرسة الإدارة بالأهداف (الشرقاوي، ٢٠٠٣).

الأيزو وادارة الجودة الشاملة:

في سبعينيات القرن الماضي قامت الدول الصناعية بوضع معايير لأداء نظم الجودة أطلق عليها (ISO 9000)، وهي اختصار لِـ (International Standardization Orga-nization)، وتعني المنظمة الدولية للمعايرة أي لتوحيد القياس. ويعرف روجر (Roger، ١٩٩٣) نظام الأيزو بأنه مجموعة من المواصفات الدولية طُورت عام (١٩٨٧) لضمان جودة العمل وقياس الأداء. وتشتمل مواصفات الجودة العالمية (ISO 9000) على سلسلة من المعايير أو المواصفات على شكل شهادات لكل منها رقم خاص بها وهي: ٩٠٠١، ٩٠٠٢، ٩٠٠٣. فالأيزو هو بمثابة دليل أو مرشد للمؤسسة يوضح لها مجالات تطبيق المواصفات أو المقاييس العالمية لديها، ليمكنها من الحصول على إحدى الشهادات السابقة(عقيلي، ٢٠٠١).

وتعد كلية ساندويل أول كلية في العالم تتبع القطاع العام تحصل على المعيار العالمي (٩٠٠٢). ولقد حققت هذه الكلية فوائد كثيرة نتيجة لتطبيقها نظام الجودة منها (دوهرتي، ١٩٩٩):

١. تحقيق نظام شامل لضمان الجودة لمراجعة المناهج وتطويرها.
٢. التركيز على جودة التعليم والتدريب.
٣. إتاحة الفرصة لتفويض السلطة إلى فرق تقوم بالتدريب.
٤. الإسهام في تطوير فرق العمل.
٥. التشجيع على إحداث التحسين والتطوير داخل الكلية.
٦. زيادة فاعلية الاتصال بين المرافق الداخلية في الكلية.
٧. تمكين الكلية من تسويق خدماتها، وزيادة قدرتها التنافسية.
٨. إتاحة الفرصة للموظفين للتّميّز والإبداع.
٩. تقديم خدمة أفضل للطلبة والمستفيدين.
١٠. المساعدة على التّحوّل نحو ثقافة الجودة.

كذلك فقد حصلت جامعة وولفرهامبتون على التسجيل في نظام الأيزو ٩٠٠١ عام (١٩٩٤)، وهي واحدة من عشرين مؤسسة تعليمية في بريطانيا تمكنت من التسجيل في نظام الأيزو (ناجي، ١٩٩٨). ويشتمل نظام الجودة العالمي ٩٠٠١ على عشرين عنصراً كما أوردها ووتر (Wouter، ١٩٩٧)، ويمكن ترجمة هذه العناصر إلى قطاع التعليم على النحو التالي (Roger، ١٩٩٣):

الرقم	عناصر أيزو ٩٠٠١	الترجمة إلى قطاع التعليم
١	مسؤولية الإدارة.	مسؤولية الإدارة فيما يتعلق بتوضيح السلطة والمسؤولية، والتدريب، وتوضيح سياسة الجودة، وتوضيح الأهداف... الخ.
٢	نظام الجودة.	الإجراءات المتبعة لضمان جودة الخدمات التعليمية، وجودة التمويل، وجودة طرق التدريس... الخ.
٣	مراجعة العقد.	وتشمل الإجراءات المتبعة لتحقيق متطلبات العملاء، التي يجب أن توافق شروط التعاقد بين مؤسسة التعليم والعميل، الذي قد يكون الطالب أو الحكومة أو قطاع الصناعة... الخ.
٤	مراقبة التصنيع.	وتشمل تطوير المناهج وضمان تطويرها وتحسينها.

٥	ضبط الوثائق والسجلات .	وتشمل أنظمة المعلومات التي تتمشى مع التطورات والمستجدات .
٦	الشراء .	ما تحصل عليه المؤسسة التعليمية من الموردين بالسرعة والجودة المطلوبة .
٧	مراقبة المواد المستوردة .	قبول الطلبة وفقاً لشروط المؤسسة التعليمية .
٨	تمييز المنتجات وتتبعها .	وتتضمن مسؤولية تتبع حالة الطالب وتقدمه وتحصيله الدراسي .
٩	ضبط العمليات .	تخطيط البرامج الدراسية ، ومن المسؤول عن تخطيطها ، وما الذي يجري داخل غرفة الصف . . . الخ .
١٠	الفحص والاختبار .	فحص الطلبة الملتحقين بالجامعة لمعرفة خلفياتهم العلمية التي تليق باسم الجامعة .
١١	أجهزة الفحص والقياس والاختبار .	تمثل أساليب التقويم المتبعة في مؤسسة التعليم العالي .
١٢	نتيجة الفحص أو الاختبار	نتيجة تقويم الطلبة وصدق التقويم ودلالته وموضوعيته .
١٣	مراقبة المنتج غير المطابق	الإجراءات العلاجية لحالات فشل الطلبة .
١٤	الإجراءات التصحيحية	وهي الإجراءات المتبعة لتفادي فشل الطلبة مستقبلاً ، وأسباب الفشل واتخاذ الإجراءات الوقائية .
١٥	التسليم ، التخزين ، التعبئة ، الشحن	المناخ الجامعي ، والاتصالات ، وصحة ، وأمن الطلبة والموظفين ، والمباني ، والتهوية . . . الخ .
١٦	سجلات الجودة	السجلات الخاصة بالعملية التعليمية التعلمية ، ودقتها ، وسرعة الوصول إليها ، وتبويبها وفهرستها . . . الخ .
١٧	المراجعة الداخلية للجودة	للتأكد من سلامة المناهج وأساليب التدريس والتقويم ومواكبتها للتغيرات والمستجدات والاستفادة من التغذية الراجعة .
١٨	التدريب .	ويشمل برامج التدريب التي يتم إعدادها لتدريب أعضاء هيئة التدريس والإداريين .
١٩	الخدمات .	وهي خدمات متابعة الخريجين في أماكن عمله للكشف عن نقاط القوة والضعف لديهم .
٢٠	الأساليب الإحصائية	الأساليب الإحصائية الصحيحة التي تضمن تحقيق جودة المنتج التعليمي .

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

لقد شهد التعليم العالي في فلسطين في الآونة الأخيرة نمواً ملحوظاً تمثل في ازدياد عدد الجامعات وكليات المجتمع، وازدياد عدد الطلبة الملتحقين بالتعليم العالي، وهذا بدوره يحتاج إلى اساليب جديدة في التخطيط والادارة والميزانيات. ولقد أثار هذا الازدياد الكبير مخاوف المهتمين بالتعليم العالي من حدوث تدهور في المستويات التعليمية إذا لم يحدث تركيز شديد على تحقيق النوعية الجيدة (كمال، ٢٠٠٢).

وجامعة القدس، شأنها في ذلك شأن مؤسسات التعليم العالي في الوطن، تأثرت بهذا النمو المتواصل، بل إن موقعها في مدينة القدس وضواحيها، وبين الشمال والجنوب من جهة، وسياسة عزل المناطق الفلسطينية عن بعضها البعض من العدو من ناحية أخرى، أدى ذلك إلى زيادة الطلب وإقبال الطلبة على جامعة القدس.

ويقدم مدخل إدارة الجودة الشاملة كثيراً من الحلول التي تعمل على تحسين المنتج التعليمي، كي يلقى استحسان المجتمع وأرباب العمل، وبالتالي الحد من ظاهرة البطالة في صفوف الخريجين.

وتمثلت مشكلة الدراسة في التعرف إلى مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها وحاولت هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها؟
٢. هل تختلف استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة حول مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها باختلاف متغيرات الدراسة (الجنس، والكلية، والمستوى الدراسي)؟

فرضيات الدراسة:

من سؤال الدراسة الثاني انبثقت الفرضيات الصفرية الآتية:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها تُعزى لمتغير الجنس.
٢. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من

وجهة نظر طلبتها تُعزى لمتغير الكلية.

٣. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها تُعزى لمتغير المستوى الدراسي.

أهمية الدراسة:

نبعت أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله وهو إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي، حيث ينظر إلى إدارة الجودة الشاملة على أنها أحدث مداخل التطوير والإصلاح التربوي، فهي أحد إفرازات الفكر الإداري المعاصر، التي أثبتت كفاءتها ونجاعتها في التطبيق العملي في كثير من الجامعات في العالم.

كما تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها طُبّقت على إحدى الجامعات الفلسطينية ذات المكانة المرموقة، والتي تقدم خدمات جليلة للمجتمع وتسهم في بنائه والنهوض به، وبالتالي فما لم تكن هذه الخدمات على درجة عالية من الجودة فلن تحقق أهدافها المنشودة. وتعد هذه الدراسة من الدراسات الرائدة في موضوعها، وبالتالي ستسهم في إثراء هذا الموضوع. كما تقدم هذه الدراسة بيانات بحثية للمسئولين والقائمين على إدارة الجامعة حول واقع نظام التعليم فيها في ضوء معايير إدارة الجودة الشاملة، بهدف الاسترشاد بها لتجويد وتحسين مكونات نظام التعليم في الجامعة.

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى ما يلي:

١. معرفة مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها.

٢. معرفة أثر متغيرات (الجنس، والكلية، والمستوى الدراسي) في استجابات أفراد عينة الدراسة.

محددات الدراسة:

تتحدد هذه الدراسة بحدود مكانية وزمانية وإجرائية:

- فمن حيث المكان فقد أجريت هذه الدراسة في جامعة القدس.

- ومن حيث الزمان فقد طبقت في الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤ .
- أما المحددات الإجرائية فكانت على النحو الآتي :

طبقت هذه الدراسة على عينة من طلبة مستوى السنتين الأولى والرابعة للتخصصات العلمية والإنسانية في الجامعة كافة . كما تتحدد هذه الدراسة بالأدوات المستخدمة والمصطلحات الواردة فيها .

مصطلحات الدراسة:

- مؤشرات : مجموعة من الأمارات يلاحظها المدقق في امر ما او شيء ما، ويدلل وجودها، اوعدمها، او مستوى وجودها، على مستوى وجود هذا الامر او هذا الشيء .
- إدارة الجودة الشاملة : نظام متكامل يرتكز على إمكانية إيجاد ثقافة تنظيمية لدى الجامعة ، تجعل الإداريين وأعضاء هيئة التدريس والطلبة متحمسين لكل ما هو جيد لتخريج طلبة بأعلى كفاءة وفاعلية تلقى استحسان المجتمع (الشافعي وناسي، ٢٠٠٠) .
- جامعة القدس : هي جامعة فلسطينية عامة موقعها الرئيسي القدس ، ولها مجموعة من المراكز والمعاهد في ضواحي مدينتي القدس ورام الله، وتمنح درجات البكالوريوس والماجستير والدبلوم العالي وفق الدراسة المنتظمة .
- الطلبة : هم طلبة الجامعة من مستوى سنة أولى وسنة رابعة في التخصصات العلمية والإنسانية كافة للفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤ .

الدراسات السابقة:

دراسة ناجي (١٩٩٨):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي في الأردن من خلال عينة عشوائية من طلبة جامعة عمان الأهلية وادارييها، وقام الباحث بتطوير استبانتين، إحداهما وُزعت على عينة من الطلبة لاستقراء آرائهم حول جودة الخدمات التعليمية التي تقدمها لهم الجامعة، أو مدى رضاهم عنها . أما الثانية، فقد وُزّعت على المسؤولين الإداريين كافة من عمداء الكليات ورؤساء الأقسام، ومديري الدوائر، لمعرفة آرائهم حول تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة، والمعوقات المحتملة في

التطبيق.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- إن مستوى رضا طلبة الجامعة كان مرتفعاً، فيما يخص تجهيزات الجامعة، ومنخفضاً بالنسبة للخطط الدراسية، والكادر الأكاديمي، والخدمات الجامعية.
- تتوافر لدى إدارة جامعة عمان الأهلية القناعة والرغبة لتطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة.

دراسة عشيبة (٢٠٠٠):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى إمكانية تطبيق مفهوم الجودة الشاملة في التعليم الجامعي المصري من خلال تحديد ماهية الجودة الشاملة في التعليم الجامعي ومتطلباتها وخطواتها وأهميتها، والكشف عن أهم الصعوبات التي قد تعوق تطبيق الجودة الشاملة في التعليم الجامعي المصري. وأشار الباحث إلى ثلاث خطوات لإدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي هي:

١. تهيئة العاملين في الجامعة لتقبل مفهوم الجودة والتزام الإدارة بها.
٢. توزيع المهام على الأفراد، وتحديد السلطات المناسبة لكل فرد بما يتفق ومسؤولياته.
٣. تقديم مراحل العمل كافة من تمهيد وتنفيذ وتقويم نهائي بالمراقبة المستمرة للأداء مقارنة بمعايير الجودة التي حُدِّدت في مرحلة التمهيد، وتقديم الخبرات اللازمة؛ لتصحيح الأخطاء والتحسن المستمر.

دراسة الشافعي وناسي (٢٠٠٠):

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح ثقافة الجودة في الفكر الإداري التربوي في اليابان ومصر بهدف تطوير الفكر الإداري التربوي بمصر، حيث حاولت هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يمكن توفير مناخ ثقافي يقوم على تدارك الإدارات التعليمية في مصر ومعايشتها لثقافة الجودة في ضوء الفكر الإداري التربوي الياباني؟

و بالإطلاع على العديد من الدراسات في هذا المجال، وباتباع المنهج التحليلي المقارن، قام الباحثان بتوضيح المقصود بثقافة الجودة، التي تمثل أسلوباً لأداء العمل، يشعر من خلاله العاملون بحرية المشاركة في اتخاذ القرارات وإبداء الرأي، وتقديم الأفكار واعتبار هذه الأفكار بمثابة قواعد تحكم سلوكهم أثناء أداء العمل. خلصت الدراسة إلى أنه بالإمكان الاستفادة من

النموذج الياباني في الفكر الإداري التربوي في مجالات: التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والقيادة، والمتابعة، والتقويم.

دراسة الخطيب (٢٠٠٠):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الإدارة الجامعية، والاستفادة من هذا المدخل الحديث لإصلاح الجهاز التربوي والنهوض به. وبعد أن قدم الباحث عرضاً موجزاً لمفهوم إدارة الجودة الشاملة ومبادئها، قدم العديد من نماذج الجودة التي يمكن الاهتداء بها في حل إشكاليات التعليم الجامعي في البلاد العربية وانعكاساتها على إدارة الجامعة من ناحية، وتعزيز كفاءة هذه الجامعات ونجاعتها من ناحية أخرى. وقدمت هذه الدراسة تصورات مستقبلية عدة لدور الحكومات ودور الجامعات، بهدف تحقيق إصلاح الإدارة الجامعية وتطويرها في مؤسسات التعليم الجامعي في الوطن العربي

دراسة عبد اللطيف (٢٠٠٢):

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم إطار أكاديميّ وفلسفيّ لنظام إدارة الجودة الشاملة كأساس لتقييم فرص توافر متطلبات هذا النظام في المؤسسات الخدماتية في القطاع الخاص والأهلي في الضفة الغربية. وقد أخذت عينة مختارة من (٢٢) مؤسسة خدماتية (٨٠٪) من هذه المؤسسات تقدم خدماتها لجميع أفراد الشعب في الضفة الغربية، ٣١٪ من عينة الدراسة يتراوح عمرها الزمني بين ٦-١٥ سنة، (٤٥٪) من مؤسسات عينة الدراسة عمرها الزمني (١٦) سنة فما فوق. وأظهرت نتائج الدراسة أن نسبة (١٨٪) فقط من مجموع العينة لديهم إدارة خاصة بالجودة، و(٤٠٪) من مجموع المؤسسات تهتم بالتدريب وتطوير المصادر البشرية، بل أن المؤسسات التي تهتم بالتدريب لا تقوم بتقويم مدى الاستفادة من التدريب، كما أن القيادة الإدارية لا تستخدم نظرية الجودة الشاملة، وأن معايير ضمان الجودة المقدمة لم تكن من أولويات المؤسسة، وأن الخدمة المُنتَجة دائماً تُنتج بأخطاء متنوعة من المرة الأولى بسبب عدم إجراء التدقيق الدوري لاكتشاف الأخطاء، وعمل إجراءات الفحص اللازمة.

دراسة علي (٢٠٠٢):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة واقع نظام التعليم في المملكة العربية السعودية، وأهم العقبات التي تواجهه، وتحديد معايير الجودة الشاملة التي يمكن تطبيقها والإفادة منها، ثم

وضع تصور مقترح لأهم ملامح التطوير في نظام تعليم البنات في ضوء معايير إدارة الجودة الشاملة. تناولت الدراسة التخطيط لمدخلات النظام التعليمي الآتية: الإدارة، وسياسة القبول، والأهداف، والخُطط والبرامج الدراسية، وطرق التدريس، وأعضاء هيئة التدريس، والتقويم، والأبنية والتجهيزات المادية.

وقد أظهر تحليل واقع نظام تعليم البنات في المملكة العربية السعودية وجود كثير من المآخذ التي تقلل من جودة هذه المدخلات، مما يدعم فكرة تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بهدف الإصلاح التربوي للارتقاء بمستوى جودة المدخلات التعليمية. وقدمت الباحثة تصوراً مقترحاً لتطوير نظام تعليم البنات في العربية السعودية من أبرز ملامحه:

- تهيئة المناخ التعليمي المناسب لتطبيق إدارة الجودة الشاملة.
- تحديد معايير قياسية لجودة نظام التعليم بالاستعانة بالخبرات والاتجاهات العالمية.
- المتابعة المستمرة لتحديد توقعات العملاء.
- التخطيط للجودة الشاملة.

دراسة عبد الغفور (٢٠٠٢):

تطرقت هذه الدراسة إلى تجربة العراق الخاصة بضمان النوعية والجودة وقياس أداء التعليم العالي، كما عرضت التحديات التي تواجه التعليم العالي في ضوء التطورات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية التي طرأت على العالم في العقود الثلاثة الماضية وتداعياتها على التعليم العالي ويرى الباحث أن هذا النظام يجب أن يحقق الأهداف والمهمات الآتية:

- ضمان مسؤولية الجهات التعليمية تجاه الطلبة، وذلك بتقديم نوعية دراسية جيدة.
- مساعدة الطلبة في التعرف إلى الكليات والجامعات الرصينة.
- تسهيل انتقال الطلبة عبر الدول والحدود.
- الإسهام في زيادة الشفافية والمسؤولية للكلية والجامعات تجاه الجهات الممولة، أو التي تقدم الدعم المالي.
- وضع معايير لتقويم الشهادات ومعادلتها.

دراسة الشرقاوي (٢٠٠٣):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الاتجاهات الحديثة في إدارة الجودة الشاملة في مجال التعليم، والتعرف على واقع إدارة الجودة الشاملة في المدارس الثانوية في محافظتي القاهرة

وبني سويف بمصر، ثم تقديم مقترح لإدارة الجودة الشاملة في المدرسة. وتكونت عينة الدراسة من بعض الإدارات التعليمية في محافظة القاهرة، حيث بلغ عدد أفراد العينة (٣٠) فرداً. وأخذت الإدارات التعليمية في محافظة بني سويف كافة، وبلغ عدد أفرادها (٧٩) فرداً.

قامت الباحثة بإعداد استبانة اشتملت على (٦٠) فقرة موزعة على ستة مجالات وهي (تنمية المصارحة والثقة - والتعاون وروح الفريق - والاعتماد على الإدارة بالحقائق - والاهتمام بالتقدير والمكافآت - وتنمية التعلُّم والتحسين المستمر) كما استعانت الباحثة بالمقابلة (In-terview) في تفسير كثير من البيانات المحيطة بالاستجابات. وأظهرت نتائج الدراسة أن الإدارة المدرسية لديها قصور كبير في مجال تطبيق مبادىء إدارة الجودة الشاملة وعلى المحاور الخمسة السابقة.

دراسة الموسوي (٢٠٠٣):

هدفت هذه الدراسة إلى تطوير أداة لقياس درجة استيفاء مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، وشملت هذه الأداة أو المقياس (٤٨) فقرة، وطبق المقياس في صورته النهائية(بعد تحكيمه) على أفراد عينة الدراسة البالغ عددهم (٦٠) عضواً من أعضاء هيئة التدريس في جامعة البحرين، ثم قام الباحث بحساب معامل الاتساق الداخلي للأداة باستخدام معادلة الفا كرونباخ ومعاملات الارتباط بين المجالات الفرعية للمقياس، وكانت جميع القيم مقبولة تربويا، إذ تراوحت بين٧٣, ٠ و ٩١, ٠. وعلى ضوء دلالات الصدق والثبات للمقياس، أوصى الباحث بالإفادة من هذا المقياس في تحديد مدى إمكانية توظيف مبادئ إدارة الجودة الشاملة وأفكارها في مؤسسات التعليم العالي بهدف عمليات التعليم والتعلم، وتحسين مخرجات التعليم، وتجويد التعليم في البلاد العربية.

دراسة أبو فارة (٢٠٠٤):

حاولت هذه الدراسة توضيح ماهية الجودة وأبعادها في التعليم العالي، كما هدفت الدراسة إلى رصد جوانب الضعف والقوة في نظام التعليم في جامعة القدس من منظور مدخل ضمان الجودة باعتباره مدخلاً يقود إلى تبني وتطبيق إدارة الجودة الشاملة وتكون مجتمع الدراسة من جميع الإداريين في جامعة القدس والبالغ عددهم (٧٠) فرداً في حينه، وأخذت عينة عشوائية بنسبة (٥٠٪) من مجتمع الدراسة، ولغرض جمع البيانات استخدم الباحث أسلوب المقابلة وأسلوب الاستبانة، وأظهرت النتائج أن الإدارة العليا تهتم بصورة نسبية (أعلى من المتوسط

بقليل) بتحقيق ضمان جودة خدماتها التعليمية. أما بالنسبة للمحاور الأربعة الأخرى، فإن اهتمام الجامعة بضمان جودتها لا يزال متدنياً.

دراسة جريس (٢٠٠٤):

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل إمكانية تطبيق معايير وركائز وأسس إدارة الجودة الشاملة في جامعة بيرزيت، والكشف عن أهم الصعوبات التي تعوق إمكانية تطبيق الجودة الشاملة فيها. ثم وضع نموذج مقترح يتضمن قياس جودة الأداء في جامعة بيرزيت.

استخدمت الباحثة ثلاث استبانات للتعرف إلى آراء أعضاء هيئة التدريس، والإداريين، والطلبة الذين أنهوا أكثر من فصلين دراسيين. وقد اختيرت عينة الدراسة كالآتي:

- (١٣٠) عضو هيئة تدريس بواقع (٦٧٪) من المجموع الكلي لأعضاء هيئة التدريس.
- (١٨٠) موظفاً إدارياً بنسبة (٥٢٪) من المجموع الكلي للموظفين الإداريين.
- (٣٤٥) طالباً وطالبة بنسبة (١٠٪) من المجموع الكلي لطلبة الجامعة.

وأظهرت نتائج الدراسة وجود رضا لدى أعضاء هيئة التدريس بالنسبة للعملية الأكاديمية والإدارية، ولعلاقة الجامعة بالمجتمع المحلي، وعدم رضا الطلبة عن جهود الجامعة في تطوير العملية الأكاديمية والخدمات الإرشادية. كما أشارت النتائج إلى أن الجامعة لا تراعي حاجة السوق المحلي من التخصصات التي تطرح، وعدم وجود دعم لعملية البحث العلمي بالشكل الكافي، وعدم اعتماد جامعة بيرزيت نظاماً مالياً وإدارياً ناجعاً.

دراسة علاونة (٢٠٠٤):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية (جنين) من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية، ومعرفة أثر متغيرات الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة في التدريس الجامعي، والجامعة التي تخرج فيها عضو هيئة التدريس، والكلية، والعمر على مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية. تكوّن مجتمع الدراسة من جميع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة، اما عينة الدراسة فتكونت من (٦١) عضوا. تبنى الباحث مقياس الجودة الشاملة للموسوي (٢٠٠٣) المكوّن من (٤٨) فقرة موزعة على أربعة مجالات هي: تهيئة متطلبات الجودة، ومتابعة العملية التعليمية التعلمية وتطويرها، والقوى البشرية، واتخاذ القرار. ثم أجرى الباحث بعض التعديلات ليصبح عدد فقرات الأداة التي استخدمها (٥٢) فقرة. وأظهرت نتائج الدراسة

أن درجة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية كبيرة، وكان مجال تهيئة متطلبات الجودة أكثرها تطبيقاً. كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة تعزى إلى متغيرات الدراسة الستة.

(ب) الدراسات الأجنبية:

دراسة (Leigh، ١٩٩٤):

استعرضت هذه الدراسة النّتائج التي ظهرت من تجربة كلية (Temple Junior Col-lege) في تكساس، من خلال تطبيقها لبرنامج إدارة الجودة الشاملة، الذي قام بتطبيقه (٢٩) معلما، حيث يرتكز هذا البرنامج على مجموعة من العناصر وهي: -إرضاء العميل أو الزبون والتحسين المستمر وتفويض الصلاحية والعمل الجماعي بروح الفريق.

وحاولت الدراسة التعرف الى آراء المدرسين والطلبة حول البرنامج، وأشار معظم أفراد عينة الدراسة من المعلمين إلى أن هذا البرنامج ساعد في تبني أفكار جديدة مثل: العمل بروح الفريق وتقبل فكرة التحسين المستمر في الأداء، كما أبدى الطلبة استمتاعهم بتطبيق برنامج إدارة الجودة الشاملة داخل صفوفهم.

دراسة (Harvey، ١٩٩٥):

ناقشت هذه الدراسة تطبيقات كل من الأيزو (ISO 9000) وإدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي على ضوء نظام التعليم الجامعي الحديث. وتناولت الدراسة تعريف عناصر كل من النظامين، وعرض نقاط الضعف والقوة لكليهما. كما أشارت إلى الجهود التي بذلت لتطبيق النّظامين في التعليم العالي في المملكة المتحدة، والولايات المتحدة، وأستراليا. كما تضمنت الدراسة عرضًا لنظام التعليم الحديث الذي يؤكد على التحسين المستمر للجودة المبني على العمل الجماعي بروح الفريق الواحد.

ختمت الدراسة بالإشارة إلى وجود شبه كبير بين كل من الايزو وإدارة الجودة الشاملة من ناحية، والنّظام الجامعي الحديث من ناحية أخرى، إلا أن الأيزو والجودة الشاملة قد أخفقا في التفاعل والتكيف مع طبيعة التعليم العالي.

دراسة (Horine & Haily، ١٩٩٥):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة التحديات التي تواجه تطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة

في مؤسسات التعليم العالي، من خلال مسح شامل ل (١٦٠) كلية وجامعة قامت بتطبيق هذا المدخل وبمستويات مختلفة، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك خمسة تحديات تحول دون التطبيق الناجح لإدارة الجودة الشاملة، وهي: الحاجة إلى تغيير الثقافة التنظيمية للمؤسسة التعليمية، ومدى التزام القيادة العليا بثقافة الجودة، وضرورة الحصول على دعم وتأييد الكليات الجامعية كافة، و تخصيص جزء من الوقت لتطبيق إدارة الجودة الشاملة، والتكاليف المصاحبة لتدريب العاملين في المؤسسة.

دراسة (Thomson، ١٩٩٦):

أشارت هذه الدراسة إلى تجربة جامعة(Northwest Missouri State University)التي طبقت مدخل إدارة الجودة الشاملة كأسلوب حديث في التعليم، حيث قامت الجامعة بتطبيق هذا الأسلوب الجديد في دائرة العلوم وأنظمة المعلومات لديها، فكان من نتائجه: تطوير مهارات التفكير لدى الطلبة وزيادة مرونة البرامج المقدمة وتوسيع آفاق عملية التعلم لتتجاوز أسلوب التلقين التقليدي.

دراسة (Satterlee، ١٩٩٦):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة كيفية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي من خلال توضيح مفهوم الجودة وفلسفتها الهادفة إلى إرضاء العميل، والعمل بروح الفريق المتماسك. كما أشار الباحث إلى نموذج بالدرج (Baldrige)، الذي يستند إلى (١١) معياراً لبرامج الجودة التعليمية، ثم مشروع كلية مهلنبرج (Muhlenberg) الذي طبق إدارة الجودة الشاملة منذ عام ١٩٩٢م. كما أشار البحث إلى تجديد المناهج الجامعية، والمناهج المدرسية في المدارس الحكومية والمهنية.

دراسة (Munoz، ١٩٩٩):

تناولت هذه الدراسة تطبيقات إدارة الجودة الشاملة في مكتب تكنولوجيا المعلومات التابع لجامعة لويسفل (Louisville) منذ عام ١٩٩٢م. عمد الباحث إلى الاستعانة بأسلوب المقابلة الشخصية مع بعض المسؤولين وتحليل الوثائق والبيانات ذات العلاقة بموضوع الدراسة. وأظهرت النتائج أن إدارة الجودة الشاملة أحدثت تغييراً جذرياً في نمط الإدارة المعمول به في الجامعة المذكورة كما ساعدت إدارة الجودة الشاملة على تسهيل الإجراءات المتبعة في الجامعة،

والحصول على تغذية راجعة، ومحاولة استمرار تحسين الخدمات المقدمة للعملاء.

دراسة (Hirtz، ٢٠٠٢):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة ما إذا كان هناك علاقة بين نمط القيادة التربوية السائد، وإمكانية تطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، وقد اقتصرت الدراسة على الإدارات الأكاديمية في جامعة (Missouri-Rolla University) والحاصلة على جائزة الجودة عام (١٩٩٥) لتكون بهذا أول مؤسسة تربوية تحصل على هذه المكافأة.

ولغرض تطبيق الدراسة قام الباحث بإعداد استبانة للقيادة وإجراء تقويم ذاتي لإدارة الجودة الشاملة وفق معايير بالدرج (Baldrige)، وقد وزعت الاستبانة على رؤساء الدوائر والموظفين لتقويم رئيس كل دائرة. وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك علاقة قوية بين نمط القيادة السائد في المؤسسات التعليمية وإمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة، وأن التحول من نمط قيادي إلى آخر له علاقة مباشرة وإمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة.

دراسة (Hurst، ٢٠٠٢):

١. هدفت هذه الدراسة إلى معرفة إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة ومفاهيمها في جامعة (Northwestern Public University)، واستخدم الباحث أسلوب المقابلات، ومراجعة السجلات الصفية وأسلوب الملاحظة باعتبارها أدوات للدراسة وجمع البيانات. وأظهرت نتائج الدراسة أن كليات الجامعة تطبق فعلاً مفاهيم إدارة الجودة الشاملة

منهج الدراسة:

استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي الميداني المناسب لأهداف هذه الدراسة وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف الظاهرة كما هي في الواقع، ومن ثم تحليلها وتفسيرها وربطها بالظواهر الأخرى.

مجتمع الدّراسة:

تكون مجتمع الدّراسة من جميع طلبة السنة ألاولى والسنة الرابعة في الكلّيات العلميّة

والإنسانيّة في جامعة القدس، والبالغ عددهم (٢٥٨٠) طالباً وطالبة، وبلغ عدد الطلبة في السنة الأولى (١٦٨٥) طالبا وطالبة، في حين كان عدد الطلبة في السنة الرابعة (٨٩٥) طالبا وطالبة.

عيّنة الدّراسة:

اختيرت عيّنة طبقيّة عشوائية، عدد أفرادها (٣١٦) طالباً وطالبة، وتعادل ما نسبته (١٢,٢٪) من مجتمع الدراسة. والجدول رقم (١) يبيّن خصائص عيّنة الدّراسة وفق متغيراتها.

الجدول رقم (١)
توزيع أفراد عيّنة الدّراسة حسب متغيّرات(الجنس والكلّيّة والمستوى الدّراسي)

	المتغيرات	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	١٤٥	٪٤٥,٩
	أنثى	١٧١	٪٥٤,١
	المجموع	٣١٦	٪١٠٠
الكلية	علمية	١٧٥	٪٥٥,٤
	انسانيّة	١٤١	٪٤٤,٦
	المجموع	٣١٦	٪١٠٠
المستوى الدراسي	سنة أولى	٢٠١	٪٦٣,٦
	سنة رابعة	١١٥	٪٣٦,٤
	المجموع	٣١٦	٪١٠٠

أداة الدراسة:

طَّور الباحثون أداة لقياس معايير إدارة الجودة الشاملة من وجهة نظر الطلبة، بالاستعانة بالادب التربوي والدراسات السابقة في هذا المجال، وخاصة أداة الموسوي (٢٠٠٣)، التي صممت في حينه لقياس معايير تطبيق ادارة الجودة الشاملة من وجهة نظر أعضاء هيئات التدريس. واشتملت الاستبانة، في صورتها الأولية، على (٣٤) فقرة موزعة على ثلاثة

مجالات : تهيئة متطلّبات الجودة في التّعليم، ومتابعة العمليّة التعليميّة التعلّميّة وتطويرها، وخدمة المجتمع وسوق العمل . وللتأكد من صدق الأداة قام الباحثون بعرضها على مجموعة من المحكمين، عددهم (١٠)، من حملة شهادة الدكتوراه والعاملين في مجال التعليم العالي الفلسطيني، وبعد الإطلاع على ملاحظاتهم وآرائهم، اخذ الباحثون بجميع الملاحظات التي اتفق عليها ٨٠٪ فأكثر من المُحكمين، واشتملت الاستبانة، في صورتها النهائية، على (٣٤) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات هي :

المجال الأول: تهيئة متطلبات الجودة في التعليم .

المجال الثاني: متابعة العمليّة التّعليميّة – التعلمية وتطويرها : الفقرات .

المجال الثالث: خدمة المجتمع وسوق العمل : الفقرات .

وللتّأكد من ثبات الأداة، استخدم الباحثون معادلة كرونباخ ألفا، وطريقة التّجزئة النّصفيّة وبلغت قيمة معامل الثبات للدرجة الكلية وفق معادلة كرونباخ ألفا (٩٣, ٠)، في حين كانت وفق التجزئة النصفية (٨٩, ٠)، وهي قيم مقبولة تربويا للبحث العلمي .

المعالجة الإحصائيّة:

للإجابة عن أسئلة الدّراسة والتّحقّق من فرضيّاتها، استخرجت المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة، كما استخدم الباحثون اختبار (ت) (t- test) للعيّنات المستقلّة، وتحليل التّباين الأحادي (One – Way ANOVA) ومعادلة الثّبات "كرونباخ ألفا" والتّجزئة النصفيّة، وذلك باستخدام برنامج الرّزم الإحصائية للعلوم الإنسانية (spss) .

نتائج الدّراسة ومناقشتها:

لغرض تحديد مؤشرات ادارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها ومن خلال متوسّطات استجابات أفراد عيّنة الدّراسة، اعتمدت الدّرجات الآتية :

درجة مرتفعة: إذا كان المتوسّط الحسابي للدّرجة الكلّيّة أو المجال أو الفقرة أعلى من (٣ + انحراف معياري واحد) .

درجة متوسطة: إذا كان المتوسّط الحسابي محصورا بين(٣+ انحراف معياري واحد) .

درجة منخفضة : إذا كان المتوسّط الحسابي أقل من (٣– انحراف معياري واحد) .

نتائج السؤال الأول الذي ينص على:

ما مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها؟

وللإجابة عن هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات الاستبانة، ومجالاتها، والدرجة الكلية، والجدول رقم (٢) يبين المتوسطات الحسابية للمجالات، في حين يبين الجدول(٣) المتوسطات الحسابية لفقرات الاداة مرتبة تنازلياً.

جدول(٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات أداة الدراسة وفق استجابات أفراد العينة

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
متابعة العملية التعليمة- التعلمية وتطويرها.	٢,٥٩	٠,٧٢
تهيئة متطلبات جودة التعليم.	٢,٥٨	٠,٦٢
خدمة المجتمع وسوق العمل.	٢,٢٠	٠,٧٢
الدرجة الكلية.	٢,٤٦	٠,٦٠

ويبين جدول رقم (٢) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات أداة الدراسة الثلاثة والدرجة الكلية، وكذلك الانحرافات المعيارية، وعند ملاحظة استجابات أفراد العينة حول مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها يظهر أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هو (٢,٤٦) وبانحراف معياري مقداره (٠,٦٠)، وهذه القيمة تشير إلى أن مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس كما يراها الطلبة متوسطة. ويظهر أن المجال الأول والمتعلق بمتابعة العملية التعليمية-التعلمية جاء بالمرتبة الأولى وبمتوسط حسابي قدره (٢,٥٩) وانحراف معياري قدره (٠,٧٢)، وبدرجة "متوسطة" في حين كان ترتيب المجال الخاص بخدمة المجتمع وسوق العمل الأخير، وبمتوسط حسابي قدره (٢,٢٠) وانحراف معياري قدره (٠,٧٢)، وبدرجة "منخفضة"، وكانت مرتبة المجال الخاص بتهيئة متطلبات الجودة في التعليم الثانية وبدرجة "متوسطة".

ونلاحظ من القيم الواردة في الجدول(٣)، الخاص بفقرات أداة الدراسة، أن أعلى متوسط حسابي للفقرة" توفر الجامعة أساتذة متخصصين لتدريس المقررات الدراسية" حيث بلغ المتوسط (٣,٣١)، تلاها في الترتيب الثاني الفقرة" تحتفظ الجامعة بملف خاص عن حالة الطالب ومستواه الأكاديمي " حيث بلغ متوسطها الحسابي (٣,٢٨)، وفي المرتبة الثالثة الفقرتان" تزود الجامعة طلبتها عند قبولهم بدليل يوضح شروط الدراسة ومتطلباتها" و "تطبق الجامعة معايير محددة لقبول الطلبة" حيث بلغ المتوسط الحسابي لكل منهما (٣,٠٩).

جدول(٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والدرجة الكلية
لفقرات أداة الدراسة وفق استجابات أفراد العينة

الترتيب	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
١	توفر الجامعة أساتذة متخصصين لتدريس المقررات الدراسية.	٣,٣١	٠,٨٤	متوسطة
٢	تحتفظ الجامعة بملف خاص عن حالة الطالب ومستواه الأكاديمي.	٣,٢٨	٠,٦٢	متوسطة
٣	تزود الجامعة طلبتها عند قبولهم بدليل يوضح شروط الدراسة ومتطلباتها.	٣,٠٩	٠,٩٣	متوسطة
٤	تطبق الجامعة معايير محددة لقبول الطلبة.	٣,٠٩	١,١٢	متوسطة
٥	تجري تقويم دوري لأداء أعضاء هيئة التدريس من قبل الطلبة.	٣,٠١	٠,٧٥	متوسطة
٦	تعلم الجامعة طلبتها بكافة الأنظمة واللوائح المتصلة بتنظيم الامتحانات النهائية واعتماد نتائجها.	٢,٨٥	٠,٨٢	متوسطة
٧	تنتهج الجامعة مبدأ التطوير المستمر لعمليات التعليم.	٢,٨٠	٠,٨٢	متوسطة
٨	تتابع الجامعة تحصيل الطلبة من خلال نتائج التقويم المستمر طوال الفصل.	٢,٧٧	٠,٧٦	متوسطة
٩	تحتفظ الجامعة بعلاقات طيبة وروابط قوية مع مؤسسات المجتمع.	٢,٧٠	١,٠٢	متوسطة
١٠	تطرح الجامعة برامج تعليمية تلبي حاجات المجتمع المحلي.	٢,٦٣	٠,٩٧	متوسطة
١١	تستحدث الجامعة آليات لتطوير خدماتها لمواكبة المستجدات.	٢,٥٧	٠,٧١	متوسطة
١٢	تشجع الجامعة طلبتها على تنفيذ البحوث المتصلة بحاجات المجتمع.	٢,٥٦	٠,٨٧	متوسطة
١٣	تجري مراجعة المقررات والبرامج التربوية في ضوء المستجدات العلمية.	٢,٤٩	١,٠٥	متوسطة

١٤	توفر الجامعة قاعدة بيانات بكلياتها يمكن الرجوع إليها بسهولة .	٢,٤٦	٠,٨١	متوسطة
١٥	تطبق الجامعة إجراءات عملية سليمة للتأكد من المستوى العلمي للطلبة قبل التحاقهم بها .	٢,٤٥	٠,٧٣	متوسطة
١٦	تهيئ الجامعة مستلزمات الأنشطة الصفية للطلبة من حواسيب ومراجع ووسائل تعليمية .	٢,٤٤	١,٠٠	متوسطة
١٧	تنظم الجامعة فعاليات وأنشطة تستهدف تحقيق النمو المتكامل لشخصية الطالب الجامعي .	٢,٤٤	٠,٩٦	متوسطة
١٨	تطبق الجامعة معايير عادلة لقبول الطلبة .	٢,٤٢	٠,٧٤	متوسطة
١٩	تقوم الجامعة بمتابعة طرق التدريس التي يتبعها أعضاء هيئة التدريس .	٢,٣٩	٠,٨٢	منخفضة
٢٠	توفر الجامعة شبكة معلومات تربطها بالجامعات الأخرى .	٢,٣٩	٠,٨٥	منخفضة
٢١	تتخذ الجامعة إجراءات محددة لتطوير أساليب التقويم بناء على نتائج المتابعة المستمرة لأداء أعضاء هيئة التدريس .	٢,٣٩	٠,٩٥	منخفضة
٢٢	تشجع الجامعة طلبتها على التميز والإبداع .	٢,٣٨	٠,٧٣	منخفضة
٢٣	تفتح الجامعة قنوات اتصال مع المؤسسات التي ترفدها بالطلبة لتوضيح توجهاتها .	٢,٣٥	٠,٨٤	منخفضة
٢٤	توفر الجامعة مرافق كافية لاستيعاب الطلبة .	٢,٣٣	٠,٧٥	منخفضة
٢٥	تتخذ الجامعة إجراءات مستمرة للتأكد من صلاحية التجهيزات الدراسية(مختبرات، ووسائل تعليمة، وإنترنت، ومكتبة) .	٢,٢٨	٠,٧٩	منخفضة
٢٦	تهيئ الجامعة لطلبتها مناخاً جامعياً يسوده التعاون .	٢,٢٦	١,٠٥	منخفضة
٢٧	تتبنى الجامعة مبدأ مشاركة الطلبة في رسم سياستها المتعلقة بالمجتمع .	٢,٢٣	٠,٨٥	منخفضة
٢٨	تسهم الجامعة في تنفيذ المشاريع التنموية في البلاد .	٢,١٧	٠,٨٢	منخفضة
٢٩	تهيئ الجامعة مستلزمات الأنشطة اللاصفية من قاعات وملاعب رياضية .	٢,١٦	٠,٧٨	منخفضة
٣٠	تطلع الجامعة طلبتها على نتائج الدراسات المتعلقة بسوق العمل .	٢,١٣	٠,٧٧	منخفضة
٣١	تنظم الجامعة برامج تدريبية لطلبتها تواكب متطلبات ما بعد التخرج .	٢,١١	٠,٩١	منخفضة
٣٢	تعقد الجامعة ندوات دورية لأرباب العمل بحضور الطلبة .	١,٩٥	٠,٨٦	منخفضة
٣٣	تتابع الجامعة بمشاركة طلبتها أداء خريجيها في سوق العمل .	١,٩٣	٠,٧٤	منخفضة
٣٤	تناقش الجامعة مع طلبتها شكاوى العملاء المتعلقة بجودة خدماتها .	١,٧٧	٠,٥١	منخفضة
	الدرجـة الكليـة	**٢,٤٦**	**٠,٦٠**	**منخفضة**

بمراجعة الجدول السابق يتبين أن قيم المتوسطات الحسابية لاستجابات الطلبة على الفقرة " تناقش الجامعة مع طلبتها شكاوى العملاء المتعلقة بجودة خدماتها " قد حصلت على أدنى متوسط حسابي من بين فقرات الأداة، وكان مقداره (٧٧ , ١)، وكان ترتيبها (٣٤)، أما الفقرة " تتابع الجامعة بمشاركة طلبتها أداء خريجيها في سوق العمل " فكان ترتيبها (٣٣) وبمتوسط حسابي مقداره (٩٣ , ١)، في حين كان ترتيب الفقرة " تعقد الجامعة ندوات دورية لأرباب العمل بحضور الطلبة " (٣٢) وبمتوسط حسابي مقداره (٩٥ , ١).

ونلاحظ أيضا، من الجدول نفسه، أنه لم تحصل أي من الفقرات على درجة " مرتفعة "، في حين كانت (١٨) فقرة بدرجة " متوسطة "، و(١٦) فقرة بدرجة " منخفضة ".

ويعزو الباحثون ذلك لأسباب متعددة منها: عدم متابعة الجامعة لشكاوى العملاء المتعلقة بجودة خدماتها، وإشراك الطلبة في عملية المتابعة هذه، وعدم وجود ندوات دوريّة لأرباب العمل ومنح الطلبة فرصة حضورها، وعدم وجود برامج تدريبيّة للطلبة تواكب متطلبات ما بعد التخرج، وعدم إطلاع الطلبة على نتائج الدراسات المتعلقة بسوق العمل إن وجدت، عدم تهيئة مستلزمات الأنشطة اللاصفيّة من قاعات وملاعب رياضيّة، وعدم مساهمة الجامعة في تنفيذ المشاريع التنموية في البلاد، وعدم إشراك الطلبة في رسم السياسات، واتخاذ القرارات المتعلقة بالمجتمع، وعدم التأكد باستمرار من صلاحية التجهيزات الدراسية (مختبرات ووسائل تعليمية وإنترنت)، وعدم توفير المرافق الكافية لاستيعاب الطلبة، وعدم وجود قنوات اتصال بين الجامعة والمؤسسات التي ترفدها بالطلبة، وعدم وجود إجراءات محددة لتطوير أساليب التقويم بناءً على نتائج المتابعة المستمرة لأداء أعضاء هيئة التدريس، وعدم وجود شبكة معلومات تربط الجامعة بالجامعات الأخرى، وعدم متابعة طرق التدريس التي يتبعها أعضاء الهيئة التدريسية.

كما أنّ مكتبات الجامعة تخيّب آمال الطّلبة الّذين يرتادونها، لأنها ذات مساحة محدودة، ولا تستوعب الأعداد الكبيرة من الطّلبة الّذين يرتادونها، إضافة إلى قلّة الكتب والمراجع في المجالات المختلفة.

كما أنّ إجراءات التّسجيل شاقّة وتقليديّة، فهي شاقّة لأن التّسجيل يتمّ في عمادة القبول والتّسجيل، وتُدفع الأقساط الجامعيّة عن طريق البنك، كما أن عدد الموظّفين الّذين يقومون بالتّسجيل لا يتعدّى -في أحسن الحالات- ثلاثة موظّفين يقدّمون خدمات لأكثر من ستّة آلاف طالب. كما أنّ التّسجيل تقليدي، فهو لا يزال يدويًا، ولا يتم التسجيل عن طريق الإنترنت ليخفف عن كاهل الطلبة حتى تاريخ تطبيق هذه الدراسة. وأمّا بخصوص تكاليف

التّعليم التي يتكبّدها الطّلاب والطّالبات فهي باهظة، ولا تراعي الظّروف الاقتصادية للطّلبة إلاّ في أضيق الحدود.

كما يشعر الطّلبة – في كثير من الأحيان– بوجود فجوة كبيرة بين إدارة الجامعة وطلبتها، وأنّ كثيراً من حقوق الطّلبة غير متوافرة لهم.

كل هذا يجعل الطّالب يحكم على نظام التّعليم بأنّه يفتقر إلى معايير إدارة الجودة الشاملة التي أشير إليها في الاستبانة.

واتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة علي (٢٠٠٢) التي أشارت إلى وجود كثير من المآخذ في نظام تعليم البنات في المملكة العربيّة السّعوديّة.

نتائج الفرضيات التي انبثقت من السؤال الثاني وهو:

هل تختلف استجابات أفراد عيّنة الدراسة حول مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها باختلاف متغيرات الدراسة (الجنس، والكلية، والمستوى الدراسي)؟

نتائج الفرضية الاولى:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها تعزى لمتغير الجنس.

ولفحص هذه الفرضية قام الباحثون بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة على مجالات الأداة حسب متغير الجنس، كما استخدم اختبار (ت) لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات كما هو مبين في الجدول (٤).

تشير البيانات الواردة في الجدول (٤) أن هناك فروقا بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الذكور والإناث سواء على المجال الكلي أو المجالات الثلاثة الفرعية، حيث كان المتوسط الحسابي للذكور على المجال الكلي (٢,٥١) في حين كان للإناث (٢,٤٤)، بفارق قدره(٠,٠٧). بينما أشارت نتائج اختبار (ت) أن الفروق غير دالة إحصائيا عند المستوى (α = ٠,٠٥)، حيث كانت الدلالة الإحصائية < ٠,٠٥ لجميع مجالات الدراسة. وعليه قُبلت الفرضية الصفرية الأولى. وهذا يشير إلى أن وجهات نظر الطلبة ذكوراً وإناثًا متقاربة،

ولا تختلف في حكمها على مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس .

جدول(٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار(ت) لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مجالات الأداة حسب متغير الجنس

المجال	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة
تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	ذكر	١٤٥	٢,٦٤	٠,٦٠	١٤٤	١,٦٠٨	٠,١٠٩
	أنثى	١٧١	٢,٥٣	٠,٦٤	١٧٠		
متابعة العملية التعليمية- التعلمية وتطويرها	ذكر	١٤٥	٢,٦٠	٠,٩	١٤٤	٠,٢٣٨	٠,٨١٢
	أنثى	١٧١	٢,٥٨	٠,٧٤	١٧٠		
خدمة المجتمع وسوق العمل	ذكر	١٤٥	٢,٢٥	٠,٧٢	١٤٤	١,٠٩٨	٠,٢٧٣
	أنثى	١٧١	٢,١٦	٠,٧٢	١٧٠		
الدرجة الكلية	ذكر	١٤٥	٢,٥١	٠,٥٩	١٤٤	١,١١١	٠,٢٦٧
	أنثى	١٧١	٢,٤٤	٠,٦	١٧٠		

ويعزو الباحثون هذه النتيجة إلى تماثل الظروف الجامعية والدراسية التي يعيشها الطلبة ذكوراً وإناثًا، فهم يتعاملون مع إدارة جامعية واحدة، وأعضاء هيئة تدريسية واحدة، وأنظمة واحدة. فالخاصّيّة المقيسة واحدة، وهي نظام التّعليم، ومرجعيّة القياس هي معايير إدارة الجودة الشّاملة، والّذين يقومون بالقياس والحكم هم الطلبة ذكوراً وإناثًا، يعيشون الظروف التعليمية والترفيهية والاقتصادية نفسها تقريبا، ويتعاملون مع عمادة القبول والتسجيل وشؤن الطلبة والمالية وأعضاء هيئة التدريس كطلبة، بغض النظر عن كونهم ذكوراً أو إناثًا. إذن فلا غرابة أن لا يكون هنالك فروق في المتوسطات الحسابية لاستجاباتهم.

نتائج الفرضية الثانية التي تنص على انه:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين متوسطات استجابات

أفراد عينة الدراسة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها تعزى لمتغير الكلية.

ولفحص هذه الفرضية قام الباحثون بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة على مجالات الأداة حسب متغير الكلية، كما استخدم اختبار (ت) لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات وكما هو مبين في الجدول (٥).

جدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت) لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مجالات الأداة حسب متغير الكلية

المجالات	الكلية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة
تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	علمية	١٧٥	٢,٦٢	٠,٦٥	١٧٤	١,٢١٩	٠,٢٢٤
	إنسانية	١٤١	٢,٥٣	٠,٥٢	١٤٠		
متابعة العملية التعليمية-التعلمية وتطويرها	علمية	١٧٥	٢,٥٩	٠,٧١	١٧٤	٠,٠٠٣	٠,٩٩٨
	إنسانية	١٤١	٢,٥٩	٠,٧٣	١٤٠		
خدمة المجتمع وسوق العمل	علمية	١٧٥	٢,٢١	٠,٧١	١٧٤	٠,٢٥٤	٠,٨٠٠
	إنسانية	١٤١	٢,١٩	٠,٧٣	١٤٠		
الدرجة الكلية	علمية	١٧٥	٢,٤٩	٠,٦٠	١٧٤	٠,٥٦٥	٠,٧٣
	إنسانية	١٤١	٢,٤٥	٠,٦٠	١٤٠		

تشير البيانات الواردة في الجدول (٥) أن هناك فروقا بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة من طلبة الكليات العلمية والإنسانية، سواء على المجال الكلي أو المجالات الثلاثة الفرعية، حيث كان المتوسط الحسابي لأفراد العينة من الكليات العلمية على الدرجة الكلية (٢,٤٩) في حين كان للإناث (٢,٤٥)، بفارق قدره(٠,٠٤). بينما أشارت نتائج اختبار

(ت) أن الفروق غير دالة إحصائيا عند المستوى ٠,٠٥ ، حيث كانت الدلالة الإحصائية > ٠,٠٥ . وعليه قُبلت الفرضية الصفرية الثانية .

وقد يعود السبب في ذلك إلى أن الكلّيّات العلميّة والإنسانيّة على السّواء هي وحدات أو أنظمة فرعيّة تتّبع نظاما كلّيا واحدا، وهو نظام جامعة القدس، والّذي لا يميّز بين كلّيّة علميّة أو كلّيّة إنسانيّة، فكان حكم المستجيبين من الكلّيّات العلميّة والإنسانيّة واحدًا ومتقاربًا. وقد يُعزى أيضا إلى كون الطّلبة في الكلّيات العلميّة والإنسانيّة يتعاملون مع أعضاء هيئة تدريسيّة من البيئة الفلسطينيّة نفسها، ولهم الظّروف نفسها، كما أن مرافق الجامعة هي نفسها لجميع الطّلبة من مختلف الكلّيّات دون تمييز، فيما عدا المختبرات التي يستخدمها طلبة الكلّيّات العلميّة. كما أنّ هنالك بعض المساقات التي تدرس لطلبة الجامعة، كمتطلبات جامعة، بغضّ النّظر عن تخصّصاتهم وكلّيّاتهم، وهذا يعمل على تقوية علاقاتهم ببعضهم بعضاً، ويقرّب من توجّهاتهم وآرائهم.

نتائج الفرضية الثالثة التي تنص على انه:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها تعزى لمتغير المستوى الدراسي.

ولفحص هذه الفرضية حسب الباحثون المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة على مجالات الأداة حسب متغير المستوى الدراسي، كما استخدم اختبار (ت) لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات كما هو مبين في الجدول(٦).

جدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار (ت)

لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مجالات الأداة حسب متغير المستوى الدراسي

المجالات	المستوى الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة
تهيئة متطلبات الجودة في التعليم	سنة أولى	٢٠١	٢,٦٢	٠,٦٥	٢٠٠	١,٤١٩	٠,١٥٧
	سنة رابعة	١١٥	٢,٥١	٠,٥٦	١١٤		
متابعة العملية التعليمية-التعلمية وتطويرها	سنة أولى	٢٠١	٢,٦٠	٠,٧٥	٢٠٠	٠,٣٣٤	٠,٧٣٩
	سنة رابعة	١١٥	٢,٥٧	٠,٦٦	١١٤		
خدمة المجتمع وسوق العمل	سنة أولى	٢٠١	٢,٢٦	٠,٧٣	٢٠٠	١,٧٣٩	٠,٠٨٣
	سنة رابعة	١١٥	٢,١١	٠,٦	١١٤		
الدرجة الكلية	سنة أولى	٢٠١	٢,٥٠	٠,٦٣	٢٠٠	١,٢٩٨	٠,١٩٥
	سنة رابعة	١١٥	٢,٤١	٠,٥٥	١١٤		

تشير القيم الواردة في الجدول رقم (٦) أن هناك فروقا بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة من طلبة السنة الأولى وطلبة السنة الرابعة، سواء على المجال الكلي أو المجالات الفرعية، حيث كان المتوسط الحسابي لأفراد العينة من طلبة السنة الأولى على المجال الكلي (٢,٥٠) في حين كان للإناث (٢,٤١)، بفارق قدره(٠,٠٩). بينما أشارت نتائج اختبار (ت) أن الفروق غير دالة إحصائيا عند المستوى ($\alpha = ٠,٠٥$)، حيث كانت الدلالة الإحصائية > ٠,٠٥. وعليه قُبلت الفرضية الصفرية الثالثة.

وقد يفسّر ذلك بأنّه بالرّغم من اختلاف المستوى الدّراسي (سنة أولى، وسنة رابعة) إلاّ أنّ ذلك الاختلاف لم يكن ذا فارق كبير لدرجة تؤثّر في استجابة أفراد عينة الدراسة من الطلبة نحو مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها، وهذا يعني أن أفراد عينة الدراسة من المستويين كان حكمهم على واقع نظام التعليم في الجامعة متقاربًا، ودون فروق دالة إحصائيًا. إذ أنّ المستويين ينطويان تحت الشّهادة الجامعية الأولى، فلم تشمل

عيّنة الدّراسة طلبة الدّراسات العليا، كما أنّ هناك بعض المساقات التي تطرحها الجامعة ويختارها طلبة من مختلف المستويات، كما أنّ هناك بعض الفعاليّات والأنشطة التي يشترك فيها الطّلبة، بغضّ النّظر عن مستواهم الدّراسي، كالأنشطة التّرفيهيّة والتّثقيفيّة، والأعمال التّعاونيّة، ومجلس الطّلبة. كلّ ذلك جعل متغيّر المستوى الدّراسي على استجابات الطّلبة عديم التأثير.

التّوصيات:

على ضوء النّتائج التي توصّلت إليها هذه الدّراسة، يوصي الباحثون بمايأتي:

- أن تسعى الجامعة إلى ترسيخ علاقة دائمة مع خريجيها للاستفادة من ملاحظاتهم وآرائهم حول متطلبات سوق العمل، كونهم يمثلون حلقة الوصل بين الجامعة والمجتمع.
- تطوير برامج تدريبية لرؤساء الأقسام وأعضاء هيئة التدريس والطلبة، كل حسب موقعه لرفع مستوى جودة الخدمات التعليمية.
- أن تتبنى الجامعة مبدأ المشاركة –مشاركة الطلبة– في اتخاذ القرارات ورسم السياسات المستقبلية.
- تشكيل لجنة للنظر في شكاوى ومقترحات مؤسسات المجتمع الخاصة بجودة الخدمات التي تقدمها الجامعة من ناحية أخرى.
- أن تعمل الجامعة على توفير كل ما يلزم العملية التعليمية من قاعات ومرافق، وحواسيب ومراجع وغيرها.
- أن تعمل الجامعة على فتح قنوات اتصال وشبكة معلومات تربطها بالجامعات الأخرى في الوطن والخارج.
- القيام بدراسات مشابهة تتناول متغيّرات أخرى مثل، منطقة السّكن، معدّل الطّالب التّراكمي، تخصّص الطّالب، وغيرها.
- إجراء دراسات مقارنة بين مؤسّسات التّعليم العالي التي طبّقت مدخل إدارة الجودة الشّاملة، وبين المؤسّسات الأخرى المشابهة، التي لم تطبّق هذا المدخل بهدف معرفة الفروق في مخرجات الفئتين.
- عمل دراسات ميدانيّة لمعرفة مدى رضا المجتمع عن جودة الخدمات التي تقدّمها الجامعات الفلسطينيّة.

ويقترح الباحثون ما يلي :

- إنشاء دائرة خاصة بالجودة الشّاملة في الجامعة تتّبع رئاسة الجامعة، ويخوّل إليها الصّلاحيات اللاّزمة لمتابعة ومراقبة تطبيق مدخل إدارة الجودة الشّاملة .
- التزام الإدارة العليا في الجامعة وصانعي القرار بثقافة الجودة الشّاملة وجعل ذلك استراتيجيّة ثابتة يتمّ التّقيّد بها .
- إعادة النّظر في أساليب العمل التقليديّة ونظمه، والشّروع في استخدام نموذج إدارة الجودة الشّاملة، أسلوباً إدارياً يسهم في تقليل التّكاليف وتحسين العمليّات .
- تطوير برامج تدريبيّة شاملة تتناول مفاهيم إدارة الجودة الشّاملة وأساليبها وأدواتها ومعاييرها .
- اعتماد المعايير الدّوليّة للجودة، والمعايير التي حدّدتها وزارة التّعليم العالي بهدف الوصول إلى مخرجات تعليميّة تتّفق وهذه المعايير .

المراجع

١. أبو فارة، يوسف. (٢٠٠٤). دراسة تحليلية لواقع ضمان جودة التعليم في جامعة القدس، بحث مقدم الى مؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني(جامعة القدس المفتوحة)، رام الله، في الفترة من ٣-٥/ ٧/ ٢٠٠٤.

٢. أحمد، إبراهيم. (٢٠٠٣). الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية.

٣. جريس، إيمان. (٢٠٠٤). إدارة الجودة الشاملة وإمكانياتها التطبيقية في جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس.

٤. حمود، خضر. (٢٠٠٢). إدارة الجودة وخدمة العملاء، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة: عمان.

٥. الخطيب، أحمد. (٢٠٠٠). إدارة الجودة الشاملة: تطبيقات في الإدارة الجامعية، اتحاد الجامعات العربية، العدد (٣)، ص ص ٨٣-١٢٢.

٦. دوبينز، لوير وماسون، كلير. (١٩٩٧). إدارة الجودة، التقدم والحكمة وفلسفة ديمنج، ترجمة: حسين عبد الواحد، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية: القاهرة.

٧. دوهرتي، جيوفري. (١٩٩٩). تطوير نظم الجودة في التربية، ترجمة عدنان الأحمد وآخرون، المنظمة العربي للترجمة والثقافة والعلوم، إدارة التربية والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر: دمشق.

٨. الرجب، غازي. (٢٠٠١). مدى قابلية نظام إدارة الجودة الشاملة للتطبيق في المدارس الشاملة في محافظة إربد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

٩. الشافعي، أحمد وناسي، السيد. (٢٠٠٠). ثقافة الجودة في الفكر الإداري التربوي الياباني وإمكانية الاستفادة منها في مصر، مجلة التربية، ، ٢ (١)، ص ص ٧٣-١١٢.

١٠. الشرقاوي، مريم. (٢٠٠٣). إدارة المدارس بالجودة الشاملة، ط٢، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة.

١١. الطائي، رعد و قدادة، عيسى (٢٠٠٣). إدارة الجودة الشاملة: مفهوم وإطار للتطبيق في الجامعات وكليات العلوم الإدارية لتطوير وتحسين مستويات الأداء. المؤتمر العلمي الثامن: ضمان الجودة وإثره في أداء كليات الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزرقاء ٢١-٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٣

١٢. عبد الغفور، همام. (٢٠٠٢). الجودة والنوعية لتطوير التعليم العالي والبحث العلمي، تجربة العراق، تنمية الرافدين، المجلد (٢/ ٢٤)، العدد (٦٨)، ص ص ٩-١٧.

١٣. عبد اللطيف، أفنان. (٢٠٠٢). تقييم تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الخدماتية غير الحكومية في الضفة الغربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس.

١٤. عشيبة، فتحي. (٢٠٠٠). الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعليم الجامعي المصري، دراسة تحليلية، اتحاد الجامعات العربية، العدد (٣)، ص ص ٥٢٠-٥٦٦.

١٥ . عقيلي، عمر . (٢٠٠١). المنهجية المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة، "وجهة نظر" ، ط١ ، دار وائل للطباعة والنشر : عمان.

١٦ . علاونة، معزوز . (٢٠٠٤). مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية، بحث مقدم الى مؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني(جامعة القدس المفتوحة)، رام الله من ٣-٥/ ٧/ ٢٠٠٤ .

١٧ . علي، نادية . (٢٠٠٢). تصور مقترح لتطوير نظام تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية في ضوء معايير الجودة الشاملة : (مدخل تخطيطي)، مستقبل التربية العربية، ٨ (٢٧)، ص ص ٢٠٣-٢٧٤ .

١٨ . كمال، سفيان. (٢٠٠٢). ضمان النوعية الجيدة في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد (١)، ص ص ٢٨- ٥٠ .

١٩ . مرسي، محمد. (١٩٩٨). تخطيط التعليم واقتصادياته، عالم الكتاب للنشر والتوزيع والطباعة : القاهرة.

٢٠ . الموسوي، نعمان. (٢٠٠٣). تطوير أداة لقياس إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، المجلة التربوية، العدد (٦٧)، ص ص ٨٧-١١٧ .

٢١ . ناجي، فوزية . (١٩٩٨). إدارة الجودة الشاملة والإمكانات التطبيقية في مؤسسات التعليم العالي، حالة دراسية، جامعة عمان الأهلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

٢٢ . النبوي، أمين. (١٩٩٥). إدارة الجودة الشاملة في نظم التعليم، مستقبل التربية العربية، العدد (٣)، ص ص ١٩٥-١٩٧ .

المراجع الأجنبية:

1. Besterfield, H. (1994). Quality Control, 4th ed, New Jersey, Prentice-Hall, Inc.
2. Davis, B & Burnham, J. (1997). Re-engineering and total quality in Schools, London, Pitman.
3. Harvey, L. (1995). Quality Assurance Systems, TQM, and the New Collegialism, University of Central England, Birmingham, ERIC. No: ED401810.
4. Hirtz, P. (2002) Effective Leadership for Total Quality Management, (Doctoral Dissertation, University of Missouri-Rolla, AAT 3053626).
5. Horine, J & Haily, W. (1995). Challenges to successful quality management implementation in higher education institution, innovative higher education, 20 (1), pp (7-17).
6. Hurst, C. (2002). Total Quality Management in Higher Education: How concepts and processes manifest themselves in the classroom, (Doctoral Dissertation, University of Idaho, AAT 3055388).
7. Kanji, G. & Asher, M. (1996). 100 Methods for Total Quality Management, SAGE Publications Ltd, London.
8. Leigh, D. (1994). The TQM "Walk the Talk" Classroom Pilot Program, ERIC No. ED 390483.
9. Michael, B. (1997). The marketing Book, 3ed, Butterworth-Heinemann, Linacre House, Jordan Hill, Oxford Ox28DP, A division of Reed Educational and Professional Publishing Ltd.
10. Munoz, M.(1999). Total Quality Management in Higher Education: Lessons Learned from an Information Technology Office, University of Louisville KY, ERIC No. ED462882.
11. Roger, G. (1993). ISO 9000 Quality Systems Application to Hiegher Education, ERIC No. ED363136.
12. Satterlee, B. (1996). Continuous Improvement and Quality: Implication for higher Education, ERIC A, No. ED 399845.
13. Thomson, N. (1996). Using TQM: A New Teaching Model; Northwest Missouri State University, ERIC, No. ED 405835

أثر استخدام التعليم التعاوني في التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعّلم في العلوم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في مدارس القدس

د. عفيف زيدان*
أ. صـابرين جفـال**

جامعة القدس / الدراسات العليا في التربية
التربية والتعليم / مدارس القدس

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى فحص أثر التدريس التعاوني على التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعلم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في مادة العلوم في مدارس القدس في العام الدراسي ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥ . وقد استخدم الباحثان المنهج التجريبي في هذه الدراسة، وتكّون مجتمع الدراسة من جميع طلبة الصف السادس الأساسي والبالغ عددهم (١١٤٤) طالباً وطالبة، ولفحص فرضيات الدراسة اختيرت عينة مكونة من (١١٨) طالباً وطالبةً يدرسون في مدرستين اختيرتا عشوائيا، إحداهما للذكور والأخرى للإناث، و اختيرت شعبتان في كل مدرسة شعبة تجريبية تعلم بالطريقة التعاونية، وشعبة ضابطة تتعلم بالطريقة التقليدية .

استخدم الباحثان أداتين للدراسة، الأولى مقياس دافعية التعلّم لقياس الدافعية، والثانية اختبار تحصيلي لقياس التحصيل والاحتفاظ، واستخدم تحليل التباين الثنائي عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) .

وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يأتي :

١ـ وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل والاحتفاظ لدى الطلبة تعزى لطريقة التعليم، ولصالح طريقة التعليم التعاوني، وفي الجنس لصالح الطالبات .

٢ـ عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في دافعية التعلم لدى الطلبة تعزى لطريقة التعليم، بينما كان هناك فروق في دافعية التعلّم تعزى إلى الجنس ولصالح الطالبات .

Abstract

The purpose of this study was to investigate the effect of cooperative teaching in science on achievement, retention and motivation of the sixth grade students in Jerusalem schools in the academic year 2004/2005. The experimental method was used in this study. The study population consisted of all students in the 6th grade (n=1144).

To test the hypotheses of this study ,a sample of two schools was selected randomly (male, female). Two sections were selected from each school .The first section was experimental which works with cooperative teaching ,and the seconed was cotrolled which is taught traditionally, the sample of this study consisted of (118) males and females. The acadimec motivation scale was used to measure the motivation and an achievement exam was used to measure students achievement and retention. The two- way Anova was used at (α=0.05).

The results of the study have shown the following:

1. *There were statistically significant differences in the achivement and in the retention to the benefit of the method of cooperative teaching and in the gender for the benefit of females.*
2. *There were no statistically significant differences in the motivation scale due to teaching method, and statistically significant differences in the motivation scale due to gender for the benefit of females.*

مقـدمــة:

شهد العالم في العقدين الماضيين تغيرات في شتى مجالات الحياة بسبب التقدم و النمو السريع في المعرفة بمختلف أنواعها، حيث يعيش العالم اليوم عصر المعلوماتية والاتصالات التي أدت إلى التفجر المعرفي في مختلف مجالات الحياة، وخاصة في المجال العلمي.

وقد أظهرت العديد من الدراسات المحلية والعربية والعالمية أن استخدام أساليب وطرائق تدريس مناسبة، يساهم كثيراً في إمكانية تحقيق نواتج تربوية ذات قيمة وأثر كبير في المجتمع ونهضته، حيث تنوعت وساعدت تلك الطرق في زيادة الدافعية لدى الطلبة على التقدم في مجال التحصيل، ومن هذه الطرق طريقة التعليم التعاوني (الشديفات، ١٩٩٢).

يساعد التعلم التعاوني على تشكيل العديد من الاتجاهات الإيجابية والمرغوب فيها، نحو المدرسة والمادة الدراسية والمعلم والصف والزملاء، كالشعور بالآخرين والاستماع إليهم، والانتماء للمجموعة، والاهتمام بمصالحها، والقدرة على تحمل المسؤولية والاعتماد على الذات، كما أنّ الطلبة يشعرون بمزيد من المتعة إذا قاموا بإدارة المهام والواجبات جماعياً (أبو سرحان، ١٩٩٥).

وقد استعمل التعلم التعاوني حديثاً حلاً لعدد كبير من المشكلات وبديلاً للتعلم الفردي، ولرفع مستوى مهارات الطلاب الأكاديمية وتحليلها (صباريني وخصاونة، ١٩٩١).

ويثير هدف التعليم التعاوني نوعاً من التفاعلات الإيجابية بين الطلاب، وتركز الأهداف التعاونية على عمليات تبادل الأفكار والتعزيز، وتهيء استيعاباً انفعالياً أكبر للطالب، لذا فإن الأهداف الانفعالية تتسم بالقبول الأكاديمي والشخصي (جونسون وجونسون، ١٩٩٨).

وكان لظهور الدراسات المتعددة حول فعالية هذه الطريقة في التدريس، الدافع نحو إحياء هذه الطريقة واعتبارها استراتيجية فعالة إذا أحسن استخدامها داخل غرفة الصف، حيث كانت فلسفة التعليم القديمة تعتبر المدرس مركز الفعالية والتفكير، وتعتبر الطالب وعاءً فارغاً يصب فيه ما لدى المعلم من معلومات، بينما فلسفة التعليم الحديثة تعتبر المتعلم مركز الفعالية، وتعتبر المعلومات طريقة لتوسيع مداركه وتكوين الاتجاهات فيه، وحمله على حل المشكلات، وتفتح له الباب ليلج ناحية الحياة العملية.

ويذكر هل ورفاقه (Hall et al.، ١٩٩٠) أن التعليم التعاوني يتميز عن التقليدي، بعدم وجود معلم متسلط مهيمن، وللمعلم في هذه الطريقة – كما يشير بعض التربويين دور

يتضمن: توضيح الأهداف، وتقسيم الطلاب إلى مجموعات، وتقديم تعليمات تخبرهم بأدوارهم، وتحديد زمن تحركهم وكيفيته داخل المجموعة، أو مراقبة أعمالهم وتعزيزهم باعتبارهم مجموعة واحدة، (Male، ١٩٩٣).

وقد بينت الدراسات أن الطلاب الذين يتعلمون بالطريقة التعاونية يتكون لديهم حب أكبر لزملائهم، وتقدير لذواتهم، مما يؤدي إلى تحسين الصحة النفسية، والنمو العاطفي، والعلاقات الاجتماعية، والهوية الشخصية (France، ١٩٩٠).

وقد أكدت دراسات كثيرة (Slavin، ١٩٨٤)، على أهمية اتباع طريقة التعلم التعاوني في تدريس العلوم، ودلت نتائج بعض الدراسات على أن هذه الطريقة تزيد من تحصيل الطلبة ومشاركتهم في حصص العلوم.

وتتطلب طريقة التعلم التعاوني التنوع في أساليب التدريس، وذلك لإثارة عنصر التشويق، وتلبية حاجات الطلبة ذوي القدرات التحصيلية المتباينة، وقد يحتاج عمل المجموعات وقتاً يزيد على وقت الحصة الدراسية المخصصة، مما يتطلب التنسيق بين المعلمين بطريقة مناسبة لتوفير الوقت اللازم (Slavin et al.، ١٩٩٠).

ويتغلب المعلم على مشكلة قلة المواد والأجهزة التعليمية بالتعلم التعاوني، حيث تستخدم في مجموعات صغيرة بشكل ناجح (أبو سرحان، ١٩٩٠).

خصائص التعليم التعاوني:

يذكر البغدادي (٢٠٠٣) أن خصائص التعلم التعاوني تتمثل فيما يأتي: -

١. ينفذ بمجموعة من الاستراتيجيات، وليس باستراتيجية واحدة، وهذا ما يميزه عن استراتيجيات التدريس الأخرى.
٢. مواقف التعليم التعاوني مواقف اجتماعية حيث يقسم الطلبة إلى مجموعات صغيرة يعملون معاً لتحقيق أهداف مشتركة، و مساهمة كل طالب في المجموعة بمجهود للتوصل إلى تحقيق الأهداف.
٣. يقوم الطالب في مجموعته بدورين متكاملين يؤكدان نشاطه، وهما دورا التدريس والتعلم في آن واحد وبدافعية ذاتية، وبالتالي فإن الجهد المبذول في الموقف يمكن أن يؤدي إلى بقاء أثر التعلم وانتقاله.
٤. للمهارات الاجتماعية النصيب الأكبر في استراتيجية التعليم التعاوني وقد يكون هذا غير متوافر بنفس الدرجة في استراتيجيات أخرى.

٥ . يقدم التعليم التعاوني فرصاً متساويةً تقريباً للطلاب للنجاح .
٦ . التعليم التعاوني تعلّم فعّال ، فهو استراتيجية تحقق أنواع الأهداف التربوية ومستوياتها كافة بفعالية وكفاءة .
٧ . يركز على الأنشطة الجماعية التي تتطلب بناءً وتخطيطاً قبل التنفيذ ، وهنا لا يتعلم الطلبة ما يجب أن يتعلموه فقط ، بل يتعلمون ويتعاونون في أثناء تعلمهم .

استراتيجية التعليم التعاوني:

ويذكر بايبي (Bybee، ١٩٨٦) أن التعليم التعاوني يتم أو ينفذ وفق الاستراتيجية الآتية :

١ . توضيح أهداف الدرس .
٢ . تقرير وضع الطالب في المجموعة ، حيث يحدد دور الطالب في المجموعة ، فمثلا يحدد قائد المجموعة وهو المسؤول عن عمل أفراد المجموعة كافة ، وبقية أدوار الطلبة ، وهكذا بالتناوب .
٣ . توضيح المهام والأهداف ونشاطات التعلم .
٤ . مراقبة عمل المجموعة لمساعدة الطلبة ، وتسهيل المهارات الفردية والجماعية .
٥ . تقييم التحصيل الأكاديمي ومساعدة الطلبة للبحث في مهاراتهم المشتركة .

العناصر الأساسية للتعليم التعاوني:

يشمل التعليم التعاوني عدداً من العناصر الأساسية (جونسون وآخرون، ١٩٩٥) وهي :

١ . الاعتماد المتبادل الإيجابي : وهو أن يعمل أعضاء المجموعة معاً لإتمام عمل يفوق الإنجاز الفردي ، بحيث يتحمل الأعضاء مسؤوليتين هما : تعلم المادة المطلوب تعلمها والتأكد من تعلم أفراد المجموعة جميعاً هذه المادة ، ويطبقون الاعتماد المتبادل الإيجابي في تحقيق الهدف معاً ، والحصول على المكافأة للجميع ، وتبادل الأدوار ، وتحديد اسم المجموعة تحت اسم أو شعار خاص بها ، وتهيئة البيئة التي يتعلمون من خلالها ومواجهة الخصم الخارجي .
٢ . المسؤولية الفردية عن النبوغ والتفوق في المادة : حيث يكون كل عضو في المجموعة مسئولاً عن تحصيل المعنى ، أي إن الغرض من موقف التعليم التعاوني هو زيادة التحصيل

العلمي الخاص بكل طالب إلى أقصى درجة ممكنة ولعل هذا يمكن تحصيله عن طريق التحديد المسبق لمستوى نبوغ كل طالب وتفوقه.

٣. التفاعل وجهاً لوجه: حيث يتطلب التعليم التعاوني إثارة نوع من التفاعل وجهاً لوجه بين الطلاب، ولا يعتبر التفاعل وجهاً لوجه غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق أهداف هامة، ولتحقيق هذا التفاعل يقوم الأعضاء بالخطوات الآتية:
   أ- جدولة وقت لاجتماع المجموعة بتوجيه المعلم واشرافه.
   ب- التركيز على الاعتماد المتبادل الإيجابي للوصول الى الهدف.
   ج- تشجيع التفاعل المعزز بين الأعضاء.
   د- المهارات الاجتماعية: حيث يتطلب التعليم التعاوني أن يستخدم الطلبة مهارات إدارة المجموعة الصغيرة، والمهارات الشخصية بشكل مناسب، بمعنى أن وجود طالب لا تتواجد لديه المهارات الاجتماعية في مجموعة التعليم التعاوني يعني فشل التعاون. ولذا يجب أولاً تعليم الطلبة المهارات الاجتماعية اللازمة للتعاون، وهنا يجب على المعلم أن يثير دافعية الطلبة لاستخدام هذه المهارات الاجتماعية في إنجاح التعاون، ولتحقيق هذا يجب تزويد الطلبة بالإجراءات والوقت اللازمين لتحليل الكيفية التي تعمل بها مجموعتهم، وتحليل المدى الذي يطبق فيه الطالب المهارات الاجتماعية أثناء تعاونه مع الغير لمساعدة أعضاء المجموعة كلها، وذلك لتطوير علاقات العمل داخل المجموعة.
   هـ. معالجة عمل المجموعة: ويقصد بذلك فحص عمل الأعضاء في المجموعة، وذلك لتحديد فاعلية الجهود التعاونية للأعضاء لتحقيق أهداف المجموعة، ثم العمل على تحسين تلك الجهود.

ولمعالجة عمل المجموعات هدفان:

١. وصف تصرفات الأعضاء المفيدة وغير المفيدة.
٢. اتخاذ قرارات بشأن تصرفات الأعضاء وإجراءات العمل التعاوني الذي سيستمر العمل بها أو ستغير.

أدوار المعلم في التعليم التعاوني: يذكر البغدادي (٢٠٠٣) أن للمعلم عدة ادوارٍ تتمثل فيما يأتي: -

أولاً: الإعدادات الأولية:

١. تحديد الأهداف التعليمية : حيث يتضمن الدرس التعاوني فئتين من الأهداف، فئة الأهداف المعرفية المتصلة بالمحتوى، والفئة الأخرى، فئة الأهداف الاجتماعية المتعلقة بالمهارات الاجتماعية.

٢. تحديد حجم المجموعة : يفضل أن تشكل المجموعة من طالبين، لأنها سهلة التكوين وتكون مشاركة كل منها أكثر تفاعلاً ونشاطاً، فالتفاعل بينهما يكون وجهاً لوجه (face to face interaction) أو ما يسمى (nose to nose interaction)، وهي مجموعات لوقت محدد قبل تشكيل المجموعات الأكثر عدداً، وبصفة عامة يتوقف حجم المجموعة على أهداف كل نشاط وطبيعته وطبيعة كل مهمة.

٣. أنواع المجموعات : هنالك خمسة أنواع للمجموعات الصغيرة : -

- مجموعات ممثلة.
- مجموعات أساسية.
- مجموعات مترابطة.
- مجموعات معاد تشكيلها.
- مجموعات غير رسمية.

المجموعات غير الرسمية Informal Groups

الهدف منها اعطاء الطلبة مجالا فوريا للتحدث والمناقشة، وتتعامل في أي وقت اثناء العرض، ويمكن للمعلم توجيه الطلبة للاستدارة للمواجهة.

المجموعات الأساسية Base Groups

الهدف منها تشجيع الطلبة على التعلم على المدى البعيد، حيث يتواصل افراد المجموعة معا لفترة طويلة قد تصل الى فصل دراسي، وتتألف المجموعة من ٢ او٤ طلبة، وتتشكل فيما بين الطلبة المتجانسين المتآلفين.

وتتيح المجموعة الاساسية الفرصة لكل فرد من افراد المجموعة بالقيام بمهمة التعليم لزميل له او زميلة له، او لاكثر، فيرشد، ويراجع، ويصحح التقارير ويناقش الواجبات.

المجموعات المترابطة Combined Groups

وتهدف الى اعطاء الطلبة فرصا لتعليم بعضهم البعض في عملية اشرافية، وتشكل هذه المجموعات عندما تتقابل مجموعتان او اكثر معا لمناقشة اعمالهم، وتصلح هذه المجموعات

لاي مرحلة من مراحل اكتساب المهارات التعليمية .

المجموعات المعاد تشكيلها Reconstituted Groups

وتهدف الى اعطاء الطلبة فرصا اكثر للمشاركة الفعالة في الحديث والنقاش مع مجموعات ذات اعداد كبيرة ، بالاضافة الى تبادل الخبرات بقدر اكبر ، ويمكن ان تعتبر استراتيجية Jigsaw من افضل الاستراتيجيات التي استخدمت بالمجموعات المعاد تشكيلها .

المجموعات الممثلة Representatice Groups

وتهدف الى توفير الفرص الكثيرة والمساحات الزمنية للمناقشة وفق عروض كل مجموعة وتقديم التقارير عن مدى التقدم وحل المشكلات .

الدافعـية (Motivation):

تشكل الدافعية ملتقى اهتمام جميع العاملين في العملية التربوية من طلبة ومعلمين ومرشدين ومديرين ، وكل من له علاقة أو صلة بالعملية التعليمية .

تباينت تعريفات دافعية التعلم واختلفت باختلاف المدارس النفسية التي تصدت لتوضيح ماهيتها ، ومن هذه التعريفات : -

١ . من وجهة نظر السلوكية : الحالة الداخلية أو الخارجية لدى المتعلم ، التي تحرك سلوكه وأداءاته وتعمل على استمراره وتوجيهه نحو تحقيق هدف أو غاية (أبو جادو ، ٢٠٠٥) .

٢ . من وجهة نظر المعرفية : حاله داخلية تحرك أفكار المتعلم ومعارفه وبناه المعرفية ، ووعيه وانتباهه وتلح عليه لمواصلة أو استمرار الأداء ، للوصول إلى حالة توازن معرفية معينة (أبو جادو ، ٢٠٠٥) .

٣ . من وجهة نظر الإنسانية : حاله استثارة داخلية تحرك المتعلم لاستغلال أقصى طاقاته في أي موقف تعليمي يشترك فيه ، ويهدف إلى إشباع دوافعه للمعرفة ومواصلة تحقيق الذات (قطامي ، ١٩٩٩) .

وظيفة الدافعية في التعلم:

يفترض معظم المنظرين أن الدافعية مرتبطة بأداء جميع الاستجابات المتعلمة ، ولن يظهر سلوك المتعلم ما لم يتم توليد الطاقة اللازمة لذلك ، وعموماً فإن أداء الفرد يتحدد بثلاثة عوامل

رئيسة (أبو جادو، ٢٠٠٥)، هي :

١- الدافعية أو الرغبة في القيام بالعمل.
٢- قدرة الفرد على القيام بالعمل.
٣- بيئة العمل بما فيها من أدوات ومواد ومعلومات، وإذا كان لدى الفرد نقص في القدرة على القيام بالعمل يمكن تزويده بالتدريب المناسب، وإن كانت هنالك مشكلة يمكن إجراء التعديلات لتطوير أداء أفضل، أما إذا كانت المشكلة في الدافعية، فإن المهمة تصبح أكثر صعوبة وتحدياً (المغربي، ٢٠٠٣).

مشكلة الدراسة:

يعاني طلبة المرحلة الأساسية بعامة صعوبة في فهم بعض المصطلحات والمفاهيم العلمية الهامة في مادة العلوم، وهذا بالطبع يؤثر في مستوى التحصيل لدى الطلبة، وبالتالي يجب البحث عن إستراتيجيات تدريس فعالة مثل طريقة التعلم التعاوني لمساعدة الطلبة في التغلب على الصعوبات التي يواجهونها في استيعاب المفاهيم العلمية وبالتالي زيادة التحصيل.

ولذلك يجب تطوير أساليب التعليم خدمة للطالب الذي يشكل محور العملية التعليمية، ويمكن تحقيق هدف تحسين طرق التدريس بمحاولة دراسة أثرها على تحصيل الطلاب، ودراسة أثرها أيضاً على دافعية الطلاب نحو عملية التعلّم، هل تزيد هذه الطرق من دافعية الطلبة للتعلم وبالتالي زيادة التحصيل؟ وما لها من اثر على احتفاظ الطلاب بالمفاهيم الأساسية التي تساعد على فهم المادة العلمية وتقوّي مركز الذاكرة لديه. وبناء على ذلك جاءت هذه الدراسة لبحث اثر استخدام التعليم التعاوني في التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعلم في العلوم لدى طلبة الصف السادس الأساسي، حيث يعتبر الصف السادس مرحلة انتقالية لصفوف أعلى.

و تحديداً فقد سعت هذه الدراسة للإجابة عن الاسئلة الآتية :-

١. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل طلبة الصف السادس الاساسي في مدارس القدس تعزى لطريقة التدريس أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس؟
٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاحتفاظ بالتعلم لدى طلبة الصف السادس الاساسي في مدارس القدس بالتعلم تعزى لطريقة التدريس أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس؟

٣ـ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في دافعية التعلم لدى طلبة الصف السادس الاساسي في مدارس القدس تعزى لطريقة التدريس أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس؟

فرضيات الدراسة:

صيغت الفرضيات الصفرية الآتية لاختبارها عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥):-

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل مجموعتي الدراسة تعزى لطريقة التدريس (تعاونية، تقليدية)، أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس.

الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في احتفاظ مجموعتي الدراسة بالتعلم تعزى لطريقة التدريس (تعاونية، تقليدية)، أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس.

الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في دافعية التعلم لدى مجموعتي الدراسة تعزى لطريقة التدريس (تعاونية، تقليدية)، أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس.

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى البحث في أثر استخدام أسلوب التعليم التعاوني في مادة العلوم في التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعّلم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في مدارس القدس.

وتحديداً فقد هدفت الدراسة إلى معرفة إذا كان لاستخدام أسلوب التعليم التعاوني في مادة العلوم أثر في التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعلم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في مدارس القدس.

أهمية الدراسة:

أهمية هذه الدراسة في أنها:

١ـ تلقي الضوء على أسلوب التعليم التعاوني في مادة العلوم في التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعلّم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في مدارس القدس.

٢ـ تكشف عن الدور الذي يلعبه أسلوب التعليم التعاوني في مادة العلوم في التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعلّم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في مدارس القدس.

٣ـ من المتوقع أن يستفيد من هذه الدراسة المشرفون التربويون لمادة العلوم، ومصممو المناهج الدراسية، وتلفت نظرهم لمدى فاعلية أسلوب التعليم التعاوني المستخدم في هذه الدراسة، وذلك وفق تضمين مبادئ هذه الطرق في تصميم المناهج والإشراف التربوي.

محددات الدراسة:

١. تحددت نتائج هذه الدراسة بمدى صلاحية أدوات الدراسة و ملاءمتها لغرضها

٢. اقتصرت الدراسة على طلبة الصف السادس الأساسي في مدارس القدس، مما قد يحد من تعميم نتائجها على بقية المراحل التعليمية.

٣. إجراء الدراسة في الفصل الأول من العام الدراسي ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م، أي تحددت نتائج الدراسة في فترة إجراء الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

دافعية التعلم: جزء من التعريف العام للدافعية، وتعني الحالة التي تدفع المتعلم إلى الانتباه والإقبال على التعلم بنشاط وقوة (توق وعدس، ١٩٨٤).

التحصيل العلمي: هو العلامة التي حصل عليها الطالب في مبحث اختبار التحصيل المُعدّ خصيصاً لهذه الدراسة، والذي تم طبق على الطلبة بعد مرورهم بالمعالجة التجريبية (التعليم التعاوني).

الطريقة التقليدية: هي طريقة التدريس التي يهيمن فيها المعلم على سير خطوات الدرس، أي تلقين الطالب، حيث يكون دور الطالب في هذه الطريقة مستمعاً ومتلقياً، وتقوم هذه الطريقة على استخدام الكتاب بحرفيته لأنه مصدر أساسي للمعلومات.

طريقة التعلم التعاوني: هي طريقة يقسم فيها الطلبة إلى مجموعات صغيرة من ٣ إلى ٤ طلاب، تعمل فيها كل مجموعة معاً، ويتشاركون حسب قدراتهم وأدوارهم، حيث تكون كل مجموعة غير متجانسة في القدرات التحصيلية، ويتشاركون في الأخذ والرد لمواد ومعلومات ووسائل التعليم والتحصيل ثم في الأدوار التي يتبنوها ويتفاعلون معاً من خلالها للوصول إلى ألأهداف المنشودة (جونسون وجونسون، ١٩٩٨).

الاحتفاظ: مدى مقدرة الطالب على الاحتفاظ والتذكر للمفاهيم الأساسية في المادة العلمية.

الدراسات السابقة

أجرى خندقجي (١٩٩٢) دراسة لمعرفة أثر طريقة التعلم التعاوني في تحصيل طلبة الصف العاشر في الأردن، في مادة الرياضيات. وقد تكونت عينة الدراسة من (٧٢) طالباً موزعين في شعبتين دراسيتين، وقد درست الشعبة الأولى بالطريقة التعاونية، والشعبة الثانية بالطريقة التقليدية.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن علامات الطلاب الذين درسوا بالطريقة التعاونية كانت أعلى من علامات الطلاب الذين درسوا بالطريقة التقليدية في التحصيل في مادة الرياضيات، وأن الطلاب الذين درسوا بالطريقة التعاونية قد ارتفعت علاماتهم بعد تطبيق الطريقة التعاونية في تدريس الرياضيات.

وأجرى قطامي (١٩٩٣) دراسة هدفت إلى استقصاء عامل الجنس، ومستوى الإنجاز (عالي، متدني)، ومفهوم الذات والقدرة الأكاديمية في دافعية التعليم في المواقف الصفية و المدرسية لطلبة الصف العاشر في مدينة عمان.

تكونت عينة الدراسة من (٤٥٨) طالباً وطالبة، حيث يشكلون نسبة (٥٠٪) من المجتمع الأصلي. وقد استخدم الباحث ٣ أدوات ومقاييس هي: مقياس مستوى الإنجاز، ومقياس مفهوم الذات للقدرة الأكاديمية، ومقياس دافعية التعلم.

وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية لمتغيرات الدراسة المستقلة (الجنس، مستوى الإنجاز، مفهوم الذات الأكاديمية) على دافعية التعلم.

أما دراسة العيدة (١٩٩٧)، فقد هدفت الى معرفة معايير الدافعية عند طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية لتعلم مواد العلوم الأساسية (رياضيات، فيزياء، كيمياء، والعلوم الحياتية)، بالإضافة الى معرفة العلاقة بين دافعية الطلبة لتعلم هذه المواد وبين تحصيلهم منها بحسب التخصص. تكونت عينة الدراسة من (٢٦٩) طالباً وطالبة، واختيرت العينة بالطريقة العشوائية. وقد أجريت الدراسة في الفصل الدراسي الثاني لعام ١٩٩٣/ ١٩٩٤م، حيث وزع الطلبة في شعب دراسية خاصة بالرياضيات والكيمياء والفيزياء والعلوم الحياتية. وقد استخدمت في الدراسة استبانة معايير الدافعية للتعلم المعربة، وتكونت من (٣٥) معياراً موزعاً على عناصر الدافعية (القيم، والتوقع، والانفعالي).

وقد اظهرت نتائج الدراسة وجود تباين في دافعية التعلم والتحصيل للطلبة بحسب تخصصاتهم، وأن دافعية الطلبة لتعلم هذه المواد شكلت (٧٠٪)، وهذه ليست بالنسبة الكبيرة، ويعود ذلك إلى الضغوط النفسية التى يقع تحت تأثيرها الطالب، مما يؤدي إلى

انخفاض الدافعية والتحصيل.

كما أجرى النجار (١٩٩٨) دراسة هدفت الى معرفة أثر استخدام التعلم التعاوني في تحصيل طلبة الصف الثامن الأساسي في العلوم واتجاهاتهم نحوها. تكونت عينة الدراسة من مدرستين من مدارس القدس التابعة لوكالة الغوث الدولية، وتضم كل مدرسة شعبتين من الصف الثامن الأساسي، كما اختيرت الشعبة التجريبية والضابطة في كل مدرسة بطريقة عشوائية، وقد تم استخدمت ثلاث أدوات للدراسة هي: الاختيار التحصيلي في وحدة الضوء من كتاب العلوم للصف الثامن الأساسي، وتكون من (٢٠) بنداً اختيارياً (٦) منها تقيس تحصيل الطلبة في المستويات المعرفية العليا، ومقياس الإتجاهات نحو العلوم، وصحائف الأعمال التي تعتمد على أسلوب التعلم التعاوني، وبلغ معامل ثبات الأداتين الأولى والثانية (٠,٨٠).

وقد اظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية في الاختبار التحصيلي العام، وفي المستويات المعرفية العليا بين المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح التجريبية، وأن اتجاهات طلبة المجموعة التجريبية نحو العلوم كانت اكثر إيجابية منها للضابطة، ولم تجد الدراسة أثراً للجنس او للتفاعل بين طريقة التدريس والجنس على الاختبار سواء في التحصيل او الاتجاهات.

وأجرى اشتيوة (١٩٩٩) دراسة هدفت إلى فحص أثر طريقة الاستقصاء والتعليم التعاوني في التحصيل الفوري والمؤجل لدى طلبة الصف التاسع في مادة التربية الإسلامية. تكوّن مجتمع الدراسة من طلاب وطالبات من الصف التاسع، حيث تكوّنت عينة الدراسة من (١٣٢) طالبا وطالبة موزعين في أربع شعب دراسية. واختيرت العينة بالطريقة العشوائية، حيث اختيرت شعبة من الذكور وشعبة من الإناث لتدرسا بطريقة التعّلم التعاوني. وبعد الانتهاء من التجربة، أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل الفوري والمؤجل بين الطلبة الذين درسوا وحدة الفقه في مادة التربية الإسلامية بطريقة الاستقصاء، والطلبة الذين درسوها بطريقة التعلم التعاوني، لصالح المجموعة التي درست بطريقة الاستقصاء.

وقد أجرى حريري (٢٠٠١) دراسة هدفت إلى معرفة أثر استخدام التعلم التعاوني لإدارة الفصل في تحصيل الطلاب الدراسي بمحافظة جدة. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج شبه التجريبي باستخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار (ت)، وذلك لتحليل نتائج الدراسة التي حددت في مدرسة النصر الأهلية بمحافظة جدة التعليمية أو بالتحديد في الفصل الدراسي الثاني ١٤٢٠/ ١٤٢١ هـ (للصف الأول المتوسط

٢،١) ولمجموعة من الطلاب بلغت أربعين طالباً للمجموعتين التجريبية والضابطة وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة في المستوى الدراسي للطلاب في المواد الدراسية الآتية : العلوم ، واللغة الإنجليزية ، والإملاء ، والقواعد ، وكذلك كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة وفق استخدام معلمي المواد أسلوب التعلم التعاوني في طريقة إدارة الفصل .

كما أجرت فودة (٢٠٠١) دراسة هدفت إلى مقارنة أثر أسلوب التعلم التعاوني بالأسلوب التقليدي في التحصيل الدراسي ، وعلاقته بالاتجاه نحو الحاسب الآلي عند طالبات كلية التربية بجامعة الملك سعود خلال دراستهن لمقرر الحاسب الآلي وقد تضمنت إجراءات الدراسة استخدام الأسلوب على مجموعتين : مجموعة تجريبية درست باستخدام أسلوب التعلم التعاوني ، والمجموعة الثانية : المجموعة الضابطة درست بالطريقة التقليدية . وقد استخدم في هذه الدراسة اداتين الأولى اختبار لقياس التحصيل الدراسي ، والأخرى استبانة لقياس الاتجاه نحو الحاسب الآلي .

وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في كل من مستوى التحصيل للطالبات ، وفي المحاور الثلاثة الأولى من مقياس الاتجاه نحو الحاسب وذلك لصالح المجموعة التجريبية . أما المحور الرابع " الخوف من دراسة المقرر " فلم يظهر فرق ذو دلالة إحصائية بين المجموعتين يعزى إلى أسلوب التعلم ، غير أن الفرق ظهر في ارتفاع متوسط الدرجات لأغلب أفراد العينة ما بين بداية الفصل الدراسي ونهايته ، فأكد هذا على أن مجرد تعلم الحاسب بغض النظر عن الطريقة المتبعة ساعد في تقليل الخوف من الدراسة عن الحاسب الآلي . أما الأسلوب التعاوني فكان عاملاً مساعداً في زيادة التحصيل الدراسي وبناء اتجاه جيد نحو الحاسب الآلي .

وفي دراسة أجراها ستوكس (Stockes، ١٩٩٠) هدفت إلى معرفة أثر التعليم التعاوني مقارنة مع الأسلوب التقليدي في تعّلم الرياضيات للصف الثالث الابتدائي . تكوّنت عينة الدراسة من (٢٠٤) طالب للمجموعتين ، المجموعة التجريبية (درست بالطريقة التعاونية) ، والمجموعة الضابطة (درست بالطريقة التقليدية) وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل الطلبة في كلا المستويين العالي والمنخفض بين الطلاب الذين تعلموا بالطريقة التقليدية والطريقة التعاونية لصالح الطريقة التعاونية .

وقد قام اكيبوكولا (Okebukola، ١٩٩٢) بدراسة هدفت إلى معرفة أثر انعكاسات التعلم التعاوني بالخرائط المفاهيمية . وقد أجرى الدراسة على طلبة البيولوجيا (الأحياء) للمرحلة الثانوية المقبلين على التخرج ، وتكونت عينة الدراسة من (١٤٧) طالب ، قسموا

إلى ثلاث مجموعات هي : -

- المجموعة الأولى : تستخدم الخرائط المفاهيمية وحدها
- المجموعة الثانية : تستخدم الخرائط المفاهيمية مقترنة بالتعلم التعاوني .
- المجموعة الثالثة : تستخدم طريقة المحاضرة والعرض .
- وقد أظهرت نتائج الدراسة ان المجموعة التي استخدمت الخرائط المفاهيمية مع التعلم التعاوني أفضليتها على مثيلاتها .

وفي دراسة أجراها بورون وزملاؤه (Burron et al، ١٩٩٣)، هدفت إلى معرفة اثر استخدام استراتيجية التعّلم التعاوني في مبحث العلوم الفيزيائية على مدرستي المرحلة المتوسطة مقارنة بالطريقة التقليدية في مستوى الكلية، بالإضافة إلى فحص أثر التعّلم واستقصائه بالطريقة التعاونية على اتجاهات الطلبة نحو مادة الفيزياء .

واختيرت العينة بالطريقة العشوائية، حيث ضمت العينة التجريبية (٢٤) مشاركاً، قسمت إلى (٦) مجموعات، واحتوت كل مجموعة على جميع المستويات (مستوى عالٍ، ومتوسط، وضعيف). واستمرت الدراسة مدة (١٦) أسبوعاً، وكان هناك جزء عملي (عملٍ مخبري)، وجزء نظري تعامل مع محتوى مادة الفيزياء والكيمياء . وخلال ذلك عززت المهارات التعاونية بالنقاش، وقيس التحصيل الأكاديمي للمشاركة، بالاختبار القبلي والتحصيل للمادة المقررة . أما بالنسبة للمهارات التعاوني . . فقومت باستخدام الملاحظة، وقد أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تحصيل الطلبة الذين تعلّموا بالطريقة التعاونية وتلك التي تعلمت بالطريقة التقليدية. أما بالنسبة للسلوكيات التعاونية، فقد أظهر الطلبة الذين درسوا بالطريقة التعاونية (مجموعات) سلوكيات تعاونية أكثر من الطلبة الذين درسوا بالطريقة التقليدية .

وقد أجرى كودر (Coder، ١٩٩٩) دراسة هدفت إلى مقارنة دافعية طلبة المرحلة المتوسطة الذين يدرسون بطريقة النشاطات التعاونية بمجموعات متجانسة من حيث مستوى الدافعية مقابل الذين يدرسون في مجموعات غير متجانسة . تكوّنت عينة الدراسة من (٤٣) طالباً من الصف السادس، وقد استمرت التجربة ثمانية أسابيع، وطبقت خلال دروس فنون اللغة، وقد أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين زيادة الدافعية للتعلّم بين طلاب المجموعة المتجانسة وغير المتجانسة، وأن هناك زيادة في دافعية اغلب الطلبة للتعلم وزيادة في تحصيلهم الأكاديمي .

كما أجرت بلدز وزملاؤها (Blades et al، ٢٠٠٠) دراسة هدفت إلى تقييم برنامج

لإثارة دافعية الطلبة للتعلم، ولزيادة الانضباط وفق التعلم عن طريق كل من : (المعلومات المتجددة المصادر "Multiple Intelligences“، التعلم التعاوني، التهذيب الايجابي)، وخلال تلك الفترة جذب اهتمام الطلبة وأشعروا بالأمان والثقة، وقد خضع طلبة المجموعات الثلاث إلى مقابلة قبلية وبعدية لقياس دافعيتهم . وقد أظهرت نتائج الدراسة أن برنامج التعلم التعاوني قد خفض من نسبة السلوكيات غير المرغوبة وزاد دافعية الطلبة للتعلم

منهج الدراسة:

اتبع الباحثان في دراستهما المنهج التجريبي لمناسبته لطبيعة الدراسة .

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكوّن مجتمع الدراسة من جميع طلاب الصف السادس الابتدائي وطالباته في مدينة القدس للعام الدراسي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م في الفصل الدراسي الأول، إذ بلغ عدد جميع طلاب الصف السادس وطالباته (١١٤٤)، طالباً وطالبة، منهم (٤١٨) طالباً و(٧٢٦) طالبة . وطبقت الدراسة في مدرستين اختيرتا بالطريقة العشوائية وهما : مدرسة الايتام (أ) للبنين، ومدرسة الفتاه اللاجئة (ج) للبنات . وتكونت عينة الدراسة من (١١٨) طالباً وطالبة، منهم (٦٩) طالباً و(٥٢) طالبة، موزعين على أربع شعب دراسية، شعبتان في مدرسة الأيتام (أ) للبنين، وشعبتان في مدرسة الفتاة اللاجئة (ج) للبنات، حيث درست الشعبة الأولى بالطريقة التعاونية (المجموعة التجريبية)، ودرست الشعبة الثانية بالطريقة التقليدية (المجموعة الضابطة) في كلا المدرستين . ويبين الجدول (١) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المعالجة والجنس .

الجدول (١)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المعالجة والجنس

نوع المعالجة (الجنس)	تجريبية (مجموعات في الصف)	ضابطة (تقليدي في الصف)	المجموع
ذكور	٣٤	٣٢	٦٦
إناث	٢٧	٢٥	٥٢
المجموع	٦١	٥٧	١١٨

أدوات الدراسة:

استخدم الباحثان أداتين للدراسة هما :

١- اختبار التحصيل: تكوّن الاختبار من (٢٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد و (٤) أسئلة من نوع التصنيف. وقد صمم الاختبار بهدف قياس التحصيل، والاحتفاظ في مادة العلوم للصف السادس الأساسي في وحدتي (العناصر، والقوة)، ويبين الملحق (١) اختبار التحصيل.

٢- مقياس الدافعية: قام الباحثان ببناء مقياس الدافعية اعتماداً على الدراسات السابقة ذات العلاقة بدافعية التعلم وقد أستعين بمقياس دافعية التعلم لبيكر وسيرجك (Baker & Sirgk، ١٩٨٤) وكذلك مقياس دافعية التعلم والتي قامت بإعداده المغربي (٢٠٠٣).

بلغ عدد فقرات الصورة النهائية لمقياس الدافعية (٢٠) فقرة، منها (١٢) فقرة مصاغة بطريقة سلبية و (٨) فقرات مصاغة بطريقة إيجابية، ويبين الملحق (٢) مقياس دافعية التعلم. وقد صيغت فقرات المقياس وفق مقياس (ليكرت) الخماسي.

صدق أدوات القياس وثباتها:

أولاً: صدق اختبار التحصيل وثباته:

للتحقق من صدق الاختبار، عرض على لجنة محكمين في جامعة القدس ومعلمي العلوم في القدس. وبعد الأخذ برأي المحكمين عدلت بعض الفقرات، واستقر الاختبار على (٢٠) فقرة اختيار من متعدد، و (٤) أسئلة تصنيف، و تأكد الباحثان من ثبات الاختبار عن طريق التطبيق وإعادة التطبيق (Test-retest)، حيث طبق الاختبار على شعبة من طلبة الصف السادس الأساسي من خارج عينة الدراسة، بلغ عدد طالباتها (٢٥) طالبة، وأعيد تطبيق الاختبار بعد أسبوعين من التطبيق الأول، حيث بلغ معامل ارتباط بيرسون بين التطبيقين (٠,٨١)، مما يدل على ثبات الاختبار.

ثانيا: صدق مقياس دافعية التعلم وثباته:

قام الباحثان بعرض مقياس دافعية التعلم على مجموعة من المحكمين من ذوي التخصص والخبرة والكفاءة، ومن تخصصات مختلفة. وأخذ بآراء المحكمين، حيث أكد المحكمون أن

طلبة الصف السادس الاساسي قادرون على الاستجابة للفقرات، وقد عدل المقياس حسب آراء المحكمين، وللتأكد من ثبات المقياس فقد طبق على عينة مكوّنة من طلبة شعبة واحدة من مجتمع الدراسة، وخارج مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة، والبالغ عدد أفرادها (٢٥) طالبة، وقد حسب معامل ثبات الأداة عن طريق الاختبار وإعادة الاختبار (Test-retest) على الطلبة انفسهم بعد أسبوعين من التطبيق الأول، فبلغ معامل ارتباط بيرسون (Pearson) بين التطبيقين (٠,٨٥) ويعتبر هذا المعامل صالحاً لغرض إجراء الدراسة.

متغيرات الدراسة:

المتغير المستقل: طريقة التدريس وهي بمستويين: (التعلم في مجموعات، التعلم التقليدي).
المتغير التابع: (التحصيل في العلوم و الاحتفاظ و دافعية التعلم).

تكافؤ مجموعات الدراسة:

بعد أن اختيرت مجموعات الدراسة (التجريبية والضابطة) عشوائيا تأكد من تكافؤ مجموعات الدراسة فيما يتعلق بالتحصيل، و طبقا اختبار التحصيل (القبلي) على مجموعات الدراسة، وتأكدا من تكافؤ المجموعات بتطبيق اختبار تحليل التباين الثنائي (Tow way Analysis of Variance) للكشف فيما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (α=٠,٠٥)، في تحصيل مجموعتي الدراسة، او الجنس، او التفاعل بينهما. وتعد هذه الخطوة ضرورية للتحقق من تكافؤ مجموعات الدراسة في التحصيل قبل البدء بتطبيق الدراسة، ويبين الجدول (٢) نتيجة التحصيل القبلي لمجموعات الدراسة.

الجدول (٢)

نتائج تحليل التباين الثنائي لأداء الطلبة على اختبار التحصيل القبلي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	(ف)	P
أسلوب التدريس	١٠,٤	١	١٠,٤	١,٢٢	٠,٢٧
الجنس	٤,٤	١	٤,٤	٠,٥٢	٠,٤٧
التفاعل	٦,٦	١	٦,٦	٠,٤٢	٠,٥١
الخطأ	٩١١	١٠٧	٨,٥	٨,٥	

يتبين من الجدول(٢) أن قيمة (ف) لأسلوب التدريس تساوي (٢٢ , ١) وقيمة (P) تساوي ٢٧ , ٠ وهي ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=٠٥ , ٠)، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات علامات مجموعتي الدراسة (المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة) تعزى لأسلوب التدريس، ويبين ايضا عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية تعود الى الجنس او التفاعل بين طريقة التدريس والجنس، وهذا يؤكد تكافؤ مجموعات الدراسة من حيث التحصيل قبل البدء بالمعالجة التجريبية.

وكذلك تأكد الباحثان من تكافؤ مجموعات الدراسة فيما يتعلق بدافعية التعلم، فطبقا مقياس دافعية التعلم على مجموعات الدراسة، وتأكدا من تكافؤ المجموعات بتطبيق اختبار تحليل التباين الثنائي (Tow way Analysis of Variance) للكشف فيما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (α=٠٥ , ٠)، في دافعية التعلم تعود لمجموعتي الدراسة، او الجنس، او التفاعل بينهما، ويبين الجدول (٣) ذلك.

الجدول (٣)

نتائج تحليل التباين الثنائي لأداء الطلبة على مقياس الدافعية القبلي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	(ف)	P
أسلوب التدريس	١,٨٩	١	١,٨٩	٠,٠٤٦	٠,٨٣
الجنس	١٠٩	١	١٠٩	٢,٦٧	٠,١
التفاعل	١٤٠	١	١٤٠	٣,٤	٠,٠٧
الخطأ	٤٤٧٤	١٠٩	٤١		

يتبين من الجدول(٣) أن قيمة (ف) لأسلوب التدريس تساوي (٠٤٦ , ٠) وقيمة (P) تساوي ٨٣ , ٠ وهي ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=٠٥ , ٠)، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات علامات مجموعات الدراسة تعزى لأسلوب التدريس، ويبين الجدول ايضا عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية تعود الى الجنس او التفاعل بين طريقة التدريس والجنس، وهذا يؤكد تكافؤ مجموعات الدراسة من حيث دافعيتهم للتعلم قبل البدء بالمعالجة التجريبية.

إجراءات الدراسة:

قسم الطلبة في الشعبة التجريبية منذ بداية الفصل الأول ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م إلى مجموعات غير متجانسة التحصيل، تتكون كل مجموعة من ٣- ٤ من الطلبة (طلاب او طالبات) بحيث ضمن كل مجموعة مستويات تحصيل مختلفة (مرتفع، متوسط، منخفض)، وقد اتبع الأسلوب الآتي في التعامل مع المجموعات.

- وزعت المجموعات المتنوعة التحصيل، وبقي هذا الترتيب حتى نهاية مدة الدراسة، وكانت تراعى مشكلة الغياب في ذلك.
- عين قائد المجموعة وغير بشكل دوري سواء للطلاب او الطالبات، وقد حفز الطلبة على المشاركة ضمن المجموعة، وقد تضمن عمل قائد المجموعة استعراض خطوات العمل في المجموعة وتوزيع الأدوار على الطلبة.
- كان معلم الصف يشرح الدرس، وكان الدرس يتضمن جزءاً عملياً وجزءاً نظرياً، ففي الجزء العملي كانت تعطى التعليمات للطلبة وكيفية العمل وإيجاد الحلول.
- خلال عمل المجموعات، يتابع تقدمها عن بعد، ويعزز يقدم المساعدة عند طلبها.
- وبعد الانتهاء يدور نقاش بين مجموعات الصف المختلفة لاستعراض عمل كل مجموعة، والاستفادة من الآراء المتنوعة.

أما المجموعة التقليدية فدرست بالطريقة نفسها و الشرح نفسه والمعلومات التي تطبق في المجموعة التعاونية ولكن هنا يتم عمل كل طالب وحده بدون تقديم أي مساعدة أو القيام بعملية التعاون، ويعزز عمل الطالب بشكل منفرد عن بقية زملائه.

وبعد الانتهاء من الدراسة، والتي استمرت ستة أسابيع، طبق اختبار التحصيل النهائي على المجموعتين التجريبية والضابطة معاً وفي الوقت نفسه، وبعد أسبوعين من تطبيق الاختبار التحصيلي طبق اختبار الاحتفاظ لقياس مدى احتفاظ الطلبة بالمفاهيم الأساسية.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل مجموعتي الدراسة تعزى لطريقة التدريس (تعاونية، تقليدية)، أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس.

لاختبار هذه الفرضية استخدم تحليل التباين الثنائي (Two way Anova) للكشف

فيما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α =٠٥ ,٠) بين متوسطات درجات مجموعتي الدراسة في اختبار التحصيل تعزى لطريقة التدريس، أو الجنس، او التفاعل بين طريقة التدريس والجنس، ويبين الجدولان (٤) و (٥)، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج تحليل التباين الثنائي.

الجدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعات الدراسة في اختبار التحصيل

	المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أسلوب التدريس	التجريبية	٥٩	٤١	١١
	الضابطة	٥٦	٣٦	١٤
الجنس	ذكور	٦٣	٣١	١٢
	اناث	٥٢	٤٧	٦٧

الجدول (٥)

نتائج تحليل التباين الثنائي لأداء الطلبة في اختبار التحصيل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	(ف)	P
أسلوب التدريس	٤٦٠	١	٤٦٠	٥,٤	٠,٠٢٢❋
الجنس	٦٩٧٠	١	٦٩٧٠	٨١,٤	٠,٠٠ ❋
التفاعل	٢٥٤	١	٢٥٤	٣	٠,٠٩
الخطأ	٩٣٩٧	١١٠	٨٥		

❋ ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (α =٠٥ ,٠)

يتضح من الجدول (٥) أن قيمة (ف) لطريقة التدريس كانت (٥ ,٤)، وأن (P=٠٢٢ ,٠) أي أنها ذات دلالة إحصائية عند (α =٠٥ ,٠)، وهذا يعني وجود فروق ذات دلالة احصائية في التحصيل تعود لطريقة التدريس، ويتبين من الجدول (٤) ان الفروق لصالح المجموعة التجريبية. وكذلك كانت قيمة (ف) للجنس (٨١ ,٤)، وأن (P=٠٠ ,٠) أي أنها ذات دلالة إحصائية عند (α =٠٥ ,٠)، ويتبين من الجدول (٤) ان الفروق لصالح الاناث، اما بالنسبة

للتفاعل بين طريقة التدريس والجنس فقد كانت قيمة (ف) تساوي (٣)، وكانت (P=-٠٩ , ٠) أي أنها ليست ذات دلالة إحصائية عند (α =٠٥ , ٠). وهذا يعني أن أسلوب التعلم التعاوني كان ذا أثر في زيادة تحصيل الطلبة مقارنة بالطريقة التقليدية، مما أدى إلى رفع مستوى تحصيل الطلبة الذين درسوا بها، وذلك باستغلال قدرات الطلبة في المجموعة الواحدة، بحيث يستفيد الطلبة من بعضهم البعض ويتعاونون في إجراء التجارب والتوصل إلى النتائج ويتنافسون فيما بينهم فيؤدي ذلك إلى تعزيز ثقة الطالب بنفسه، ويستفيد الطالب من غيره من الطلبة ويرتفع مستوى تحصيل المجموعة، فيقبل أفراد المجموعة الواحدة بدافعية عالية لاستغلال قدراتهم، على عكس المجموعة التقليدية التي يعمل فيها كل طالب وحده بدون التعاون مع زملائه.

وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة كل من صباريني وخصاونه (١٩٩١)، وخندقجي (١٩٩٢)، والنجار (١٩٩٨)، وتعارضت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة اشتيوة (١٩٩٩). اما فيما يتعلق بالفروق في الجنس لصالح الاناث فيفسر الباحثان ذلك بجدية الطالبات في الدراسة والتزامهن بالتعليمات التي تصدر من المعلمات اكثر من التزام الذكور، حيث يظهر الذكور رفضاً للتعليمات التي تصدر من المعلمين.

الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في احتفاظ مجموعتي الدراسة بالتعلم تعزى لطريقة التدريس، أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس.

لاختبار هذه الفرضية استخدم تحليل التباين الثنائي (Two way Anova) للكشف فيما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α =٠٥ , ٠) بين متوسطات درجات مجموعتي الدراسة في اختبار الاحتفاظ تعزى لطريقة التدريس، أو الجنس، او التفاعل بين طريقة التدريس والجنس، ويبين الجدولان (٦) و (٧) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج تحليل التباين الثنائي.

الجدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعات الدراسة في الاحتفاظ

	المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أسلوب التدريس	التجريبية	٥٩	٤١	١٢
	الضابطة	٥٣	٣٦	١٣
الجنس	ذكور	٦٠	٣٢	١٢
	اناث	٥٢	٤٦	٧

الجدول (٧)

نتائج تحليل التباين الثنائي لأداء الطلبة في اختبار الاحتفاظ

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	(ف)	P
أسلوب التدريس	٧٤٠	١	٧٤٠	٧,٣	٠,٠٠٨ *
الجنس	٥٥٧٠	١	٥٥٧٠	٥٥	٠,٠٠ *
التفاعل	٣٢٢	١	٣٢٢	٣,١	٠,٠٨
الخطأ	١٠٩١٨	١٠٨	١٠١		

* ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (α =٠,٠٥)

يتضح من الجدول (٧) أن قيمة (ف) لطريقة التدريس كانت (٧,٣)، وأن (P=٠,٠٠٨) أي أنها ذات دلالة إحصائية عند (α =٠,٠٥)، ويتبين من الجدول (٦) ان الفروق لصالح المجموعة التجريبية. وكذلك كانت قيمة (ف) للجنس (٥٥)، وأن (P=٠,٠٠) أي أنها ذات دلالة إحصائية عند (α =٠,٠٥)، ويتبين من الجدول (٦) ان الفروق لصالح الاناث. اما بالنسبة للتفاعل بين طريقة التدريس والجنس فقد كانت قيمة (ف) (٣,١)، وكانت (P=٠,٠٨) أي أنها ليست ذات دلالة إحصائية عند (α =٠,٠٥). جاءت هذه النتيجة منسجمة مع نتيجة الفرضية الاولى المتعلقة بالتحصيل والجنس، ويمكن أن يرجع السبب إلى إتاحة فرصة جيدة وفق المجموعات، وتمكن الطالب من ترسيخ المعلومات بشكل أكبر في أذهان الطلاب، وبالتالي زيادة القدرة على الاحتفاظ بها وعدم نسيانها. وهذا يعني أن طريقة التعلم التعاوني نجحت في احتفاظ الطلبة بالتعلم.

كما أن الطالب أثناء تعلمه بطريقة التعلم التعاوني يكون نشيطاً ومشاركاً، يقع عليه العبء الأكبر في التعلم ويتابع الدرس خطوة خطوة.

وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتيجة دراسة قطامي (١٩٩٣) وتعارضت مع نتيجة دراسة اشتيوه (١٩٩٩) ودراسة النجار (١٩٩٨) والتي لم تجد اثرا للجنس.

الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في دافعية التعلم لدى مجموعتي الدراسة تعزى لطريقة التدريس، أو الجنس، أو التفاعل بين طريقة التدريس والجنس.

لاختبار هذه الفرضية استخدم تحليل التباين الثنائي (Two way Anova) للكشف فيما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α =٠,٠٥) بين متوسطات درجات مجموعتي الدراسة في مقياس دافعية التعلم تعزى لطريقة التدريس، أو الجنس،

او التفاعل بين طريقة التدريس والجنس، ويبين الجدولان (٨)، (٩)، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج تحليل التباين الثنائي.

الجدول (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعات الدراسة في دافعية التعلم

	المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أسلوب التدريس	التجريبية	٥٦	٨٣	١٠
	الضابطة	٥٤	٨١	٨
الجنس	ذكور	٥٩	٧٩	١٠
	اناث	٥١	٨٦	٧

الجدول (٩)

نتائج تحليل التباين الثنائي لأداء الطلبة على مقياس دافعية التعلم

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	(ف)	P
أسلوب التدريس	٢٢,٤	١	٢٢,٤	٠,١٧	٠,٦٨
الجنس	٧٤٦	١	٧٤٦	٥,٧	٠,٠٢ ❋
التفاعل	١٠٠	١	١٠٠	٠,٧٧	٠,٣٨
الخطأ	١٣٨٦٢	١٠٦	١٣٠		

❋ ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (α =٠,٠٥)

يتضح من الجدول (٩) أن قيمة (ف) لطريقة التدريس كانت (٠,١٧)، وأن (P=٠,٦٨) أي أنها ليست ذات دلالة إحصائية عند (α =٠,٠٥)، وكذلك كانت قيمة (ف) للجنس (٥,٧)، وأن (P=٠,٠٢) أي أنها ذات دلالة إحصائية عند (α =٠,٠٥)، ويتبين من الجدول (٨) ان الفروق لصالح الاناث. اما بالنسبة للتفاعل بين طريقة التدريس والجنس فقد كانت قيمة (ف) تساوي (٠,٧٧)، وأن (P=٠,٣٨) أي أنها ليست ذات دلالة إحصائية عند (α =٠,٠٥). وتبين من نتائج فحص الفرضية الثالثة على مستوى الدافعية أنها كانت لدى الطالبات دالة احصائيا مقارنةً بالذكور، ويعزى السبب إلى أن الطالبات يعتبرن المدرسة متنفسا اجتماعيا يخرجهن من عزلة البيت مما يزيد من دافعيتها لأن تكون متميزة في هذه

المؤسسة التربوية التي هدفها الرئيس التعليم، وبالتالي تزداد دافعيتهن للتعلم. وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة فودة (٢٠٠١)، ودراسة ستوكس (Stockes، ١٩٩٠)، (Blades، ٢٠٠٠).

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يوصي الباحثان بما يأتي :-

١. إجراء المزيد من الدراسات وفق مجموعات تعاونية، ومقارنة ذلك بطرق تعليمية أخرى.
٢. تناول متغيرات أخرى في الدراسات مثل: حجم المجموعة التعاونية أثر التعلم التعاوني في الإبداع.
٣. إجراء دراسات لمعرفة العوامل التي ترفع مستوى الدافعية لدى الطلبة.
٤. استخدام طريقة التعلم التعاوني من قبل معلمي العلوم لما له من أثر فاعل في التحصيل الآني والمؤجل.

المراجع العربية:

- أبو سرحان، عيد عودة. (١٩٩٥). نظام العمل في مجموعات. رسالة المعلم، ٣٦(١)، ٨١-٨٦.
- أبو جادو، صالح محمد. (٢٠٠٥). علم النفس التربوي، ط٤، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- البغدادي، محمد رضا. (٢٠٠٣). تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية. دار الفكر العربي، القاهرة.
- اشتيوه، فوزي فايز. (١٩٩٩). أثر طريقتي الاستقصاء والتعليم التعاوني قي التحصيل الفوري والمؤجل لدى طلبة الصف التاسع الأساسي في مادة التربية الإسلامية. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- توق، محي الدين وعدس، عبدالرحمن. (١٩٨٤). اساسيات علم النفس التربوي، مركز الكتب الاردني، عمان، الاردن.
- جونسون، ديفيد وجونسون، روبرت. (١٩٩٨). التعليم الجماعي والفردي. ترجمة رفعت محمود بهجت، عالم الكتب، القاهرة.
- جونسون، ديفيد وجونسون، روجر، وهولبك، جونسون. (١٩٩٥). التعليم التعاوني. ترجمة مدارس الظهران الأهلية، مؤسسة التركي للنشروالتوزيع، الظهران، السعودية.
- حريري، هاشم بكر. (٢٠٠١). إدارة الفصل بأسلوب التعليم التعاوني وأثره في تحصيل الطلاب الدراسي، مجلة جامعة ام القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والانسانية، ١٣ (٢).
- خندقجي، نواف. (١٩٩٢). أثر التعليم التعاوني في تحصيل طلاب الصف العاشر الأساسي في مادة الرياضيات. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، أربد، الأردن.
- الشديفات، يعقوب خلف، (١٩٩٢). أثر طريقة التعليم التعاوني في تحصيل طلبة الصف العاشر في مادة الجغرافيا واتجاهاتهم نحوها. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
- صباريني، محمد وخصاونه، أمل. (١٩٩١). أثر استخدام التعليم التعاوني في تدريس العلوم على تحصيل طلبة الصف الرابع الابتدائي. مجلة جامعة دمشق، سوريا.
- العيده، باسل محمد. (١٩٩٧). معايير الدافعية عند طلبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية لتعلم مساقات كلية العلوم الأساسية وأثرها على التحصيل. مجلة إتحاد الجامعات العربية، العدد ٣٢، ٨٩-١٠٥.
- فودة، ألفت محمد. (٢٠٠١). التعلم التعاوني وأثره على التحصيل والاتجاه نحو الحاسب الآلي عند طالبات كلية التربية بجامعة الملك سعود، مجلة جامعة الملك سعود، م١١، العلوم التربوية والدراسات الاسلامية (٢)، ١٠١-١٢٢.
- قطامي، نايفه. (١٩٩٩). علم النفس المدرسي، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- قطامي، يوسف. (١٩٩٣) الدافعية للتعليم الصفي لدى طلبة الصف العاشر في مدينة عمان. مجلة

دراسات (العلوم الانسانية)، الجامعة الارنية، ٢٠ (٢)، ٢٣٣-٢٦٨ .

- المغربي، كوثر . (٢٠٠٣) . العلاقة بين دافعية التعلم وكل من التحصيل والاتجاه نحو المدرسة لدى طلبة الصفين الثامن والعاشر في المدارس الحكومية في مدينة أريحا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، فلسطين .
- النجار، يوسف . (١٩٩٨) . أثر استخدام التعلم التعاوني في تحصيل طلبة الصف الثامن الأساسي في العلوم وفي اتجاهاتهم نحوها . رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، فلسطين

ثانياً: المراجع الأجنبية.

- Backer, R. W. & Sirgk, B.(1984). Academic Motivation Scale: Journal of College Student Personnal , 25 , 459 -464.
- Blades, D., Chaill, C., & Morello, F. (2000). Motivating student to learn throw multiple intelencies cooperative learning and Positive discipline. Eric. ED 442574.
- Burron, B., James, L. & Ambrosis, A.(1993) The effect of cooperative learning inphysical science course for elementary middle level preservice teacher, Journal of Research in Science Teaching, 30 (7),697-707.
- Bybee, T.(1986). Becoming a secondory school science teacher. 4th ed. Merril Publishing Company, Columbus – Ohio – U.S.A.
- Coder, G. W. (1999). Motivating middle grade student using a cooperative learning approach. Eric ED 437217.
- France, S. (1990). Help it's bart simpson! Active imginations and hormones are just some of the things that test those who teach early adolescent's. Vocational – Education Journal. 65(7), 28 – 29.
- Hall, R, Rocklin, T,. Dansereall, D., Donnell, A., Lambiotte, J., & Young,.(1990). The role of Individual diffrences in the cooperative learning of teaching materials. Jornal of Educational Phsycology. 80(2), 172 – 176..
- Male, M. (1993). Cooperative learning and computers in social studies. Inegrating special need students into general education classroom. Social Studies Review. 3(2), 50-60.
- Okebukola, P. (1992). A concept mapping with cooperative learning flaror. American Biology Teacher, (4), 218 – 221.
- Slavin, R. E. (1984). Cooperative Learning. Englewood Gliffs, NJ; Prentice Hall.
- Slavin, R., Madden , N. & Leavey, M. (1990). Effects of team assisted individulization on the Mathmatics achievment of academically handicapped and non handicapped students. Journal of Educational Phsycology, 76 (6), 813-819.
- Stokes, D (1990). Cooperative Vs traditional to teach mathmatics in the 3rd grade. Dissertation Abstract International, 52 (2).

الملحق (١)

اختبار علوم عامة

الاسم. . . . . المدرسة. . . . . الصف السادس الأساسي ( )

السؤال الاول .ضع / ي دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

١ ـ يوجد عنصر النيتروجين في حالته الطبيعية على شكل :
أ ـ صلب ب ـ سائل ج ـ غاز د ـ بلورات

٢ ـ من العناصر التي لا تملك قابلية الطرق والسحب والثني عنصر :
أ ـ الألمنيوم ب ـ الكربون ج ـ النحاس د ـ الحديد

٣ ـ رمز عنصر الكالسيوم هو :
أ ـ C ب ـ Cu ج ـ Ca د ـ K

٤ ـ من أدوات قياس القوة :
أ ـ الميزان النابضي ب ـ ميزان الحرارة
ج ـ الميزان ذو الكفتين د ـ الميزان الحساس

٥ ـ من وحدات قياس السرعة :
أ ـ م/ ث ب ـ كغم ج ـ ثانية د ـ غم

٦ ـ المادة التي تتكون من نوع واحد من الذرات تسمى :
أ ـ مركباً ب ـ عنصراً ج ـ مخلوطاً د ـ سبيكة

٧ ـ تعود الأجسام المقذوفة إلى الأرض بسبب :
أ ـ قوة الاحتكاك ب ـ قوة الجاذبية ج ـ قوة التمغنط د ـ قوة التكهرب

٨ ـ تذبذب الجسم حول نقطة معينة ذهاباً وإياباً حركة :
أ ـ إنتقالية ب ـ اهتزازية ج ـ دورانية د ـ ساكنة

٩ ـ عندما تنتقل عربة يجرها حصان من طريق وعرة إلى طريق مرصفة فإن سرعتها :
أ ـ تزداد ب ـ تقل ج ـ تثبت د ـ تصل الى النصف

١٠ ـ من صفات الفلزات :
أ ـ جميعها صلبة ب ـ جميعها سائلة
ج ـ موصلة جيدة للكهرباء والحرارة د ـ ليس لها بريق ولمعان

١١ ـ العالم الذي اكتشف قوة الجاذبية الأرضية هو :

أ ـ إسحاق نيوتن ب ـ مارك نيوتن ج ـ البرت نيوتن د ـ جون نيوتن

١٢ ـ لقياس المسافات الطويلة نستخدم أدوات مثل :

أ ـ الساعة الكهربائية ب ـ الشريط المتري

ج ـ المسطرة د ـ المتر الخشبي

١٣ ـ وحدة قياس قوة الاحتكاك هي :

أ ـ نيوتن ب ـ م/ ث ج ـ كغم د ـ متر

١٤ ـ مصطلح يطلق على مقدار قوة جذب الأرض للجسم وهو :

أ ـ الحجم ب ـ الكتلة ج ـ الوزن د ـ الكثافة

١٥ ـ من عناصر القوة :

أ ـ خط عمل القوة ب ـ المسافة ج ـ السرعة د ـ الزمن

١٦ ـ من التطبيقات العملية على قانون نيوتن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه :

أ ـ المعجون ب ـ الطائرة النفاثة ج ـ الجبس د ـ الخشب

١٧ ـ الزمن الذي تحتاجه الارض للدوران حول محورها هو :

أ ـ سنة ب ـ يوم ج ـ ساعة د ـ ثانية

١٨ ـ رمز عنصر الكبريت هو :

أ ـ Fe ب ـ S ج ـ k د ـ Kb

١٩ ـ القوة تعتمد على :

أ ـ مقدار القوة ب ـ خط عمل القوة

ج ـ نقطة تأثير القوة د ـ جميع ما ذكر

٢٠ ـ من العناصر القابلة للتمغنط عنصر :

أ ـ الألمنيوم ب ـ النحاس ج ـ الحديد د ـ الكربون

السؤال الثاني .صنف / ي المواد الآتية حسب الجدول الآتي:

قطعة من الفحم النباتي ، ملح الطعام ، صفيحة من النحاس أو سلك نحاس يستخدم في الكهرباء ، محلول السكر في الماء ، ماء ، رقيقة ألمنيوم .

عنصر	مركب	مخلوط

السؤال الثالث .صنف / ي العناصر الآتية حسب اللمعان في الجدول الآتي:

قطعة نحاس ، قطعة حديد ، رقيقة ألمنيوم ، قطعة من الفحم ، خاتم من الفضة .

عناصر لها لمعان	عناصر ليس لها لمعان

السؤال الرابع .يركض محمد يومياً في داخل قريته حيث تختلف طبيعة الطريق، ويضبط ساعته قبل الانتهاء من قطع كل جزء منها وبعده، أكمل / ي الجدول الآتي:

رقم الطريق نوعها	المسافة التي يقطعها	الزمن المستغرق (الثانية)	متوسط السرعة (م/ث)
حقول	٤٠٠٠ م	٨٠٠ ث	
تلة	٢٤٠٠ م		٣ م/ ث
غابة		٩٠٠ ث	٦ م/ ث

السؤال الخامس. صنف/ي العناصر الآتية حسب الجدول الآتي:

(خارصين، كلور، كبريت، صوديوم)

فلزات	لافلزات

.انتهى الاختبار.

الملحق (٢)

مقياس دافعية التعلم

تقوم الباحثة بدراسة تهدف الى فحص اثر استخدام التعليم التعاوني في التحصيل والاحتفاظ ودافعية التعّلم في العلوم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في مدارس القدس وذلك استكمالا للحصول على درجة الماجستير في اساليب تدريس العلوم من جامعة القدس . يرجى قراءة فقرات هذا المقياس والإجابة عليه ، وذلك بوضع إشارة (x) أمام كل فقرة وتحت الدرجة التي تراها مناسبة ، حسب تقديرك ، علما بان المعلومات التي سيتم جمعها لن تستعمل إلا لغرض البحث العلمي فقط .

بيانات عامة

المدرسة: .... الصف: .... الشعبة .... الجنس: ....

الرقم	الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
١	يهمني التفوق في دراستي					
٢	أجد نفسي غير مهتم كثيراً بدراستي					
٣	أتأخر عن زملائي في إنجاز الأعمال الصفية					
٤	تجذبني الأنشطة الخارجية والألعاب أكثر من الدراسة					
٥	اعمل بجد لإنجاز واجباتي البيتية المدرسية					
٦	استمتع بمطالعة الكتب الخارجية ذات العلاقة بدروسي					
٧	اشعر بالسعادة عند دخول غرفة الصف					
٨	الواجبات المدرسية تشعرني بالملل					
٩	استغرب انهماك الطلبة بجد في دراستهم					
١٠	أجد صعوبة في التركيز عند الاستعداد للامتحان					
١١	عادة أحصل على علامات متفوقة في الامتحانات المدرسية					
١٢	أواجه صعوبات عند القيام بالواجبات المدرسية					
١٣	أتطلع باهتمام لإكمال دراستي الجامعية بعد التخرج من المدرسة					
١٤	طلبة صفي أكثر ذكاءً مني					
١٥	بعد اخذ استراحة قصيرة من الواجبات البيتية أجد صعوبة في العودة لاستكمالها					
١٦	اترك الواجبات المدرسية التي تحتاج إلى جهد كبير دون إتمامها					
١٧	أكون سعيداً أثناء الامتحان					
١٨	لا ارغب بمتابعة دراستي بعد التخرج من المدرسة					
١٩	عندما أبدأ في الدراسة أهمل كل ما حولي					
٢٠	ينصرف انتباهي بسهولة عن الدراسة للانشغال بأمور أخرى					

قضية القدس في قرارات
قمم منظمة المؤتمر الإسلامي
١٩٦٩ - ٢٠٠٣

د. أكرم عدوان*

* استاذ مشارك في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار - الجامعة الإسلامية.

ملخص البحث

يدرس هذا البحث قضية القدس في قرارات قمم منظمة المؤتمر الإسلامي منذ نشأة هذه المنظمة عام ١٩٦٩ حتى آخر قمة عقدت عام ٢٠٠٣ في مدينة ماليزيا [كوالالمبور]، ويلقي هذا البحث الضوء على تلك القرارات خاصة فيما يتعلق بمدينة القدس والتطورات السياسية والاجتماعية التي مرت بها تلك القضية خلال تلك المرحلة مع تحليل تلك القرارات والتعليق عليها .

Abstract

The study deals with Al-Quds issue in the Islamic Organization summit decisions since the establishment of this organization in 1969 and until the last summit held in Malysia in the year 2003. The study shed lights on social and political development for Al-Quds city during that period and analyses of these issues and comments on them.

المقدمة:

أهمية الدراسة: تأتي أهمية دراسة موضوع قضية القدس في قرارات قمم منظمة المؤتمر الإسلامي في الفترة ما بين ١٩٦٩ - ٢٠٠٣، لكونها تناقش وتبحث في موضوع يتعلق بقضية مركزية وأساسية في تطور السياسة الإسلامية في المنطقة ألا وهي مدينة القدس، تلك المدينة التي تعتبر من المدن الهامة في تاريخ العالمين العربي والإسلامي، نظراً لكونها أولى القبلتين وثالث المسجدين الشريفين، فهي ذات خاصية دينية قلما تجد مدينة في العالم تتمتع بها، ولكونها ذات أهمية سياسية اكتسبتها منذ أقدم العصور مروراً بالعصور القديمة والوسطى والحديثة والمعاصرة، فكانت وزالت تمثل عنصراً رئيساً في تطور الأحداث السياسية في المنطقة، وقد ا زدادت هذه الأهمية، بعد أن خضع الجزء الغربي من هذه المدينة للسيطرة الصهيونية عام ١٩٤٨ ومن ثم إعلانها عام ١٩٦٧ عاصمة موحدة للكيان الصهيوني، بعد احتلال الجزء الشرقي منها، من هنا كان لابد للعالمين العربي والإسلامي أن يكون لهما موقف واضح وصريح من هذه المدينة المقدسة، هذا من ناحية، أما ما يتعلق بموقف منظمة المؤتمر الإسلامي من هذه المدينة فيأتي في إطار العلاقة الإسلامية بمدينة القدس، ويكفي القول إن من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى نشأة منظمة المؤتمر الإسلامي، إن لم يكن السبب الوحيد، هو حرق المسجد الأقصى على يد أحد الصهاينة في ٢١/ ٨/ ١٩٦٩، فهذا الحدث أدى إلى قيام مجموعة من الدول الإسلامية في حينها للدعوة إلى الاجتماع والتدارس واتخاذ قرارات إسلامية بخصوص المدينة المقدسة، وكان من أهم تلك القرارات نشأة منظمة المؤتمر الإسلامي.

هدف الدراسة ومجالها الزمني: الهدف الرئيس من هذه الدراسة، يتمثل، في إبراز موقف منظمة المؤتمر الإسلامي من قضية القدس، منذ نشأتها عام ١٩٦٩ في مؤتمر الرباطحتى آخر مؤتمر لها على مستوى القمة عام ٢٠٠٣ والذي عقد في العاصمة الماليزية كوالالمبور وَرُكِّزَ هنا على مؤتمرات القمة فقط، لأنه يوجد هناك مؤتمرات وزراء الخارجية التي فاقت في عددها الثلاثين مؤتمراً، والتي تحتاج إلى دراسة منفصلة عن هذه الدراسة.

أما عن حدود الدراسة: فهي واضحة وتبدأ تاريخياً من عام ١٩٦٩ وهو العام الذي نشأت فيه منظمة المؤتمر الإسلامي، وتنتهي عام ٢٠٠٣ وهو العام الذي عقدت فيه آخر قمة إسلامية في دولة ماليزيا.

قبل الخوض في قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي وموقفها من قضية القدس، وجدت من الضروري التطرق وبشكل مختصر عن نشأة هذه المنظمة وأهدافها.

أولاً: نشأتها:

تاريخ تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي

لم تأتَ نشأة منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٦٩، فجأة أو بدون مقدمات، بل على العكس فقد سبق تاريخ نشأتها العديد من التطورات في هذا المجال.

ففي ٢٣ مارس/ اذار ١٩٢٤ أي بعد أربعة أيام من تاريخ سقوط الخلافة الإسلامية، عقد في رحاب الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية، اجتماع برئاسة شيخ الأزهر، أعلن فيه رفض إلغاء الخلافة الإسلامية، ودعا إلى مؤتمر موسع لبحث مستقبل الخلافة الإسلامية من يتولاها. (١)

كما عقد أول مؤتمر إسلامي، ناقش القضية الفلسطينية وقضية القدس الشريف، في عام ١٩٢٤ وقد انعقد هذا المؤتمر بجوار المسجد الأقصى، وحضره مجموعة من زعماء العالم الإسلامي وكبار علماء المسلمين وممثليهم في الشرق والغرب، حيث قدموا من مصر والهند واندونيسيا وأفغانستان وسوريا والعراق ولبنان وإمارة شرق الأردن ومراكش وتونس والجزائر وإيران ويوغسلافيا وكان ممثلون عن مسلمي روسيا، وقد خرج المؤتمر بعدة قرارات كان من أهمها، وضع دستور للمؤتمر يجعل منه منظمة دائمة تجتمع دورياً وتوجد لها مؤسسات تابعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي وإنشاء جامعة إسلامية كبرى في مدينة القدس، تسمى جامعة المسجد الأقصى، وتشكيل شركة إسلامية مهمتها إنقاذ أراضي فلسطين. (٢)

تعاقبت المؤتمرات الإسلامية، فيما بعد وكان من أهمها المؤتمر الذي عقد في القاهرة، في مايو ١٩٢٦ برئاسة الشيخ أبو الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر، وطالب بتنصيب خليفة للمسلمين، ثم تبعه مؤتمر آخر في الشهر نفسه وفي العام نفسه عقد في القاهرة، وحضره ممثلون عن مصر وليبيا وتونس والمغرب وجنوب أفريقيا وشرق الهند وبعض الدول الأخرى، وصب اهتمامه أيضاً على إنشاء ما يسمى بالخلافة الإسلامية. (٣)

ثم عقد مؤتمر آخر في يونيو/ حزيران ١٩٢٦ في مكة تحت رئاسة الملك عبد العزيز بن سعود ودعم مصري أيضاً كان الهدف منه إنشاء ما يسمى بالخلافة الإسلامية، ثم عقد مؤتمر آخر عام ١٩٣٠، وذلك لمواجهة الأطماع الصهيونية في مدينة القدس. (٤) وكان من أهم المؤتمرات الإسلامية التي عقدت لقضية القدس والأماكن المقدسة فيها، ذلك المؤتمر الذي انعقد في

ديسمبر ١٩٣١ ، وقد حضر المؤتمر وبدعوة من الحاج محمد أمين الحسيني ، العديد من علماء المسلمين والشخصيات الإسلامية الكبرى ، حيث شارك فيه اثنان وعشرون وفداً إسلامياً وبلغ عدد الأعضاء ١٤٥ عضواً . (٥) وقد أصدر المؤتمر العديد من القرارات كان من أهمها : قدسية حائط البراق واستنكار أية مطامع فيه ، ودعم قضية فلسطين والدفاع عنها ، واستنكار السياسة البريطانية والصهيونية في فلسطين ، وإنشاء جامعة إسلامية في القدس باسم جامعة المسجد الأقصى .

وجاءت الدعوة لإنشاء أمانة عامة دائمة للمؤتمر الإسلامي عام ١٩٥٠م في طهران الهدف منها جمع الإحصائيات في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية في العالم الإسلامي وتصنيفها وتحليلها ونشرها ، ومسح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلدان الإسلامية ، والبحث في المشكلات الاقتصادية للبلدان الإسلامية . (٦)

ثم تجددت الدعوة لإنشاء مؤتمر العالم الإسلامي ، واعتباره منظمة ثقافية غير رسمية يكون مقرها كراتشي بالباكستان ، في فبراير ١٩٥١م ، عندما عقد اجتماعٌ للوفود الإسلامية حضره غالبية الدول الإسلامية ، وقد أعد المؤتمر دستوراً ، كان من أهم ما جاء فيه ، تسمية هذه المنظمة بمنظمة مؤتمر العالم الإسلامي ، وقد أصبحت هذه المنظمة من أهم المنظمات الإسلامية غير الحكومة وأصبح لها ما يقارب من ٦٥ فرعاً في الدول الإسلامية وغير الإسلامية . (٧)

وفي عام ١٩٥٢م ترددت دعوة للقيام بإنشاء منظمة تضم معظم شعوب الدول الإسلامية ، وجهها أحد قادة حزب الرابطة الإسلامية السابقين في الباكستان ، إلى جميع المسلمين بهيئاتهم وأحزابهم المختلفة ، وبالفعل اجتمعت هذه الرابطة وانتخب " جودهري خليق الزمان " هندي الجنسية ، واتخذت من مدينة كراتشي مقراً لها ، وأكد المشاركون على قدسية فلسطين ورفضهم تقسيم أراضيها . (٨)

وكان من أوائل من طرح فكرة عقد مؤتمر إسلامي ، في النصف الثاني من القرن العشرين هو الرئيس جمال عبد الناصر ، وذلك خلال تأديته فريضة الحج عام ١٩٥٤م ، أثناء اجتماعه مععدد من رؤساء الدول الإسلامية الذين كانوا يؤدون فريضة الحج ، آنذاك .

أما الملك فيصل فقد كان أول من دعا إلى تشكيل حلف إسلامي عام وشامل ، وقد جاءت الدعوة عام ١٩٦٥ ، غير أن الخلافات الحادة بين السعودية ومصر ، قد حالت دون تحقيق هذا الهدف ، وبعد الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧م ، تبلورت فكرة المؤتمر الإسلامي ، وأخذت طريقها إلى التحقيق ، وبعد المصالحة التي تمت بين النظام السعودي والحكومة المصرية ، أصبح الباب مفتوحاً أمام عقد المؤتمر . (٩)

يبدو أن هذه الاجتماعات وهذه المبادرات المختلفة والمتعددة داخل العالم الإسلامي، وعلى اختلاف مصادرها ومواقعها، كانت تعبيراً ضمنياً عن تطلعات الملايين من المسلمين الذين كانوا يؤيدون التعاون والتلاحم مع إخوانهم في البلاد الإسلامية، لذلك كانوا يبحثون دائماً عن مخرج مناسب لجمع كلمة المسلمين وجهودهم تجاه كل القضايا التي تهم العالم الإسلامي، لذا انصبت جهود العلماء والقيادات والمؤسسات الإسلامية، نحو التضامن والتوافق وإيجاد بديل لسقوط الخلافة لإسلامية.

تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامي:

ان التطورات السياسية والعسكرية في العالم العربي قد فرضت نفسها، للعمل على إنشاء منظمة تجمع كلمة العرب والمسلمين على حد سواء لمواجهة تلك التطورات، التي كان من أهمها وقوع حرب عام ١٩٦٧م، واحتلال إسرائيل أجزاء كبيرة من الأراضي العربية وعلى رأسها الجزء الشرقي من مدينة القدس وإعلان إسرائيل عن أن المدينة أصبحت موحدة تحت السيطرة الإسرائيلية على أن تصبح في المستقبل عاصمة للكيان الصهيوني، هذه التطورات مثلت ضربة قاسمة للعرب والمسلمين على حد سواء، فضياع هذه الأرض خاصة مدينة القدس جعل العرب والمسلمين في موقف حرج جداً أمام شعوبهم وأمام العالم.

لم تتوقف التطورات عند هذا الحدث، فسرعان ما جاءت الضربة الأخرى للعرب والمسلمين على حد سواء، والتي تمثلت في إحراق المسجد الأقصى المبارك، ففي ٢١ أغسطس / آب/ ١٩٦٩م، قام الصهاينة بإحراق المسجد الأقصى في مدينة القدس الشريف، على يد الصهيونى الأسترالى الأصل روهان و الذي اعتبر في حينها قمة الاعتداء على العرب والمسلمين، فقد تصاعد الغضب الإسلامي في كل البلدان الإسلامية، وتصاعدت المظاهرات، وبدأ التحرك الرسمي سريعاً، حيث عبرت الدول الإسلامية عن استنكارها الشديد، وطالبت في رسالة موجهة إلى " أو ثانت othant " السكرتير العام للأمم المتحدة آنذاك، بإجراء تحقيق دولي محايد في حادث إحراق المسجد، وأوضحت أنه حادث متعمد موجه للدول الإسلامية، ويضربها في أحد رموزها الدينية والتاريخية المقدسة. (١٠)

وفي الوقت نفسه، تصاعدت دعوة زعماء الدول الإسلامية إلى الجهاد، ووجه الملك حسين نداء إلى الشعوب العربية والإسلامية، للقيام بعمل مشترك، ثم كلفت الجامعة العربية كلاً من المغرب والعربية السعودية بالإعداد لمؤتمر القمة الإسلامي، الذي تحدد عقده خلال اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة، قبيل انعقاد مؤتمر القمة الإسلامية. (١١)

انعقدت القمة الإسلامية الأولى بالرباط فى الفترة من ٢٢-٢٥/ سبتمبر ١٩٦٩ ، بحضور ، ٢٦ دولة ، وقد تقرر فيها أن تكون القدس مقراً لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، وبانتظار تحريرها تكون مدينة جدة مقراً مؤقتاً وقد احتل مركز الصدارة في جدول أعمال هذه القمة قضية دعم كفاح الشعب الفلسطيني ، وحماية مدينة القدس ، وتحرير الأرض العربية ، وفي مقدمتها الأراضي الفلسطينية . (١٢)

وبانعقاد هذا المؤتمر يمكننا القول إنه يعتبر البداية الحقيقية لنشأة منظمة المؤتمر الإسلامي بشكل رسمي ، وبداية حقيقية لعمل هذه المنظمة تجاه القضايا الإسلامية وعلى رأسها قضية القدس .

وسنعالج في الصفحات القادمة أهم القرارات التي اتخذت في هذا المؤتمر بخصوص مدينة القدس وقضيتها وكذلك المؤتمرات الأخرى ، ولكن قبل ذلك سنتحدث عن أهم أهداف هذه المنظمة .

اهتم واضعو أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي ، بأن يكون هناك ميثاق وأهداف عامة ورئيسة لهذه المنظمة ، حتى يتسنى لها السير بخطى ثابتة وحثيثة تجاه قضايا الإسلام والمسلمين .

وكان من أهم الأهداف التي وضعت للمنظمة:

١ . تعزيز التضامن الإسلامي بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي .
٢ . التعريف بالمبادئ والتعاليم الإسلامية السامية بين الدول الأعضاء لمنظمة المؤتمر الإسلامي .
٣ . توثيق العلاقات بين الدول الإسلامية على أساس الأخوة والصداقة والعدل والتسامح .
٤ . تحقيق التعاون والتنسيق بين الدول الأعضاء في المنظمة .
٥ . العمل على تعزيز التعاون بين الدول الأعضاء في المنظمة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية .
٦ . دعم جميع الشعوب الإسلامية والعربية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية .
٧ . تحرير القدس واستعادة الحقوق الفلسطينية .
٨ . دعم كفاح الشعب الفلسطيني ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه المحتلة .

٩ . العمل الدؤوب للحفاظ على الأماكن المقدسة وتحريرها .

١٠ . العمل على مناهضة التفرقة العنصرية والقضاء على الاستعمار في جميع البلدان الإسلامية .

١١ . السعي لدعم السلام العالمي . (١٣)

وقد وضعت المنظمة من خلال ميثاقها عدة ضوابط ومبادئ عامة وخاصة طلبت من خلالها الدول الأعضاء احترامها والعمل على تطبيقهاخاصة :-

١ . احترام المساواة بين الدول الأعضاء .

٢ . حق تقرير المصير للدول الإسلامية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء .

٣ . احترام سيادة كل دولة واستقلالها وسلامة وحدة أراضيها .

٤ . تسوية المنازعات بين الدول الأعضاء بالطرق السلمية كالمفاوضات والوساطة والمصالح والتحكيم .

٥ . الالتزام بمبدأ عدم اللجوء للقوة أو التهديد باستخدامه ضد وحدة أراضي الدول التابعة لها أو سلامتها أو استقلالها السياسي . (١٤)

بعد هذا العرض السريع لأهداف منظمة المؤتمر الإسلامي وميثاقها ، نعود للحديث عن أهم قرارات المؤتمر الإسلامي الأول ، والذي انعقد في الفترة ما بين ٢٢ - ٢٥ / ايلول سبتمبر/ ١٩٦٩م للبحث في قضية حرق ا لمسجد الأقصى المبارك ، الذي اعتبر في حينه أكبر تجمع في تاريخ العالم الإسلامي ، على مستوى القمة ، فلم يسبق أن اجتمع على مدى ١٤ قرناً هذا العدد من الدول الإسلامية ، الممثلة برؤساء وملوك ووزارات ووزراء .

كان من أهم النقاط والمواضيع التي كانت على رأس جدول أعمال المؤتمر:

١ . كارثة المسجد الأقصى .

٢ . وضع مدينة القدس .

٣ . انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي المحتلة .

٤ . إعادة حقوق الشعب الفلسطيني المغتصبة ، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة التي تخترقها إسرائيل ، فضلاً عن تأييد حق الشعب الفلسطيني الكامل في النضال .

٥ . التعاون بين الدول الإسلامية .

٦ . اتخاذ مواقف محدودة تجاه هذه الموضوعات .

٧ . تطبيق قرارات المؤتمرات ، وتحديد موعد الاجتماع الأول لوزراء خارجية الدول الإسلامية

ومكانه ثم قلص جدول أعمال المؤتمر ليقتصر فقط على ثلاث نقاط وهي: المسجد الأقصى، ومدينة القدس، والتعاون الإسلامي. (١٥)

وجرى خلال المناقشات طرح العديد من المسائل، التي دارت حول حصر جلسات المؤتمر لمناقشة قضية المسجد الأقصى في نطاق ديني وتجنب الدخول في الصراع بين الدول الإسلامية وإسرائيل، واتجاه آخر كان يرى أن جريمة إحراق المسجد الأقصى ذات طابع ديني سياسي، ولا يجوز بحثها إلا في إطار الاحتلال الإسرائيلي لأراضي الدول العربية، وما يمثله هذا الاحتلال، وتزعم هذه الاتجاه الرئيس جمال عبد الناصر، الذي لم يحضر جلسات المؤتمر بسبب ما ألم به من مرض. (١٦)

ويبدو أن هذا الاتجاه (الثاني) كان من الصعب تبنيه، وذلك لأن العديد من الحكومات الإسلامية المشاركة في المؤتمر، لها علاقات جيدة مع إسرائيل مثل تركيا وإيران والسنغال التي كانت تحتفظ بعلاقات سياسية دبلوماسية ليس مع إسرائيل فحسب بل مع الولايات المتحدة الأمريكية والعديد من الدول الأوربية التي تدعم إسرائيل.

لذلك بناء على هذه الأوضاع السياسية، التي أحاطت بأعمال المؤتمر الأول، أنهى المؤتمر الإسلامي أعماله، بالعديد من القرارات، كان من أبرزها. خاصة فيما يتعلق بقضية القدس الآتي:

١. أن المؤتمر يرفض أي حل لا يعيد مدينة القدس على وضعها قبل عام ١٩٦٧.

٢. إدانة جريمة إحراق المسجد الأقصى، باعتبار أن الحادث المؤلم الذي وقع يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، والذي سبب الحريق، فيه أضرار فادحة وجسيمة للمسجد الأقصى. هذا الحادث، وقد سبب أعمق القلق في قلوب أكثر من ستمائة مليون من المسلمين في سائر أنحاء العالم وأن الأعمال المتمثلة في انتهاك حرمه مقام يعتبر من أقدس المقامات الدينية لدى البشرية، وفي تخريب الأماكن المقدسة وخرق حرمتها، تلك الأعمال التي وقعت تحت عين الاحتلال الإسرائيلي المسلح لمدينة القدس الشريف وهي المدينة التي تحظى باحترام جميع معتنقي ديانات الإسلام والمسيحية واليهودية، هذه الأعمال زادت من حدة التوتر في الشرق الأوسط وأثارت استنكار سائر شعوب العالم. (١٧)

كما نلاحظ أن قرارات مؤتمر القمة الإسلامية الأول، جاءت مخيبة للآمال، خاصة إذا علمنا أنه بعد حادث الإحراق، وقعت في معظم دول العالم الإسلامي مظاهرات وثورات شديدة وقوية انتشرت بين الشعوب العربية والإسلامية، عقب حرق المسجد الأقصى، فكانت الشعوب العربية والإسلامية تنتظر قرارات أقوى وأعمق تجاه قضية القدس، ولكن كما نرى فقد

جاءت القرارات عامة وبسيطة لا تعبر عن عمق الحدث، فجاءت كالصدمة على العالمين العربي والإسلامي، حتى أنها طمأنت إسرائيل وأنهت ما كان لديها من توتر عند وقوع الحدث.

انتهى المؤتمر الإسلامي الأول، دون أن يحقق شيء لمدينة القدس وظلت الأوضاع السياسية والدينية في المدينة كما كانت عليه في السابق، تحت السيطرة الإسرائيلية، واستمر التهويد أقوى وأعنف مما سبق.

انعقد فيما بعد مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الثاني في العاصمة الباكستانية كراتشي، في ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٠، وأصدر قراراً سياسياً باعتبار يوم ٢١ أغسطس، أي يوم حرق المسجد الأقصى يوم تضامن مع كفاح الشعب الفلسطيني ومع مدينة القدس. (١٨)

وفي اعتقادي أن هذا الاجتماع جاء ترسيخاً للفشل السابق خلال مؤتمر القمة الإسلامية الأول، خاصة فيما يتعلق فيه بمدينة القدس.

انعقدت القمة الثانية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، في مدينة لاهور في الباكستان، في الفترة الواقعة ما بين ٢٢ – ٢٤فبراير/ شباط ١٩٧٤، وقد اشترك في هذا المؤتمر ممثلو نحو سبع وثلاثين دولة إسلامية، بالإضافة إلى فلسطين، ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

في الحقيقة لم تكن قضية القدس مطروحة بقوة على جدول أعمال هذا المؤتمر، فالقضية الرئيسة التي تصدرت أعمال المؤتمر، قضية الصراع العربي الإسرائيلي، بشكل عام، خاصة بعد أحداث أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٣.

وقد أنهى المؤتمر أعماله، داعياً إلى دعم القضية الفلسطينية، وتعزيز كفاح الشعب الفلسطيني والاعتراف الفعلي بمنظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

أما فيما يتعلق بقضية القدس، فقد أعلن المؤتمر، بشكل إنشائي وخطابي، (عن صلة المسلمين القوية بالقدس الشريف، وعزم الحكومات الإسلامية الأكيد على العمل من أجل تحريرها، وإعادة السيادة العربية عليها، على ألا تكون القدس موضع مساومة، أو تنازلات). وبناء على طلب الوفد الباكستاني، ونظراً للمكانة الخاصة التي تتمتع بها مدينة القدس الشريف في نفوس الشعوب الإسلامية، اتخذ المؤتمر قراراً خاصاً بها.

كان من أهم ما جاء فيه:

١. يدين المؤتمر التدابير التي تتخذها إسرائيل لتهويد مدينة القدس ورفضها الامتثال لقرارات الجمعية العامة، ومجلس الأمن، التي تطالب بإلغاء جميع الإجراءات المؤدية إلى ضم مدينة القدس إلى إسرائيل، أو تغيير الطابع التاريخي للمدينة، واعتبار هذه ا الإجراءات

لا غية، وكأنها لم تكن.

٢ . يطالب المؤتمر بانسحاب إسرائيل الفوري من مدينة القدس.

٣ . يعلن المؤتمر أن إعادة السيادة العربية إلى القدس يعد شرطاً رئيساً ولازماً لأي حل في المنطقة العربية، وأن أي حل لا يعيد هذا الموضوع إلى سابق عهده، لن تقبله البلدان الإسلامية، كما أنه يرفض أية محاولة لتدويلها.

٤ . يقرر المؤتمر مواصلة الجهاد في سبيل تحرير القدس الشريف، وصيانة مقدساتها ويعد على ألا تكون موضعاً لأية مساومة، أو تنازلات، كما يرحب بأية جهود تخدم ذلك. (١٩)

جاءت قرارات المؤتمر الإسلامي الثاني بخصوص قضية القدس، غير بعيدة من حيث الأسلوب والعمق عن قرارات المؤتمر الأول، فهي قرارات فضفاضة إنشائية، وغير عملية على الإطلاق، فهي مجرد دعوات للتأييد والدعم السياسي والمادي، ليس إلا، لم يأت فيها أي قرار عملي يمكن تطبيقه على أرض الواقع بالفعل، وهذا في اعتقادي شيء طبيعي جداً يتواكب مع المواقف العربية المعلنة تجاه القضية نفسها.

عموماً استمرت الدول الإسلامية، تتابع قضية القدس على المستويين السياسي والمعنوي، وأنشيء ما يسمى "بلجنة القدس" والتي شكلت من خلال توجيهات المؤتمر الإسلامي السادس لوزراء الخارجية للبلدان الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، الذي انعقد في جدة في الفترة ما بين ١٢ - ١٥ تموز- يوليو ١٩٧٥، والتي تكونت من ممثلين عن خمس عشرة دولة عضواً في المنظمة، ينتخبهم المؤتمر الوزاري لمدة ثلاث سنوات. (٢٠)

ثم قرر مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية، العاشر المنعقد، في فاس في الفترة ما بين ٨ - ١٢/ ١٩٧٩ يوليو (دورة فلسطين والقدس الشريف) أن تكون لجنة القدس تحت رئاسة ملك المغرب الملك الحسن الثاني إلى أن تحرر مدينة القدس. (٢١)

وقد حددت اللجنة اختصاصاتها في الأمور الآتية:

١ . دراسة الوضع العام لمدينة القدس الشريف.

٢ . متابعة القرارات المصادق عليها حول القدس من مختلف الهيئات والمحافل الدولية.

٣ . الاتصال بالمنظمات الدولية الأخرى التي قد تساعد على حماية مدينة القدس والأماكن المقدسة.

٤ . الدفاع عن قضية القدس في المحافل والمؤتمرات الدولية كلها والتعريف بعدالتها.

٥ . إعداد خطة إعلامية كاملة تصاغ في وثيقة عملية تبين أهمية القدس الشريف دينياً وسياسياً

وحضارياً وإظهار عروبتها وحق المسلمين في ولايتها. (٢٢)

انعقدت القمة الثالثة في مدينة مكة المكرمة في الفترة ما بين ٢٥ – ٢٨، يناير/ كانون الثانى ١٩٨١م وحضر هذه القمة ٣٨ دولة إسلامية وغاب عنها كل من إيران وليبيا، وحمل المؤتمر اسم (دورة فلسطين والقدس الشريف) كان من أهم ما صدر من قرارات عن هذه القمة بخصوص قضية القدس التزام الدول الأعضاء بتحرير القدس، لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية وقرر المؤتمر أن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع في المنطقة، واتفقت الدول الأعضاءعلى إعلان الجهاد المقدس لإنقاذ القدس. (٢٣)

وقد كان لإعلان هذه القمة عن تحرير مدينة القدس لتصبح عاصمة دولة فلسطين، ردة فعل قوية لدى الكيان الصهيوني، فقد جاء على لسان" مناحيم بيغن "رئيس الوزراء الصهيوني في حينها" أن القدس كانت عاصمة إسرائيل، وستبقى مدى الأجيال المقبلة، وأن القدس ليست في حاجة إلى تحرير، إنها حرة، وموحدة وغير قابلة للتقسيم مضيفاً، أن أي جهاد لا يخيفنا إننا نكره الحرب، ونريد السلام، ولكن إذا اقتضى الأمر يستطيع الجيل الشاب في إسرائيل أن يدافع عن البلاد وسلامة القدس وعاصمتها". (٢٤)

وفي الحقيقة ظلت قرارات هذه القمة كسابقتها حبراً على ورق فلم يطبق منها أي كلمة على أرض الواقع خاصة فيما يتعلق بها بالجهاد المقدس، فلم يكن هناك جهاد مقدس أو غير مقدس ووقع عاتق هذه المهمة كما نعلم على عاتق شعب فلسطين وحده.

انعقدت القمة الرابعة مرة أخرى في مدينة الرباط بالمغرب، في الفترة ما بين ٢٢ ـ٢٤ / كانون الثاني ١٩٨٤، وشارك في هذه القمة ٤٢ دولة إسلامية، وجاءت هذه القمة لتناقش الوضع والتطورات العربية والإسلامية ولم تأخذ فيها قضية القدس إلاهامشاً بسيطاً، فقد ركزت القمة بشكل مباشر على تطورات السلام واستراتيجيته في المنطقة خاصة فيما يتعلق بخطة فاس العربية للسلام، وعودة مصر للحظيرة العربية والإسلامية، وجاءت هذه القمة في جو من التوتر والانقسامات العربية-العربية، أما ما يخص فلسطين وقضية القدس، فقد ذكرت القمة بما جاء في القمم السابقة، بالدعوة إلى مركزية القضية الفلسطينية بالنسبة للعالم العربي والإسلامي، وأهمية قضية القدس بالنسبة للعرب والمسلمين. (٢٥)

وتعتبر القمة الرابعة لدول العالم الإسلامي، بداية تهميش لقضية القدس في الاستراتيجية العربية والإسلامية، فقد فرضت الأحداث السياسية في المنطقة خاصة في العالم العربي خلال تلك المرحلة نفسها، خاصة فيما يتعلق بنظرية السلام مع إسرائيل الذي فرضته اتفاقية كامب ديفيد التي وقعتها مصر مع إسرائيل والتي همشت كلياً قضية القدس ولم تأت على ذكرها.

ثم انعقدت القمة الخامسة، فى الكويت في الفترة ما بين ٢٦ - ٢٩/ يناير/ كانون الثانى١٩٨٧م، بمشاركة ٤٤ دولة وبغياب دولتين هما إيران التي تذرعت بمكان انعقاد الدورة، وأفغانستان التي جمدت عضويتها منذ دخول القوات السوفيتية أراضيها.

وقد جاء انعقاد هذه القمة في ظروف سياسية، اتسمت بخلافات شديدة بين العديد من الدول الإسلامية، مثل الحرب العراقيةالإيرانيةوالحرب ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان.

وجاء جدول أعمال القمة على النحو الآتي:

١. الحرب العراقيةالإيرانية.
٢. القضية الفلسطينية.
٣. الحرب الأهلية في لبنان. (٢٦)

من الواضح أن القضية الفلسطينية وقضية القدس بالذات، بدأت تأخذ دوراً ثانوياً في مؤتمرات القمم الإسلامية خلال مرحلة الثمانينيات للتطورات السياسية التي شهدتها المنطقة العربية بخاصة والمنطقة الإسلامية بعامة، وعلى الرغم من اعتراف المؤتمرين بأهمية القضية الفلسطينية وقضية القدس، فإن القضايا العربية والإسلامية الأخرى فرضت نفسها على تلك المؤتمرات.

وهكذا تراجعت القضية الفلسطينية بعامة إلى المرتبة الثانية وحتى الثالثة في جدول اعمال القمة الإسلامية خلال هذه المرحلة.

ومن أهم ما جاء في هذه القمة بخصوص القضية الفلسطينية وقضية القدس، هو إعادة المفاهيم والقرارات السابقة أنفسها، وأن قضية القدس هي القضية المحورية والأساسية في الاعتبارات الإسلامية.

وعلى الرغم من تهميش القمة الإسلامية، في مرحلة الثمانينيات وبداية التسعينيات، قضية القدس، وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقاً، فإن مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الأسلامية، التي انعقدت في نفس المرحلة، ظلت على علاقة مباشرة مع هذه القضية.

ففي الاجتماع السابع لوزراء الخارجية الإسلامي، الذي انعقد في مدينة استنبول بتركيا، في ١٢ - ١٥/ مايو/ ايار- ١٩٧٦م، قرر الوزراء تأسيس صندوق القدس، والذي حدد له الأهداف الآتية:

١. مقاومة سياسة التهويد التي تتبعها سلطات الاحتلال الإسرائيلي.
٢. المحافظة على الطابع العربي والإسلامي لمدينة القدس.

٣ . مساعدة كفاح الشعب الفلسطيني في القدس وفي بقية الأراضي المحتلة .
٤ . المحافظة على الضفة الغربية والقدس الشرقية والأماكن المقدسة لمدينة القدس . (٢٧)

وقد صادقت الدورة الخامسة للجنة القدس المنعقدة في جدة في شهر يناير/ كانون الثانى عام ١٩٧٨م على القانون الأساس واللائحة الداخلية لهذا الصندوق . (٢٨)

ويمول صندوق القدس من المساهمات الاختيارية للدول الإسلامية ومن مساهمات صندوق التضامن الإسلامي ، ومن المنح العامة والخاصة ومن المساهمات التطوعية للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ، ويمول أيضاً من الأموال السائلة والمنقولة والتي تودعها حكومات الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ومن العقارات وسائر الأموال المنقولة التي قد توقفها الحكومات والأشخاص في العالم الإسلامي ، على أن تتولى وقفيه الصندوق هيئة تسمى (هيئة النظار) التي ستعمل تحت إشراف مجلس إدارة الصندوق . (٢٩)

وطالب مؤتمر القمة الإسلامية الخامس ، المنعقد في الكويت في ٢٦٢٩ يناير/ كانون الثانى ١٩٨٧م ، الدول الأعضاء ، بتغطية نفقات صندوق القدس و وقفيته ، بإسهامات مالية وثابتة . وأكد المؤتمر على أهمية الدور الذي يقوم به الصندوق في تأمين الموارد المالية ، وجمع التبرعات له من الدول العربية والإسلامية ، وأكد أيضاً على التزام جميع الدول الأعضاء في المنظمة بدفع مبلغ ١٠٠مليون دولار أمريكي ، لتغطية نفقات الصندوق سنوياً ، وأكد المؤتمر على أهمية الدول التي تقوم بتأمين موارد مالية لهذا الصندوق . (٣٠)

ثم انعقد المؤتمر الإسلامي السادس في مدينة داكار بجمهورية السنغال (دورة القدس الشريف والوئام والوحدة) في الفترة ما بين ٩ – ١١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩١ ، وحضره ٤٨ دولة .

وكان من أهم القرارات التي صدرت عنه بخصوص قضية القدس هي ، إعلان المؤتمر التزام الأمة الإسلامية بتحرير المسجد الأقصى المبارك ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وأكد أن القدس الشريف جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وجدد التزامة بتعزيز التضامن الإسلامي ، لضمان عودتها إلى السيادة الفلسطينية والحفاظ على طابعها العربي الإسلامي ، وأكد على بطلان التدابير التي اتخذتها إسرائيل لضم مدينة القدس كافة وفرض القوانين الإسرائيلية على سكانها العرب الفلسطينيين ، وطالب المجتمع الدولي بإدانة الانتهاكات المستمرة ضد المسجد الأقصى والمحكمة الشرعية الإسلامية والمقدسات الإسلامية والمسيحية الأخرى ، وإجبارها على الانصياع للقرارات الدولية كافة وآخرها قرار مجلس الأمن ٦٨١عام ١٩٩٠ ، وتوفير الحماية الضرورية للشعب الفلسطيني والأماكن المقدسة ، كما دعا

المؤتمر جميع دول العالم إلى الامتناع عن إقامة سفاراتها وممثلياتها في مدينة القدس، تعبيراً عن اعتراضها على ضم القدس، وأعرب المؤتمر عن قلقه العميق من استمرار تنفيذ مخطط تهجير اليهود وتوطينهم في الأراضي الفلسطينية بما فيها مدينة القدس الشريف (٣١).

جاء هذا المؤتمر ليؤكد على ما سبق طرحه في المؤتمرات السابقة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، فهو لم يأت بأي جديد بخصوص قضية القدس، بل عمل على ملاحقة الأحداث السياسية التي بدأت تطرأ في مرحلة انعقاده، مع التأكيد على عروبة المدينة والقضية وإسلاميتهما.

كما أكد المؤتمر على ما جاء من قرارات سابقة بخصوص قضية القدس، خاصة ما جاء في مؤتمر القمة الثالث المنعقد في مكة المكرمة والطائف، والذي يحض على التزام الدول الإسلامية الثابت بتنفيذ جميع القرارات الصادرة بخصوص مدينة القدس، خاصة إعلان الجهاد المقدس لتحريرها وتخليص المسجد الأقصى من نير الاحتلال، مستذكراً قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، المتعلقة بالموضوع وأهمها القراران ٤٧٦، و٤٧٨ الصادران في عام ١٩٨٠. وهما يؤكدان بطلان القانون الإسرائيلي الذي يعتبر مدينة القدس عاصمة موحدة لإسرائيل، معرباً عن قلقه العميق لتصاعد الاعتداءات المنظمة على الأماكن المقدسة، ولما آل إليه وضع مدينة القدس الشريف والأماكن المقدسة والمسيحية منها، خاصة المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة، ويؤكد المؤتمر على جميع قرارات القمم الإسلامية المتصلة بالموضوع، ويؤكد على التوصيات الصادرة عن لجنة القدس، ويدعو المؤتمر الدول التي أعلنت عن تآخي عواصمها ومدنها مع مدينة القدس إلى المبادرة بتبني بعض المشروعات التي تعزز صمود المدينة المقدسة وأهلها ومدنها مع مدينة القدس، أن تسارع بتنفيذ ذلك تعزيزاً لروح التضامن الإسلامي مع الشعب الفلسطيني، وأعرب المؤتمر عن تقريره الكبير لمواقف قداسة البابا، في إدانته واستنكاره وشجبه للممارسات الإسرائيلية في مدينة القدس، ويدعو إلى استمرار التنسيق مع حاضرة الفاتيكان للحفاظ على عروبة القدس وهويتها الدينية التاريخية، كما يعهد إلى جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس، باتخاذ ما يراه مناسباً من إجراءات لضمان القيام بأعمال الصيانة والأعمار المطلوبة لقبة الصخرة، ويؤكد المؤتمر على أهمية العمل على تنظيم ندوات للتعريف بقضية القدس الشريف وفلسطين، في مختلف العواصم العالمية، والاتصال بالفاتيكان لعقد لقاء إسلامي مسيحي وبمشاركة الكنائس الشرقية وغيرها للحفاظ على هوية ا لمدينة المقدسة وطابعها الديني والتاريخي والديمغرافي. (٣٢)

واكد المؤتمر هنا على ما جاء في قرارات المؤتمر الثالث الذي انعقد في مكة والطائف بخصوص التأكيد على الجهاد المقدس، ولا نعرف ماذا يقصد هنا، هل مجرد التأكيد شفهياً؟

وهو الثابت أم الدعوة كانت فعلية ويطالب بتطبيقها وهو ما لم يحصل على أرض الواقع، لذلك نؤكد أن قرارات هذا المؤتمر جاءت مكررة للمؤتمرات السابقة في جميع بنودها وتكاد لا تختلف كثيراً عن قرارات المؤتمرات السابقة إلا من حيث الصياغة وإن كانت متقاربة جداً.

مرت السنوات وظلت قرارات القمه السابقة في أروقة منظمة المؤتمر الإسلامي، دون تحريك أو تطبيق، إلى أن انعقد المؤتمر الإسلامي السابع (دورة الإخاء والانبعاث) والتي عقدت في الدار البيضاء بالمملكة ا لمغربية في الفترة من ١١ – ١٣ رجب ١٤٢٥هـ – الموافق ١٣ – ١٥ ديسمبر ١٩٩٤.

تطرق هذا المؤتمر أيضاً إلى قضية القدس، إذ بدأت أعمال المؤتمر بخصوص هذه القضية بدراسة تقرير الأمين العام حول مدينة القدس الشريف، مستذكراً القرارات السابقة بخصوص القضية، والتي من أهمها التأكيد على أن قضية القدس تشكل جوهر قضية فلسطين التي هي قضية المسلمين الأولى وجوهر النزاع العربي الإسرائيلي، مؤكداً على أن السلام الشامل والعادل لن يتحقق إلا بعودة مدينة القدس الشريف إلى السيادة الفلسطينية باعتبارها عاصمة لدولة فلسطين، ثم استذكر المؤتمر قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن الدولي المتصلة بالموضوع، والخاصة بمدينة القدس الشريف، والتي تؤكد على بطلاق القانون وخاصة القرارات، ٤٦٥، ٤٧٦، ٤٧٨الصادرة فى عام ١٩٨٠الخاصة بمدينة القدس الشريف، والتي تؤكد على بطلان القانون الإسرائيلي القاضي بضمها واعتبارها عاصمة موحدة لإسرائيل، وأعرب المؤتمر عن قلقه من تصاعد الأعمال العدائية الإسرائيلية على الأماكن المقدسة في المدينة، ولما آل عليه وضع المدينة والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية فيها، خاصة المسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة. (٣٣)

ثم أشاد بالجهود المتواصلة التى تبذلها لجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب ثم أصدر القرارات الآتية:

١. نقل جميع السلطات والمسؤوليات في الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى السلطة الوطنية الفلسطينية بما فيها القدس الشريف وتأكيد عودة المدينة إلى السيادة الفلسطينية.
٢. نقل جميع السلطات والمسؤوليات في الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى السلطة الوطنية الفلسطينية بما فيها القدس الشريف وتأكيد عودة المدينة إلى السيادة الفلسطينية.
٣. التأكيد على انسحاب إسرائيل من مدينة القدس باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وعلى اعتبارها عاصمة لدولة فلسطين.
٤. يدعو دول العالم إلى تجنب اعتبار مدينة القدس عاصمة لدولة إسرائيل، ويؤكد مجدداً

أن كل التدابير والإجراءات التشريعية والإدارية والاستيطانية الرامية إلى تغير الوضع القانونى للمدينة باطلة ومخالفة للقوانين الدولية.

٥ . يدعو المؤتمر المجتمع الدولي خاصة أمريكيا وروسيا إلى حمل إسرائيل على عدم إجراء أي تغيير جغرافي أو سكاني في مدينة القدس الشريف خلال المرحلة الانتقالية، أي خلال مرحلة المفاوضات على الوضع النهائي.

٦ . يدعو إلى وقف الاستيطان في مدينة القدس مع توفير ضمانات دولية لذلك.

٧ . يطالب الدول الالتزام بقرار مجلس الأمن ٤٧٨/ الصادر عام ١٩٨٠ و الداعي إلى عدم نقل الدول بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس الشريف.

٨ . التأكيد على قرارات المؤتمرات الإسلامية السابقة التي تؤكد على دعم مدينة القدس الشريف وتعزيز صمود أبنائها وذلك بتنفيذ الأنشطة الآتية:

-دعوة جميع الدول الإسلامية التي لم توقع حتى الآن على تآخي عواصمها مع مدينة القدس الشريف عاصمة دولة فلسطين، إلى سرعة إنهاء إجراءات التآخي وتبني مشاريع داخل مدينة القدس الشريف دعما لها ولمواطنيها الصامدين.

- إصدار طابع فلسطين.
- تنظيم أسواق خيرية لصالح صندوق القدس التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- استمرار التنسيق حول موضوع القدس مع المحافل والمنظمات الدولية والإقليمية كافة، وتنظيم ندوتين دوليتين عن القدس بالتنسيق مع هذه المنظمات الدولية والإقليمية.
- استمرار التنسيق مع المنظمات غير الحكومية وتنظيم ندوة عن القدس معها.
- دعم المؤسسات التعليمية في مدينة القدس الشريف من مدارس وجامعات وتمكينها من أداء رسالتها في مناهضة تهويد المدينة المقدسة.
- تقديم الدعم المالي لترميم الأبنية التاريخية والمساكن المهددة بالانهيار في مدينة القدس الشريف، ومساعدة سكانها على الصمود وإفشال مخطط تهويد القدس الشريف. (٣٤)

٩ . يدين بشدة قرار المحكمة العليا في إسرائيل والذي صدر بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٩٣، باعتبار المسجد الأقصى المبارك جزءاً من مساحة دولة إسرائيل، باعتبار أنه موجه للعصابات الصهيونية المتطرفة لمواصلة انتهاكاتها المستمرة لحرمة المسجد الأقصى المبارك وإقامة وجود لها على ساحاته، ومواصلة عمليات السطو على المأثورات الدينية والتاريخية والثقافية

في القدس والأراضي المحتلة.

١٠ . يشيد بالنداء الذي وجهه سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين، في إطلاق حملة " إنقاذ القدس الشريف " والتبرع بهذه الحملة التي سيخصص عائدها للإنفاق على إعادة إعمار المقدسات الإسلامية في مدينة القدس، خاصة المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومسجد عمر بن الخطاب، من جراء الإجراءات الإسرائيلية، ويعبر عن عميق شكره وتقديره لحكومة المملكة العربية السعودية على رعايتها المستمرة لقضية القدس الشريف والمقدسات الإسلامية فيها.

١١ . يطلب من الأمين العام متابعة تنفيذ هذا القرار وتقديم تقرير بشأنه إلى المؤتمر الإسلامي القادم لوزراء الخارجية. (٣٥)

وتحدث المؤتمر أيضاً عن صندوق القدس ووقفيته، على تقرير الأمين العام حول هذا الصندوق، وأكد الحفاظ على وفاء جميع الدول الأعضاء في المنظمة، بالتزاماتها تجاه صندوق القدس، مقدراً أهمية الدور الحيوي الذي يقوم به الصندوق في مساندة نضال الشعب الفلسطيني وجهاده خاصة داخل مدينة القدس، معرباً عن قلقه إزاء استمرار الوضع المالي الحرج للصندوق الأمر الذي يؤدي إلى عدم الوفاء بالمتطلبات التي يصبو إليها. ويدعو الدول الأعضاء إلى الالتزام بتغطية ميزانية كل من صندوق القدس ووقفيته المقررة لهما والبالغة مائة مليون دولار أمريكي لكل منهما، ويهيب بالدول الأعضاء أن تبادر إلى تسديد مساهماتها، ثم عبر المؤتمر مرة أخرى، من عميق تقديره لخادم الحرمين الشريفين وحكومة المملكة العربية السعودية لدعمهما المستمر لصندوق القدس. (٣٦)

إن المؤتمر السابع دورة (الإخاء والانبعاث) جاءت في ظروف سياسية مختلفة جداً عن الظروف التي مرت بها المؤتمرات السابقة، خاصة فيما يتعلق بظهور السلطة الوطنية الفلسطينية على أرض فلسطين، فهو واقع سياسي جديد لم تشهده المنطقة من قبل، وكان من المفترض أن تكون السلطة الفلسطينية الجديدة، راعية لكل الأحداث والتطورات على أرض فلسطين، خاصة فيما يتعلق بها بقضية القدس الشريف، لهذا تستطيع القول، أن المؤتمر السابع، حاول من خلال قراراته التي خرج بها، أن يؤكد من جديد على عروبة قضية القدس وإسلاميتها، وذلك في مواجهة الحملة الصهيونية الممنهجة على المدينة في هذه المرحلة، لتهويدها وإبعادها عن محيطها العربي والإسلامي، وذلك في مواجهة الواقع الفلسطيني السياسي الجديد، فقد حاول المؤتمر وفي معظم قراراته التأكيد على دعم منظمة التحرير الفلسطينية واعتبارها ممثلاً

وحيداً وشرعياً للشعب الفلسطيني، وأنه يجب أن تخضع لهذه المنظمة كل الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها مدينة القدس، كما جاءت قرارات المؤتمر السابع لتواكب التطورات السياسية الأخرى بخصوص مدينة القدس، والمتمثلة في محاولة إسرائيل، فرض واقع على هذه المدينة باعتبارها مدينة موحدة وعاصمة لدول إسرائيل الأبدية، ومطالبة إسرائيل دول العالم بنقل ممثلياتهم الدبلوماسية للمدينة، وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية؛ لهذا أكد المؤتمر، على رفض التدابير والإجراءات التشريعية والإدارية والاستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانوني للمدينة المقدسة، وطالب دول العالم جميعاً رفض هذا الأمر وعدم نقل سفاراتهم إلى مدينة القدس.

غير أنه من الواضح أن قرارات المؤتمر السابع جاءت على نقطة بالغة الأهمية بخصوص قضية القدس، وهي صندوق القدس، وظهر مدى إلحاح قرارات المؤتمر على الدول الأعضاء لتسديد ما عليهم من مستلزمات مالية للصندوق، وهذا يظهر فيما لا يدع مجالاً للشك، أن صندوق القدس، والذي أنشىء على يد منظمة المؤتمر الإسلامي، لدعم قضية القدس، كان فارغاً من أية أموال، وهي مقدرة بمائة مليون دولار أمريكي، وهذه نقطة حساسة جداً، بالنسبة للقضية، بمعنى أنه إذا كان الدعم المالي من هذه المنظمة غير متوفر فمن باب أولى أن الدعم السياسي والعسكري سيكون مفقوداً وخاصة الدعم إلى الجهاد المقدس، تلك الفكرة التي ظلت حبراً على ورق طوال السنوات السابقة وما زالت، وهذا يعطينا دلالة واضحة على مدى عجز هذه المنظمة عن تقديم أي دعم معنوي أو مادي لقضية القدس، وبالطبع ينطبق هذا على القضية الفلسطينية عامة.

عقدت القمة الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، في مدينة طهران بإيران (دورة عزه وحوار ومشاركة) خلال الفترة من ٩- ١١ شعبان ١٤١٨هـالموافق ٩-١١ ديسمبر/ كانون الثانى ١٩٩٧.

وبعد الاطلاع على تقرير الأمين العام حول مدينة القدس الشريف، خرج المؤتمرون بالقرارات الآتية:

-التأكيد على أن قضية القدس الشريف تشكل جوهر قضية فلسطين التي هي جوهر النزاع العربي الإسرائيلي، وأن السلام الشامل، والعادل لن يتحقق إلا بعودة مدينة القدس الشريف إلى السيادة الفلسطينية، باعتبارها عاصمة لدولة فلسطين، وتستذكر قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، ذات الصلة، وخاصة القرارات (٤٦٥، ٤٧٦، ٤٧٨) والمتعلقة بمدينة القدس.

-التأكيد على قرار الدورة الاستثنائية الطارئة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ٢/ ١٠الصادر بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٧٤، ورقم د أ ط ١٠/ ٣/ الصادر بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٩٩٧، بخصوص الأعمال الإسرائيلية غير الشرعية في القدسوباقي الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويعرب المؤتمر عن قلقة العميق لتصاعد الاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة في مدينة القدس الشريف والمدن الفلسطينية الأخرى وتدنيسها وحرقها، ويؤكد المؤتمر، على جميع قرارات مجلس الأمن الدولي بشأن مدينة القدس بما في ذلك القرار رقم ٦٨١، الذي نص على انطباق جميع أحكام اتفاقية جينيف الرابعة لعام ١٩٤٩، المتعلقة بحماية المدنيين زمن الحرب، ويندد المؤتمر بشدة بكل الإجراءات والممارسات الإسرائيلية غير الشرعية والمخالفة للقرارات والقوانين الدولية التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلية في مدينة القدس والراهنة لتهويد المدينة المقدسة وطمس معالمها العربية والإسلامية، كما أشاد المؤتمر بالجهود المستمرة للدول الإسلامية الأعضاء كافة في الدفاع عن حرمة المقدسات الإسلامية في مدينة القدس والمحافظة على هويتها الإسلامية، وأشاد أيضاً بالجهود المتواصلة التي تبذلها لجنة القدس برئاسة الملك الحسن الثاني، وأشاد بإسهام جلالة الملك الحسين ملك الأردن في إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة، وأكد المؤتمر من جديد على تطبيق القرارات الصادرة عن المؤتمرات الإسلامية المتعلقة بالموضوع، والقرارات الصادرة عن لجنة القدس في دورتها السابقة، وأكد أن السلام لن يحل في المنطقة ما لم تنسحب إسرائيل من جميع الأراضي الفلسطينية وفي مقدمتها مدينة القدس الشريف، ودعا إلى بذل لوقف الممارسات الصهيونية كلها داخل مدينة القدس الشريف والهادفة إلى تغيير معالمها الإسلامية والعربية، ودعا جميع دول العالم وعلى رأسهم أمريكيا وروسيا، بعدم التعامل مع سلطات الاحتلال بأية صورة من الصور في سبيل فرض أمر واقع على مدينة القدس بإعلانها عاصمة لدولة إسرائيل، والامتناع عن أي عمل أو إجراء قد يكون من شأنه المساس بنتيجة مفاوضات الوضع النهائي للمدينة. والالتزام بالقرارات الدولية المتصلة، ورفع الحصار عن المدينة وضمان حرية العبادة فيها والتوقف عن هدم المنازل وسحب الهويات، وتفريغ مدينة القدس من مواطنيها، وأكد مجدداً على أن التدابير والإجراءات التي تقوم بها إسرائيل باطلة ومخالفة للشرائع الدولية، خاصة فيما يتعلق بها بإنشاء مستوطنات جديدة في المدينة، وتنفيذ قرار ٣/ ١٠الصادر بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٩٩٧، والخاص بوقف العمل في المستوطنة اليهودية في جبل أبو غنيم وكل نشاط استيطاني آخر. كما يدين المؤتمر، قرارات المحكمة العليا الإسرائيلية، بشأن مدينة القدس، وخاصة القرار الصادر في ٢٥/ ٧/ ١٩٩٦ بشأن السماح لليهود بالصلاة في ساحة المسجد

الأقصى، والقرار الصادر في ٢٣/ ٩/ ١٩٩٣م والذي يعتبر المسجد الأقصى جزءاً من مساحة دولة إسرائيل ويعتبر ذلك أعمالاً استفزازية. (٣٧) كما أدان المؤتمر إجراءات إسرائيل الخاصة بإصدار أوامر بإغلاق المؤسسات الفلسطينية في القدس الشريف، ومنعها من ممارسة أعمالها بحرية على أساس أن هذه الإجراءات تعتبر انتهاكا فاضحاً للمعاهدات والمواثيق الدولية خاصة اتفاقية جنيف الرابعه لعام ١٩٤٩، ونقضاً للمبادئ والأسس التي قامت عليها عملية السلام. (٣٨)

ومتى احترمت إسرائيل المعاهدات؟ والمواثيق الدولية، ومتى لم تنقض إسرائيل المبادئ والأسس التي قامت عليها عملية السلام، وأية عملية سلام يتحدث عنها المؤتمر؟

ثم عاد المؤتمر السابع ليؤكد على التزام كل الدول بقرار مجلس الأمن ١٧٨/ ١٩٨٠، والذي يدعو إلى عدم نقل الدول بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس، وسجل تقديره إلى كل الدول التي التزمت بهذا القرار.

كما أدان المؤتمر القرار الصادر عن مجلس النواب الأمريكي والقاضي بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لدولة إسرائيل ونقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى مدينة القدس، واعتبر ذلك قراراً استفزازياً خطيراً لمشاعر المسلمين وجميع المؤمنين في العالم، وانتهاكاً صارخاً لمبادئ الشرعية الدولية.

ثم عاد من جديد ليشيد بجهود لجنة القدس برئاسة الملك الحسن الثاني، ويبدو أن هذا القرار أصبح من أكثر القرارات تكراراً في المؤتمرات الإسلامية على الرغم من أن لجنة القدس برئاسة الملك الحسن الثاني لم تقدم الشيء الكثير لمدينة القدس، فهي مجرد لجنة مع وقف التنفيذ تجتمع وتنهي اجتماعاتها بمجموعة من القرارات الوهمية الإنشائية التي لا يطبق منها أي قرار على أرض الواقع، ويبدو أن الحرص على شكل هذه اللجنة ورئيسها في المؤتمرات الإسلامية المتعاقبة يأتي على سبيل المجاملة فقط لا غير.

ثم عاد المؤتمر، وأكد على ما جاء في مؤتمرات سابقة، بالمطالبة من المنظمات الدولية والإقليمية، من أجل تنفيذ القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة الخاصة بمدينة القدس، ودعا هذه المنظمات كلها والفاتيكان والكنائس الشرقية، للمشاركة في العمل على مقاومة تهويد مدينة القدس الشريف.

وفي النهاية المتكررة دائماً، أكد المؤتمر مجدداً على قرارات المؤتمرات الإسلامية السابقة، التي تؤكد على دعم مدينة القدس وتعزيز صمودها، والدعوة إلى تقديم الدعم المالي لبيت مال القدس الشريف وصندوق القدس، ومتابعة ذلك من قبل الأمين العام. (٣٩)

تحدث المؤتمر، عن صندوق القدس ووقفيته، وأشاد بالدول الأعضاء، التي تحافظ على الوفاء بالتزاماتها وتبرعاتها لدعم صندوق القدس، مقدراً أهمية الدور الحيوي الذي يقوم به الصندوق في دعم صمود الشعب الفلسطيني ونضاله، وأعاد شكره وتقديره لخادم الحرمين الشريفين لدعمه المستمر للصندوق، مؤكداً في النهاية على مبدأ تعزيز التضامن الإسلامي مع شعب فلسطين ونضاله العادل. (٤٠)

اما عن القمة التاسعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي (دورة السلام والتنمية" انتفاضة الأقصى") التي انعقدت في دولة قطر يومي ١٦ – ١٧ شعبان ١٤٢١هـ، الموافق ١٢ – ١٣/ نوفمبر ٢٠٠٠م، فقد أعاد المؤتمر التأكيد على أن قضية القدس الشريف، تشكل جوهر قضية فلسطين التي هي جوهر النزاع العربي الإسرائيلي، وأن السلام الشامل والعادل لن يتحقق إلا بعودة مدينة القدس الشريف والمدن الفلسطينية الأخرى وعدم تدنيس الأماكن المقدسة، وأكد من جديد على جميع قرارات مجلس ا لأمن الدولي بشأن القدس، وندد بشدة بالزيارة الاستفزازية التي قام بها شارون للحرم القدسي الشريف في الثامن والعشرين من "/ ايلول سبتمبر/ ٢٠٠٠، بتخطيط الحكومة الإسرائيلية وحمايتها، تلك الزيارة التي شكلت بداية المجازر الدامية التي ارتكبتها إسرائيل ضد المصلين المسلمين في المسجد الأقصى المبارك، كذلك ندد بكل الإجراءات غير القانونية التي قامت بها إسرائيل داخل المدينة، وكرر شكره للجنة القدس، ولجهود الدول الأعضاء في الدفاع عن حرمة المقدسات الإسلامية في المدينة، وأشاد بجهود المملكة الأردنية الهاشمية والمغربية والسعودية في إعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وأكد على دعم موقف دولة فلسطين، بالتمسك بالسيادة على القدس الشريف بما فيها الحرم القدسي الشريف وجميع الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية، كماأكد من جديد على كون مدينة القدس عاصمة لدولة فلسطين المستقلة، وأكد كذلك على بطلان جميع الإجراءات والممارسات الاستيطانية الاحتلالية في المدينة، وطالب مجلس الأمن بإحياء اللجنة الدولية للإشراف والرقابة لمنع الاستيطان في القدس والأراضي العربية المحتلة طبقاً للقرار ٤٤٦، وكذلك على الالتزام بعدم نقل الدول سفاراتها إلى مدينة القدس، ودعا إلى تجنب التعامل مع سلطات الاحتلال تعاملاً يمكن أن يفسر بأنه اعتراف ضمني بالأمر الواقع الذي تفرضه إسرائيل على مدينة القدس، ورفض القرار الصادر عن الكونجرس الأمريكي القاضي بالاعتراف بالقدس عاصمة لدولة إسرائيل، وتوجه بالشكر للدول الأعضاء في لجنة القدس التي بادرت بتقديم تبرعاتها التي تسهم في تنفيذ العديد من المشاريع السكانية والتعليمية في المدينة، وأكد على مواصلة العمل والتنسيق مع المنظمات الدولية والإقليمية من

أجل تنفيذ القرارات الدولية بخصوص وضع مدينة القدس، كما رحب المؤتمر بالاتفاق الموقع بين منظمة التحرير الفلسطينة والفاتيكان بتاريخ ١٥/ فبراير/ ٢٠٠٠، وهو الاتفاق، الذي يرفض أية قرارات أو أعمال أحادية الجانب كتغيير الطابع المميز للقدس ووضعها القانوني للحفاظ على مدينة القدس وطابعها الديني والتاريخي والحضاري والثقافي، وأنهى المؤتمر قراراته، بالتأكيد على دعم سكان مدينة القدس مادياً ومعنوياً، ومتابعة الأمين العام لتنفيذ هذه القرارات. (٤١)

من الملاحظ أن هذا المؤتمر انعقد في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية صعبة على المستوى الفلسطيني، فقد جاء في بدايات انتفاضة الأقصى، التي قامت لدعم قضية القدس والدفاع عنها مقابل الغطرسة والانتهاكات الإسرائيلية على المدينة والتي كان آخرها الزيارة التي قام بها شارون لساحة المسجد الأقصى، والتي على أثرها اندلعت، انتفاضة الأقصى التي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، لهذا كان من المفترض أن تأتي قرارات المؤتمر على مستوى هذه الأحداث، ولكن لو قمنا بالنظر إلى قرارات هذا المؤتمر، لوجدنا أنها لم تأت بأي جديد على الواقع العملي، فقرارات مكرره لما سبق من قرارات في المؤتمرات السابقه، فقد توالت عبارات الشجب والاستنكار والاستعطاف، لما تقوم به إسرائيل من إجراءات ضد هذه المدينة وضد الشعب الفلسطيني، وتحمل الشعب الفلسطيني وحده عبء مقاومة تلك الإجراءات ومازال، واقتصرت قرارات المؤتمر، على إعادة التأكيد على عروبة، المدينة وإسلاميتها والمطالبة بتطبيق القرارات الدولية بشأنها، واستمرار الدعم المالي لصندوق القدس، بل إن الدعم المالي لهذا الصندوق توقف في هذه المرحلة، وظل الشعب الفلسطيني في الميدان وحيداً، واستمرت إسرائيل بإجراءاتها التهويدية للمدينة، ولم تهتم كثيراً بقرارات القمم الإسلامية.

يبدو أن خزائن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي قد فرغت ولم تستطع دفع ما عليها من التزامات تجاه هذا الصندوق، ولذلك لجأت إلى تنظيم التبرعات لسد هذه الالتزامات.

ثم دعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى دعم وكالة بيت مال القدس الشريف، وتسهيل دورها في جميع المجالات، لحشد جميع الإمكانات وتوظيف الطاقات المالية كلها، في انجاز مشاريع جديدة في مدينة القدس الشريف، كما دعا المؤسسات العامة والخاصة جميعا، للقيام بواجبها تجاه دعم وكالة بيت مال القدس وتقديم جميع المساعدات اللازمة لتحقيق أهدافها. (٤٢)

كانت دولة قطر مقراً للمرة الثانية، لانعقاد المؤتمر الإسلامي على مستوى القمة، في دورة طارئه وقد انعقد المؤتمر فى ٢ محرم ١٤٢٤هـ الموافق ٥ اذار مارس / ٢٠٠٣م، وجاء هذا

المؤتمر تلبية للأحداث التي بدأ يمر بها العالم العربي، خاصة الأحداث في دولة العراق، بناء على دعوة من صاحب السمو الأمير الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر، ورئيس القمة الإسلامية التاسعة، تدارس المؤتمر الحالة العامة في ضوء توتر الأوضاع وتلاحقها والتحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية، والتهديدات باحتمال شن هجوم عسكري على العراق، والظروف التي كانت تمر بها القضية الفلسطينية.

وعلى الرغم من أن القضية الفلسطينيةوقضية القدس، جاءت في المرتبة الثانية في هذا المؤتمر، بعد قضية العراق، فإن المؤتمر ناقش أيضاً القضيتين وخرج بالعديد من القرارات بشأنهما.

أما فيما يتعلق بقضية القدس في هذا المؤتمر، وبعد طرح رؤية القادة للقضية الفلسطينية في هذه المرحلة، واستنكارهم للأوضاع البالغة الخطورة التي تسود الأراضي الفلسطينية والمقدسات الإسلامية والمسيحية، منذ ثلاث سنوات متتالية، اكد المؤتمر على أنالعدوان الإسرائيلي الغاشم المدبر والمقصود جاء في إطار السياسة الإسرائيلية المستمرة الرامية إلى فرض الأمر الواقع بتهويد مدينة القدس الشريف، وتقويض جميع الجهود الإقليمية والدولية الهادفة إلى وقف العدوان واستئناف العملية السلمية، وأكد القادة على الموقف الإسلامي من قضية القدس وأهميتها للعالم الإسلامي، خاصة الموقف الذي يؤكد على دعم موقف دولة فلسطين الذي يستند إلى التمسك بالسيادة على مدينة القدس الشرقية باعتبارها عاصمة لدولة فلسطين المستقلة. (٤٣)

نلاحظأن قضية القدس، في المؤتمر الطارئ الذي عقد في قطر، لم تأخذ نصيبها كما كان في المؤتمرات السابقة، وذلك، في اعتقادي، عائد إلى أن قضية العراق في هذه المرحلة فرضت نفسها على تطور الأحداث في المنطقة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لوحظ أن ما جاء بخصوص مدينة القدس في هذه القمة يختلف نوعاً ما عن القمم السابقة، فهنا يدعو قرار القمة إلى دعم موقف دولة فلسطين للتمسك بالسيادة على مدينة القدس الشرقية، فالمؤتمر هنا خصص العاصمة لدولة فلسطين وحددها بالقسم الشرقي فقط وهو ما لم يذكر في المؤتمرات السابقة التي كانت تتحدث عن مدينة القدس بالكامل ولم تذكر قدساً شرقية أو غربية، وهذا في اعتقادي يعتبر تراجعاً كبيراً في موقف المنظمة من المدينة، وهذا التراجع نابع أيضاً من التراجع العربي والفلسطيني في هذه المرحلة تجاه مدينة القدس.

لم يتأخر المؤتمر العاشر لقمة المؤتمر الإسلامي كثيراً، فقد انعقد ذلك المؤتمر، في دولة ماليزيا وعاصمتها " بوتراجايا" في الفترة ١١ – ١٨ أكتوبر/ تشرين الأول٢٠٠٣ وكان من أهم ما

جاء فيه بخصوص مدينة القدس الشريف الآتي :

يؤكد رؤساء الدول والحكومات باعتبارهم قادة الأمة الإسلامية، على أن قضية القدس الشريف وفلسطين تحتل بؤرة اهتمام الأمة جمعاء، ويشددون على أن الحرم الشريف باعتباره أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، والذي بارك الله حوله، سوف يظل اسلامياً إلى أبد الآبدين، مؤكدين ضرورة إخضاع القدس الشريف وأماكنه المقدسة للسيادة الفلسطينية، مع تمكين جميع المؤمنين من أبناء الديانات السماوية الثلاث من ممارسة حرية العبادة الحقة وإقرار المصالحة الفعلية وإحلال السلام الدائم في منطقة الشرق الأوسط.

ويدين رؤساء الدول و الحكومات بشدة جميع محاولات إسرائيل الاحتلالية لتهويد القدس الشريف، وتغيير الصبغة والطابع العربيين والتركيبة السكانية لهذه المدينة، مع الإشارة في هذا الصدد إلى كل القرارات العديدة المتصلة بالموضوع والصادرة عن مجلس الأمن بشأن جميع التدابير غير المشروعة التي أتت عليها إسرائيل، بما فيها التدابير والأعمال الرامية إلى تغيير هذه المدينة وطابعها وتركيبتها السكانية والتي تعتبر باطلة ولاغية، ويدعون إلى التنفيذ الكامل لتلك القرارات، ويؤكدون مجدداً تضامنهم مع أبناء الشعب الفلسطيني والمؤسسات المقدسة في صمودهم الراسخ، ويؤكدون عزمهم على تزويدهم بالدعم اللازم للمزيد من الصمود، وينوهون مجدداً بالعمل القيم الذي تنهض به لجنة القدس، ويعربون عن بالغ تقديرهم لرئيسها. (٤٤)

وتعليقاً على هذا المؤتمر وما جاء فيه من قرارات خاصة بمدينة القدس، أن مدينة القدس في المؤتمر الطارئ، الذي عقد في دولة قطر والمؤتمر العاشر الذي عقد في ماليزيا، لم تأخذ حيزاً من الاهتمام تستحقه، وقد سبق التعليق على قرارات المؤتمر الطارئ أما فيما يتعلق بقرارات المؤتمر العاشر بخصوص القدس، فقد جاءت باهتة و ضعيفة على الرغم مماكانت تمر به هذه المدينة من مصاعب وتهديدات إسرائيلية فاقت ما كانت تمر به هذه المدينة منذ احتلال الكيان الصهيوني لها عام ١٩٦٧م وهذا في اعتقادي يعود إلى تراخي المجتمع الإسلامي للنظر إلى القضية الفلسطينية بعامة ولقضية القدس بخاصة، هذا التراخي نابع من الموقف العربي والفلسطيني من القضية، والذي بدأ يتراجع بشكل ملحوظ تجاه قضية القدس، والقبول بتقسيمها إلى منطقتين شرقية وغربية، أو حتى القبول فلسطينياً(السلطة الفلسطينية) بإقامة عاصمة دولة فلسطين على أجزاء صغيرة من القدس مثل أبو ديس مثلاً كحل مرحلي كما جاء في إتفاق أوسلو (غزةأريحا) أولاً بالنسبة للقضية الفلسطينية كلها.

خاتمة:

يمكن الوصول فى نهاية هذه الدراسه إلى نتائج هامة جداً، يأتي على رأسها أن قرارات القمم الإسلامية الخاصة بمدينة القدس، منذ عام ١٩٦٩٢٠٠٣ ظلت حبراً على ورق، ولم يطبق منها على أرض الواقع أي قرار فعلي، خاصة ذلك القرار الهام جداً والذي في اعتقادي لو تم العمل به فعلياً لتغير واقع مدينة القدس والقضية الفلسطينية كلها ألا وهو إعلان الجهاد المقدس.

- معظم قرارات القمة الإسلامية، جاءت في مضمونها وعنوانها متطابقة ومتقاربة لبعضها البعض بل يمكن القول، أن قرارات بعض المؤتمرات، أعيدت صياغتها فقط حتى لا تتهم القمة بتكرار ما جاء في القمة السابقة، خاصة فيما يتعلق بمدينة القدس.
- على الرغم من السياسية الإسرائيلية تجاه هذه المدينة، منذ احتلالها، وهي السياسة القائمة على التهديد وتغيير معالم المدينة، وهي سياسة محكمة وممنهجة ومطبقة فعلياً وفي كل المجالات، نجد أن قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي على مستوى القمة، ظلت عاجزة عن مواجهة هذه ا لسياسة، بل أكثر من ذلك، لم تعمل على الإطلاق لا على المستوى الإقليمي ولا الدولي، لمواجهة هذه السياسة، إلا بمجرد الاستنكار والشجب والاستعطاف فقط.
- في الحقيقة إن الدول الإسلامية التي كانت تنظر إلى قضية القدس نظرة دينية فقط لم ترتق إلى المستوى السياسي أو العسكري، فهي مجرد قضية دينية بحتة من الممكن التعاطف معها على هذا المستوى فقط، أما العمل السياسي فظل بعيداً عن تطلعات الدول الإسلامية.

وفي النهاية، أستطيع القول: إن المؤتمرات الإسلامية، وكذلك المؤتمرات العربية، أساءت لقضية القدس دينياً وسياسياً واجتماعياً، فكل ما جاء في هذه المؤتمرات، كان مجرد تطلعات تفتقر إلى العزيمة و تفتقر إلى الإرادة الإسلامية الحقة في تحرير هذه المدينة، وتركوا جميعهم هذه المهمة تقع على عاتق الشعب الفلسطيني، وأنا أؤكد إن شاء الله أن المدينة ستعود يوماً ما للحظيرة العربية الإسلامية، بجهود كل المخلصين وبجهود كل المجاهدين، وبجهود كل الغيورين على هذه المدينة المقدسة، أولى القبلتين وثالث المسجدين الشريفين.

المراجع:

أولاً الوثائق:

١ . وثائق منظمة المؤتمر الإسلامي الهيئة العامة للإستعلامات، ط الأولى، ١٩٨٤ .

٢ . قرارات مؤتمرات القمة الإسلامية، منظمة المؤتمر الإسلامي١٩٦٩ - ٢٠٠٣ .

٣ . قرارات قمة وزراء الخارجية الإسلاميةمنظمة المؤتمر الإسلامي١٩٦٩ - ١٩٨٢ .

ثانياً:

١ . أبو عليهالقدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، ط الأولى، ٢٠٠٠ .

٢ . الحبيب الشطي، إنشاء المنظمة ودواعيها التاريخية، بدون مكان نشر، ١٩٨٧ .

٣ . عبد الله الأحس، منظمة المؤتمر الإسلامى، دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية، ترجمة عبد العزيز إبراهيم الفايز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦ .

٤ . بدون مؤلف، فلسطين والمؤتمر الإسلامي، حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح التعبئة والتنظيم، بدون مكان نشر، يونيو/ ١٩٨٢ .

ثالثاً:الدوريات

١ . مجلة، السياسة الدوليةالأعداد، ٨٧ .

٢ . مجلة صامد الاقتصادي، الأعداد١١٣ - ١٢٨ .

٣ . مجلة شؤون فلسطينية، الأعداد٢٥، ١٠٨، ١٦٨، ١٦٩ .

الصحف:

١ . صحيفة المساءالقاهرة، ١٩٦٩ .

٢ . صحيفة الأهرام، القاهرة، ١٩٦٩ .

الهوامش:

١ . مصطفى عبد التواب، البعد الإسلامي للقضية الفلسطينية، صامد الاقتصادي، العدد ١٢٧، السنة ٢٤، مارس ٢٠٠٢، ص ١٧٥ .
٢ . أحمد يوسف القرعي، دبلوماسية القمة الإسلامية وتحديات العمل المشترك، السياسة الدولية، العدد، ٨٧ يناير، ١٩٨٧، ص ١٣٦ .
٣ . عبد الله الأحس، منظمة المؤتمر الإسلامي، دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية، ترجمة عبد العزيز إبراهيم الفايز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦، ص ٣٧ .
٤ . عادل حسن غنيمالمؤتمر الإسلامي للعام ١٩٣١، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٢٥، سبتمبر مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٣ ص ١١٩ .
٥ . محمد حسن عبد الحافظالقدس ومنظمة المؤتمر الإسلامي، صامد الإقتصادى، العدد ١١٣، ص ٣١٧ .
٦ . عبد الأحس، مرجع سابق، ص ٤٥ .
٧ . مصطفى عبد التواب، مرجع سابق، ص ١٧٣ .
٨ . الهيئة العامة للاستعلامات، معلومات أساسية، وثائق منظمة المؤتمر الإسلامي، ط الأولى ١٩٨٤، ص٥ .
٩ . بدون مؤلف، فلسطين ومنظمة المؤتمر الإسلامي، حركة الحرير الوطني الفلسطيني، فتح التعبئة والتنظيم، الدراسات، بدون مكان نشر، حزيران / يوينو/ ١٩٨٢، ص ٤ .
١٠ . عبد الأحس، مرجع سابق، ص ٥٠، وانظر، صحيفة المساء (القاهرة) ٢٢/ ٨/ ١٩٦٩ .
١١ . جلنار النمس، القضية الفلسطينية والمؤتمرات الإسلامية، ١٩٦٩١٩٧٩، شؤون فلسطينية، العدد ١٠٨، ١٩٨٠، ص ٤٩، ٥٠ .
١٢ . فلسطين ومنظمة المؤتمر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤ .
١٣ . قرارات مؤتمر القمة الإسلامي ووزراء الخارجية (١٩٦٩١٩٨٢)، الأمانة العامة ص، ٢٠ .
١٤ . المرجع نفسة، ص ١٨٢ .
١٥ . صحيفة الأهرام، ٢٢/ ٩/ ١٩٦٩ .
١٦ . المرجع نفسه، صحيفة الأهرام القاهرية .
١٧ . قرارات مؤتمر الإسلامي ووزراء الخارجية، مرجع سابق، ص ٥ – ٦ .
١٨ . المرجع نفسه، ص، ١٠ .
١٩ . فلسطين ومنظمة المؤتمر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٣ – ٢٧ .
٢٠ . أبو عليهالقدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، الطبعة ١ / ٢٠٠٠، صى ١٧٢ .
٢١ . مجلة السياسة الدولية، القمة الإسلامية الخاصة، المسؤولية العربية.العدد، ٨٧، ١٩٨٧، ص ١٧٧ .
٢٢ . الحبيب الشطي، إنشاء المنظمة ودواعيها التاريخية، بدون مكان نشر، ١٩٨٧، ص، ٥٢ .
٢٣ . أحمد شاهينمؤتمر القمة الإسلامي الخامس، مجلة شؤون فلسطينية، العدوان، ١٦٨، ١٦٩ آذار، مارس، ١٩٨٧، ص ٨٠ .
٢٤ . فلسطين ومنظمة المؤتمر الإسلامي، مصدر سابق، ص ٢٦/ ٢٧ .

٢٥. المرجع نفسه، ص ٢٨.
٢٦. قرارات مؤتمر القمة الإسلامية الخامس، المنعقد في الكويت من ٢٦٢٩ جماد الأول ١٤٠٧، ٢٦ - ٢٩ يناير، ١٩٨٧.
٢٧. الشطي، مرجع سابق، ص ٥٧، وانظر الأحس، مرجع سابق، ص ٧٣.
٢٨. مؤتمرات القمة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٥٠.
٢٩. الأحس، مرجع سابق، ص ٧٤.
٣٠. منظمة المؤتمر الإسلامي قرار مؤتمر القمة الإسلامي الخامس، المنعقد في الكويت من ٢٦ - ٢٩ جماد الأول ١٤٠٧، الموافق ٢٦-٢٩ يناير ١٩٨٧. مرجع سابق.
·نص القرار على عقد اجتماع للأطراف المتعاقدة السامية في اتفاقية جنيف الرابعة، لمناقشة التدابير الواجب اتخاذها لحماية الشعب الفلسطيني طبقاً للاتفاقيات الدولية، وتمكينه من ممارسة حقه في تقريره مصيره.
٣١. منظمة المؤتمر الإسلامي، مؤتمر القمة الإسلامي السادس(دوره القدس الشريف والوئام والوحدة) ذاكار النغال، ٣ - ٥ جماد الثاني - ١٤١٢هـ -٩ -١١ ديسمبر / ١٩٩١.
٣٢. المرجع السابق.
٣٣. منظمة المؤتمر الإسلامي، مؤتمر القمة الإسلامي السابع (دوره الإخاء والانبعاث) المنعقد في الدار البيضاءالمغربفي الفترة من ١١ - ١٣ رجب ١٤١٥هـ الموافق ١٣ - ١٥ ديسمبر ١٩٩٤م.
٣٤. المرجع نفسه.
٣٥. المرجع نفسه.
٣٦. المرجع نفسه.
٣٧. منظمة المؤتمر الإسلامي، مؤتمر القمة الإسلامي الثامن (دوره عزه وحوار ومشاركة) طهران، الفترة ما بين ٩ -١١ شعبان ١٤١٨هـ الموافق، ٩- ١١ ديسمبر، ١٩٩٧.
٣٨. المرجع نفسه.
٣٩. المرجع نفسه.
٤٠. منظمة المؤتمر الإسلاميمؤتمر القمة الإسلاميالتاسع ٦ - ١٧ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٢ -١٣ نوفمبر٢٠٠٠م.
٤١. المرجع نفسه.
٤٢. المرجع نفسه.
٤٣. منظمة المؤتمر الإسلامي، مؤتمر القمة الإسلامي الطارئ المنعقد في دولة قطر في الفترة ٢ محرم ١٤٢٤هـ / الموافق ٥مارس / ٢٠٠٣.
٤٤. منظمة المؤتمر الإسلامي مؤتمر القمة الإسلامي العاشر، المنعقد في دولة ماليزيا، في الفترة ١١- ١٨/ أكتوبر / ٢٠٠٣.

وسائل معالجة ضغط العمل لدى إداريي الجامعات في محافظة الخليل - فلسطين و ومؤشراتها ونتائجها

د. مروان سعيد جلعود*

* دائرة العلوم الإدارية ونظم المعلومات ، كلية العلوم الإدارية
جامعة بوليتكنك فلسطين / الخليل - فلسطين - ص. ب ١٩٨

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين مضيعات الوقت وضغط العمل، و معرفة المؤشرات الدالة عليه ، والآثار والنتائج المترتبة عليه ، والوسائل الممكن استخدامها لمعالجته .

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالصورة المسحية لملاءمته هذه الدراسة، وتمت المعالجة الاحصائية باستخدام برنامج الرزم الاحصائية (spss (باستخراج النسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري واختبار التباين الاحادي ومعامل الارتباط بيرسون .

تكون مجتمع الدراسة من عينة مقصودة شملت (١٣٠) موظف وموظفة من جميع الإداريين العاملين في الجامعات الفلسطينية في محافظة الخليل / فلسطين ، وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة استبانة- أداة لجمع المعلومات- مكونة من أربعة أقسام : القسم الأول مكون من ثماني مضيعات للوقت قد تؤدي للضغط ، وقد أتبعت كل منها بسلم استجابة مكون من أربع فئات (يؤثر بشدة، يؤثر، قليل التأثير، لا يؤثر) . والقسم الثاني مكون من تسع وسائل لمعالجة الضغط ، والقسم الثالث مكون من ستة مؤشرات على الضغط ، والقسم الرابع مكون من ستة آثار ونتائج لضغط العمل وقد أتبعت كل منها بسلم استجابة مكون من ثلاث فئات (مهم جدا، مهم، وغير مهم) .

وقد أسفرت نتائج الدراسة عما يأتي :

١- يوجد فروق في مدى تأثير كل من مضيعات الوقت الآتية والمرتبة ترتيبا تنازليا حسب الأهمية : (التردد والتأجيل في إنجاز المهام، وضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة، والافتقار إلى التفويض، وسكرتير غير كفيء و الاجتماعات غير الفعالة، واستخدام الهاتف بشكل غير فعال، وزيارة بدون موعد مسبق، ومغادرة المكتب قبل نهاية الدوام) على ضغط العمل .

٢- يوجد فروق في أهمية استخدام كل من الوسائل الآتيةالمرتبة ترتيبا تنازليا وفقا لمدى الأهمية: (الاختيار لوسيلة الاتصال الفعالة، وإدارة الوقت بشكل فعال، و المعرفة الدقيقة لمهام وإجراءات العمل، وإعطاء الموظف صلاحيات وسلطات كافية للقيام بالمهام، وإتاحة المجال أمام الموظف لإبداء آراءه واقتراحاته أمام المسؤول المباشر، و إيجاد بيئة عمل مناسبة) لمواجهة ضغط العمل.

٣- يوجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من المؤشرات الآتية: (تسويغ الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية غير عقلانية، وعدم تعاون الموظف مع الآخرين،وعدم تقديم المسؤول المباشر للدعم والمساندة) حيث وجد معامل ارتباط موجب بحيث كلما زادت درجة ضغط العمل زادت درجة تأثير هذه المؤشرات لدى إداريي الجامعات في محافظة الخليل والعكس صحيح.

٤- لا توجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من المؤشرات الآتية: (تراكم الأعمال وتكدسها، واتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة، و عدم الدقة في إنجاز العمل).

٥- توجد علاقة بين درجة ضغط العمل وكل من النتائج الآتية: (ترك العمل، وعدم الرضا الوظيفي، وانخفاض الإنتاجية) حيث وجد معامل ارتباط موجب بين درجة ضغط العمل وبين تلك المتغيرات.

٦- لا توجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من النتائج الآتية: (الغياب وعدم المواظبة، وعدم وجود الانتماء والولاء الوظيفي، والتأخر في الحضور إلى العمل) حيث وجد معامل ارتباط سالب بين درجة ضغط العمل وبين تلك المتغيرات.

Abstract

This study aims to explore the relationship between time waste and work stress. Indicators, results, and the methods of handling work stress were also given.

The sample of the study consisted of 130 employees working at the universities administration's in Hebron. The researcher used 8 items questionnaire to determine the influence of the time waste on work stress. Furthermore it includes 21 items to determine the importance of certain indicators, results, and the methods of handling work stress.

The results of the study were as follows:

1. *There are significant differences in work stress due to each item of the following factors: (time wastes and methods of handling work stress).*
2. *There is a positive relationship between work stress and each of the following indicators: irrational defensive situations, uncooperative employees and unsupportive immediate supervisor.*

While there is a negative relationship between work stress and each of the following indicators: work overload, inaccurate decisions and inefficient work.

3. *There is a positive relationship between work stress and each of the following indicators: turnover, job dissatisfaction and low productivity; While there is a negative relationship between work stress and each of the following indicators: absenteeism, loyalty and commitment and failing reach work site on time.*

مقدمة الدراسة:

أصبح الاهتمام بالسلوك الانساني في المؤسسات من أهم عوامل نجاحها، لذا من الضروري الاستجابة لحاجات العاملين ومتطلباتهم وعليهم يتوقف زيادة الكفاءة الانتاجية للمؤسسة وتحسينها. وقد أظهرت العديد من الدراسات أن قبول الافراد لعملهم يولد لديهم مشاعر الرضا وعدم انسجامهم يولد ضغوط العمل والذي يؤدي الى عدم الاتزان النفسي والذي ينعكس بدوره على الاداء، والإنتاجية.

ويعتبر ضغط العمل أحد التحديات المعاصرة التي تواجه العاملين وتؤثر على أعمالهم و أدائهم والذي يتمثل في تراكم الأعمال و تكدسها، وضغط الوقت، وعدم التعاون بين الموظفين أو بين الموظف و رئيسه المباشر، وغيره، لهذا فان إدارة الوقت تعتبر أمرا ضروريا في تحقيق النجاح، وربما كان الوقت من أهم الموارد المتاحة له والتي يجب عليه أن يرشد في استخدامه له ليتمكن من تحقيق الأداء الفعال في ظل التحديات والضغوط الكثيرة التي تحيط بالمنظمات المعاصرة، و مما لا شك فيه أن سوء تنظيم الوقت وسوء إدارته يجعل الإداريين يعانون من ضغط الوقت الذي هو بدوره أحد مصادر الضغوط التي يترتب عليها العديد من الآثار الضارة.

وإيمانا من الباحث بأهمية هذا الموضوع وانعكاسه وتأثيره على عدة جوانب سلوكية، ونفسية، وإدارية تتعلق بالأداء ارتأى دراسته على قطاع الجامعات الفلسطينية نظرا لأهمية الدور الذي تلعبه في دفع عجلة التقدم والازدهار و لحاجتنا الى الاستثمار في العنصر البشري وتحديدا على إداريي تلك الجامعات وستكون هذه الدراسة نقطة الانطلاق الأولى على هذا القطاع في محافظة الخليل.

مشكلة الدراسة والأسئلة المتعلقة بها:

يعاني الكثير من الاداريين في مجتمعنا الفلسطيني من ضغوط العمل والتي تؤثر على كفايتهم في الاداء، ونظرا لأهمية قطاع التعليم العالي فقد كانت هذه المشكلة (العلاقة بين الأداء والضغط) أحد أهم مظاهر الحياة العصرية، ولدراسة هذه المشكلة صيغ عدد من الفرضيات.

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى :

١ . معرفة مدى أهمية الوسائل التي يمكن استخدامها في معالجة ضغط العمل .
٢ . معرفة المؤشرات التي تدل على وجود ضغط العمل .
٣ . معرفة أهم الآثار والنتائج الناجمة عن ضغط العمل .
٤ . معرفة أهم مضيعات الوقت المسببة لضغط العمل .
٥ . إفادة إداريي الجامعات والمهتمين بالأفكار والآراء التي تساعد في التغلب على ضغط العمل .

فرضيات الدراسة:

اعتمد الباحث الفرضيات الآتية وذلك لخدمة أغراض الدراسة :

١ . لا يوجد فروق في مدى تأثير كل من مضيعات الوقت الآتية : (استخدام الهاتف بشكل غير فعال، وزيارة
بدون موعد مسبق، وضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة، و التردد والتأجيل في إنجاز المهام، ومغادرة المكتب قبل نهاية الدوام، وسكرتير غير كفيّ، والافتقار إلى التفويض، و الاجتماعات غير الفعالة) على ضغط العمل .
٢ . لا يوجد أهمية لاستخدام أي من الوسائل الآتية : (إتاحة المجال أمام الموظف لإبداء آرائه واقتراحاته أمام المسئول المباشر، و الاختيار لوسيلة الاتصال الفعالة، وإعطاء الموظف صلاحيات وسلطات كافية للقيام بالمهام، و توفير دورات وبرامج تدريبية للموظفين لمواكبة التطورات ومواجهة الضغط، وإدارة الوقت بشكل فعال، و المعرفة الدقيقة لمهام العمل وإجراءاته، ووجود علاقات اجتماعية جيدة بين الموظفين، وتسهيل إجراءات العمل، و إيجاد بيئة عمل مناسبة) لمواجهة ضغط العمل .
٣ . لا يوجد علاقة بين المؤشرات الآتية : (تراكم الاعمال وتكدسها، و عدم الدقة في إنجاز العمل، واتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة، والقيام بتبرير الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية غير عقلانية، وعدم تعاون الموظف مع الآخرين، وعدم تقديم المسئول المباشر للدعم والمساندة) وبين ضغط العمل .
٤ . لا يوجد علاقة بين الآثار والنتائج الآتية : (الغياب وعدم المواظبة، وزيادة نسبة دوران

العمل، وعدم وجود الانتماء والولاء الوظيفي، وعدم الرضا الوظيفي، والتأخر في الحضور إلى العمل، وانخفاض الإنتاجية) وبين ضغط العمل.

قائمة المصطلحات الإجرائية:

- ضغط العمل : استجابة الفرد لظرف أو حادثة خارجية تمثل المثير لهذا الضغط والتي ينتج عنها بعض ردود الفعل مثل القلق والتوتر العصبي، وتحول دون أدائه لعمله بفعالية.
- التفويض : هو تحويل مسؤولية القيام بمهمة معينة من شخص إلى شخص آخر مع عدم الانتقاص من سلطة المفوض أو مسؤوليته.
- دوران العمل : معدل ترك العامل أو الموظف العمل في المؤسسة خلال فترة من الزمن (Workstress. net)
- المتوسط الحسابي : مجموع الدرجات التي تعطى لكل عبارة مقسوما على عدد العبارات وقد اعطيت كل عبارة مجموعة من الدرجات على النحو الآتي : يؤثر بشدة(٤) يؤثر(٣) قليل التأثير(٢) لا يؤثر(١) فالمتوسط الحسابي من ٣-٤ يعني أن الدرجة عالية.
- الغياب : فشل وجود العاملين في أماكن عملهم في الوقت الذي يجب عليهم الوجود فيه. (Workstress. net).
- مجتمع الدراسة : هو جميع الإداريين في الجامعات في محافظة الخليل (جامعة بوليتكنك فلسطين، وجامعة القدس المفتوحة، وجامعة الخليل)، باستثناء موظفي الخدمات.
- إدارة الوقت : هي الاستخدام الأفضل للوقت بالإمكانيات المتوفرة بطريقة تؤدي إلى تحقيق الأهداف (العصفور، ١٩٩٨، ص١١٨).
- بيئة العمل وظروفه : هي جميع الظروف المادية والمعنوية التي تحيط بالموظف وتؤثر على أدائه وتساعده على القيام بعمله سلبا أو ايجابا وهي متغير مستقل.
- الحوافز : الإمكانات المتاحة التي توفرها البيئة المحيطة بالفرد والتي يمكن الحصول عليها واستخدامها لتحريك دوافعه وبالتالي إشباع رغباته أو حاجاته أو توقعاته سواء أكانت مادية ام كانت معنوية أي المقابل للأداء.

محددات الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على موضوع ضغط العمل وتحديدا مؤشراته ونتائجه ووسائل معالجته في قطاع محدد هو قطاع الإداريين العاملين في الجامعات في محافظة الخليل/ فلسطين

في الفترة الزمنية الواقعة (من شهر أيلول وحتى نهاية كانون الأول من العام ٢٠٠٤ م) وقد تحددت نتائج الدراسة بما وفرته من شروط اختيار العينة وحجمها، والاستبانة المستخدمة أداة لجمع المعلومات من حيث صدقها، وثباتها، وفاعليتها، وما وفره الباحث فيما يتعلق بتطبيق وتحليل أداة جمع المعلومات في الدراسة وتحليلها.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

مفهوم ضغط العمل:

لقد تعددت تعريفات ضغط العمل لتعدد الآراء والأفكار حولها ولكن في البداية يجب أن نتعرف إلى مفهوم الضغط، ومن ثم سنتعرف إلى مفهوم ضغط العمل.

يعود مفهوم الضغط إلى كلمة لاتينية تعني يسحب بشده (حريم، ١٩٩٧، ص٣٧٨)، أما في علم النفس فان الضغط يعني "المطالب التي تجعل الكائن الحي أو الفرد يتكيف ويتعاون لكي يتلاءم مع ما حوله، ويظهرها عن طريق القلق، والإحباط، والصداع، والنزاع... الخ". ويعرف (Silage & Wallace) الضغط بأنه تجارب داخلية تخلق وتولد عن توازن نفسي أو فسيولوجي للفرد، وقد تكون نتيجة لعوامل من البيئة الخارجية. ويعرف(سلاي) الضغوط بأنها "أمراض التكيف" والضغط هو عبارة عن تجارب غير محببة يسعى الفرد إلى منع حدوثها مرة أخرى كما يسعى إلى تناسيها" (العديلي، ١٩٩٣، ص١٣١).

يتبين مما سبق أن الضغط عادة ما يعود إلى العديد من المشكلات النفسية والجسدية التي تجعل الفرد غير قادر على العطاء والإنتاجية خصوصا في مجال العمل. فالضغط هو رد فعل نفسي ناتج عن الفعل المسبب للضغط والذي له القدرة على جعل المسؤول يشعر بالضغط أو الارتباك لعدم قدرته على التكيف مع هذه المتطلبات(المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٠، ص١٠٧).

أما بالنسبة لمفهوم ضغط العمل، فعلى الرغم من شيوع استخدام هذا المصطلح بين الباحثين والكتاب، فإنهم لم يتوصلوا إلى تعريف محدد. فهناك من يرى بأنه " حالة عدم توازن بين المتطلبات البيئية وقدرات المسؤول على الاستجابة لتلك المتطلبات. "(المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٠، ص١٠٧). وأما (Luthans) فيرى بأن ضغط العمل "هو استجابة متكيفة لموقف أو ظرف خارجي ينتج عنه خلل، انحراف جسماني أو/ و نفساني و/ أو سلوكي لأفراد المنظمة" (حريم، ٢٠٠٢، ص٩٩). أما (Hanselye) فقد أشار إلى أن ضغط العمل ليس مجرد توتر عصبي، وليس مجرد قلق، وليس بالضرورة أن يكون ضارا أو سيئا، وإنما قد

يكون له نتائج إيجابية، وليس شيئا يمكن أن تتجنبه، وان غياب التوتر كليا يعني الموت (حريم، ١٩٩٧، ص٣٧٨).

ويود الباحث في هذا البحث أن يتحدد مفهوم ضغط العمل بأنه استجابة الفرد لظرف أو حادثة خارجية تمثل المثير لهذا الضغط والتي ينتج عنها بعض ردود الفعل مثل القلق والتوتر العصبي، وتحول دون أدائه لعمله بنجاح.

العناصر المكونة للضغط:

يمكن تحديد عناصر الضغط بثلاثة عناصر وهي(العديلي، ١٩٩٥، ص٢٤٥):

١. عنصر المثير: يشتمل هذا العنصر على الضغط والمؤثرات الناتجة من مشاعر الضغط وقد تأتي هذه العناصر من البيئة أو من المنظمة أو الأفراد.
٢. عنصر الاستجابة: يتكون هذا العنصر من ردود الفعل الفسيولوجية والنفسية والسلوكية للضغط مثل الإحباط والقلق.
٣. عنصر التفاعل: وهو العنصر الذي يحدث التفاعل الكامل ما بين المثيرات والاستجابات، ويأتي هذا التفاعل من العوامل البيئية والعوامل التنظيمية في العمل و المشاعر الإنسانية وما يترتب عليها من استجابات.

مراحل الضغط:

اقترح العالم سيلاي أن الفرد يمر بثلاث مراحل حينما يتعرض للضغط، كما هو موضح في الشكل (١)، وهذه المراحل هي (حريم، ١٩٩٧، ص٣٧٨):

١. مرحلة الإنذار (المنبه) Alarm reaction:

إن هذه المرحلة هي مرحلة إحساس بالخطر، والتي يكتشف فيها الفرد ما يتعرض له من ضغط فيدرك ما يمكن أن يسببه له من أضرار في المستقبل.

٢. مرحلة المقاومة Resistance: في هذه المرحلة يقوم الفرد بتجميع قدراته ومهاراته لمواجهة الضغط والتغلب عليه.
٣. مرحلة الاستنزاف Exhaustion: مع استمرار الضغط وعدم تمكن الفرد من التغلب عليه يستنزف الفرد طاقاته وقدراته في التكيف والتغلب عليه.

ووجد في بعض الدراسات والأبحاث أن هناك مرحلة رابعة هي:

٤. مرحلة تمكن الضغط: هنا تظهر آثار الضغط بشكل كبير على الفرد سلبيا وإيجابيا (خطاب وآخرون، ٢٠٠١، ص٣٩٢).

النتائج والآثار التنظيمية لضغط العمل:

يتفق الكتاب والباحثون على أن تعرض الأفراد لضغط العمل يمكن أن يتسبب في نشوء نتائج وآثار سلبية وضارة للفرد والمنظمة على السواء. ويصنف الكاتب الآثار المترتبة على الضغط في خمس مجموعات (حريم، ١٩٩٧، ص٣٨٧):

١- سلوكية (Behavioral): مثل الميل للحوادث، والسلوك العدواني، والضحك بعصبية، والانفجار العاطفي.
٢- موضوعية(Subjective): مثل القلق، والعدوانية، والاكتئاب، والإرهاق، والإحباط، وعدم تقدير الذات، والوحدة.
٣- فسيولوجية (Physiological): مثل تزايد نسبة الجلوكوز في الدم، وزيادة ضربات القلب، وزيادة ضغط الدم، وانخفاض درجة حرارة الجسم.
٤- تنظيمية (Organizational): مثل الغياب، ودوران العمل، وانخفاض الإنتاجية، وانخفاض الرضا الوظيفي، وانخفاض التزام الموظف وولائه.
٥- معرفية (Cognitive): مثل عدم القدرة على اتخاذ القرارات السليمة، و ضعف التركيز، والانتباه.

علاج ضغط العمل:

لا حظنا آنفا جود عدد من الآثار والنتائج التي تلحق بالفرد والمنظمة نتيجة لضغط العمل، وهذا زاد من اهتمام الباحثين والكتاب بإيجاد عدد من الاستراتيجيات لتخفيف ضغط العمل وعلاجه، ويمكن تصنيف هذه الاستراتيجيات إلى نوعين (حريم، ١٩٩٧، ص٣٨٩-٣٩٠):

أولا: الاستراتيجيات التنظيمية لعلاج ضغط العمل:

من الوسائل والطرق العامة التي تسعى من خلالها المنظمة لتخفيف ضغط العمل وعلاجه لدى الفرد ما يأتي:

١- توضيح أدوار الأفراد: بحيث يدرك كل فرد مسؤولياته ومهامه وسلطاته، وهذا بدوره يساعد على تجنب التنازع والتضارب في الأدوار.
٢- إعادة النظر في تصميم الأعمال: بحيث يساعد على إثرا ئها، من خلال تحسين جوانب العمل الذاتية مثل توفير مزيد من المسؤولية والاستقلالية.

٣- إعادة تصميم الهيكل التنظيمي : بحيث يكون مؤازرا للأفراد، ويتيح لهم قدرا أكبر من الانفتاح، والاتصالات، والمشاركة، وتحمل المسؤولية من خلال تفويضهم للسلطة.

٤- المؤازرة الاجتماعية : وذلك من خلال توفير علاقات اجتماعية جيدة بين الأفراد، بحيث يشعر الفرد أن كل من حوله في المنظمة يؤازرونه ويقدمون له العون والمساعدة ويشاركونه في مشكلاته، مما يؤدي إلى تخلص الفرد من الشعور بالعزلة والاغتراب.

٥- تخطيط المسارات الوظيفية وتطويرها : بحيث يكون الأفراد على علم ودراية بمسارهم الوظيفي واتجاهاتهم.

٦- تقديم برامج مساعدة للعاملين : وتشتمل على برامح تعليمية وتدريبية وإرشادية لمساعدة الأفراد وإقناعهم بوجوب معالجة ضغط العمل.

٧- التصفية : وتتمثل في إجراء مراجعة دورية للأشخاص ذوي الأعمال التي تسبب ضغطا، وذلك للكشف مسبقا عن أي مؤشرات تدل على وجود مشكلات ومن ثم اتخاذ الإجراءات الوقائية.

٨- الإرشاد : وهدف الإرشاد هنا تحسين صحة الموظف وسلامته عقليا، بحيث يشعر بارتياح تجاه نفسه، وباتجاه الآخرين، وانه قادر على مواجهة متطلبات العمل. ويتم الإرشاد عن طريق أشخاص متخصصين وغير متخصصين.

ثانيا: الاستراتيجيات الفردية لعلاج ضغط العمل:

يستطيع الإنسان تجنب ضغوط العمل والتخفيف منها بطرق عديدة ومن أهمها(حريم، ١٩٩٧، ص٣٩٠-٣٩١):

١. تفويض السلطة Delegation :

إن تفويض السلطة يقلل من عبء العمل الزائد من حيث كميته ونوعيته خاصة إذا كان التفويض جيداً وناجحاً من حيث توقيته وتفويض الأفراد المختصين الذين لديهم المهارات الكافية للقيام بالأعمال التي ستفوض إليهم.

٢. العبادة :

تعتبر العبادة وتلاوة القرآن الكريم والإيمان بالله عز وجل ومراعاة الضمير إحدى الوسائل الوقائية أمام التعرض للقلق والتوتر والعصبية والاكتئاب واللامبالاة وغيرها. وعلى الأقل فان هؤلاء الذين يتمسكون بالدين فإن طريقتهم في التعامل مع الضغط غالبا ما تكون أفضل من غيرهم.

٣ . التنقل والترقية داخل المنظمة :

هي تنظيم عملية التنقل من عمل لآخر أو من وظيفة لأخرى . حيث يشعر الفرد أنه تخلص من عوامل الضغط التي كان يتعرض لها بسبب خصائص الوظيفة الأولى ، وبالمثل فان الترقية داخل المنظمة ربما تسمح للفرد التخلص من الضغط الذي قد تعرض له في الوظيفة السابقة .

ولكن يراعى عند استخدام سياسة التنقل و الترقية أنها وسيلة لمعالجة الضغط الذي يتعرض له بعض العاملين بعناية شديدة للتأكد من أن الأفراد لا يشعرون بأنهم مجبرون على قبول وظائف في مستويات أعلى والتي قد تنطوي على مسؤوليات كبرى تتسبب في إحداث ضغط آخر عليهم .

٤ . التمارين البدنية Exercises :

وتستخدم التمارين البدنية في مواجهة الضغط الحاصل ومعالجته ، وتتمثل في القيام ببعض التمارين الخفيفة ودقائق . للجسم ، والقلب ، والتنفس والحيوية ، والنشاط . وقد تمارس هذه التمارين في المكتب أو في المنزل عند الصباح وهي تمارين خفيفة لا تستغرق أكثر من خمس دقائق . ولكنها تعالج الكثير من آثار الضغط التي قد تنعكس على الفرد ، سواء على الصعيد الصحي أو النفسي .

٥ . الاستشارات :

ويقصد بذلك لجوء المدير الذي يتعرض لبعض الضغوط__ بغض النظر عن طبيعتها__ إلى استشارة من لديهم الخبرة في المجال الذي نتج عنه الضغط . وقد يكون الاستشاري هنا متخصصاً ويعمل في وظيفة استشارية في التنظيم . والغرض من الاستشارة إبداء الرأي والنصيحة أو تقديم التوصيات المناسبة لعلاج بعض الضغوط التي يشكو منها المدير .

٦ . التكييف Adaptation :

ويقصد بها أن يحاول الفرد التكيف مع طبيعة عمله والوقت المتاح له للإنجاز بالقدر المستطاع ، فالمدير لا بد أن يكون دبلوماسيا وسياسيا عند التعامل مع الآخرين في المواقف المختلفة .

٧ . الإجازة قصيرة المدى Short __time off :

يقصد بها التوقف عن العمل لفترة قصيرة كأن يقوم المدير بأخذ إجازة يوما أو يومين ليكون بعيدا عن مكان العمل الذي كان مصدرا للضغط الذي يتعرض له .

تأثير ضغط العمل على الجسم

تتفاوت درجات الضغط التي يواجهها الأفراد، فمنها الخفيفة أو المعتدلة أو الشديدة، ومنها ما هو مؤقت ومنها ما هو دائم، كما أن الناس يتفاوتون في درجة استجاباتهم للضغط تبعا لشخصياتهم وقدراتهم في الاستجابة. وهنا ستتعرف إلى التأثير السلبي لضغط العمل على الجسم، ثم نتعرف إلى أهم الأعراض المرضية لضغط العمل(أحمد ماهر، ٢٠٠٣، ص٣٨٦).

أولا: التأثير السلبي لضغط العمل على الجسم

يرتبط الضغط النفسي والانفعال بالعديد من الوظائف الحيوية ووظائف أعضاء الجسم البشري. ولا يوجد انفعال أو توتر عصبي لا يرافقه نشاط حيوي أو عضوي، فالقلق، والاكتئاب، والخوف، والخجل، كلها حالات من الضغط النفسي والانفعال الذي يؤدي إلى استجابة حيوية وعضوية في الجسم. والجهاز الذي يتحكم في الجوانب الانفعالية والحيوية والعضوية هو المخ الذي يسمى الجهاز الطرفي فهو يعمل على المزاوجة بين الانفعالات من جانب، وبين الوظائف الحيوية من جانب آخر. فالجسم يستجيب مع كل انفعال. فقد خلق الله الإنسان، وخلق له الإمكانات التي تدافع عنه ضد المؤثرات والتغيرات التي تحدث في البيئة من حوله. والانفعال والضغط النفسي هو استجابة لمؤثرات خارجية قد تتعاظم إلى الدرجة التي تهدد حياة الفرد. غير أن الجسم يتهيأ بشكل معين لكي يواجه التوتر والضغط الذي يتعرض له الفرد، والجهاز الطرفي هو الذي يتحكم في كيفية تهيئة الفرد للضغط والانفعالات.

ثانيا: الأعراض المرضية لضغط العمل

يختلف الناس في مدى تأثرهم بضغط العمل، وذلك حسب قوتهم الجسمانية. ويمكن القول بان اضعف جزء في النظام الحيوي أو العضوي بالجسم هو أول جزء يتأثر بضغط العمل. أي أن الأجزاء الضعيفة تكون مقاومتها قليلة، وتكون عرضة للانهيار أو التلف. و من الأعراض المرضية لضغط العمل(أحمد ماهر، ٢٠٠٣، ص٣٨٨):

- (التوتر والعصبية، القلق الدائم، عدم القدرة على الاسترخاء، عدم القدرة على النوم(الأرق)اتجاه سلبي نحو التعاون مع الغير، عدم القدرة على التكيف، عدم الاستقرار العاطفي، ارتفاع ضغط الدم، والشعور العام بالخوف، الصعوبة في التحدث والتعبير، الحزن والكآبة).

بعد أن تعرفنا على موضوع ضغط العمل بمختلف جوانبه، سنتناول مفهوماً آخر وهو إدارة الوقت، حيث تعتبر إدارة الوقت من الاستراتيجيات التي تساعد في التخلص من ضغط العمل.

يقصد بإدارة الوقت " تلك الجهود الخاصة بتنظيم استخدام هذا المورد بطريقة تتسم بالكفاءة والفعالية، وبالأسلوب الذي يمكن من استخدام الوقت في تحقيق الإنجاز الأفضل لأهداف العمل، والكفاءة هنا هي القيام بالأشياء أو الأعمال بالطريقة الصحيحة " (إدريس، ١٩٩٢، ص٢)، وتعني أيضا إدارة الوقت " تنظيم الوقت والتحكم الذكي بتنفيذ مخطط ليكون فاعلا "، وقد عرف هلال إدارة الوقت على أنها "عملية توجيه القدرات الشخصية للأفراد وإعادة صياغتها، لإنجاز العمل المطلوب في ضوء القواعد والنظم المعمول بها".

ويمكن القول إن إدارة الوقت هي إدارة المهام والنشاطات وتنفيذها وفق الأوليات والأهداف المخططة والمحددة مسبقا باستخدام الإمكانيات المادية المتاحة والطاقات البشرية المتوفرة في إطار الوقت الرسمي المحدد للعمل، وإذا أراد المدير تحسين إدارته للوقت، فإن ذلك يفرض عليه ما يأتي (نادر أبو شيخة، ١٩٩١، ص٣٢):

١- الالتزام: إن الإدارة السيئة للوقت تشبه إحدى العادات غير الجيدة التي ينبغي على المدير أن يتخلص منها والتي تستدعي منه تصحيح الوضع تصحيحا سليما.
٢- التحليل: وهذا يتطلب أن تتوفر لدى المدير بيانات توضح طرق قضائه لوقته وتوضح المشكلات الناتجة عن ذلك وأسبابها.
٣- التخطيط: إن الإدارة الفعالة تتطلب التخطيط في كل عمل، وإن كل ساعة يقضيها الإنسان في التخطيط توفر ساعات طويلة عند التنفيذ.
٤- المتابعة وإعادة التحليل: مهما تكن الخطة جيدة فإنها لن تنجح إذا لم يتعرف إلى النتائج والمشكلات، بهدف تعديل الخطة وفقا لذلك.

مضيعات الوقت:

إن ضياع الوقت يعني " قيام الشخص بالعديد من الأنشطة والعمليات والمهام التي تأخذ جزءا كبيرا من وقته دون الحصول على نتائج إيجابية تساهم في تحقيق الأهداف، ويتفاوت هذا الوقت الذي استنفد دون جدوى من بيئة عمل إلى أخرى ومن فرد إلى فرد آخر " (اللوزي، ٢٠٠٢، ص١٨٧).

فمفهوم مضيعات الوقت هو مفهوم ديناميكي يتغير بتغير الزمان، والمكان، والموقف، والشخص، لذلك على الفرد أن يتعرف من خلال عمليات التحليل إلى الأنشطة التي تستنفذ أوقاتا غير ضرورية، أو تعطي عائدا لا يتناسب مع ما أعطي لها من وقت. كما يمكن تعريف مضيعات الوقت بأنها كل ما يمنع الفرد من تحقيق أهدافه بالشكل الفعال.

العوامل التي تؤدي إلى ضياع الوقت:

اطلع الباحث على الكتب والمراجع والدراسات السابقة فيما يتعلق بمضيعات الوقت، وقد أجمعت معظمها على أن أكثر مضيعات الوقت هي كما يأتي (اللوزي، ٢٠٠٢، ص١٨٧):

١. الاجتماعات غير المجدولة:

كل عمل يتطلب عادة عقد العديد من الاجتماعات والمقابلات. والمعروف أن الإعداد للاجتماعات أمر معقد بحيث يستهلك الكثير من الوقت. فهو يحتاج الى وقت للتحضير ولإعداد جدول الأعمال والانتقال إلى الاجتماع ذهابا وإيابا، ومراجعة ما توصل إليه من نتائج. وإن الوقت المستهلك في الاجتماع ليس قاصرا على موظف واحد فقط، وإنما يضاعف بعدد الحاضرين فيه والمعدين له. ومن مصادر توفير الوقت الخاص بالاجتماعات هو التفكير بداية في جدوى الاجتماع والغاية منه.

٢. المكالمات الهاتفية:

يعتبر الهاتف أداة ضرورية للأعمال المعاصرة لتحقيق أهداف معينة للشركة، كما انه يزيل حاجز البعد بين المديرين والأقسام المختلفة للشركة. ولكن يمكن أن يكون أداة لتضييع الوقت إذا استخدم بشكل سيئ. وعليه ليس القصد هنا بأن يكون الهاتف أو لا يكون. بل كيف نجعل منه أداة ناجحة لتسهيل العمل وتحقيق الأهداف.

٣. كثرة الأوراق:

إن الأوراق المتراكمة على درج المكتب تمثل أشخاصا تتحدث، وهذه الأوراق تهدر من الوقت ساعة أو أكثر في البحث فيها، علاوة على التشويش المستمر. وللحد من كثرة الأوراق يمكن تخصيص وقتٍ للتعامل مع العمل الورقي مع مراعاة ألاّ يكون ضمن الوقت المخصص للأعمال ذات الأولوية الأولى، وأيضا يجب عدم التأجيل في النظر في الأوراق لوقت آخر لأنها تتراكم على درج المكتب.

٤. الزوار غير المتوقعين:

عادة ما يواجه الموظف في العمل من يأتي للزيارة لمجرد الشكوى أو قضاء الوقت وتجاذب

أطراف الحديث. وهذا يحدث في الثقافات ذات الروح الجماعية كالمجتمع العربي، وأيضا الكثير من هؤلاء الزوار ممن يرغبون بقضاء حوائجهم أو تسهيل بعض مهامهم أو الرغبة في الوساطة لدى لغير. مثل هذه الزيارات غير المدرجة في جدول الأعمال عادة ما تهدر الكثير من الوقت. وللتقليل من هذه المقاطعات يمكن اتباع عدة إرشادات مثل عدم اتباع سياسة الباب المفتوح بشكل دائم، أو يمكن تخصيص جزء من الوقت للأوليات ووقت آخر محدد يمكن فيه استقبال بعض الزوار، وغيرها من الطرق التي يمكن أن تحد نوعا ما من المقاطعات.

٥. عدم القدرة على قول "لا":

من عاداتنا أن نقول لمن يطلب منا شيئا "نعم" في معظم المواقف، وعادة ما يرجع السبب في ذلك إلى رغبتنا في إسعاد الآخرين أو عدم مضايقتهم. وغالبا ما تنبني هذه الرغبة على إشباع حاجتنا في خلق انطباعات جيدة عنا في أذهان الآخرين. ولكن من المهم وجود الرفض في بعض الأحيان التي يطلب من الموظف فيها بعض المهمات التي يمكن أن تضيع وقته وجهده وتجعله يعمل خارج خطته المجدولة، ومن المهم أيضا أن يكون الرفض بشكل مهذب ولبق.

٦. التأجيل والتسويف:

يعرف التأجيل أو التسويف على أنه تعوّد مسبق على تأجيل الأعمال التي من الواجب أداؤها الآن إلى آجال معلومة أو غير معلومة. وإذا أردنا إيقاف هذه العادة فيجب أن تتم عملية التغيير والإصرار عليها، وذلك عن طريق التمييز بين القرارات المهمة والقرارات التي يمكن تأجيلها، وأيضا التعرف إلى الأسباب التي تستدعي التأجيل، وأخيرا التعرف إلى الاستراتيجيات المناسبة للتغلب على أسباب التأجيل والتسويف.

معوقات إدارة الوقت:

هناك العديد من العوامل التي تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على إدارة الوقت، ومن هذه العوامل ما أورده دركر (Durker): (اللوزي، ١٩٩٩، ص١٨٨)

١. سوء الإدارة وعدم كفاية التنظيم: لأن الإدارة السيئة تؤدي إلى ضعف في إدارة الوقت وبالتالي ضياع وقت العاملين والمدير، ومن مظاهرها تكرار حدوث الأزمات سنة بعد أخرى.
٢. تضخم عدد العاملين: تؤدي زيادة عدد العاملين إلى سوء إدارة الوقت، حيث يجتمع الناس ويتداولون الأحاديث والزيارات، فكثرة العاملين تزيد من الاحتكاك والتفاعل الاجتماعي مما يزيد من فرص ضياع الوقت.
٣. عدم كفاية أنظمة الاتصال والمعلومات: لأنها تشكل حجر الزاوية في عمل المدير، فيضيع

وقت كبير في وصول المعلومات، أو وصول معلومات غير دقيقة، أو تأخر وصولها.

٤. زيادة عدد الاجتماعات عن الحد المعقول: الاجتماعات مكلفة من حيث الجهد والمال والوقت، وعليه يجب عدم دعوة من ليس له علاقة بالاجتماع وأن على المدير أن يتعلم فن إدارة الاجتماعات، والتقليل منها قدر المستطاع.

٥. البدء في تنفيذ أية مهمة قبل التفكير فيها والتخطيط، والانتقال إلى مهمة قبل إنجاز الأولى، والاهتمام بالمسائل الروتينية قليلة الأهمية.

وقد أشار (ما كنزي) إلى العوامل والعمليات التي تسبب سوء إدارة الوقت: (اللوزي، ١٩٩٩، ص١٨٩).

الجدول (١)

	العملية الإدارية	**المعوقات**
١	التخطيط	-عدم وجود الأهداف. -عدم وجود مهام محددة. -اختلال في الأوليات.
٢	التنظيم	-الفوضى وعدم الانضباط. -كثرة الأعمال الورقية. -عدم الالتزام. -عدم وجود هيكل تنظيمي واضح.
٣	التوظيف	-عدم كفاءة العاملين. -عدم كفاءة التدريب. -عدم وجود توازن بين العرض والطلب.
٤	التوجيه	-القيادة المتسلطة. -الاحتكار. -ضعف التفويض. -ضعف روح الفريق.
٥	الرقابة	-كثرة المكالمات. -كثرة الزوار. -نقص المعلومات. -انعدام أنظمة التقييم الفعالة. -تدني الأداء.

٦	الاتصال	-زيادة الاجتماعات . -عدم وجود نظام اتصالات جيد . -سوء التفاهم .
٧	اتخاذ القرارات	-القرارات السريعة . -التسويف و التأجيل . -الحرص الزائد . -أسلوب اللجان المبالغ فيه .

الدراسات المشابهة والمرتبطة:

في هذا الجزء سيعرض موجز للدراسات والأبحاث السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث لوضعه في إطاره الصحيح، وذلك من خلال زيارة عدد من مواقع الجامعات، وعلى الرغم من اتساع الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، فإن الباحث لم يعثرعلى أية دراسة تناولت الموضوع المحدد للدراسة :

أولا: الدراسات العربية:

ففي دراسة أبو سأكور(٢٠٠٣)بعنوان " معوقات إدارة الوقت و اتخاذ القرار لدى الإدارات التعليمية للمدارس الثانوية " هدفت إلى معرفة معوقات إدارة الوقت و اتخاذ القرار لدى الإدارات التعليمية للمدارس الثانوية الحكومية في الضفة الغربية . ولقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها أن معوقات إدارة الوقت هي قلة التخطيط ، و كثرة الدورات التي تعقد أثناء الدوام الرسمي ، وكثرة الأعمال الروتينية ، و الظروف السائدة في المجتمع .

وفي دراسة الطراونة (١٩٨٨) بعنوان " اثر الضغوط الاجتماعية التي يتعرض لها الإداري التربوي في الأردن على القرارات التربوية التي يتخذها " هدفت لمعرفة اثر الضغوط الاجتماعية على القرارات الإدارية التي يتخذها المد راء في وزارة التربية و التعليم ، و لقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك فروقا في الضغوط الاجتماعية التي يتعرض لها المد راء ، و لقد رتبت هذه الضغوط حسب أهميتها و تمثلت في الرؤساء ، و الحالات الإنسانية ، و الوظائف الرسمية العليا ، و الاعتبارات الاجتماعية ، و العلاقات الشخصية ، و الرأي العام في المجتمع ، و الوضع العشائري و الإقليمي ، وأولياء أمور الطلبة ، والمرؤوسين ، ووسائل الأعلام ، و المراكز المالية . و توصلت الدراسة إلى أهمية تفسير قوانين أنظمة التربية و التعليم و قواعدها و الالتزام بها ، و

كذلك العمل على تطوير أسس اتخاذ القرارات وبناء القرار على أسس علمية ومدروسة .

وفي دراسة المعشر(٢٠٠٣) بعنوان "قياس مستوى الولاء التنظيمي و تحليله و ضغوط العمل في الإدارات الحكومية في محافظات الشمال في الأردن" هدفت إلى قياس و تحليل مستوى الولاء التنظيمي و ضغوط العمل في المحافظات الشمالية في الأردن (اربد، عجلون، وجرش، والمفرق)، ولقد توصلت إلى أن هناك علاقة سلبية بين مستوى ضغوط العمل المتعلقة بصراع الدور و غموض الدور و مستوى الولاء التنظيمي بحيث كلما ارتفع مستوى ضغوط العمل قل مستوى الولاء، وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى غموض الدور كان أعلى لدى الموظفين الذين يحملون مؤهلا جامعيا، و إن مستوى صراع الدور كان أعلى لدى فئة الموظفين الذين يحملون مسمى وظيفة رئيس قسم .

وفي دراسة القوا سمي (١٩٩٤) بعنوان "الضغط الذي يواجه مديري كليات المجتمع في الضفة الغربية وتأثيرها على القرارات الإدارية" هدفت إلى معرفة مصادر الضغوط التي تواجهها هذه الفئة، و لقد توصلت الدراسة إلى أن مديري كليات المجتمع يواجهون ضغطا من مصادر مختلفة تؤثر في القرارات التي يتخذونها و خاصة المتعلقة بتعيينات الموظفين، و الاتجاهات، و التيارات السياسية، و الأقارب، و المعارف، و رئيس مجلس الأمناء.

وفي دراسة(النعاس، ٢٠٠٣) بعنوان "أثر إدارة الوقت على ضغوط العمل في الإدارة العامة" هدفت إلى تحليل مشكلة الوقت والعوامل المسببة لهذه الظاهرة، وكذلك دورالإدارة في المحافظة على الوقت وحسن إدارته ومحاولة بيان أثر الوقت على الكفاءة الإنتاجية، ومدى توجيه إدارة المنظمة نحو أساليب المحافظة على الوقت. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها أن ظاهرة إهدار الوقت تعود إلى عدم شعور الموظف بالانتماء داخل المنظمة، وكذلك إلى وجود الاختصاصات والمهام والمسؤوليات غير الواضحة أو المحددة، ولذلك عدم وجود أسلوب أو وسيلة لتحديد قيام الأعمال في زمن محدد.

ثانيا: الدراسات الأجنبية

ففي دراسة Kirkcaldy، Trimpop & Williams (٢٠٠٢) بعنوان" الضغوط الوظيفية و نتائجها الصحية على المد راء البريطانيين و الألمان" هدفت إلى معرفة الرضا الوظيفي وقياسه، و مدى الشعور بالأمن في المنظمة، و الالتزام التنظيمي، و الصحة الجسدية، والصحة النفسية، بالإضافة إلى تقييم نمط A للشخصية و مركز الضبط الداخلي (القدرة في التأثير و التحكم بالأحداث). و توصلت الدراسة إلى أن المد راء الألمان لديهم رضا و ظيفي

أكثر من المد راء البريطانيين، كما أن لديهم شعوراً عالياً بالضغط نتيجة الحاجة للتوفيق بين متطلبات العمل و العائلة، كما أن لديهم شعوراً اقل بالضغط نتيجة الحاجة للقيام بالإنجاز، كما أن لديهم مستوى عاليا من الشعور بعدم الصبر(و هذا من ضمن الصفات التي يمتاز بها الأشخاص ضمن نمط (A، و أما بالنسبة لمركز الضبط و التحكم فهو داخلي و مرتفع.

وفي دراسة Siu، Lu,&Cooper (١٩٩٩) بعنوان" الضغوط الإدارية في هون كونج و تايوان: دراسة مقارنة" هدفت لبحث موضوع الرضا الوظيفي و الضغوط الإدارية لدى المد راء و ذلك من خلال أجراء مقارنات بين البلدين، فالنسبة لمدينة هون كونج أثبتت الدراسة وجود اختلافات فيما يتعلق بالضغط الإداري وفقا للجنس حيث أن الإناث لديهن مصادر ضغط أكثر و لديهن رضا وظيفي اقل، أما بالنسبة لمدينة تايوان فلقد أثبتت الدراسة عدم وجود اختلافات بين الذكور و الإناث.

وفي دراسة Baker، Shammari، &Jefri(١٩٩٥) بعنوان "الضغوط الإدارية في منظمات مختلفة: دراسة مسحية في المملكة العربية السعودية" هدفت إلى تقييم مستوى الضغط و الاختلافات وفقا لاختلاف الجنسية (السعوديون، والعرب، والآسيويون، والغربيين)، والعمر، والأقدمية، وطبيعة المؤسسة (قطاع عام، وقطاع خاص). و لقد أثبتت الدراسة أن الضغط الذي يواجه العاملين في القطاع الخاص يعود إلى قلة المعرفة عن نتائج تقييم الأداء، و أن أعلى مستويات للضغط كانت لدى السعوديين، و من ثم العرب، يليهم الآسيويون، ثم الغربيون، كما أثبتت الدراسة أن الموظفين الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة كانوا يحظون بأعلى مستوى ضغط، و أن الموظفين الذين لديهم سنوات خبرة من ٦-١٠ سنوات كانوا يحظوا بأعلى مستوى ضغط، كما أثبتت الدراسة عدم وجود اختلاف بين مستوى الضغط و بين المؤهل العلمي.

منهجية الدراسة:

لقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بالصورة المسحية لملاءمة هذا الأسلوب لطبيعة هذه الدراسة، والذي ارتكز على الوصف الدقيق والتفصيلي لموضوع الدراسة، وفهم العلاقة القائمة بين موضوع ضغط العمل لدى إداريي الجامعات ومؤشرا ته، ونتائجه، ووسائل معالجته، وعلاقته بمضيعات الوقت.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع الإداريين في الجامعات في محافظة الخليل والذين بلغ إجمالي عددهم (١٣٠) موظف وموظفة- باستثناء موظفي الخدمات "المراسلين والحراس"، وقد حصلنا على العدد المذكور عن طريق زيارة تلك الجامعات.

لقد درس الباحث المجتمع الأصلي كله عن طريق توزيع الاستبانات شخصيا على أفراد المجتمع المدروس (١٣٠اداري) ولقد أعيدت ١١٥ استبانة منها(ويشكل هذا العدد ما نسبته ٨٨,٤٪) ويوضح الجدول (٢) الجامعات موضع الدراسة وعدد الإداريين فيها، وعدد الاستبانات المعادة لكل منها والنسب المئوية لكل منها.

الجدول (٢) مجتمع الدراسة:

الرقم	اسم الجامعة	عدد الإداريين	الاستبانات المسترجعة	النسبة المؤوية ٪
١	جامعة بوليتكنك فلسطين	٣٩	٣٩	١٠٠
٢	جامعة الخليل	٦٢	٤٨	٧٧,٤
٣	جامعة القدس المفتوحة	٢٩	٢٨	٩٦,٦
	المجموع	١٣٠	١١٥	٨٨,٤

أداة الدراسة:

استخدمت الاستبانة من قبل الباحث أداة لجمع المعلومات والبيانات. و للحصول على بيانات من مصادرها الرئيسة أعد الباحث أداة الدراسة وصمّمها اعتماداً على خبرته في هذا المجال، وبالرجوع إلى الدراسات السابقة، فتكونت الاستبانة من أربعة أقسام هي: -

القسم الأول: ويحتوي على(٨) فقرات لمعرفة أهم مضيعات الوقت التي تؤدي إلى حدوث ضغط العمل.

القسم الثاني: ويحتوي على(٩) فقرات لمعرفة أهم الاستراتيجيات التي تساعد في معالجة ضغط العمل.

القسم الثالث: ويحتوي على(٦) فقرات لمعرفة أهم المؤشرات التي تدل على وجود ضغط العمل.

القسم الرابع: ويحتوي على(٦) فقرات لمعرفة أهم الآثار والنتائج التي تتعلق بضغط العمل.

صدق الأداة وثباتها:

أعد الباحث استبانة الدراسة اعتماداً على خبرته السابقة في هذا المجال للتأكد من صدق الاستبانة ومدى ملاءمتها للغرض الذي وضعت له وعرضت على (٨) محكمين من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية العلوم الإدارية ونظم المعلومات في جامعة بوليتكنيك فلسطين، وقد أخذ الباحث بآرائهم وتعديلاتهم واقتراحاتهم و أبقيت الفقرات التي اتفق عليها الفريق فقط .

أما فيما يتعلق بثبات الأداة فقد حسب بطريقة الاتساق الداخلي لفقرات الاستبانة حيث بلغت قيمة معامل الثبات (٩٠ر٠) حسب معادلة الثبات (كرونباخ ألفا) وهذا يدلل على درجة الثبات المرتفعة للاستبانة والتي تفي بأغراض الدراسة .

أسلوب جمع المعلومات:

للحصول على البيانات والمعلومات وزعت الاستبانة على الإداريين في الجامعات المذكورة شخصياً من قبل الباحث حسب عدد موظفي كل جامعة، وقد اعيدت (١١٥) استبانة من أصل (١٣٠) والذي يشكل ما نسبة (٤, ٨٨٪)، وقد بوبت البيانات ورمزت وعولجت إحصائياً .

طرق استخراج النتائج:

ولاستخراج النتائج طبقت الاستبانة على أفراد عينة الدراسة باستخدام السلم الرباعي في الفرضية الأولى لاحتساب درجات الاختيار حيث أعطيت أربع درجات على يؤثر بشدة، وثلاث درجات على يؤثر، ودرجتان على قليل التأثير، ودرجة واحدة على لا يؤثر، و من ثم استخرج متوسط الدرجات المستحقة للعينة على فقرات الاستبانة، فأعلى درجة ممكنة هي أربع تعكس الاتجاه الإيجابي بصورته العظمى ، و أدنى درجة هي واحدة تعكس الاتجاه السلبي بصورته الدنيا. أما في الفرضيات الثانية والثالثة والرابعة فقد استخدم المقياس الثلاثي (مهم جدا ثلاث درجات، مهم درجتان، غير مهم درجة واحدة) بالأسلوب نفسه .

المعالجة الإحصائية:

تمت المعالجة الإحصائية اللازمة للبيانات باستخراج الأعداد، و النسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، واختبار (ت)، واختبار تحليل التباين الأحادي، ومعامل

ارتباط بيرسون وذلك باستخدام برنامج الرزم الإحصائية SPSS باستخدام الحاسوب .

نتائج الدراسة ومناقشتها:

استخدم الباحث المقياس الرباعي (يؤثر بشدة، يؤثر، قليل التأثير، لا يؤثر)لاختبار الفرضية الأولى، وأما الفرضيات الثانية والثالثة والرابعة، فقد استخدم فيها المقياس الثلاثي (مهم جداً، مهم، غير مهم).

وفيما يأتي عرض لنتائج الدراسة ومناقشتها اعتمادا على تسلسل فرضياتها :

الفرضية الأولى:

والتي تنص على : " لا يوجد فروق في مدى تأثير كل من مضيعات الوقت الآتية(استخدام الهاتف بشكل غير فعّال، زيارة بدون موعد مسبق . . . الخ) على ضغط العمل " .

وللتحقق من صحة الفرضية استخرجت الجداول التكرارية والنسب المئوية لأثر مضيعات الوقت على ضغط العمل وفيما يأتي تحليل لكل منها :

العبارة (١) : " استخدام الهاتف بشكل غير فعّال " .

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (٨٤٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (١٦٪)، لذلك يعتبر استخدام الهاتف لأغراض شخصية، أو لأحاديث جانبية مطولة مع الموظفين وذلك أثناء ساعات الدوام الرسمي أحد مضيعات الوقت التي تؤثر على ضغط العمل .

العبارة (٢) : " زيارة بدون موعد مسبق " .

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (٨, ٧٩٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (٢, ٢٠٪)، لذلك فالزيارات غير المتوقعة لتبادل أطراف الحديث أو لتسهيل بعض المهام، أو الرغبة في الوساطة لدى الغير، تهدر الكثير من الوقت وتسبب ضغطاً في العمل .

العبارة (٣) : " ضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة " .

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (٧, ٩٣٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (٥, ٦٪)، لذلك يعتبر ضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة والتي تشترك في بعض المهام المتداخلة قد يؤدي إلى زيادة حدة اختلاف وجهات النظر الإدارية والتي تؤثر في قراراتها على

بعضها البعض، مما يشعر الموظفين بالضغوط الإدارية.

العبارة (٤): "التردد والتأجيل في إنجاز المهمات".

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (٧, ٩٤٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (٤, ٥٪)، لذلك فإن عدم القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب يؤدي إلى تراكم الأعمال بتأجيلها، مما يشعر الموظف بالضغط.

العبارة (٥): "مغادرة المكتب قبل نهاية الدوام".

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (١, ٧٢٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (٩, ٢٧٪)، لذلك فإن مغادرة الموظف للمكتب قبل نهاية الدوام دون الانتهاء من المهمات والأعمال المهمة يؤدي إلى تراكم هذه الأعمال غير المنجزة، مما يسبب ضغطاً في العمل لدى هؤلاء الموظفين.

العبارة (٦): "سكرتير غير كفي".

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (٣, ٨٨٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (٢, ١١٪)، لذلك فإن وجود سكرتير غير كفي يتسبب في عرقلة العمل وتأخيره من خلال عدم القدرة على تنظيم الأعمال الإدارية مما يؤدي إلى ضغط العمل.

العبارة (٧): "الافتقار إلى التفويض".

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (٣, ٩١٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (٨, ٨٪)، لذلك فإن قلة تفويض الأعمال من المسؤول لموظفيه تؤدي إلى تراكم الأعمال من خلال التسلسل الروتيني وعدم شعور الموظف بأهميته مما يؤدي إلى ضغط العمل.

العبارة (٨): "الاجتماعات غير الفعّالة".

شكلت نسبة الإجابات التي تؤثر بشدة وتؤثر من نتائج الاستبانة كما هو واضح في الجدول (٣) ما نسبته (٢, ٨٨٪)، وأما نسبة قليل التأثير ولا يؤثر فكانت (٨, ١١٪)، لذلك فإن الاجتماعات غير الفعّالة تتسبب في إهدار الوقت والذي يمكن استغلاله في إنجاز الأعمال المهمة، لذا تعتبر من أحد مضيعات الوقت التي تؤثر على ضغط العمل.

الجدول (٣): التكرار والنسب المئوية لمضيعات الوقت التي تؤدي إلى ضغط العمل

رقم العبارة	يؤثر بشدة		يؤثر		قليل التأثير		لا يؤثر	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١	٣٠	٣١,٩٪	٤٩	٥٢,١٪	١١	١١,٧٪	٤	٤,٣٪
٢	٣١	٣٣,٠٪	٤٤	٤٦,٨٪	١٥	١٦,٠٪	٤	٤,٢٪
٣	٣٩	٤١,٩٪	٤٨	٥١,٨٪	٥	٥,٤٪	١	١,١٪
٤	٣٩	٤١,٥٪	٥٠	٥٣,٢٪	٤	٤,٣٪	١	١,١٪
٥	٢٢	٢٣,٧٪	٤٥	٤٨,٤٪	١٥	١٦,١٪	١١	١١,٨٪
٦	٤١	٤٦,٨٪	٣٩	٤١,٥٪	٨	٨,٥٪	٣	٣,٢٪
٧	٣٨	٤١,٨٪	٤٥	٤٩,٥٪	٨	٨,٨٪	-	-
٨	٢٩	٣١,٢٪	٥٣	٥٧,٠٪	١١	١١,٨٪	-	-

اختبار الفرضية الأولى:

يتبين لنا من خلال النسب السابقة كما هو مرتب ترتيباً تنازلياً حسب الأهمية في الجدول (٤) أن " التردد والتأجيل في إنجاز المهام" تعتبر من أهم مضيعات الوقت التي تسبب ضغطاً في العمل، حيث شكلت نسبة أهميتها (٩٤,٧٪)، وتأتي في المرتبة الثانية عبارة " ضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة" حيث شكلت نسبة أهميتها (٩٣,٧٪)، ثم يليها في المرتبة الثالثة عبارة " الافتقار إلى التفويض" حيث بلغت نسبة أهميتها (٩١,٣٪)، ويليها في المرتبة الرابعة عبارة " سكرتير غير كفي" حيث شكلت نسبة أهميتها (٨٨,٣٪)، وأما في المرتبة الخامسة كانت عبارة " الاجتماعات غير الفعّالة" والتي بلغت نسبة أهميتها (٨٨,٢٪)، ويليها في المرتبة السادسة عبارة " استخدام الهاتف بشكل غير فعّال" حيث شكلت نسبة أهميتها (٨٤٪)، وفي المرتبة السابعة جاءت عبارة " زيارة بدون موعد مسبق" والتي شكلت نسبة أهميتها (٧٩,٨٪)، وأخيراً جاءت عبارة " مغادرة المكتب قبل نهاية الدوام" في المرتبة الثامنة حيث بلغت نسبة أهميتها (٧٢,١٪)، وهذا يعني نفي الفرضية التي تفترض عدم وجود فروق في مدى تأثير كل من مضيعات الوقت على ضغط العمل.

الجدول (٤): مضيعات الوقت التي تؤدي إلى ضغط العمل وأهميتها (الأعلى فالأدنى)

رقم العبارة	العبارة حسب الأهمية	النسبة المئوية
١	التردد والتأجيل في إنجاز المهام	٪٩٤,٧
٢	ضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة	٪٩٣,٧
٣	الافتقار إلى التفويض	٪٩١,٣
٤	سكرتير غير كفي	٪٨٨,٣
٥	الاجتماعات غير الفعّالة	٪٨٨,٢
٦	استخدام الهاتف بشكل غير فعّال	٪٨٤
٧	زيارة بدون موعد مسبق	٪٧٩,٨
٨	مغادرة المكتب قبل نهاية الدوام	٪٧٢,١

الفرضية الثانية:

والتي تنص على: " لا أهمية لاستخدام أي من الوسائل الآتية(الاختيار لوسيلة الاتصال الفعّال. . . الخ) في معالجة ضغط العمل" .

وللتحقق من صحة هذه الفرضية استخرجت الجداول التكرارية والنسب المئوية للوسائل التي تساعد على مواجهة ضغط العمل، وفيما يأتي تحليل لكل منها:

العبارة (١): "إتاحة المجال أمام الموظف لإبداء آرائه واقتراحاته أمام المسؤول المباشر" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٦٩,١٪)، ومهم كانت (٢٩,٨٪)، بينما غير مهم فكانت (١,١٪). لذلك يعتبر الاداريون أن إتاحة المجال أمامهم لإبداء آرائهم ومقترحاتهم للمسؤول المباشر هي من الوسائل التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل.

العبارة (٢): "الاختيار لوسيلة الاتصال الفعّالة" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٥٧,٤٪)، ومهم كانت (٤٢,٦٪)، بينما لم تشكل أي نسبة للإجابة بغير مهم. لذلك يعتبر الإداريون أن الاختيار لوسيلة الاتصال الفعّالة هي من الوسائل التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل.

العبارة (٣): "إعطاء الموظف صلاحيات وسلطات كافية للقيام بالمهام" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٥٨,٥٪)، ومهم كانت

(٥ , ٤١٪)، بينما لم تشكل أي نسبة للإجابة بغير مهم . فإعطاء الإداريين صلاحيات وسلطات كافية يمكنهم من القيام بأعمالهم بشكل مرن، ودون الرجوع في كل مرة إلى المسؤول عنهم . لذلك يعتبر أن إعطاء صلاحيات وسلطات كافية للإداريين، ضمن إطار العمل الذي يقومون به من قبل المسؤول هي إحدى الاستراتيجيات التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل .

العبارة (٤): "توفير دورات وبرامج تدريبية للموظفين لمواكبة التطورات ومواجهة ضغط العمل" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٨ , ٦٣٪)، ومهم كانت (٣٣٪)، بينما غير مهم فكانت (٢ , ٣٪). لذلك يعتبر الإداريون أن توفير دورات وبرامج تدريبية لهم لمواكبة التطورات ومواجهة الضغط، هي إحدى الوسائل التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل .

العبارة (٥): "إدارة الوقت بشكل فعّال" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٧ , ٦١٪)، ومهم كانت (٣ , ٣٨٪)، بينما لم تشكل أي نسبة للإجابة بغير مهم . لذلك يعتبر الاداريون أن إدارة الوقت بشكل جيد، من خلال توزيع المهمات على العاملين بشكل يتناسب مع الوقت اللازم لإنجازها، إحدى الوسائل التي تساعد في مواجهة ضغط العمل .

العبارة (٦): "المعرفة الدقيقة لمهمات العمل وإجراءاته" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (١ , ٥٩٪)، ومهم كانت (٩ , ٤٠٪)، بينما لم تشكل أي نسبة للإجابة بغير مهم. لذلك يعتبر الاداريون أن المعرفة الدقيقة للمهام التي يقومون بها من خلال معرفةالوصف الوظيفي الذي يوضح إجراءات العمل، وطبيعة المهمات التي تتطلبها الوظيفة، تعتبر إحدى الوسائل التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل وتقليصه .

العبارة (٧): "وجود علاقات اجتماعية جيدة بين الموظفين" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٤ , ٤٠٪)، ومهم كانت (٦ , ٥١٪)، بينما كانت نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (٥ , ٧٪). لذلك يعتبر الاداريون أن وجود علاقات اجتماعية جيدة بين الموظفين تساعد في القليل من الضغط الذي يتعرضون له، فالعلاقات الاجتماعية الجيدة تدعم وسائل الاتصال بين الموظفين مما يزيد من فعالية الموظفين ويقلل من شعورهم بالضغط . لذلك فإن وجود علاقات اجتماعية جيدة بين الموظفين تعتبر من إحدى الوسائل التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل .

العبارة (٨) : "تسهيل إجراءات العمل (عدم اتباع الروتين)" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٥ , ٥٠٪)، ومهم كانت (٣ , ٤٧٪)، بينما كانت نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (٢ , ٢٪) . إذ يعتبر الاداريون أن تسهيل إجراءات العمل تساعد في التقليص من الضغط الذي يتعرضون له بسبب تعقيد إجراءات العمل في بعض الأحيان، لذلك تعتبر تسهيل إجراءات العمل من إحدى الوسائل التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل .

العبارة (٩) : "إيجاد جو مناسب أو ظروف عمل مناسبة مثل (الإضاءة، تصميم المكتب، التدفئة . . . الخ)" .

يوضح الجدول (٥) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٤ , ٥٥٪)، ومهم كانت (٤٣٪)، بينما كانت نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (١ , ١٪) . لذلك يعتبر إيجاد جو مناسب للعمل إحدى الوسائل التي يمكن أن تساعد في مواجهة ضغط العمل .

الجدول (٥): التكرار والنسب المئوية للوسائل التي تستخدم في معالجة ضغط العمل

رقم العبارة	مهم جداً		مهم		غير مهم	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١	٦٥	٦٩,١٪	٢٨	٢٩,٨٪	١	١,١٪
٢	٥٤	٥٧,٤٪	٤٠	٤٢,٦٪	–	–
٣	٥٥	٥٨,٥٪	٣٩	٤١,٥٪	–	–
٤	٦٠	٦٣,٨٪	٣١	٣٣٪	٣	٣,٢٪
٥	٥٨	٦١,٧٪	٣٦	٣٨,٣٪	–	–
٦	٥٥	٥٩,١٪	٣٨	٤٠,٤٪	–	–
٧	٣٨	٤٠,٤٪	٤٨	٥١,٦٪	٧	٧,٥٪
٨	٤٧	٥٠,٥٪	٤٤	٤٧,٣٪	٢	٢,٢٪
٩	٥٢	٥٥,٤٪	٤٠	٤٣٪	١	١,١٪

اختبار الفرضية الثانية:

تبين لنا من خلال النسب المئوية السابقة وكما هو مرتب ترتيباً تنازلياً حسب الأهمية في الجدول (٦) أن " الاختيار لوسيلة الاتصال الفعّال " ، وعبارة " إدارة الوقت بشكل فعّال " ، وعبارة " المعرفة الدقيقة لمهام العمل وإجراءاته ، تعتبر من أهم الاستراتيجيات التنظيمية في مواجهة ضغط العمل ، فلقد بلغت نسبة أهمية كل منها (١٠٠٪)، وتأتي في المرتبة الثانية " إعطاء الموظف صلاحيات وسلطات كافية للقيام بالمهام" والتي بلغت أهميتها (٩٩,٩٪)، واحتلت المرتبة الثالثة عبارة " إتاحة المجال أمام الموظف لإبداء آرائه واقتراحاته أمام المسؤول المباشر" والتي بلغت نسبة أهميتها (٩٨,٩٪)، وجاءت في المرتبة الرابعة عبارة " إيجاد جو مناسب أو ظروف مناسبة " حيث بلغت نسبة أهميتها (٩٨,٤٪)، وجاءت في المرتبة الخامسة عبارة " تسهيل إجراءات العمل (عدم اتباع الروتين)" والتي بلغت نسبة أهميتها (٩٧,٨٪)، وأما في المرتبة السادسة عبارة " توفير دورات برامج تدريبية للموظفين لمواكبة التطورات ومواجهة الضغط " والتي بلغت نسبة أهميتها (٩٦,٨٪)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت عبارة " وجود علاقات اجتماعية جيدة بين الموظفين " وذلك بنسبة (٩٢٪)، وهذا يعني نفي الفرضية التي تفترض عدم وجود أهمية لاستخدام كل من الوسائل السابقة في معالجة ضغط العمل .

الجدول (٦):الوسائل التي تستخدم في معالجة ضغط العمل وأهميتها (الأعلى فالأدنى)

رقم العبارة	العبارة حسب الأهمية	النسبة المئوية
١	الاختيار لوسيلة الاتصال الفعّال	١٠٠٪
٢	إدارة الوقت بشكل فعّال	١٠٠٪
٣	المعرفة الدقيقة لمهام العمل وإجراءاته	١٠٠٪
٤	إعطاء الموظف صلاحيات وسلطات كافية للقيام بالمهام	٩٩,٩٪
٥	إتاحة المجال أمام الموظف لإبداء آرائه واقتراحاته أمام المسؤول المباشر	٩٨,٩٪
٦	إيجاد جو مناسب أو ظروف مناسبة مثل(الإضاءة، تصميم المكتب، التدفئة)	٩٨,٤٪
٧	تسهيل إجراءات العمل (عدم اتباع الروتين)	٩٧,٨٪
٨	توفير دورات برامج تدريبية للموظفين لمواكبة التطورات ومواجهة الضغط	٩٦,٨٪
٩	وجود علاقات اجتماعية جيدة بين الموظفين	٩٢٪

الفرضية الثالثة:

تنص على " لا يوجد علاقة بين المؤشرات الآتية(تراكم الأعمال وتكدسها ، عدم الدقة في إنجاز العمل ، اتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة ، تسويغ الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية غير عقلانية ، عدم تعاون الموظف مع الآخرين ، دعم المسؤول المباشر ومساندته " ، وبين ضغط العمل .

وللتحقق من صحة هذه الفرضية استخرجت نتائج اختبار بيرسون للعلاقة ما بين هذه المؤشرات ودرجة ضغط العمل وذلك كما هو موضح في الجدول (٧).

الجدول (٧): نتائج اختبار بيرسون للعلاقة بين درجة ضغط العمل وكل من المؤشرات الدالة على وجود ضغط العمل

المتغيرات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة معامل الارتباط (ر)	الدلالة الإحصائية
درجة ضغط العمل تراكم الأعمال وتكدسها	٩٤ ٩٤	٢,٨٠ ٢,٤٦	٠,٤٩ ٠,٥٢	٠,١٤٣	٠,١٧٢
درجة ضغط العمل عدم الدقة في إنجاز العمل	٩٤ ٩٤	٢,٨٠ ٢,٥٣	٠,٤٤ ٠,٥٤	٠,٠٩١	٠,٥٨٥
درجة ضغط العمل اتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة	٩٤ ٩٤	٢,٨٠ ٢,٤٥	٠,٤٩ ٠,٥٨	-٠,٠١٨	٠,٨٦٣
درجة ضغط العمل تسويغ الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية	٩٤ ٩٤	٢,٨٠ ٢,٣٩	٠,٤٤ ٠,٦٦	٠,٣٠٠	٠,٠٠٣
درجة ضغط العمل عدم تعاون الموظف مع الآخرين	٩٤ ٩٤	٢,٨٠ ٢,٤٢	٠,٤٩ ٠,٦٣	٠,٢٩١	٠,٠٠٥
درجة ضغط العمل عدم تقديم المسؤول المباشر للدعم والمساندة	٩٤ ٩٤	٢,٨٠ ٢,٥٦	٠,٤٩ ٠,٥٤	٠,٢٥٨	٠,٠١٢

اختبار الفرضية الثالثة:

يتضح لنا من الجدول (٧) أنه توجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من (القيام بتبرير الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية ، وعدم تعاون الموظف مع الآخرين ، وعدم تقديم المسؤول

المباشر للدعم والمساندة) حيث كانت الدلالة الإحصائية > ٠,٠٥ وهي دالة إحصائياً، حيث وجد معامل ارتباط موجب بحيث كلما زادت درجة ضغط العمل لدى إداريي الجامعات في محافظة الخليل زادت درجة تأثير هذه المؤشرات والعكس صحيح. في حين تبين لنا أيضاً أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية ما بين درجة ضغط العمل وكل من (تراكم الأعمال وتكدسها، واتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة، وعدم الدقة في إنجاز العمل)، حيث كانت الدلالة الإحصائية < ٠,٠٥ وهي غير دالة إحصائياً، وهذا يعني نفي الفرضية التي تفترض عدم وجود علاقة بين المؤشرات السابقة وضغط العمل.

وفيما يأتي ستستخرج الجداول التكرارية والنسب المئوية للمؤشرات الدالة على وجود ضغط العمل، وفيما يأتي تحليل لكل منها:

العبارة (١): "تراكم الاعمال وتكدسها".

يوضح الجدول (٨) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٥١,٦٪)، ومهم كانت (٤٧,٣٪)، بينما نسبة الأفراد الذين أجابوا بغير مهم فكانت (١,١٪). لذلك يعتبر غالبية الإداريين أن تراكم الاعمال وتكدسها من المؤشرات التي تدل على تعرض الموظفين لضغط العمل.

العبارة (٢): "عدم الدقة في إنجاز العمل".

يوضح الجدول (٨) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٤٣٪)، ومهم كانت (٥٤,٨٪)، بينما نسبة الأفراد الذين أجابوا بغير مهم فكانت (٢,٢٪). لذلك يعتبر الاداريون أن عدم الدقة في إنجاز العمل تعتبر من المؤشرات الدالة على وجود ضغط في العمل، فكلما زاد ضغط العمل أثر ذلك على أداء الموظف، وزادت نسبة الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها أثناء عمله، مما ينعكس على دقة العمل المنجز.

العبارة (٣): "اتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة".

يوضح الجدول (٨) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٤٦,٢٪)، ومهم كانت (٤٩,٥٪)، بينما نسبة الأفراد الذين أجابوا بغير مهم فكانت (٤,٣٪). لذلك يعتبر الاداريون أن اتخاذ القرارات المتسرعة وغير السليمة، من المؤشرات الدالة على وجود ضغط في العمل.

العبارة (٤): "تسويغ الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية غير عقلانية".

يوضح الجدول (٨) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٤١,٩٪)، ومهم كانت (٤٨,٤٪)، بينما نسبة الأفراد الذين أجابوا بغير مهم فكانت (٩,٧٪). لذلك يعتبر تسويغ

الموظفين الأخطاء التي يرتكبونها في العمل، واتخاذ مواقف دفاعية غير مبنية على الموضوعية والصحة، من المؤشرات الدالة على وجود ضغط في العمل.

العبارة (٥): "عدم تعاون الموظف مع الآخرين".

يوضح الجدول (٨) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٤٣٪)، ومهم كانت (٤٩,٥٪)، بينما نسبة الأفراد الذين أجابوا بغير مهم فكانت (٧,٥٪). لذلك يعتبر عدم تعاون الموظف مع زملائه وخاصة عندما يكون هناك ضغط في العمل، من المؤشرات الدالة على وجود ضغط العمل.

العبارة (٦): "عدم تقديم المسؤول المباشر للدعم و المساندة".

يوضح الجدول (٨) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٣٩,٨٪)، ومهم كانت (٥٨,١٪)، بينما نسبة الأفراد الذين أجابوا بغير مهم فكانت (٢,٢٪). لذلك يعتبر الاداريون أن عدم تقديم الدعم والمساندة لهم من قبل المسؤول المباشر عنهم، من المؤشرات الدالة على وجود ضغط في العمل، وخاصة عند انشغال المسؤول وعدم تمكنه من تقديم المساعدة والنصح للموظفين التابعين له.

الجدول (٨): التكرار والنسب المئوية للمؤشرات الدالة على وجود ضغط العمل

رقم العبارة	مهم		مهم جداً		غير مهم	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١	٤٨	٥١,٦٪	٤٤	٥١,٦٪	١	١,١٪
٢	٤٠	٤٣,٠٪	٥١	٥٤,٨٪	٢	٢,٢٪
٣	٤٣	٤٦,٢٪	٤٦	٤٩,٥٪	٤	٤,٣٪
٤	٣٩	٤١,٩٪	٤٥	٤٨,٤٪	٩	٩,٧٪
٥	٤٠	٤٣,٠٪	٤٦	٤٩,٥٪	٧	٧,٥٪
٦	٣٧	٣٩,٨٪	٥٤	٥٨,١٪	٢	٢,٢٪

يتبين لنا من خلال النسب المئوية السابقة وكما هو مرتب ترتيباً تنازلياً في الجدول (٩) أن "تراكم الأعمال وتكدسها" تعتبر من أهم المؤشرات الدالة على وجود ضغط في العمل، حيث شكلت نسبة أهميتها (٩٨,٩٪)، وتأتي في المرتبة الثانية عبارة " عدم دعم المسؤول المباشر ومساندته" حيث بلغت نسبة أهميتها (٩٧,٩٪)، ويليها في المرتبة الثالثة عبارة "

عدم الدقة في إنجاز العمل " حيث شكلت نسبة أهميتها (٨, ٩٧٪)، ويليها في المرتبة الرابعة عبارة " اتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة " ، حيث شكلت نسبة أهميتها (٧, ٩٥٪)، ثم يليها في المرتبة الخامسة عبارة" عدم تعاون الموظف مع الآخرين" حيث بلغت نسبة أهميتها (٥, ٩٢٪)، وأخيراً تأتي عبارة " تسويغ الأخطاء واتخاذ موقف دفاعية غير عقلانية" في المرتبة السادسة، حيث بلغت نسبة أهميتها (٣, ٩٠٪).

الجدول (٩): المؤشرات الدالة على وجود ضغط العمل وأهميتها (الأعلى فالأدنى)

رقم العبارة	العبارة حسب أهميتها	نسبتها المئوية
١	تراكم الأعمال وتكدسها	٩, ٩٨٪
٢	عدم دعم المسؤول المباشر ومساندته	٩, ٩٧٪
٣	عدم الدقة في إنجاز العمل	٨, ٩٧٪
٤	اتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة	٧, ٩٥٪
٥	عدم تعاون الموظف مع الآخرين	٥, ٩٢٪
٦	تسويغ الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية غير عقلانية	٣, ٩٠٪

الفرضية الرابعة:

تنص على " لا يوجد علاقة بين الآثار والنتائج الآتية(الغياب وعدم المواظبة، زيادة نسبة دوران العمل، عدم وجود الانتماء الوظيفي، عدم الرضا الوظيفي، التأخر في الحضور إلى العمل، انخفاض الإنتاجية) وبين ضغط العمل " .

وللتحقق من صحة هذه الفرضية استخرجت نتائج اختبار بيرسون للعلاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من الآثار والنتائج السابقة، وذلك كما هو موضح في الجدول (١٠).

**الجدول (١٠): نتائج اختبار بيرسون للعلاقة
بين ضغط العمل و الآثار والنتائج الناتجة عنه**

المتغيرات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة معامل الارتباط(ر)	الدلالة الإحصائية
درجة ضغط العمل	٩٤	١,٩٤	٠,٤٤	٠,١٨٥	٠,٠٧٦
الغياب وعدم المواظبة	٩٤	٢٠٥٨	٠,٥٧		
درجة ضغط العمل	٩٤	١,٩٤	٠,٤٤	٠,٢٠٧	٠,٠٤٧
ترك العمل	٩٤	٢,٣٠	٠,٦٢		
درجة ضغط العمل	٩٤	١,٩٤	٠,٤٤	٠,١٨٤	٠,٠٧٦
عدم وجود انتماء	٩٤	٢,٥٥	٠,٥٦		
درجة ضغط العمل	٩٤	١,٩٤	٠,٤٤	٠,٢٤٧	٠,٠١٨
عدم الرضا الوظيفي	٩٤	٢,٤٥	٠,٥٨		
درجة ضغط العمل	٩٤	١,٩٤	٠,٤٤	٠,٢٠٩	٠,٠٤٤
التأخر في الحضور	٩٤	٢,١٥	٠,٥٩		
درجة ضغط العمل	٩٤	١,٩٤	٠,٤٤	٠,٢٠٩	٠,٠٤٤
انخفاض الإنتاجية	٩٤	٢,٤٨	٠,٥٨		

اختبار الفرضية الرابعة:

يتضح لنا من الجدول (١٠) أنه توجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من (ترك العمل، وعدم الرضا الوظيفي، وانخفاض الإنتاجية)، حيث كانت الدلالة الإحصائية > ٠,٠٥، وهي دالة إحصائياً، حيث وجد معامل ارتباط موجب بحيث كلما زادت درجة تأثير هذه الآثار والنتائج زادت درجة ضغط العمل لدى إداريي الجامعات في محافظة الخليل، والعكس صحيح. كما تبين لنا أيضاً أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية ما بين درجة ضغط العمل لدى إداريي الجامعات وكل من (الغياب وعدم المواظبة، وعدم وجود الانتماء، والتأخر في الحضور للعمل)، حيث كانت الدلالة الإحصائية < ٠,٠٥، وهي غير دالة إحصائياُ، وهذا يعني نفي الفرضية التي تفترض عدم وجود علاقة بين الآثار والنتائج السابقة وبين ضغط العمل.

وفيما يأتي ستستخرج الجداول التكرارية والنسب المئوية للآثار والنتائج الناتجة عن ضغط العمل، وفيما يأتي تحليل كل منها:

العبارة (١): "الغياب وعدم المواظبة".

يوضح الجدول (١١) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٦٢,٤٪)، ومهم (٣٣,٣٪)، بينما نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (٤,٣٪). لذلك نلاحظ أن تكرار غياب الموظفين عن أعمالهم وعدم مواظبتهم في الحضور، بسبب ما يتعرضون له من ضغط نتيجة أعمالهم، أو بسبب الأوضاع الأمنية غير المستقرة والتي تسبب نوعاً من الضغط، إذ يعتبر الغياب من الآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل.

العبارة (٢): "زيادة نسبة دوران العمل (ترك العمل)".

يوضح الجدول (١١) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٣٨,٧٪)، ومهم (٥٢,٧٪)، بينما نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (٨,٦٪). لذلك يعتبر ازدياد نسبة الموظفين الذين يتركون العمل كل فترة، والبحث عن عمل آخر نتيجة لما يتعرضون له من ضغط في عملهم، من الآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل.

العبارة (٣): "عدم وجود الانتماء والولاء الوظيفي".

يوضح الجدول (١١) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٥٨,١٪)، ومهم (٣٨,٧٪)، بينما نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (٣,٢٪). لذلك عندما يشعر الموظفون بضغط في العمل، فإن ذلك يؤثر على رغبتهم في العمل، ويقلل من حبهم للعمل الذي يقومون به، ويقل ولاؤهم وانتماؤهم لعملهم وللمؤسسة التي يعملون بها. لذلك يعتبر عدم وجود الانتماء والولاء الوظيفي من الآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل.

العبارة (٤): "عدم الرضا الوظيفي".

يوضح الجدول (١١) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٤٨,٩٪)، ومهم (٤٦,٧٪)، بينما نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (٤,٣٪). لذلك يشعر غالبية الإداريين بعدم الرضا الوظيفي، والذي ينعكس بدوره على أداء الموظف، ويزيد من فرص ترك العمل، لذلك نلاحظ أن عدم الرضا الوظيفي يعتبر من الآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل.

العبارة (٥): "التأخر في الحضور إلى العمل".

يوضح الجدول (١١) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٢٦,٤٪)، ومهم (٦٢,٦٪)، بينما نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (١١٪). لذلك نلاحظ أن الموظفين يشعرون بالضغط إذا تأخروا في الوصول إلى عملهم، بسبب الأوضاع الأمنية غير المستقرة

والإغلاقات والحواجز العسكرية، لأن ذلك يؤثر على مقدرتهم في الوصول إلى العمل في الوقت المحدد، لذا تأخر الوصول إلى العمل من الآثار والنتائج المتعقلة بضغط العمل.

العبارة (٦): "انخفاض الإنتاجية".

يوضح الجدول (١١) أن نسبة الإداريين الذين أجابوا بمهم جداً هي (٥٢,٧٪)، ومهم (٤٣٪)، بينما نسبة الإداريين الذين أجابوا بغير مهم (٤,٣٪). لذلك يعتبر غالبية الموظفين أن شعورهم بالضغط يترتب عليه كثرة الأخطاء التي يمكن أن تحدث أثناء قيامهم بإنجاز مهامهم، مما يؤثر على جودة العمل المنجز، وانخفاض الإنتاجية، لذلك يعتبر انخفاض الإنتاجية من الآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل.

الجدول (١١): التكرار والنسب المئوية للآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل

رقم العبارة	مهم جداً		مهم		غير مهم	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١	٥٨	٦٢,٤٪	٣١	٣٣,٣٪	٤	٤,٣٪
٢	٣٦	٣٨,٧٪	٤٩	٥٢,٧٪	٨	٨,٦٪
٣	٥٤	٥٨,١٪	٣٦	٣٨,٧٪	٣	٣,٢٪
٤	٤٥	٤٨,٤٪	٤٣	٤٦,٧٪	٤	٤,٣٪
٥	٢٤	٢٦,٤٪	٥٧	٦٢,٦٪	١٠	١١٪
٦	٤٩	٥٢,٧٪	٤٠	٤٣,٠٪	٤	٤,٣٪

يتبين لنا من خلال النسب المئوية السابقة وكما هو مرتب ترتيباً تنازلياً في الجدول (١٢) أن "عدم وجود الانتماء والولاء الوظيفي" يعتبر من أهم الآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل، حيث شكلت نسبة أهميتها (٩٦,٧٪)، وتأتي في المرتبة الثانية عبارة "انخفاض الإنتاجية" وعبارة "الغياب وعدم المواظبة"، حيث بلغت نسبه أهميتهما (٩٥,٧٪)، ويليها في المرتبة الثالثة عبارة "عدم الرضا الوظيفي" حيث شكلت نسبة أهميتها (٩٥,٦٪)، ثم يليها في المرتبة الرابعة عبارة "زيادة نسبة دوران العمل (ترك العمل)" حيث بلغت نسبة أهميتها (٩١,٤٪)، وأخيراً جاءت عبارة "التأخر في الحضور إلى العمل" في المرتبة الخامسة حيث كانت نسبة أهميتها (٨٩٪).

الجدول (١٢): الآثار والنتائج المتعلقة بضغط العمل وأهميتها (الأعلى فالأدنى)

رقم العبارة	العبارة حسب الأهمية	النسبة المئوية
١	عدم وجود الانتماء والولاء الوظيفي	٩٦,٨٪
٢	انخفاض الإنتاجية	٩٥,٧٪
٣	الغياب وعدم المواظبة	٩٥,٧٪
٤	عدم الرضا الوظيفي	٩٥,٦٪
٥	زيادة نسبة دوران العمل (ترك العمل)	٩١,٤٪
٦	التأخر في الحضور إلى العمل	٨٩٪

الاستنتاجات:

في ضوء أهداف الدراسة وفرضياتها توصل الباحث إلى الاستنتاجات الآتية :

١- يوجد فروق في مدى تأثير كل من مضيعات الوقت الآتيةوالمرتبة ترتيبا تنازليا حسب الأهمية : (التردد والتأجيل في إنجاز المهام، وضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة، والافتقار إلى التفويض، وسكرتير غير كفي، و الاجتماعات غير الفعالة، واستخدام الهاتف بشكل غير فعال، وزيارة بدون موعد مسبق، ومغادرة المكتب قبل نهاية الدوام) على ضغط العمل .

٢- يوجد فروق في أهمية استخدام كل من الوسائل الآتيةالمرتبة ترتيبا تنازليا وفقا للأهمية : (الاختيار لوسيلة الاتصال الفعالة، وإدارة الوقت بشكل فعال، و المعرفة الدقيقة لمهام العمل وإجراءاته، وإعطاء الموظف صلاحيات وسلطات كافية للقيام بالمهام، وإتاحة المجال أمام الموظف لإبداء آرائه واقتراحاته أمام المسؤول المباشر، و إيجاد بيئة عمل مناسبة) لمواجهة ضغط العمل .

٣- يوجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من المؤشرات الآتية : (تسويغ الأخطاء واتخاذ مواقف دفاعية غير عقلانية، وعدم تعاون الموظف مع الآخرين،وعدم دعم المسؤول المباشر ومساندته) حيث وجد معامل ارتباط موجب بحيث كلما زادت درجة ضغط العمل زادت درجة تأثير هذه المؤشرات لدى إداريي الجامعات في محافظة الخليل والعكس صحيح .

٤- لا توجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من المؤشرات الآتية : (تراكم الاعمال وتكدسها، واتخاذ قرارات متسرعة وغير سليمة، و عدم الدقة في إنجاز العمل) .

٥- توجد علاقة بين درجة ضغط العمل وكل من النتائج الآتية : (ترك العمل ، وعدم الرضا الوظيفي ، وانخفاض الإنتاجية) حيث وجد معامل ارتباط موجب بين درجة ضغط العمل وبين تلك المتغيرات .

٦- لا توجد علاقة ما بين درجة ضغط العمل وكل من النتائج الآتية : (الغياب وعدم المواظبة ، وعدم وجود الانتماء والولاء الوظيفي ، والتأخر في الحضور إلى العمل) حيث وجد معامل ارتباط سالب بين درجة ضغط العمل وبين تلك المتغيرات .

التوصيات:

في ضوء أهداف الدراسة ونتائجها توصل الباحث إلى عدد من التوصيات :

١- العمل على إعطاء الموظف صلاحيات وسلطات كافية للقيام بمهامه .

٢- ضرورة الاعتناء بمطالب الموظفين مثل المشاركة في عملية اتخاذ القرار ، وعقد اللقاءات الدورية للاستماع إلى آرائهم واقتراحاتهم والأخذ بها .

٣- ضرورة توفير بيئة عمل مناسبة مثل (مكاتب حديثة ، إضاءة جيدة ، تكييف . . . الخ) ، وذلك لأن طبيعة أعمال الإداريين ذات طبيعة مكتبية قائمة على توفير جو مريح وظروف عمل مناسبة

٤- العمل على وجود المكاتب الإدارية في أماكن خاصة و بعيدة عن قاعات التدريس .

٥- محاولة توفير نظام عادل للحوافز والمكافآت التي تزيد من اهتمام العاملين وتزيد من رضاهم الوظيفي وتقلل من دوران العمل والشعور بالضغط .

٦- ضرورة توضيح الوصف الوظيفي لكل موظف عند استلامه المنصب الإداري الذي سيعمل به .

٧- محاولة وضع الشخص المناسب في المكان المناسب حتى يكون هناك تناسب بين الوظيفة وبين شخصية الموظف وقدرته .

٨- توفير وسائل تكنولوجية متطورة وكافية تتلاءم مع حاجة الموظف لإنجاز العمل بسرعة .

١٠- ضرورة إعادة النظر في مستويات الرواتب في ضوء ارتفاع تكاليف المعيشة المتزايدة والأخذ بعين الاعتبار مقدار الجهد المبذول .

١١- الحرص على حسن إدارة الوقت وتنظيمه خلال العمل وذلك لدوره الكبير في التخفيف من حدة ضغط العمل .

١٢- وضع آلية معينة بخصوص التخفيف من أهم مضيعات الوقت والمتمثلة في (استخدام الهاتف بشكل غير فعال ، وزيارة بدون موعد مسبق ، وضعف التنسيق والاتصال بين الدوائر والأقسام المختلفة ، والتردد والتأجيل في إنجاز المهام ، ومغادرة المكتب قبل نهاية الدوام ، وسكرتير غير كفي ، والافتقار إلى التفويض ، والاجتماعات غير الفعالة) .

مراجع الدراسة

أولا: المراجع العربية:

- أبو ساكور تيسير، معوقات إدارة الوقت واتخاذ القرار لدى الإدارات التعليمية للمدارس الثانوية، (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات للعلوم والتربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣).
- أبو شيخة نادر، القريوتي قاسم، "إدارة الوقت في الأجهزة الحكومية في المملكة الأردنية"، (المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ع١، م١٩٩١، ٢٠).
- تيمب دايل، إدارة الوقت، (السعودية، معهد الإدارة العامة، ١٩٩١).
- حريم حسين، سلوك الأفراد في المنظمات، (عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، ١٩٩٧).
- حريم حسين، "ضغوط العمل لدى الجهاز التمريضي في المستشفيات الخاصة بالأردن"، (المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، ع١، م٦، ٢٠٠٣).
- حمودة عبد الناصر محمد، " دليل المدير العربي لإدارة الوقت"، (المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ع +م مجهولان، ٢٠٠٣).
- سويدان طارق وآخرون، فن إدارة الوقت، الطبعة الأولى، (بيروت، دار ابن حزم، ٢٠٠١).
- الطراونة سليمان، أثر الضغوط الاجتماعية التي يتعرض لها الإداري التربوي في الأردن على القرارات التربوية التي يتخذها، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩).
- العديلي ناصر، إدارة السلوك التنظيمي، الطبعة الأولى، (الرياض، ١٩٩٣).
- القريوتي محمد قاسم، السلوك التنظيمي، الطبعة الرابعة، (عمان، دار وائل للنشر، ٢٠٠٣).
- اللوزي موسى، إدارة الوقت والتطوير التنظيمي، الطبعة الأولى، (عمان، دار وائل للنشر، ١٩٩٩).
- ماهر احمد، السلوك التنظيمي، الطبعة السادسة، (الإسكندرية، الدار الجامعية، ١٩٩٧).
- المعشر زياد، "قياس وتحليل الولاء التنظيمي وضغوط العمل في الإدارات الحكومية

في محافظات الشمال في الأردن ميدانية تحليلية " ، (مجلة دراسات، ع+م مجهولان ٢٠٠٣).

- النجاجرة جهاد، عدس معتصم، إدارة الوقت ومضيعاته دراسة تحليلية لكبرى شركات الجنوب، (بحث تخرج غير منشور، كلية العلوم الإدارية ونظم المعلومات، جامعة بوليتكنك فلسطين، ٢٠٠٠).

- النعاس إيهاب، أثر إدارة الوقت على ضغوط العمل في الإدارة العامة، (بحث تخرج غير منشور، كلية العلوم الإدارية ونظم المعلومات، جامعة بوليتكنك فلسطين، ٢٠٠٣).

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Robbins Stephen, Organizational Behavior, Eighth Edition, (Mc-Graw-Hill, 2003/2004).

ثالثا: مراجع الإنترنت:

www.workstress.net

جريمة الزنى في القوانين الوضعية

دراسة مقارنة مع أحكام الشريعة الإسلامية

أ. علي عد نان الفيل*

د. نوفل علي عبد الله الصفو*

* قسم القانون العام، كلية القانون، جامعة الموصل، العراق.

ملخص البحث

الزنى جريمة بشعة، فعندما ينزلق الفرد في مستنقع الرذيلة فإنه يكون مسلوب العقل والارادة، بحيث يخرج من آدميته وإنسانيته بسبب جريمة الزنى، ويصبح أسير شهوته الجسدية وغريزته الجنسية، ولهذا يشترك في ارتكابها كل الأفراد ذكوراً وإناثاً، فقراء وأغنياء، كبار وشباب، متزوجين وغير متزوجين، ذوي دين سماوي وغيرهم ممن ليسوا ذوي دين سماوي.

والإسلام أكثر الأديان السماوية محاربة لهذا النوع من الجرائم حتى وان ارتكبت برضا الطرفين. ولهذا جاء هذا البحث عبارة عن دراسة مقارنة بين حكم القوانين الوضعية كالقانون المصري والعراقي واليمني والسوداني والسوري والأردني واللبناني مع أحكام الشريعة الاسلامية بمختلف مذاهبها.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأول تحديد ماهية الزنا في مطلبين، تم تخصيص المطلب الأول لتعريف الزنا، أما في المطلب الثاني فتم بيان أوجه الشبه والاختلاف بين الزنا وغيره من الأفعال الفاحشة. أما المبحث الثاني فقد تمت دراسة أنواع جريمة الزنا في مطلبين، ففي المطلب الأول تمت دراسة جريمة زنى الزوجية أما في المطلب الثاني فقد تمت دراسة جريمة الزنى بالمحارم.

وأخيراً توصلنا في نهاية الدراسة إلى نتائج وتوصيات أجملناها في خاتمة البحث.

Abstract

Adultery is a heinous crime. When an individual drifts into voice, his reason and well are immobilized and he loses his dignity and humanity and becomes a prisoner for his physical and sexual instincts, therefore, many individuals from the non believers males and females, rich and poor, young and old, married and unmarried participated in committing adultery.

Islam one of the most religions to fight this type of crime, even if committed with the consent of the parties. That is why this work is a comparative study between the rule of positive laws as Egyptian, Iraqi, Yemeni, Sudanese, Syrian, Jordanian and Lebanese and the rules of Islamic Sharia in different ideologies.

The study is divided into two sections. The first section addressed the question what adultery is? This is dealt with in two sub- sections: The first sub-sections is allocated to the definition of adultery. The second sub-section is to indicate the similarities and differences between adultery and other acts of indecency. The second section deals with the types of adultery in two sub-sections. The first sub-section is to study the crime of adultery in conjugation and the second sub-section deals with study of adultery with Muharrams.

At the end of the study, there are results and recommendation outlined in the conclusion of the study.

المقدمة

يعد فعل الزنى أخطر الجرائم الاجتماعية، فإذا فشا الزنى في أمة وأبيح ارتكاب الفاحشة فيها، فانه يؤدي بها إلى الانحلال وتحلل الجماعات، لذلك كان من مصلحة الجماعة تحريمه في كل العصور، وفرض اشد أنواع العقوبات على مرتكبي هذه الفاحشة، ولقد كانت الدول الإسلامية عموماً اكثر الدول التي تحارب انتشار هذه الفاحشة فلم تترك الأفراد محكومين بشهواتهم الجسدية، وإنما حرمت الزنى وسدت الذرائع التي قد توقع فيه وشجعت على الزواج بقصد عفاف النفس، ولم يكن ذلك إلا أخذاً بأحكام الشريعة الإسلامية التي عالجت هذه الجريمة معالجة شاملة ومتشددة، فعدَّت كل وطء محرم زنى، وعاقبت عليه سواء حدث من متزوج أو من غير متزوج، وسواء وقع الفعل برضا الطرفين أو برضا أحدهما، وسواء أكان بمقابل أم كان بغير مقابل، هادفة من وراء ذلك حماية مصلحة المجتمع العامة بمنع الاعتداء على نظام الأسرة التي تعد النواة التي تقوم عليها الجماعة.

في حين كانت المعالجة الوضعية لجريمة الزنى معالجة مختلفة عن المعالجة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية، اذ تبنت القوانين الوضعية أسساً معينة أقامت على أساسها تجريم فعل الزنى أو الجرائم التي تقع اعتداء على العرض بشكل عام، اذ انها جرمت هذه الأفعال إذا ما وقعت اعتداء على الحرية الجنسية للفرد عند ارتكاب الفعل بدون الرضا المعتد به قانوناً، أما إذا ارتكب الفعل برضا الطرفين الصحيح فانه لا يخضع من حيث المبدأ للمسؤولية الجنائية، إذ لا تعد القوانين الوضعية كل وطء محرم زنى، فاغلبها بصفة عامة لا يعاقب الا على الزنى الحاصل من الزوجين حماية للروابط الاجتماعية الناشئة عن العلاقة الزوجية ولا تعد ما عدا ذلك زنى، وجرمت بعض هذه القوانين بالإضافة الى ذلك فعل الزنى بالمحارم الذي يقع بين المحارم حماية منها أيضاً للروابط العائلية.

الا أن تفحص السياسة التجريمية التي اتبعتها التشريعات الوضعية في معالجة جرائم الاعتداء على العرض بشكل عام وجرائم الزنى بشكل خاص يبين القصور في تلك المعالجة وخاصة في التشريعات الوضعية العربية التي لم تأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية إذا أنها تبنت مفاهيم لا تتفق مع طبيعة مجتمعاتنا أو مع أحكام الشريعة الإسلامية، فجاءت تلك التشريعات بمعالجات قاصرة وغير شاملة لا تحقق الرادع الكافي لمنع ارتكاب تلك الجرائم إذا ما جرمتها في الأصل، لذلك اخترنا البحث في هذا الموضوع المهم لبيان مفهوم هذه الجريمة الخطيرة التي

توسع نطاق ارتكابها بشكل كبير ومن اجل إيضاح المعالجة الوضعية التي تبنتها التشريعات الوضعية وخاصة العربية منها لمنع ارتكاب هذه الجريمة مع مقارنتها مع الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية التي تتصف بأنها أحكام شاملة تصلح لكل زمان ومكان.

لذلك قسمنا بحثنا في جريمة الزنى الى مبحثين كما يأتي : -

المبحث الأول : التعريف بالزنى وتفرقته عن غيره من الأفعال الفاحشة.

المطلب الأول : التعريف بالزنى.

المطلب الثاني : التفرقة بين الزنى وغيره من الأفعال الفاحشة.

المبحث الثاني : أنواع جريمة الزنى.

المطلب الأول : جريمة زنى الزوجية.

المطلب الثاني : جريمة الزنى بالمحارم.

المبحث الأول

التعريف بالزنى وتفرقته عن غيره من الأفعال الفاحشة

من أجل معرفة السياسة التي اتبعتها القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية في تجريم هذه الجريمة الخطيرة، كان لا بد في البدء من تحديد مفهوم الزنى وذلك بتعريف الزنى وتفرقته عن غيره من الأفعال الفاحشة التي قد تشتبه به أو تشترك معه في بعض الأحكام، لذلك نقسم دراستنا في هذا المبحث الى مطلبين كما يأتي :

المطلب الأول : التعريف بالزنى .

المطلب الثاني : التفرقة بين الزنى وغيره من الأفعال الفاحشة .

المطلب الأول

التعريف بالزنى

جعلت الشريعة الإسلامية المحافظة على العرض مقصداً من مقاصدها لأهميته في المحافظة على النسل ومنع شيوع الفاحشة، ومن أجل تحقيق هذا المقصد جاءت الشريعة بأحكام وتدابير وقائية تقي من الوقوع في الزنى، فحثت على الزواج ورغبت فيه وسهلت سبله، وأمرت النساء بالتستر والبعد عن الخلوة والسفر بدون محرم، ومنعت الاختلاط المحرم، وبشكل عام منعت كل طريق يمكن ان يؤدي الى الوقوع في الزنى، قال تعالى) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (([1])، وبعد كل هذه الاحتياطات شرعت الأحكام المنظمة لعقوبة الزنى فجعلتها من الحدود لتكون شدة العقوبة وسيلة ردع وزجر مع تشددها في إثبات هذه الجريمة لما يترتب عليها من آثار سيئة على الفرد والمجتمع .

وتؤدي الغريزة الجنسية دوراً مهما في تكوين شخصية الفرد، ولها انعكاسات لا تنكر على تصرفاته والتوجه به نحو الأعمال الحميدة أو الضارة، وان نشاط الغريزة الجنسية وان كان امراً طبيعياً بل ضرورياً في حياة الكائنات الحية جمعاء، فإن المثل العليا المغروسة في ضمير الإنسان بفعل الدين والتربية البيئية قد قيدت ممارسة الإنسانلتلك الغريزة من ناحيتين، أولها يلزمه باخفاء تلك الممارسة والا كان مخالفاً لمقتضيات الأخلاق العامة، وثانيهما يلزمه بالممارسة المشروعة للجنس والا كان مفرطاً في صيانة عرضه .

أما فيما يتعلق بالقوانين الجنائية الوضعية، فانها تقف من تجريم الأفعال الماسة بالعرض

والآداب العامة عند حدود اقل اتساعاً من الحدود التي تقف عندها المعالجة الشرعية والاجتماعية لهذه الأفعال، اذ لا يتبنى القانون الجنائي المفهوم الأخلاقي المطلق لفكرة صيانة العرض، وكذلك الحال بالنسبة للمفهوم الشرعي، فمن الأفعال ما يعد خطيئة دينية ورذيلة أخلاقية، ولكنه لا يخضع لنص تجريم قانوني فيعد فعلاً مباحاً من الناحية القانونية مع وجود قاعدة لا جريمة ولا عقوبة الا بناء على نص قانوني، ذلك ان قواعد الدين أو الأخلاق تخاطب في الإنسان ضميره وتحاسبه بالتالي على ما يخفيه، في حين لا يجوز للقانون ان يتدخل بعقابه الا في الحدود التي يمكن فيها إقامة الدليل على انتهاك أوامره ونواهيه، وهذا ما لا يمكن الوصول اليه الا من خلال وسائل يمقتها المجتمع كالتجسس على أسرار الناس وخفاياهم مما يؤدي الى حصول الضرر الذي يفوق الفائدة المرجوة من تطهير الخلق الفردي(٢).

فالتشريعات الجزائية الوضعية تعد نقاء العرض وصيانته حقاً فردياً، لذلك استبعد المشرع الجزائي من حيث المبدأ اغلب الممارسات الجنسية الإرادية فلم يتدخل في تجريمها باعتبارها تتم بالرضا المعتبر قانوناً، لأنها تدخل في نطاق ما يسمى بالحرية الجنسية، واقتصر تدخل المشرع الجزائي وفقاً للمفهوم الاجتماعي لحماية العرض عندما تكون الممارسات الجنسية غير المشروعة قد تمت مع انعدام الرضا أو عندما تكون الإرادة غير معتبرة قانوناً، كما لو وقعت تلك الممارسة بالحيلة أو بالإكراه المادي أو المعنوي، أو كان المجني عليه لا يملك قانوناً أهلية الرضا(٣)، في حين ان الشريعة الإسلامية تهدف الى حماية العرض في ذاته حرصاً منها على الأخلاق العامة وصيانة للفضيلة، لذلك فقد حرمت الممارسات الجنسية غير المشروعة كافة، وان كانت تلك الممارسة برضاء أطرافها، لذلك كان نطاق حمايتها اكثر اتساعاً من الحماية التي تقررها القوانين الوضعية.

ومن أجل تعريف الزنى في ظل اختلاف نطاق الحماية الشرعية أو القانونية كان لا بد في البدء من التطرق الى تعريف العرض وتحديد مفهومه على اعتبار ان جريمة الزنى من اهم جرائم الاعتداء على العرض وفقاً للمفهوم الأخلاقي، لذلك فقد قسمنا هذا المطلب الى فرعين يبحث أولهما في تعريف العرض وتحديد مفهومه، ويبحث ثانيهما في تعريف الزنى في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.

الفرع الأول

تعريف العرض وتحديد مفهومه

العرض لغة هو الجسد أو النفس يقال: أكرمت عنه عرضي، أي صنت عنه نفسي، ويقال فلان نقي العرض، أي برئ من ان يشتم ويعاب(٤). وعرفاً هو الطهارة الجنسية، أي التزام الشخص سلوكاً جنسياً يبعد به عن ان يوجه اليه لوم اجتماعي(٥).

وللعرض مفهومان أخلاقي واجتماعي يتحدد على أساسهما كون الممارسة الجنسية مشروعة أو غير مشروعة على اعتبار ان العرض هو الحق الذي تناله الجريمة بالعدوان.

أولاً: المفهوم الأخلاقي للعرض

يستمد المفهوم الأخلاقي للعرض مقوماته من القواعد الدينية والمعتقدات الأخلاقية النابعة من المثل العليا، وهو يتوجه الى الفرد فيحثه على التحلي بالأخلاق والفضيلة والابتعاد عن كل فعل أو تصرف يتعارض مع مقتضيات الحفاظ عليها(٦).

ويقوم هذا المفهوم على مبدأ ان نقاء العرض هو واجب على الفرد تجاه نفسه كما انه حق لصاحبه في مواجهة الآخرين، لذلك كان القصد منه وفقاً لهذا المفهوم صيانة الجسد عن كل ممارسة غير مشروعة للجنس، فإذا كانت تلك الممارسة مشروعة كان العرض مصاناً من الناحية الأخلاقية، أما إذا كانت الممارسة غير مشروعة، فإن ذلك يعد تفريطاً في العرض(٧). وقد سيطر هذا المفهوم على أغلب التشريعات الأوربية حتى القرن الثامن عشر، تحت تأثير القانون الكنسي، فكان يشمل كل أنواع العلاقات الجنسية التي يمكن ان تقع خارج نطاق الزواج، بحيث أصبحت كل خطيئة تشكل جريمة وفقاً لهذا المفهوم، سواء أكانت في شكل خيانة زوجية، أو زنى بالمحارم، أو اغتصاب، أو أي فعل جنسي اخر(٨).

وإستناداً لما تقدم يمكن القول إن المفهوم الأخلاقي للعرض مفهوم فردي يرتبط بفكرة الممارسة المشروعة للجنس، فان كانت تلك الممارسة مشروعة في إطار الزواج كان العرض مصاناً، اما اذا كانت الممارسة خارج هذا الإطار كانت غير مشروعة يتحقق فيها التفريط في العرض، فالعرض فكرة فردية ترتبط بالفرد لا بالمجتمع، لكنه لا يشكل حقاً لصاحبه فحسب وانما ايضاً واجباً عليه فهو أقرب الى (الحق الواجب) مما يؤدي الى حماية العرض من اعتداء الآخرين عليه ومن تفريط صاحبه فيه، فهذا المفهوم يلغي دور الإرادة في التصرف في العرض، فاذا تم الفعل مع انعدام الرضا كان اعتداء على العرض، وان تم بالإرادة كان تفريطاً فيه(٩).

ويتضح هذا المفهوم بصورة جلية في أحكام الشريعة الإسلامية التي منعت أي ممارسة جنسية

إلا في إطارها المشروع وهو الزواج، وجرمت فعل الزنى الذي يعد اهم أفعال الاعتداء على العرض وحددت له عقوبة مقدرة، كما منعت ما هو دون الزنى من أفعال ذات مدلول جنسي كالتقبيل أو العناق، وعدت ذلك اعتداء على العرض يستحق مرتكبه عقوبة تعزيرية، في حين ان المفهوم القانوني يختلف عن المفهوم الأخلاقي اذ ينظر المفهوم القانوني الى العلاقات الجنسية وفقاً لمبدأ الحرية في ممارستها، فلا يجرم من العلاقات الجنسية غير المشروعة الا ما كان يتضمن اعتداء على النظام الاجتماعي.

ثانياً: المفهوم الاجتماعي للعرض

وفقاً للمفهوم الاجتماعي فان العرض يعد حقاً لصاحبه يجوز ان يتصرف به بالرضا الصحيح، فاصبح الاعتداء على العرض يقصد به الاعتداء على الحرية الجنسية لا على العرض في ذاته مما ادى الى ظهور فكرة الجاني والمجني عليه في جرائم العرض، وقد أدى ظهور هذا المفهوم الى تراجع المفهوم الأخلاقي للعرض واندثاره وزوال الارتباط الذي كان قائماً بين المشروعية والعرض، فقد صارت صيانة الجسد عن الممارسات الجنسية غير المشروعة تمثل حقاً للفرد يجوز ان يتصرف فيه دون ان يؤاخذ على تفريطه في حفظه(١٠). وقد ظهر هذا المفهوم مع بداية الثورة الفرنسية وسيطرة النظرة العلمانية على المفاهيم الاجتماعية، اذ انفصلت المضامين الاجتماعية للقيم عن المضامين الدينية والأخلاقية، فلم يعد من اللازم ان يشكل الفعل الذي يعد خطيئة في نظر الدين أو عيباً في نظر الأخلاق عملاً غير مشروع في نظر القانون، ولم يعد العرض مرادفاً للفضيلة الاجتماعية في القانون، وانما يعني الحرية الجنسية، فيعد الفعل اعتداء على العرض اذا تضمن مساساً بهذه الحرية أو خروجاً على الحدود الموضوعة لها(١١).

اما فيما يتعلق بموقف القوانين الوضعية الحديثة من السياسة التشريعية الخاصة بجرائم العرض، فقد بينا سابقاً ان المفهوم القانوني للعرض يختلف عن المفهوم الأخلاقي، اذ لا يجرم القانون كل فعل يتصل بالحياة الجنسية، وانما يحصر جرائم الاعتداء على العرض في نطاق ضيق، وذلك عندما يشكل الفعل اعتداء على الحرية الجنسية للفرد، لذلك يمكن القول ان هناك اتجاهين رئيسيين مختلفين في هذا الخصوص يتجه أولهما الى تبني أحكام الشريعة الإسلامية التي تعد أوضح تطبيق للمفهوم الأخلاقي للعرض، والذي يحصر الممارسات الجنسية المشروعة في نطاق العلاقة الزوجية، ومن التشريعات الجزائية التي تبنت هذا الاتجاه قانون العقوبات اليمني (١٢) الذي جرم في الباب الحادي عشر من الكتاب الثاني من قانون العقوبات جرائم الاعتداء على العرض وذلك تحت عنوان الزنى وهتك العرض وافساد

الأخلاق، وكذلك القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١ الذي جرم في الباب الخامس عشر جرائم الاعتداء على العرض تحت عنوان جرائم العرض والآداب والسمعة. أما الاتجاه الثاني فهو توجه أغلب القوانين الوضعية الحديثة التي اخذت بالمفهوم الاجتماعي للعرض فحصرت مجال التجريم في أفعال الاعتداء على الحرية الجنسية، وأباحت الممارسات الجنسية التي ترتكب برضا أطرافها المعتد به قانوناً، فانحصر تدخل قانون العقوبات الى أضيق الحدود، فاصبح تدخله – كمبدأ عام – معلقاً على توافر ظروف تدل على وقوع اعتداء على العرض بمفهومه الاجتماعي، وقد تبنت معظم القوانين الأوربية هذا الاتجاه(١٣). وكذلك معظم التشريعات الناقلة عن التشريعات اللاتينية ومنها القانون المصري(١٤)، والأردني(١٥)، كما أخذ المشرع الجنائي العراقي في قانون العقوبات المرقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ بالاتجاه ذاته فتبنى المفهوم الاجتماعي للعرض في تجريمه للجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة التي نص عليها في الباب التاسع من الكتاب الثاني من قانون العقوبات. ولا يؤثر على توجه القوانين السابقة نحو تبني المفهوم الاجتماعي للعرض قيامها بتجريم بعض الأفعال التي تشبه الجرائم التي قررها لحماية العرض، اذ ان المصلحة المحمية في تلك الجرائم تختلف عن المصلحة المحمية في جرائم الاعتداء على العرض، وتلك الجرائم تشمل مجموعة الجرائم المخصصة اما لحماية الأسرة كجريمة زنى الزوجية أو لحماية الحياء العام كجريمة الفعل الفاضح العلني أو لحماية النظام العام للدولة من بعض الأنشطة الجنسية الخطرة كجرائم البغاء.

الفرع الثاني

تعريف الزنى في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

من اجل تحديد مفهوم جريمة الزنى كان لا بد من استعراض التعريفات المختلفة للزنى خاصة مع اختلاف المفهوم الأخلاقي والاجتماعي للعرض.

أولاً: تعريف الزنى شرعاً

حرمت الشريعة الإسلامية كل وطء خارج حدود علاقة الزواج وعاقبت عليه سواء حدث من متزوج أو غير متزوج، فكل وطء محرم في الشريعة هو زنى، والوطء هو تغييب حشفة الذكر في احد فرجي المرأة أو في كلاهما على خلاف بين الفقهاء(١٦).

فقد عرف الحنفية الزنى بانه ((وطء الرجل المرأة في القبل في غير الملك وشبهة الملك))(١٧).

وعرفه الشافعية بانه((تغييب البالغ العاقل حشفة ذكره في احد الفرجين من قبل أو دبر ممن

لاعصمة بينهما أو شبهة))(١٨) .

وعرفه الحنابلة بانه((الوطء في القبل أو الدبر))(١٩) .

وعرفه المالكية بأنه ((وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين))(٢٠) .

وعرفه الزيدية بانه ((أيلاج فرج حي في فرج حي قبل أو دبر بلا شبهة))(٢١) . وعرفه الظاهرية بانه((وطء من لا يحل النظر الى مجردها مع العلم بالتحريم أو هو وطء محرمة العين))(٢٢) .

يتبين من التعاريف السابقة اختلاف فقهاء الشريعة فيما اذا كان مفهوم الزنى يشمل الوطء في القبل أو في الدبر ، فيرى المالكية والشافعية والحنابلة والزيدية ان الوطء في الدبر يدخل في مفهوم الزنى ، اما ابو حنيفة فلا يرى الوطء في الدبر زنى وانما يراه معصية يعزر فاعلها نظراً لاختلاف اسمي الفعلين ، لأن الوطء من الدبر يسمى لواطاً ، كما ان الزنى يؤدي الى اشتباه الأنساب وتضييع الأولاد وليس الأمر كذلك بالنسبة للواط ، وهذا رأي الظاهرية ايضاً فهم يتفقون مع أبى حنيفة فيما ذهب اليه لعدم ورود نص صحيح يعطي اللواط حكم الزنى(٢٣) .

ونرى ان التعريف الذي جاء به الحنفية والتوجه الذي ذهبوا اليه من قصر مفهوم الزنى على الوطء من قبل هو الاكثر دقة لقوة الأسانيد الني استندوا اليها ، فيكفي انتفاء علة اختلاف الأنساب في جريمة اللواط لأنه لا يمكن تحققها ، في حين تعد أهم اسباب تجريم فعل الزنى للتمييز ما بين الفعلين لذلك نرى ان فعل الزنى يقتصر على وطء المرأة في قبل عند انتفاء الشبهة وتوافر القصد ، سواء كان محصناً أو غير محصن ، وسواء تم الفعل برضا الطرفين ، أو تم بدون رضا الأنثى ، ففي كلتا الحالتين يعاقب الرجل ، أما الأنثى فانها لا تعاقب في حالة الإكراه على الفعل . ولا تدخل المباشرة في مفهوم الوطء ، لأن المباشرة تسبق الوطء ، وقد تؤدي اليه ، ويدخل في مفهوم المباشرة اللمس والتقبيل والعناق والنظر إلى الأعضاء التناسلية(٢٤) .

ثانياً: تعريف الزنى في القانون الوضعي

بينا سابقاً ان اغلب التشريعات الوضعية لم تتبن المفهوم الأخلاقي للعرض فلم تجرم كل ممارسة جنسية غير مشروعة ، بل تبنت المفهوم الاجتماعي للعرض باعتباره حقاً للفرد في حماية جسده من كل ممارسة جنسية تقع عليه دون إرادته المعتبرة قانوناً لما في ذلك من اعتداء على حريته الجنسية .

لذلك تختلف القوانين الوضعية في نظرتها الى الزنى عن نظرة الشريعة الإسلامية، اذ انها لا تعد كل وطء محرم زنى، اذ لا تتعرض القوانين الوضعية للجرائم الأخلاقية الا في الحدود التي تقتضيها المصلحة الاجتماعية، والقاعدة في ذلك ان الافعال الشخصية المحضة لا يعاقب عليها الا اذا تعدت الى الغير بالإيذاء، فلم تجرم الأفعال الآثمة لذاتها وإنما وضعت ضوابط معينة عند التجريم، فقد جرم القانون الأفعال التي تعد اعتداء على الحرية الجنسية كما هو الحال في جرائم الاغتصاب وهتك العرض واللواط والفعل الفاضح العلني، وجرم الأفعال المنافية للآداب متى ارتكبت علناً لخدشها الحياء العام كما هو الحال في الفعل الفاضح العلني، وجرم الأفعال التي تنتهك الثقة في العلاقة الزوجية بتجريم الزنى، اما عدا ذلك فقد بقي خارج نطاق التجريم ان لم يكن فيه مساس بالنظام العام للدولة كما هو الحال في بعض الأنشطة الجنسية الخطرة كجرائم البغاء(٢٥)، فإذا ما تم الفعل مع امرأة بالغة عاقلة غير متزوجة ولم تكن محرماً، ولم يكن الفعل خاضعاً لاحكام البغاء، وحصل بالرضا في محل خاص فانه لا يخضع لنص تجريم في القوانين الوضعية. ولم تتضمن القوانين الوضعية تعريفاً للزنى، تاركة الأمر للفقه لتحديده بعبارات وصيغ مختلفة، الا انها نظمت أحكام جريمة الزنى والعقاب عليها على اساس حماية العلاقة الزوجية، اذ انها لا تعد المواقعة زنى الا اذ كان احد طرفي العلاقة الجنسية متزوجاً، لذلك فانها قد تناولت هذا الجريمة ضمن الجرائم التي تمس الاسرة على اعتبار ان الفعل ينتهك الرابطة الزوجية لما فيها من اخلال بواجبات الزواج الذي هو قوام الاسرة باعتبارها الخلية الأساسية في بناء المجتمع ونظامه.

وتكاد القوانين المعاصرة تجمع على اعتبار الزنى بهذا المفهوم فعلاً مجرماً ينبغي التصدي له والعقاب عليه، باستثناء القانون الانجليزي الذي يعد الزنى خطيئة اخلاقية ومدنية تجيز الطلاق وطلب التعويض على اساس ان العقاب لن يردع الفاعل عن الاقدام على الفعل(٢٦).

ومن هذا المنطلق فقد عرف بعض الفقهاء الزنى بانه (ارتكاب الوطء غير المشروع من شخص متزوج مع امرأة برضاها حال قيام الزوجية فعلاً أو حكماً)(٢٧).

في حين تبنت بعض القوانين الوضعية كالقانون اليمني(٢٨) الاتجاه الذي تمثله الشريعة الإسلامية من حيث تحقق جريمة الزنى في حق كل شخص ذكراً كان ام انثى محصناً كان ام غير محصن مع اختلاف الحد في الحالتين.

واتجهت تشريعات اخرى على الرغم من اخذها بالاتجاه الذي يضيق من نطاق جرائم الاعتداء على العرض وقصرها الحماية على حالة الاعتداء على الحرية الجنسية، الى تبني سياسة جزائية اقرب ما تكون الى الاتجاه الذي تمثله الشريعة الإسلامية من خلال عقابها على

فعل الزنى (على الرغم من بساطة العقوبة) سواء وقع بين متزوجين أو غير متزوجين، وهذا توجه القانونين اللبناني والأردني اللذين عاقبا مرتكب هذه الجريمة الا انهما لم ينصا عليها ضمن جرائم الاعتداء على العرض وانما ضمن جرائم الأسرة لانهما أخذا بالمفهوم الاجتماعي للعرض(٢٩)، اذ لا يعدان الزواج شرطاً للعقاب على الفعل الزنى، لتعلق الجريمة بكيان الاسرة باعتبارها نواة المجتمع(٣٠)، وعلى هذا الاساس فقد عرف بعضهم جريمة الزنى بانها (ارتكاب الوطء الطبيعي غير المشروع من رجل على انثى غير متزوجة أو متزوجة برضاهما، حال قيام الزوجية حقيقة أو حكماً، أو حال انعدامها بين الاثنين)(٣١). كما جرمت بعض التشريعات الوضعية افعال مواقعة الشخص لاحدى محارمه برضاها المعتدِ به قانوناً وهو الفعل الذي تقوم به جريمة الزنى بالمحارم أو كما يطلق عليها البعض(٣٢) جريمة وطء المحرمات. على الرغم من ان المشرع لم يورد ذكر ذلك بشكل صريح، الا ان الفعل لا يدخل في مفهوم أي جريمة من جرائم الأخلاق والآداب العامة التي يشترط لوقوعها انعدام الرضا، لذلك عالجتها بعض التشريعات الجزائية ضمن الجرائم الاجتماعية وعلى الرغم من اتفاقنا مع التعريف الذي وضعه البعض(٣٣) لفعل الزنى اذ عرفه بانه (مواقعة رجل لانثى غير زوجه مواقعة طبيعية برضاها الصحيح)، إذ أنه قصر تعريف على الفعل الذي يتوافر فيه رضا صحيح يعتد به قانوناً فاستبعد بذلك كل فعل يحصل مع انعدام الرضا أو مع الرضا غير المعتد به قانوناً لأنه يخضع لأحكام جريمة الاغتصاب، كما انه قصر التعريف على الفعل الذي يقع من رجل على انثى أي مع اختلاف الجنس فاستبعد بذلك الفعل الذي يتم مع اتحاد الجنس أي من ذكر على ذكر أو من انثى على انثى لأن الفعل سوف يخضع عندئذ لأحكام جرائم اللواط والسحاق بالنسبة للتشريعات التي تجرم هذه الافعال، كما انه جعل الفاعل في هذا الفعل هو الرجل والمجني عليه هي الأنثى فاستبعد بذلك وقوع الفعل من انثى على ذكر لأنه سوف يخضع عندئذ لأحكام جريمة هتك العرض اذا ما ارتكب الفعل مع انعدام الرضا، كما انه قصر التعريف على فعل المواقعة الطبيعية أي الايلاج من قبل فاستبعد بذلك كل فعل هو دون المواقعة أو الفعل الذي يتم بالمواقعة غير الطبيعية أي الايلاج من دبر لأن هذه الأفعال سوف تخضع لأحكام جرائم اخرى كهتك العرض أو الفعل الفاضح على حسب جسامة الفعل أو لأحكام جريمة اللواط ان حصل الفعل بالمواقعة غير الطبيعية، كما انه اشترط وقوع الفعل من رجل على انثى غير زوجه فاستبعد بذلك وجود المشروعية التي تبيح الفعل.

إلا أننا لا نتفق مع هذا التعريف في قصره وقوع الفعل من رجل متزوج إذ انه يقصر الأمر على جريمة زنى الزوجية فلا يشمل جريمة الزنى بالمحارم التي تقع من رجل على أنثى محرمة.

لذلك يمكن أن نعرف فعل الزنى بأنه ((مواقعة رجل لانثى مواقعة طبيعية برضاها الصحيح بصورة غير مشروعة)).

اذ سوف يشمل هذا التعريف كل وطء محرم لا يدخل في مفهوم احدى جرائم الاعتداء على العرض التي بينها القانون.

المطلب الثاني

التفرقة بين الزنى وغيره من الأفعال الفاحشة

تبين لنا مما تقدم اختلاف مفهوم الزنى في الشريعة الإسلامية عنه في القوانين الوضعية لاختلاف المفاهيم والغاية من التجريم، إذ إن مفهومه في الشريعة هو أوسع منه في القوانين الوضعية، فهناك أفعال أخرى للاعتداء على العرض في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية قد تلتقي في بعض عناصرها مع فعل الزنى وخاصة في تحققها عن طريق المواقعة وتختلف عنه في عناصر أخرى مما يتطلب التفرقة بينها وبين هذه الأفعال هي :

أولاً: الاغتصاب

لا يختلف مفهوم الاغتصاب عن فعل الزنى في الشريعة الإسلامية، لأن مفهوم الزنى في الشريعة يتحقق بكل وطء محرم سواء تم الفعل برضا الطرفين، أو تم بدون رضا الأنثى، ففعل الاغتصاب يدخل في مفهوم الزنى شرعاً ففي الحالتين يعاقب الفاعل اما المجني عليها فإنها لا تعاقب وفقاً للرأي الراجح لأنها أكرهت على الفعل (٣٤).

أما في القانون الوضعي فان مفهوم الاغتصاب يختلف عن مفهوم الزنى، فقد عرف الاغتصاب بأنه (اتصال رجل بامرأة ليست حلاً له اتصالاً جنسياً كاملاً دون رضا صحيح منها بذلك)(٣٥). فمن أهم أركان جريمة الاغتصاب هو وقوع الفعل مع انتفاء الرضا به سواء كان ذلك نتيجة الإكراه أو عدم اعتبار الرضا قانوناً، في حين يقتصر مفهوم الزنى في القانون الوضعي على المواقعة غير المشروعة التي تتم برضا صحيح معتبر قانوناً فيلتقي المفهومان في وقوع الفعل من رجل على أنثى عن طريق المواقع الطبيعية غير المشروعة، ويختلفان في عنصر الرضا فيتم فعل الاغتصاب مع انعدام الرضا، أما فعل الزنى فيتم مع وجود الرضا الصحيح، لذلك كانت معالجة القوانين الوضعية لهذه الجرائم معالجة مختلفة، فنصت على جريمة الاغتصاب ضمن جرائم الاعتداء على العرض، فين حين نصت على جريمة الزنى ضمن الجرائم الاجتماعية.

ثانيا: اللواط

وهو عبارة عن علاقة جنسية غير طبيعية بين أشخاص من الجنس نفسه من ذكر مع ذكر آخر، أو بين شخصين مختلفين (ذكر وأنثى بإتيانها في غير المكان الطبيعي للوطء)(٣٦)، فهو فعل شاذ يتحقق بالمواقع غير الطبيعية بالوطء في دبر، ويقع على الأنثى كما يقع على الذكر، وهو فعل قوم لوط الذي ذمه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ((٣٧). وقد اختلف فقهاء الشريعة كما سبق وان أوضحنا في حكم اللواط وفيما إذا كان يدخل في تعريف الزنى ؟ أم انه معصية يعزر فاعلها، فذهب جمهور الفقهاء آلي إدخال الوطء من دبر (أي اللواط) في مفهوم الزنى، وخالفهم في ذلك أبو حنيفة ففرق بين مفهوم الزنى الذي لا يتحقق عنده إلا بالوطء في القبل ولا يقع إلا من رجل على امرأة وعقوبته الحد وهي الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن، ومفهوم اللواط وهو مواقع غير طبيعية تتحقق بالوطء في الدبر ويقع من الذكر على الذكر أو من الذكر على الأنثى، وهو معصية يستوجب التعزير الذي يقدره ولي الأمر(٣٨).

أما في الفقه الوضعي، فان فعل اللواط يتميز عن أفعال الزنى والاغتصاب وهتك العرض، لأن تحقق الفعل يقتصر على حالة قيام الجاني بإيلاج عضو التذكير في دبر المجني عليه أو المجني عليها مع انعدام الرضا(٣٩). وعلى الرغم من ذلك نجد بعض القوانين كقانون العقوبات العراقي(٤٠) قد ساوت في العقاب بين جريمة الاغتصاب وجريمة اللواط فلم تفرد لها نصاً خاصاً وإنما نصت عليها ضمن النص الخاص بجريمة الاغتصاب على الرغم من الاختلاف بينهما، إذ لا يمكن إن تستوي الجريمتان، إذ إن الآثار التي تتركها جريمة الاغتصاب هي أشد جسامة إذ إنها قد تؤدي إلى اختلاط الأنساب وهذا قد يؤدي إلى انهيار الأسس التي تقوم عليها الأسرة، لذلك كان الأجدر بالمشرع العراقي أن يراعي هذا الاختلاف بين الجريمتين فيفرد لها نصاً خاصاً للتجريم، ويجعل عقوبتها اقل درجة من عقوبة جريمة الاغتصاب مراعاة لجسامة كل جريمة على حدة.

وقد اخذ قانون العقوبات اليمني بالاتجاه ذاته، إذ على الرغم من عدم إدخاله فعل اللواط ضمن مفهوم الزنى وأفراده بنص خاص إلا انه ساوى في عقاب الجريمتين على الرغم من اختلافهما، فعاقب مرتكب الفعل (اللاط والمخلوط) بالرجم حتى الموت إن كان محصناً، وبالجلد مائة جلدة إن كان غير محصن مع جواز تعزيره بالحبس مدة لا تجاوز سنة (٤١)، مع ملاحظة أن القانون اليمني قد تبنى المفهوم الأخلاقي للعرض، فهو يعاقب على الفعل وان تحقق مع توافر الرضا الصحيح على خلاف القوانين التي تبنت المفهوم الاجتماعي للعرض

والتي تشترط كمبدأ عام انعدام الرضا للعقاب على فعل اللواط .

وكذلك فعل المشرع اللبناني حينما خرج على المبدأ العام الذي اخذ به فيما يتعلق بجرائم الاعتداء على العرض بتبنيه المفهوم الاجتماعي للعرض وعدم عقابه على الممارسة الجنسية الصادرة عن رضا معتبر قانوناً، إذ أخذ فيما يتعلق بالممارسات الجنسية غير الطبيعية كفعل اللواط بالمفهوم الأخلاقي للعرض عندما نص في المادة (٥٣٤) عقوبات لبناني على أن : ((كل مجامعة على خلاف الطبيعة يعاقب عليها بالحبس حتى سنة واحدة))، إذ يرى بعضهم[٤٢] آن هذا النص قد جاء مطلقاً ليشمل كل مجامعة غير طبيعية سواء تمت برضا صحيح أو بدونه . في حين لم تنص بعض التشريعات كقانون العقوبات المصري والأردني على هذه الجريمة بشكل صريح، تنما عدتها جريمة من جرائم هتك العرض إن وقعت بالإكراه أو الخداع أو الحيلة، أو على شخص لم يبلغ سن الحماية المقررة قانوناً في هذه الجرائم، فإذا وقع فعل هتك على إنسان بلغ ١٥ سنة برضاه لا يعد جريمة(١)

المبحث الثاني

أنواع جريمة الزنى

تبين لنا مما تقدم اختلاف مفهوم الزنى في الشريعة الإسلامية عنه في القانون الوضعي، إذ يعد الزنى في الشريعة من أهم جرائم الاعتداء على العرض وأخطرها، لذلك تشددت الشريعة في معالجة هذه الجريمة فعدتها من جرائم الحدود التي حدد الشارع عقوبتها وجعلها من اشد أنواع العقوبات التي عرفتها الشريعة الإسلامية، ويتحقق مفهوم الزنى في الشريعة بكل وطء محرم يقع من ذكر على أنثى سواء أكان محصنين أم غير محصنين، وسواء توافر الرضا لدى الطرفين أم توافر عند أحدهما فقط، وسواء كان الفعل بمقابل أم بغير مقابل، لذلك كانت معالجة الشريعة معالجة شاملة ومتكاملة من أجل منع ارتكاب هذه الجريمة الخطيرة. أما التشريعات الوضعية فاغلبها قد تبنى المفهوم الاجتماعي للعرض فلا يجرم من حيث المبدأ إلا الممارسات الجنسية غير المشروعة التي تقع مع عدم توافر الرضا، لأنها تعد تلك الأفعال اعتداء على الحرية الجنسية للفرد، لذلك اختلفت معالجتها لجريمة الزنى عن المعالجة الشرعية، إذ لا تعد القوانين الوضعية كل وطء محرم زنى، إنما تقصر تعريف جريمة الزنى على المواقع الطبيعية التي تقع من ذكر على أنثى برضاها الصحيح بصورة غير مشروعة، كما أن أساس تجريمها لهذا الفعل يختلف عن الأساس الشرعي في تجريم فعل الزنى وهو حماية العرض، إذ جرمت معظم القوانين الوضعية فعل الزنى على أساس حماية الروابط الاجتماعية لذلك فإنها قد نظمت أحكام جريمة الزنى والعقاب عليها ضمن الجرائم الاجتماعية وليس ضمن جرائم الاعتداء على العرض لأنها لا تتضمن اعتداء على الحرية الجنسية لأنها تقع مع توافر رضا الطرفين المعتد به قانوناً، لذلك لم تجرم القوانين الوضعية كل الأفعال الجنسية غير المشروعة التي تقع مع توافر الرضا، وإنما جرمت بشكل عام الجرائم التي تقع اعتداء على الروابط الأسرية والعائلية كجريمتي زنى الزوجية والزنى بالمحارم وحددت لهما عقوبة لا تتناسب وخطورتها.

وسوف نتطرق في هذا المبحث إلى بحث هاتين الجريمتين من خلال تقسيمه إلى مطلبين، يبحث أولهما في جريمة زنى الزوجية، ويبحث ثانيهما في جريمة الزنى بالمحارم أو السفاح.

المطلب الأول

جريمة زنى الزوجية

تتحقق جريمة الزنى وفقاً للمفهوم الشرعي سواء أكان الفعل قد وقع من محصن أم كان غير محصن، فليس من أركان الجريمة قيام العلاقة الزوجية، لذلك فان جريمة الزنى تقوم في الشريعة الإسلامية على ركنين أولهما الوطء المحرم وثانيهما العمد، إذ تتحقق الجريمة بالوطء المحرم المتعمد، كما تتحقق الجريمة سواء تم الفعل مع توافر الرضا؛ الصحيح أو مع عدم توافر الرضا إذ تعاقب الشريعة على الرذيلة في ذاتها بصرف النظر عن تعدي أثرها إلى الغير، أما جريمة الزنى في مفهومها القانوني فتفترض دائماً الرضا بالوطء، لذلك فانه لا يتم بحثها ضمن جرائم الاعتداء على الحرية الجنسية التي تفترض وقوع الفعل دون رضا المجني عليه، إنما تبحث ضمن الجرائم الاجتماعية، ومن أهم جرائم الزنى في القوانين الوضعية جريمة زنى الزوجية التي يهدف المشرع من وراء تجريمها إلى حماية الأسرة بالمحافظة على حق كل من طرفي رابطة الزوجية في عدم إخلال الآخر بعهد الزواج وصيانة نظام الأسرة.

وقد عرفت جريمة زنى الزوجية في الاصطلاح القانوني بأنها (الوطء الذي يحصل من شخص متزوج حال قيام الزوجية فعلاً أو حكماً)(٤٣)، كما عرفت بأنها (اتصال شخص متزوج - رجلاً أو امرأة اتصالاً جنسياً بغير زوجه)(٤٤)، وعرفها بعضهم بأنها (ارتكاب الوطء غير المشروع من شخص متزوج مع الغير برضاهما، حال قيام الزوجية فعلاً أو حكماً مع توافر القصد الجنائي)(٤٥)، وتتجه اغلب التشريعات الوضعية إلى العقاب على فعل الزنى بهذا المفهوم على اعتبار أن فيه انتهاكاً لحرمة الزواج(٤٦)، إذ يحمي الشارع بتجريم هذا الفعل أهم حقوق الزوجية، إذ لكل من الزوجين الحق في أن يستأثر بالعلاقات الجنسية لزوجه، ويترتب عليه بالمقابل التزام بالإخلاص الجنسي لزوجه، وهذه الحقوق والالتزامات المتبادلة هي جوهر الزواج، لذلك فان في تجريم هذا الفعل حماية لكيان الزواج الذي يعد أساس العائلة التي تعد بدورها نواة المجتمع، لذلك فان تجريم زنى الزوجية هو حماية للعائلة والمجتمع، وليس فقط لحماية حق الزوج المجني عليه، لذلك يرى بعضهم أن رضا الزوج المسبق بالزنى لا يبيح الفعل(٤٧).

ولا يمس بالطابع الاجتماعي للحق المتعدى عليه في هذه الجريمة كونها من الجرائم ذات الوضع الخاص، ذلك أن المشرع قد علق تحريك الدعوى الجنائية على شكوى المجني عليه، إذ جعلت معظم التشريعات الجنائية جريمة الزنى من الجرائم التي يتوقف تحريك الدعوى

الجنائية فيها على شكوى المجني عليه(٤٨)، أي من جرائم الشكوى الخاصة، وذلك لاعتبارات اجتماعية من اجل المحافظة على كيان الأسرة، إضافة إلى أن الضرر الخاص الذي يلحق بالعائلة اكبر من الضرر العام الذي قد يلحق بالمجتمع.

ويمكن أن نلاحظ أن المفهوم القانوني لجريمة زنى الزوجية يلتقي مع المفهوم الشرعي لجريمة الزنى في عناصر عدة إذ أن الجريمة تقوم بالوطء غير المشروع الذي يقع من ذكر على أنثى، فالجريمة تتحقق بالوطء الطبيعي أي بالمواقع من قبل ولا تتحقق بالمواقع غير الطبيعية أي بالوطء في دبر، وفي هذا الأمر تتفق الجريمة مع المفهوم الشرعي الراجح لجريمة الزنى الذي ذهب إلى أن جريمة الزنى لا تتحقق إلا بالوطء في قبل واستبعاد فعل اللواط والأفعال التي ما دون المواقع من مفهوم الزنى، كما أن الجريمة لا تتحقق إلا بين ذكر وأنثى أي مع اختلاف الجنس وكذلك الأمر في المفهوم الشرعي، ومن عناصرها أيضا ارتكاب الوطء مع انتفاء المشروعية، فلا تقع الجريمة من زوج مع زوجته، وان كانت الزوجة الثانية لمشروعية الفعل، وكذلك الأمر في المفهوم الشرعي الذي يتطلب عدم مشروعية الوطء لقيام جريمة الزنى، كما يشترك كلا المفهومين في أن الجريمة لا تتحقق آلا إذا كان الوطء متعمداً أي بتوافر القصد الجرمي، إلا انه على الرغم من العناصر المشتركة السابقة فان الجريمتين لا تتحدان في المفهوم لوجود عناصر أخرى مختلفة بينهما أهمها اختلاف المبدأ الذي قام عليه أساس التجريم ، فجريمة الزنى في المفهوم الشرعي من أهم جرائم الاعتداء على العرض التي جرم الفعل فيها من اجل صيانة الفضيلة في ذاتها ومنع اختلاط الأنساب، أما جريمة زنى الزوجية فهي من جرائم الاعتداء على الأسرة التي جرم الفعل فيها من اجل حماية الروابط الأسرية التي تنشأ عن العلاقة الزوجية، كما أن جريمة الزنى في المفهوم الشرعي تتحقق سواء أكان الجاني محصناً أم كان غير محصن وسواء توافر الرضا لدى طرفي العلاقة أو أحد أطرافها، أما جريمة زنى الزوجية في المفهوم القانوني فتفترض دائماً توافر الرضا الصحيح لدى الطرفين؛ لان انتفاء رضا احد طرفي العلاقة يجعل الفعل خاضعاً لأحكام جرائم الاعتداء على العرض(الاغتصاب)، إضافة آلي آن جريمة زنى الزوجية تتطلب قيام العلاقة الزوجية فالجريمة لا تقع آلا من متزوج – زوجاً كان آم زوجة – وهذا أدى آلي تطلب ركناً إضافيا لا يشترط توافره في المفهوم الشرعي لقيام الجريمة، وان كان يؤثر على العقوبة؛ إذ آن عقوبة الزاني المحصن تختلف عن عقوبة الزاني غير المحصن، وهذا الركن هو قيام العلاقة الزوجية.

يتبين مما تقدم آن جريمة زنى الزوجية في المفهوم القانوني تشترك مع جريمة الزنى في المفهوم الشرعي في ركنين هما ركن الوطء المحرم وركن القصد الجنائي، وتختلف عنها في

الأركان الإضافية التي تتطلبها جريمة زنى الزوجية ولا تشترط توافرها جريمة الزنى في المفهوم الشرعي.

ولا بد من الإشارة الى أن التشريعات الوضعية التي نظمت أحكام جريمة زنى الزوجية قد ميزت بين زنى الزوج وزنى الزوجة فجعلت منهما جريمتين مميزتين من حيث الأركان، أو من حيث الأركان والعقوبة كما في بعض التشريعات كالقانون المصري، إذ تقوم كلا الجريمتين بالاتصال الجنسي بغير الزوج وقيام العلاقة الزوجية والقصد الجنائي، آلا آن جريمة زنى الزوج تتطلب بالإضافة آلي ذلك ركناً رابعاً هو ارتكاب الفعل في منزل الزوجية، في حين ترتكب جريمة زنى الزوجة آيا كان مكان ارتكاب الفعل.

وسوف نبحث في أركان كل جريمة من هاتين الجريمتين وذلك بالإشارة آلي الأركان التي تشترك فيها كلا الجريمتين، ومن ثم الإشارة آلي ركن منزل الزوجية الذي تتميز به جريمة زنى الزوج، وذلك بتقسيم هذا المطلب إلى فرعين يبحث أولها في جريمة زنى الزوجة، ويبحث ثانيهما في جريمة زنى الزوج.

الفرع الأول

جريمة زنى الزوجة

تتحقق جريمة زنى الزوجة باجتماع ثلاثة أركان هي:

أولا: الوطء المحرم

يتحقق الفعل الذي يقوم به الركن المادي في هذه الجريمة بالاتصال الجنسي التام الذي يتحقق بالمواقع الطبيعية بإيلاج عضو التذكير في فرج امرأة، أي بإدخال المرود في المكحلة وأرشاء (الحبل) في البئر كما يطلق عليه فقهاء الشريعة(٤٩) ولا يكفي لتحقق الركن كل ما دون هذا الاتصال من أفعال؛ إذ تقوم به جرائم أخرى كجريمة هتك العرض أو الفعل الفاضح، كما لا يتحقق بالوطء غير الطبيعي أي الوطء من دبر إذ تقوم به جريمة اللواط، أو بالأفعال الشاذة التي تقع من أنثى على أنثى، والتي تدخل في مفهوم ما يعرف بإسحاق(٥٠).

وليس من عناصر هذه الجريمة أن تحمل الزوجة نتيجة لهذا الاتصال، فالجريمة تقوم وان كان الحمل مستحيلاً، لأن علة التجريم هي صيانة حرمة الزواج لا صيانة الأنساب، لذلك تتحقق الجريمة وان كانت المرأة قد بلغت سن اليأس، أو كانت عقيماً أو كان مرتكب الفعل معها عقيماً(٥١).

وتشترك هذه الجريمة مع جريمة الاغتصاب في الفعل الذي يتحقق به الركن المادي وهو المواقع، آلا انهما يختلفان في أن جريمة زنى الزوجة يفترض توافر رضا الزوجة في ارتكاب الفعل، في حين تقوم جريمة الاغتصاب في حالة انتفاء الرضا، واثبات حصول الوطء بالرضا جائز في حق الزوجة بكل طرق الإثبات(٥٢).

وتعد الزوجة الزانية هي الفاعل الأصلي في هذه الجريمة، آما الطرف الآخر فهو مجرد شريك في هذه الخيانة، ذلك آن جريمة الزنى موجهة ضد الرابطة الزوجية، فتجريم الفعل لم يكن لحصول الاتصال الجنسي ذاته، ولكن لما انطوى عليه هذا الاتصال من إخلال بالالتزام بالإخلاص الزوجي(٥٣).

ثانياً: قيام الزوجية

من اجل تحقق جريمة زنى الزوجية لا بد من توافر ركن خاص تشترك فيه جريمتا زنى الزوجة وزنى الزوج وهو قيام الزوجية، وهو ركن لا نتطلب توافره في جريمة الزنى في المفهوم الشرعي لقيام الجريمة وان كان يؤثر على العقوبة. فوفقاً للمفهوم القانوني يشترط آن تكون المرأة مرتبطة بعقد زواج صحيح، وهنا تظهر علة التجريم فلم يكن تجريم الفعل ألانه يشكل اعتداء على الحرية الجنسية لأن الفعل قد تم برضاء الطرفين ولكن لمساسه بحقوق الزوجية التي تترتب على قيام العلاقة الزوجية، ويشترط ارتكاب الفعل مع قيام العلاقة الزوجية فعلاً أو حكماً، فالوطء قبل الزواج وان حصل في أثناء الخطبة لا يعد زنى وفقاً لهذا المفهوم؛ إذ إن حقوق الزوجية لا تكتسب آلا بعد انعقاد عقد الزواج، كما لا يعد الفعل زنى إذا ما وقع بعد انحلال رابطة الزوجية بوفاة الزوج أو بالطلاق(٥٤)، إلا انه يجب التفرقة في حالة الطلاق بين الطلاق الرجعي والطلاق البائن، إذ لا يزول في الطلاق الرجعي خلال فترة العدة قيد الزوجية أو ملك الاستمتاع الثابت بالزواج، فتبقى العلاقة الزوجية قائمة حكماً، فتقوم الجريمة إذا ما ارتكبت الزوجة فعلها في هذه الفترة، أما إذا انقضت فترة العدة أو كان الطلاق بائنا بينونة صغرى أو كبرى فان الجريمة لا تقوم لانتهاء العلاقة الزوجية في هذه الأحوال(٥٥).

ثالثاً: القصد الجرمي.

جريمة الزنى سواء في المفهوم الشرعي أو القانوني من الجرائم العمدية التي لا تقع خطأ، لذلك يتطلب توافر القصد الجرمي لدى الزوجة والقصد المتطلب هنا هو قصد عام يقوم على عنصري العلم والإرادة. فيتعين آن ترتكب الزوجة الفعل وهي تعلم أنها مرتبطة بعلاقة زوجية

قائمة وصحيحة، وان من يباشر معها هذا الفعل غير زوجها، وان تتجه إرادتها آلي قبول فعل الاتصال الجنسي التام بغير زوجها(٥٦).

ولا تقوم الجريمة في حالة انتفاء القصد الجرمي كما لو حصل الوطء بغير رضا الزوجة كما لو أجبرت نتيجة القوة أو التهديد أو نتيجة لوقوعها في الخطأ إن اعتقدت أنها قد تحللت من العلاقة الزوجية، أو أنها تمارس الفعل مع زوجها، أو بصور أخرى متعددة(٥٧)، ولا عبرة بالباعث على ارتكاب الجريمة، لأن القاعدة تنص على عدم الاعتداء بالباعث آلا إذا وجد نص على خلاف ذلك.

آما فيما يتعلق بعقوبة هذه الجريمة، فانه إذا تحققت أركان هذه الجريمة خضعت المرأة الحكام جريمة الزنى، إذ تعاقب الزوجة الزانية بالحبس وفقاً لأحكام المادة (٣٧٧/ ١) عقوبات عراقي، في حين حدد المشرع المصري عقوبة هذه الجريمة بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين (المادة ٢٧٤ عقوبات)، وليس لهذه الجريمة ظروف مشددة للعقوبة.

وفي نظرنا آن عقوبة هذه الجريمة بسيطة جداً لا تتناسب مع جسامة وخطورة الفعل والتي لا تختلف عن جريمة الاغتصاب في شيء آلا فيما يتعلق بتوافر الرضا لدى الطرفين، إذ يرتكب الركن المادي فيها بالاتصال الجنسي التام، وقد تؤدي آلي اختلاط الأنساب وتدمير العائلة، فإذا ما ارتكبت الزوجة الجريمة ولم تكتشف هربت بفعلتها، فذا ما تم تكتشفها لم تخش الزوجة أو من ارتكب الفعل معها شدة العقاب، وهذا ما لاتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية التي نصت على رادع قوي لمنع ارتكاب هذه الجريمة ومعاقبة مرتكبها إذ جعلت عقوبة الزاني المحصن الرجم حتى الموت مراعاه منها لجسامة الجريمة، كما لا تتقبله أعرافنا الاجتماعية لذلك يندفع الزوج المطعون في شرفه تحت تأثير الاستفزار الخطير الى قتل الزوجة ومن ارتكب الفعل معها حماية لشرفه، وقد اعترفت التشريعات الوضعية بهذا الامر فنصت على تخفيف عقوبة الزوج الذي يقوم بقتل زوجته وشريكها في حالة ضبطهما في حالة التلبس بالزنى مراعاة منها للاستفزاز الخطير في هذه الحالة (٥٨). لذلك فاننا ندعو المشرع الوضعي في الدول العربية التي تبنت المفهوم الاجتماعي للعرض ونصت على هذه الجريمة الى الأخذ باحكام الشريعة الإسلامية لما في احكامها من تكامل وشمول وشدة في معالجة جرائم الاعتداء على العرض، لكننا في الوقت ذاته نرفض تجزئة تلك الأحكام والأخذ بحلقة منفردة من سلسلة الأحكام المتكاملة والمترابطة للشريعة الإسلامية، لأن تلك التجزئة سوف يكون مصيرها الفشل كما حصل مع بعض التشريعات التي حاولت الأخذ بجزء من هذه الأحكام وزجها ضمن احكام وضعية لا تشترك معها في الاسس مما ادى الى فشل تطبيقها، وهذا ما حصل مثلاً مع تطبيق

عقوبة قطع اليد التي حاول القانون العراقي الأخذ بها في جريمة السرقة(٥٩)، ثم الغي الأمر لثبوت فشله لأنه كان تطبيقاً جزئياً لأحكام الشريعة الإسلامية(٦٠).

الفرع الثاني

جريمة زنى الزوج

نصت التشريعات الجزائية الوضعية التي عالجت جريمة زنى الزوجية على جريمتين متميزتين بهذا الخصوص، اذ نصت على جريمة زنى الزوجة التي بينا احكامها فيما سبق، وجريمة زنى الزوج التي تتحقق بذات الأركان التي تقوم بها جريمة زنى الزوجة مضافاً اليها ركن رابع متعلق بمكان ارتكاب الفعل، اذ يجب ان يثبت ايضاً قيام الزوج الذي يثبت ارتباطه بعلاقة زوجية فعلاً أو حكماً بعقد زواج صحيح مع امرأة، بارتكاب الوطء المحرم بامرأة غير زوجته مع توافر القصد الجرمي لديه، أي بتوافر ذات الأحكام التي أشرنا اليها في أركان جريمة زنى الزوجة لاشتراك الجريمتين في هذه الاركان، الا ان توافر هذه الأركان لا تكفي لمساءلة الزوج عن جريمة الزنى، انما يتعين لادانة الزوج ان يثبت قيام الزوج بارتكاب الفعل في مكان معين هو منزل الزوجية، اما اذا ارتكب الفعل في غير منزل الزوجية فانه لا يعد مرتكباً لجريمة زنى الزوجية.

لذلك سوف نقصر بحثنا في هذه الجريمة على بيان دلالة منزل الزوجية باعتباره ركناً رابعاً لا بد من توافره لقيام جريمة زنى الزوج، اذ يقصد بمنزل الزوجية المسكن الذي يكون للزوج حق تكليف زوجته بالاقامة فيه، أو الذي يكون لها ان تدخل فيه من تلقاء نفسها لتقيم معه ويلزم زوجها بقبولها فيه(٦١)، لذلك لا يقتصر منزل الزوجية على المسكن الذي يقيم فيه الزوجان عادة، أو في أوقات معينة، بل يشمل كل محل يقيم فيه الزوج لأن للزوجة حقاً في ان تساكن زوجها حيثما اتخذ له مسكناً، ولا يحول دون ذلك قيام الزوج بتحرير عقد الايجار باسم شخص اخر اذا ما ثبت انه المستأجر الحقيقي (٦٢).

ولا يدخل في دلالة منزل الزوجية ما يخرج عن المفهوم السابق فلا يعد كذلك المسكن الوقتي الذي يلتقي فيه الزوج بغير زوجته كالغرفة المستأجرة في الفندق، أو المنزل المملوك للخليلة، أو الذي استأجرته بمالها وكان الزوج يتردد عليها فيه أو يقيم معها فيه، وللقضاء سلطة تقديرية في تحديد ما يعد داخلاً في دلالة منزل الزوجية أو غير ذلك(٦٣). وعلة اشتراط ارتكاب الزوج الزنى في منزل الزوجية هي ان منزل الزوجية هو مكان له حرمته تمارس فيه

العلاقات الزوجية في صورها المتعددة، وان الزوجة هي ربة هذا المنزل، فاذا ما ارتكب الفعل فيه لحقت الزوجة إهانة شديدة من عدم احترام الزوج لمشاعرها والتزامه بالإخلاص لها، اضافة لمنافسة امرأة اخرى لها في هذا المنزل (٦٤).

ولعل هذا التمايز في التجريم بين زنى الزوجة التي يمكن ان تخضع للمسؤولية اذا ما ارتكبت الفعل في أي مكان، وزنى الزوج الذي لا يخضع للمسؤولية الا اذا ارتكب فعل الزنى في منزل الزوجية يمكن عده انتقاداً اخر يوجه للمعالجة الوضعية لهذه الجرائم، اذ ان هذه التفرقة بين الجريمتين تتجاهل شعور الزوجة وكرامتها وإحساسها في اخلاص زوجها لها سواء داخل منزل الزوجية أو خارجه وهو أحد الالتزامات التي تترتب على أطراف العلاقة الزوجية، وكأنما الزوج ملزم بالاخلاص في حدود منزل الزوجية فقط، لذلك كان من الواجب عليه ان يحتاط ويتحايل لكي لا يخضع للمسؤولية الجنائية وذلك بارتكابه الفعل خارج حدود منزل الزوجية، مما يجعل من اخلاص الزوج مسالة ترتبط بالظرف المكاني، لا التزاماً اخلاقياً يترتب على قيام العلاقة الزوجية، لذلك ندعو التشريعات الجزائية العربية التي تبنت مفاهيم لا تتلاءم مع الظروف الخاصة بمجتمعنا الى اعادة النظر بالمعالجات التشريعية الخاصة بهذه الجرائم، فاما ان تتبنى المفهوم الغربي الذي يتلاءم مع المجتمع الغربي فتنص على استبعاد هذه الأفعال من الخضوع للمسؤولية الجنائية وتعدها خطيئة أخلاقية ومدنية فقط كما فعل القانون الإنجليزي والفرنسي، أو ان تعود إلى الاخذ بحكم الله في هذه الجرائم التي تدخل في مفهوم الزنى في صورته المشددة، لا أن تقف موقف المتحير من أمره وليس له رأي يعتمده.

اما فيما يتعلق بعقوبة جريمة زنى الزوج ففرقت بعض التشريعات كالقانون المصري بين عقوبة زنى الزوجة وزنى الزوج فجعلت عقوبة جريمة زنى الزوج اقل شدة اذ يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة اشهر (٦٥)، في حين ساوت تشريعات اخرى كقانون العقوبات العراقي بين عقوبة الجريمتين فجعلتها الحبس(٦٦)، ويعد موقف المشرع العراقي الأكثر صواباً في هذه المسالة اذ لم يفرق في العقوبة بين الجريمتين، في حين لم يكتف المشرع المصري بالتمايز في الأركان وانما فرق في العقوبة أيضا.

المطلب الثاني

جريمة الزنى بالمحارم(السفاح)

تعد جريمة الزنى بالمحارم من الأفعال اللاأخلاقية الخطيرة التي تقع من شخص على محرمه، ويمكن القول ان هذه الجريمة لم تتاثر كثيراً بالتغير الذي طرأ على النظرة الى الأفعال الجنسية

بصفة عامة، اذ لا يزال المجتمع يشعر بالنفور والاشمئزاز الشديد ممن يرتكب هذه الأفعال، اذ يلاحظ ان الأخلاق الجنسية قد تغيرت في بعض المجتمعات فأصبحت العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج امراً معترفاً به، ولم تعد الممارسات الجنسية الشاذة والمثلية تثير نفور بعض المجتمعات، لكن على الرغم من هذا التغير نلاحظ أن زنى المحارم يكاد يكون السلوك الجنسي الوحيد الذي يثير نفور المجتمع، الأمر الذي دعا بعضهم إلى القول إن تجريم الزنى هو نظام مستقر في كل الثقافات الإنسانية المعروفة(٦٧).

وعلى الرغم من جسامة هذه الجريمة وخطورتها، فإن المعالجة الوضعية لها تختلف عن المعالجة الشرعية نظراً لاختلاف المفاهيم التي قام على أساسها التجريم، إذ عالجت بعض التشريعات الجزائية الوضعية جريمة زنى المحارم ضمن الجرائم الاجتماعية على اعتبار أنها تلحق الضرر بالعلاقات الاجتماعية لا باعتبارها من جرائم الاعتداء على العرض لأنها لا تتضمن اعتداء على الحرية الجنسية لأنها تتم برضا الطرفين، في حين تنظر الشريعة إليها على اعتبار انها من جرائم الزنى التي يحد مرتكبها.

لذلك سوف نتطرق إلى بحث هذه الجريمة بتقسيم هذا المطلب إلى فرعين، يتناول أولهما تحديد المحارم في الشريعة والقانون، ويتناول ثانيهما تجريم الزنى بالمحارم في الشريعة والقانون.

الفرع الأول

تحديد المحارم في الشريعة الإسلامية

ان جريمة الزنى بالمحارم جريمة معاقب عليها في معظم القوانين الوضعية؛ لانها تمثل اعتداء غير مشروع على الأسرة وعلى المجتمع بأسره.

والمحارم هن الاناث اللاتي يحرم على الرجل الزواج بهن، أو اقامة علاقة جنسية من أي نوع معهن(٦٨)، وتتفاوت القوانين الوضعية في تحديد المحارم فتوسع بعضها في تحديد المحارم بحيث يقترب من التحديد الشرعي، في حين تضيق قوانين اخرى هذا التحديد، لذلك سوف نبحث في تحديد المحارم من خلال تناول هذا التحديد في الشريعة الإسلامية، ثم نتناول تحديد المحارم في القوانين الوضعية.

أولاً: المحارم في الشريعة الإسلامية

حددت الشريعة الإسلامية المحارم اللاتي يحرم على الرجل الزواج بهن أو اقامة أي علاقة جنسية معهن، وميزت بين النساء المحرمات على سبيل التأبيد والمحرمات على سبيل

التأقيت .

أ.المحرمات على سبيل التأبيد

وهن النساء اللاتي يحرم على الرجل اقامة علاقة جنسية معهن بصورة دائمة لدوام الأسباب المؤدية للتحريم ، وأسباب التحريم الدائم ثلاثة أسباب :

هي : النسب والرضاع والمصاهرة(٦٩) .

فيحرم من النسب اصول الرجل وبناته واخواته وعماته وخالاته وبنات الاخ وبنات الاخت لقوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾(٧٠) .

ويدخل في اصول الرجل الجدات ، كما يدخل في فروعه الفرع وان نزل أي أولاد الولد ، ويذهب جمهور الفقهاء الى تحريم الزواج بالبنت ولو كانت قد ولدت من زنى(٧١) . اما تحريم الاخت فيشمل الاخت سواء كانت شقيقة ام أختاً لأم ام أختاً لأب .

ويحرم من جهة الرضاعة المرأة المرضعة فتعد اماً للرضيع وابنتها التي تعد اختاً في الرضاعة لقوله تعال ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ﴾ (٧٢) . ويحرم من جهة المصاهرة أي بسبب الزواج ام الزوجة التي يتزوجها الرجل وجداتها وان لم يكن قد دخل بها ، وبنت الزوجة من غيره اذا ما كان قد دخل بها ، وزوجات الابناء الذين من صلبه كزوجة الابن وابن الابن وابن البنت ، وزوجات الأباء والأجداد وان علوا سواء دخل بها ام لم يدخل(٧٣) ، لقوله تعالى : ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ((٧٤)، وقوله تعالى :) وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (٧٥) .

ب.التحريم العارض غير الدائم

وهو التحريم الذي يزول بزوال سببه ، فيحرم على الرجل ان يتزوج المرأة اثناء قيام السبب ، ويحق له ان يتزوجها عند زوال السبب ، واسباب التحريم العارض عديدة ، منها المصاهرة كتحريم الجمع بين الأختين أو بين البنت وامها أو الأم وابنتها ، أو الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، أو الزواج بالمرأة في فترة العدة ، أو الزواج بالمرأة التي لا دين لها أو الوثنية ، أو الزواج بامرأة خامسة وتحته أربعة و بشكل عام الزواج باي امرأة مرتبطة بآخر بعقد زواج(٧٦) .

ثانياً: المحارم في القوانين الوضعية

تتفاوت القوانين الوضعية في تحديد المحارم، اذ يتوسع بعضها في تحديد المحارم في حين يضيق بعضها من هذا التحديد بحيث يقصره على الأصول والفروع دون الحواشي.

اذ تتجه معظم القوانين الغربية الى النص على جريمة الزنى بالمحارم فضلاً عن تحديد المحارم الذين لا يجوز إقامة علاقة جنسية بينهم، فقد نص القانون الانجليزي على جريمة وطء المحارم أدرجها ضمن الجرائم الجنسية بموجب القانون الصادر سنة١٩٥٦، ونص على ان الشخص يعد مرتكباً جريمة وطء المحرمات اذا قام بالاتصال الجنسي مع امرأة يعلم انها حفيدته أو اخته أو ابنته أو والدته، ويدخل في تحديد الأخت الأخت الشقيقة والأخت لأم أو لأب، وتعتبر المرأة مرتكبة لجريمة وطء المحرمات اذا رضيت لوالدها أو جدها أو اخوها الشقيق أو الأخ من الام والاب ان يواقعها جنسياً وكانت قد جاوزت السادسة عشر من عمرها(٧٧). فشمل بهذا التحديد الأم من الأصول والابنة وابنة الابن وابنة البنت من الفروع والأخت وان كانت غير شقيقة من الحواشي، فاذا ما قامت علاقة جنسية مع غيرهن كابنة الأخ وابنة الأخت فانها لا تخضع للمسؤولية الجنائية. في حين لا يتضمن قانون العقوبات الفرنسي تحديداً مماثلاً للتحديد الوارد في القوانين الانجلوسكسونية، انما يجعل من ارتكاب الفعل من اصول المجني عليها ظرفاً مشدداً لعقوبة جريمة الاغتصاب التي تتحقق مع انعدام الرضا، فان قامت العلاقة الجنسية مع توافر الرضا، وان وقعت من الفرع على اصله أو بين الحواشي فانه لا يخضع للمسالة الجنائية (٧٨).

كما يختلف موقف القوانين الجزائية العربية من المحارم بحسب اختلاف المصادر القانونية التي اخذت عنها هذه القوانين، اذ لا تعاقب على الزنى بالمحارم أو تضيق من نطاق القرابة القوانين الناقلة عن النظام اللاتيني، في حين عاقبت على الزنى بالمحارم وتوسعت في مفهوم المحارم القوانين التي تنتمي الى النظام الانجلوسكسوني، ولا يبدو تأثير الشريعة الإسلامية في معظم القوانين العربية الا فيما يتعلق بالقوانين التي أخذت أو تأثرت بأحكام الشريعة الإسلامية.

فلم يجرم قانون العقوبات المصري الزنى بالمحارم، وانما اتبع سياسة القانون الفرنسي في هذا الخصوص فنص في المادة(٢٦٧)عقوبات على ظرف تشديد لعقوبة جريمة الاغتصاب اذا ما كان الفاعل من اصول المجني عليها، وهذا الظرف يقتصر على الأب والجد فقط دون الفروع والحواشي القريبة والبعيدة والأقارب بالمصاهرة وبالرضاعة، مع ملاحظة ان هؤلاء غير مشمولين بالظرف السابق كما انهم لا يخضعون للمسالة الجنائية اذا ما حصل الوقاع برضا

الأنثى، وهذا توجه غير سليم للمشرع المصري لمخالفته لاحكام الشريعة الإسلامية، بل وحتى لاحكام العديد من التشريعات الوضعية الغربية.

في حين توجه المشرع السوداني الى النص على جريمة مواقعة المحارم ضمن الباب الخامس عشر الخاص بجرائم العرض والآداب العامة في المادة (١٥٠) من القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١ التي نصت على: (١- يعد مرتكبا جريمة مواقعة المحارم من يرتكب جريمة الزنى أو اللواط أو الاغتصاب مع احد أصوله أو فروعه أو أزواجهم أو مع أخيه أو اخته أو أولادهما أو عمه أو عمته أو خاله أو خالته)، وبموجب هذا النص حدد المشرع السوداني المحارم من النساء اللواتي يمكن ان ترتكب معهن جريمة الزنى بالمحارم فكان تحديده قريباً من التحديد الشرعي فشمل الاصول وازواجهم كالأم والجدة وان علت وزوجة الاب والجد وان علا، والفروع وازواجهم كالبنت وبنت البنت وان نزلت وزوجة الابن وان نزل، كما يشمل الأخت وأولادها وأولاد الاخ والعمة والخالة.

اما قانون العقوبات اليمني فانه وان كان قد جرم فعل الزنى بمفهومه الواسع الذي اشارت اليه الشريعة الإسلامية فانه لم يحدد المحارم من النساء، والراجح ان المشرع اليمني يحيل في تحديد المحارم الى أحكام الشريعة الإسلامية خاصة وأن احكام قانون العقوبات اليمني مستمدة من الشريعة الإسلامية.

اما فيما يتعلق بموقف المشرع العراقي، فقد جرم المشرع العراقي جريمة الزنى بالمحارم، الا انه يلاحظ ان معالجة المشرع العراقي لهذه الجريمة قد جاء ضمن الجرائم الاجتماعية، وليس ضمن الجرائم المخلة بالأخلاق والاداب العامة، اذ جاء في نص المادة (٣٨٥) عقوبات: (... من واقع احدى محارمه ...)، كما نص قرار مجلس قيادة الثورة (الملغي) رقم (٤٨٨) الصادر بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٧٨ [٧٩] على ما ياتي: (ثانياً: ... مرتكباً فعل الوقاع ... اذا تم الفعل برضاهما، وكانا قد اتما الثامنة عشرة من العمر وكانت درجة القرابة بينهما الى الدرجة الثالثة.)، كما نص قرار مجلس قيادة الثورة (الملغي) رقم (٢٣٤) الصادر بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١[٨٠] على ما ياتي: (٢. يزني باحدى محارمه وكان وقت ارتكابه الجريمة قد اكمل الثامنة عشرة من عمره.) اذ يلاحظ من خلال نص المادة (٣٨٥) عقوبات ونص القرار (٢٣٤) ان المشرع لم يحدد المقصود بالمحارم في هذه النصوص، في حين حدد في نص القرار (٤٨٨) درجة القرابة التي يخضع مرتكبوها لاحكام القرار الى الدرجة الثالثة، ويمكن القول ان المشرع العراقي قد أحال في تحديد المقصود بالمحارم الى ماورد في احكام الشريعة الإسلامية سواء أكانت حرمتهم ترجع الى النسب ام المصاهرة ام الرضاع فيما يتعلق بالنصوص الأولى،

اما فيما يتعلق بنص القرار (٤٨٨) فقد أحال ايضاً في تحديد من يخضع لأحكام النص الى احكام الشريعة الإسلامية في تحديد القرابة قاصراً اياها من وجهة نظرنا على قرابة النسب الى الدرجة الثالثة مستبعداً بذلك القرابة التي ترجع الى المصاهرة أو الرضاعة . وفي راينا ان معالجة المشرع العراقي لهذه الجريمة تتسم بعدم الوضوح التي يمكن ان نلاحظها من وجوه عدة، أولها ان قانون العقوبات العراقي متاثر بالنظام اللاتيني وخاصة قانون العقوبات الفرنسي، لذلك كان تجريمه لهذه الأفعال خاصة وانها تقع مع توافر الرضا المعتد به قانوناً خروجاً على أحكام ذلك النظام الذي لم يجرم هذه الأفعال بل اقتصر على النص على جعلها ظرفاً مشدداً لعقوبة جريمة الاغتصاب التي تقع مع انعدام الرضا كما سبق وان وضحنا، وثانيهما ان المشرع العراقي على الرغم من عدم تبنيه لأحكام الشريعة الإسلامية، فانه لم يحدد في النصوص التي عالج بموجبها أحكام هذه الجريمة المقصود بالمحارم الأمر الذي يفهم منه انه قد احال في ذلك الى احكام الشريعة الإسلامية التي جرمت هذه الجريمة وفقاً لاسس مختلفة عن الأسس التي جرم على اساسها المشرع العراقي جريمة الزنى بشكل عام وجريمة الزنى بالمحارم بشكل خاص، لذلك ندعو المشرع العراقي الى اعادة النظر في الأسس التي يعتمدها في تجريم هذه الافعال بما يتفق واحكام الشريعة الإسلامية، واعادة صياغة النصوص يتلاءم مع خطورة هذه الجريمة .

الفرع الثاني

تجريم الزنى بالمحارم في الشريعة والقانون

يترتب على ارتكاب الجاني لفعل الزنى ومخالفته لتحريم الزواج بالمحارم، أو اقامة أي علاقة جنسية معهن استحقاق طرفي العلاقة كليهما أو أحدهما حسب الظروف للعقاب المقرر للجريمة .

ففي الشريعة الإسلامية تسمى عقوبة الزنى حداً، وهي العقوبة التي تولى الله سبحانه تعالى تقديرها، وقد فرض الشارع العقوبة تبعاً لشدة جسامة الجريمة، اذ جعل عقوبة الزنى على الزاني المحصن الرجم حتى الموت، وجعل عقوبة الزاني غير المحصن الجلد مائة جلدة والتغريب لمدة عام واحد[٨١]، وفيما يتعلق بعقوبة جريمة الزنى بالمحارم انقسم الفقهاء المسلمون الى فريقين، اذ ذهب أولهما الى ان عقوبة الزاني في هذه الجريمة هي نفس عقوبة جريمة الزنى بشكل عام، فان كان محصناً فعقوبته الرجم، وان كان غير محصن فعقوبته الجلد، وقد ذهب الى هذا الراي جمهور الفقهاء فهو رأي الحنفية والمالكية والشافعية، في حين يتجه ثانيهما الى

ان عقوبة من يزني بأحد محارمه تختلف عن عقوبة الزنى، اذ تكون العقوبة القتل سواء أكان الزاني محصناً ام غير محصن ويضيف إليها بعضهم مصادرة مال الجاني كله، وقصر بعضهم المصادرة على خمس مال الجاني فقط(٨٢).

اما فيما يتعلق بموقف القوانين الوضعية من جريمة الزنى بالمحارم، فكما سبق وان بينا فإن هناك تباينا في معالجة هذه الجريمة اذ لم تنص بعض التشريعات على تجريم فعل الزنى بالمحارم كقانون العقوبات الفرنسي والمصري ولكنها تجعل من علاقة القرابة ظرفاً مشدداً لعقوبة جريمة الاغتصاب.

في حين نصت تشريعات اخرى على تجريم الزنى بالمحارم مع تباين مواقفها في معالجة هذه الجريمة والاثار المترتبة عليها، اذ نص القانون الانجليزي على هذه الجريمة وأدرجها ضمن الجرائم الجنسية، وحدد لها عقوبة حدها الأقصى السجن سبع سنوات، كما حدد عقوبة الشروع بارتكاب جريمة الزنى بالمحارم فجعل حدها الأقصى الحبس سنتين، ويخضع لهذه العقوبة كل من الجاني والمجني عليها التي رضيت بارتكاب الفعل بصفتهما فاعلين أصليين من الدرجة الأولى، فرضاء الأنثى بالفعل لا ينفي المسؤولية الجنائية عنها، وكل ما هنالك ان وجود الرضا يغير من وصف الجريمة من جريمة اغتصاب إلى جريمة الزنى بالمحارم(٨٣)، وتعتبر المرأة التي قد جاوزت السادسة عشر من عمرها مرتكبة للجريمة فتعد فاعلاً اصلياً اذا رضيت لاحد اصولها أو فروعها أو أخوها ان يواقعها جنسياً، اذ لا يبيح الرضا الصادر عنها الفعل ولا ينفي المسؤولية الجنائية عنها أو عن الجاني(٨٤).

كما نص قانون العقوبات السوداني على تجريم هذه الجريمة بموجب نص خاص هو نص المادة (١٥٠) عقوبات، الا انه لم يحدد عقوبة هذه الجريمة بموجب هذا النص، وانما أحال في تحديد العقوبة الى النصوص المقررة للجريمة التي يشكلها فعله اذ نص على: (٢. من يرتكب جريمة مواقعة المحارم، يعاقب بالعقوبة المقررة للجريمة التي يشكلها فعله، ويعاقب في غير الجرائم المعاقب عليها بالإعدام، بعقوبة إضافية هي السجن مدة لا تجاوز خمس سنوات.).
وبذلك تطبق احكام المادة (١٤٦) عقوبات على من يرتكب جريمة الزنى بالمحارم فتكون عقوبة الإعدام رجماً اذا كان محصناً والجلد مائة جلدة مع جواز التغريب لمدة سنة اذا كان غير محصن، اما فيما يتعلق بعقوبة من يرتكب الجريمة من سكان الولايات الجنوبية فتكون العقوبة السجن مدة لا تجاوز سنة أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً اذا كان الجاني غير متزوج، فاذا كان متزوجاً تكون العقوبة السجن مدة لا تجاوز ثلاث سنوات أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً.

اما فيما يتعلق بقانون العقوبات اليمني فلم ينص بموجب نص خاص على هذه الجريمة على

اعتبار ان جريمة الزنى بالمحارم تدخل في مفهوم الزنى بشكل عام وبالنتيجة فإن عقوبة هذه الجريمة هي عقوبة جريمة الزنى نفسها فان كان محصناً فان العقوبة تكون الرجم حتى الموت، اما اذا كان غير محصن فتكون العقوبة الجلد مائة جلدة مع جواز تعزيره بالحبس مدة لا تجاوز سنة(٨٥).

اما فيما يتعلق بقانون العقوبات العراقي فقد تضمن نصاً خاصاً يعاقب على جريمة الزنى بالمحارم، اذ نصت المادة (٣٨٥) عقوبات على معاقبة مرتكب هذه الجريمة بالسجن مدة لا تزيد على عشر سنين أو بالحبس، ويعد ظرفاً مشدداً للعقوبة اذا حملت المجني عليها أو أزيلت بكارتها أو أصيبت بمرض تناسلي نتيجة للفعل أو كان الجاني من المتولين تربية المجني عليها أو ملاحظتها أو ممن له سلطة عليها، وعلى الرغم من التوجه السليم للمشرع العراقي بالنص على هذه الجريمة بموجب نص خاص، الا ان موقف المشرع منتقد من وجوه عد، اذ وكما سبق ان بينا فقد عالج المشرع العراقي هذه الجريمة ضمن الجرائم الاجتماعية لا ضمن جرائم الاعتداء على الآداب والأخلاق العامة، كما انه قد جعل عقوبة هذه الجريمة اخف من عقوبة جريمة الاغتصاب على الرغم من جسامة الفعل، كما يؤخذ عليه عدم شموله الأنثى التي كانت طرفاً في العلاقة الجنسية وارتكب الفعل برضاها بالعقوبة المنصوص عليها خاصة وان فعل الزنى كثيراً ما يحدث بتحريض من الأنثى ذاتها مما كان يقتضي عقابها كفاعل اصلي في الجريمة، وعلى الرغم من ان المشرع قد تجاوز الانتقاد الموجه لعقوبة هذه الجريمة عندما شدد عقوبة هذه الجريمة الى الاعدام(٨٦)بموجب احكام القرار (٢٣٤) الصادر بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١، أو الانتقاد الموجه لعدم شمول الأنثى بعقوبة الجريمة عند ارتكاب الفعل برضاها المعتد به قانوناً عندما شمل مرتكبي الجريمة ذكراً أو انثى بالعقوبة المقررة للجريمة بموجب احكام القرار (٤٨٨) الصادر بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٧٨، الا ان معالجة المشرع العراقي لجرائم الاعتداء على الأخلاق والآداب العامة بشكل عام وجرائم الزنى بشكل خاص لا تزال منتقدة، لانها قامت في اساس معالجتها على اسس بعيدة عن تبني مفهوم واحد فلا هي أخذت باحكام الشريعة الإسلامية في هذا الخصوص، ولا هي تبنت المنهج الغربي بشكل تام والذي كانت معالجة بعض قوانينه كالقانون الانجليزي افضل بكثير من معالجة بعض القوانين العربية لهذه الجرائم كما هو الحال في القانون المصري. لذلك ندعو المشرع العربي بشكل عام والعراقي بشكل خاص إلى إعادة النظر في الأسس التي اعتمدها في معالجة هذه الجرائم وتشديد عقوبتها بما يتناسب وجسامة الجريمة.

الخاتمة

بعد ان انتهينا من بحثنا الذي تطرقنا فيه لجريمة الزنى في القوانين الوضعية مقارنة مع الشريعة الإسلامية، نختم بحثنا ببيان لأهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصلنا اليها :

١. تعد جريمة الزنى من الجرائم الخطيرة التي يجب التصدي لها بكل قوة وحزم، ولا يكون ذلك الا بإضفاء حماية قوية وفعالة للحق المعتدى عليه، لذلك فقد اهتمت الشريعة الإسلامية والديانات السماوية والقوانين الوضعية كافة بحماية العرض، اذ ان جرائم الاعتداء على العرض لا يقتصر اثرها على مرتكبها، بل تتعداه الى الغير فتؤدي الى انتشار الأمراض والفساد، لذلك نصت بعض التشريعات الوضعية كالقانون العراقي على هذه الجرائم ضمن الجرائم التي تقع على المصلحة العامة لأنها تتصل بحماية النظام العام والأمن والاستقرار في المجتمع .

٢. ان اغلب التشريعات الوضعية بعامة والتشريعات العربية بخاصة قد تبنت المفهوم الاجتماعي للعرض، فهي تعده حقاً يجوز لصاحبه ان يتصرف فيه بالرضاء الصحيح الصادر ممن يملكه، فضيقت من نطاق جرائم الاعتداء على العرض، فهي لا تجرم من حيث المبدأ الا الأفعال التي تقع اعتداء على الحرية الجنسية للفرد، وذلك عندما يقع الفعل مع انعدام الرضا، في حين كان نطاق التجريم لجرائم الاعتداء على العرض في الشريعة الإسلامية اكثر شمولاً وأوسع نطاقاً، اذ تعد الشريعة كل وطء محرم زنى سواء وقع من محصن أو من غير محصن وسواء وقع برضا الطرفين أو برضا احدهما وسواء كان بمقابل أو بغير مقابل، فالشارع الاسلامي لا يعترف باي طريق لاشباع الغريزة الجنسية الا بالزواج، وعدَّ كل ممارسة جنسية تمارس عن غير هذا الطريق غير مشروعة وقدر لها عقوبة هي أشد أنواع العقوبات، فجعل جريمة الزنى من جرائم الحدود التي هي حق الله تعالى، لذلك فانه لم يجعل للارادة من دور في تحديد نطاق جرائم الاعتداء على العرض، فيعد الفعل مجرماً، وان مورس برضا الطرفين الصحيح .

٣. نتيجة للاختلاف في المفاهيم والأسس التي قام عليها تجريم جرائم الاعتداء على العرض بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، فان مفهوم جريمة الزنى ومعالجتها قد اختلف بين المعالجة الشرعية التي عدت جريمة الزنى متحققة بكل وطء محرم يقع من ذكر على انثى من قبل وفقاً للراي الراجح، في حين لا تعد أغلب التشريعات الجزائية الوضعية كل وطء محرم زنى، اذ ان جريمة الزنى في مفهومها القانوني تفترض دائماً الرضا بالوطء

لذلك فان اغلب التشريعات الوضعية لا تبحثها ضمن جرائم الاعتداء على العرض التي تفترض وقوع الفعل دون رضا المجني عليه، وانما تبحثها ضمن الجرائم الاجتماعية، وتتجه اغلب التشريعات الوضعية الى تجريم جريمة زنى الزوجية التي لا تقع الا من متزوج صيانةً للرابطة الزوجية من اجل حماية الأسرة، كما جرمت بعض التشريعات الوضعية جريمة الزنى بالمحارم التي تقع من محرم على محرمه حماية للروابط العائلية مع اختلاف المعالجة التشريعية من تشريع الى اخر.

٤. فرقت اغلب التشريعات الوضعية في معالجتها لجريمة زنى الزوجية بين جريمتين متميزتين في الأركان والعقوبة هما جريمة زنى الزوجة التي تقع من امرأة متزوجة برضاها الصحيح سواء وقع الفعل في منزل الزوجية أو خارجه، وجريمة زنى الزوج الذي يرتكب فعل الوطء المحرم بامرأة غير زوجته في منزل الزوجية، وقد انتقدنا هذا التمايز في معالجة هذه الجريمة سواء فيما يتعلق باختلاف الأركان أو باختلاف العقوبة، لذلك ندعو المشرع الوضعي الى اعادة النظر في الأسس التي جرّمت اساسها هذه الجريمة الخطيرة والتشدد في معالجتها وعقوبتها من خلال الأخذ باحكام الشريعة الإسلامية التي عدت هذه الجريمة من جرائم الزنى التي شددت عقوبتها لارتكابها من محصن، فجعلت عقوبتها الرجم حتى الموت.

٥. اختلفت المعالجة الشرعية ايضاً عن المعالجة الوضعية فيما يتعلق بجريمة الزنى بالمحارم سواء من حيث تحديد مفهوم المحرم أو فيما يتعلق بالعقوبة، اذ حددت الشريعة الإسلامية المحارم اللاتي يحرم على الرجل الزواج بهن أو اقامة أي علاقة جنسية معهن على سبيل التأبيد أو التأقيت، كما شددت من عقوبة هذه الجريمة فجعلتها نفس عقوبة جريمة الزنى بشكل عام وفقاً للراي الراجح، في حين تفاوتت التشريعات الوضعية التي جرمت هذا الفعل في تحديد المحارم، فتوسع بعضها في تحديد المحارم في حين ضيق بعضها من هذا التحديد، اما فيما يتعلق بتجريم هذه الأفعال فلم تنص بعض التشريعات على تجريمها مكتفية بجعل علاقة القرابة ظرفاً مشدداً لعقوبة جرائم الاعتداء على العرض، في حين نصت اغلب التشريعات التي جرمت هذه الأفعال على عقوبة بسيطة لمرتكبها.

٦. ندعو المشرع الوضعي الى اعادة النظر بالأسس التي اقام على أساسها تجريم افعال الاعتداء على العرض بشكل عام بما يؤدي الى معالجتها معالجة شاملة ومتشددة بما يتناسب وجسامتها من اجل الحد من انتشارها، خاصة وان هذه الجرائم قد اصبحت ظاهرة اجتماعية يرتفع فيما الرقم المظلم، فلا يصل الى علم السلطة العامة الا جزء

بسيط جداً من الأعداد الكبيرة من هذه الجرائم خاصة مع النص على جعل بعض أنواع هذه الجرائم من جرائم شكوى الخاصة التي لا تحرك الدعوى فيها إلا بناء على شكوى المجني عليه أو من يمثله قانوناً .

٧ . ندعو المشرع الوضعي الى عدم الاعتداد بالرضا الصادر عن أحد أطراف العلاقة الجنسية غير المشروعة لنفي المسؤولية الجنائية ، بحيث تقوم الجريمة وتتحقق المسؤولية الجنائية على الرغم من ارتكاب الفعل برضاء الطرفين الصحيح سواء أَوَقعت العلاقة الجنسية غير المشروعة من متزوج أم وقعت من غير متزوج وسواء بمقابل أم بغير مقابل .

٨ . ندعو المشرع الوضعي الى شمول طرفي العلاقة الجنسية غير المشروعة التي تقع مع توافر الرضا الصحيح بالعقوبة على أساس اعتبارهما فاعلين اصليين في هذه الجريمة ، بحيث تعاقب الأنثى التي ترضا بارتكاب الفعل معها بعقوبة الجريمة على أساس اعتبارها فاعلاً أصلياً في الجريمة لا على أساس عدها شريكاً .

الهوامش:

(١) سورة الاسراء، الاية (٣٢).

(٢) د. عبد المهيمن بكر، القسم الخاص في قانون العقوبات، ط٧، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٦٧٠ – ٦٧١ ؛ د. محمد زكي ابو عامر، قانون العقوبات القسم الخاص، ط٢، مطبعة التوني، ١٩٨٩، ٧٢٠ – ٧٢١.

(٣) د. محمد زكي ابو عامر، الحماية الجنائية للعرض في التشريع المعاصر، الفنية للطباعة والنشر، ١٩٨٥، ص١١ وما بعدها.

(٤) محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص٤٢٦.

(٥) د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، دار النهضة العربية، ١٩٨٨، ص٥٢٥.

(٦) د. محمد زكي ابو عامر، الحماية الجنائية للعرض، مرجع سابق، ص١٢.

(٧) د. علي ابو حجيلة، الحماية الجزائية للعرض في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية، ط١، دار وائل للنشر، ٢٠٠٣، ص١٦-١٧.

(٨) د. محمد زكي ابو عامر، الحماية الجنائية للعرض، القسم الخاص، مرجع سابق، ص٧٢٤ – ٧٢٥.

(٩) المرجع نفسه، ص ٧٢٦ – ٧٢٧.

(١٠) د. علي ابو حجيلة، المرجع السابق، ص١٧.

(١١) د. محمد زكي ابو عامر، القسم الخاص، لمرجع السابق، ص٧٢٧ – ٧٢٨ ؛ د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٥٢٦.

(١٢) قانون العقوبات اليمني رقم (١٢) لسنة ١٩٩٤.

(١٣) خاصة القانون الفرنسي والإيطالي، وسارت على نفس المبدأ تشريعات إنجلترا وألمانيا الا انها تشددت في تجريم العلاقات الجنسية المخالفة للطبيعة كالشذوذ الجنسي، او تجريم الاتصال الجنسي بالحيوانات، الا ان هذا لا يعني تبنيها للمفهوم الأخلاقي للعرض. د. محمد زكي ابو عامر، القسم الخاص، المرجع السابق، ص٧٣٠.

(١٤) قانون العقوبات المصري رقم (٥٨) لسنة ١٩٣٧.

(١٥) قانون العقوبات الاردني رقم (١٦) لسنة ١٩٦٠.

(١٦) د. احمد علي المجدوب، الزنا بالمحارم في الفقه الجنائي الاسلامي والقوانين الوضعية دراسة مقارنة، المجلة الجنائية القومية، العدد ٢-٣، المجلد الحادي والعشرون، ١٩٧٨، ص١٢.

(١٧) علاء الدين بن ابي بكر مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، جـ٧، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص٣٣.

(١٨) ابو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي، الاحكام السلطانية، ط٢، مطبعة مصطفى البابي

الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦، ص٢٢٣.
(١٩) ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة، المغني، ج٩، مطبعة العاصمة، ص٢٥.
(٢٠) ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد، بداية المجتمع ونهاية المقتصد، ج٢، ط٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥، ص٢٦٢.
(٢١) الامام المهدي الدين لله احمد المرتضى، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار، ج٥، ط١، ١٩٤٩، ص١٣٩.
(٢٢) ابي محمد بن حزم الاندلسي، المحلى، ج١١، مطبعة الامام، مصر، ص٢٢٩.
(٢٣) انظر محمود مطلوب احمد و د. خالد رشيد الجميلي، الفقه الجنائي، مطبعة جامعة، بغداد، ١٩٨٤، ص٢١ – ٢٢؛ يعقوب يوسف الجدوع ومحمد جابر الدوري، الجرائم المخلة بالاخلاق والاداب العامة في التشريع الجنائي العراقي، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢، ص٢٨٧، ٢٨٨؛ د. ضاري خليل محمود، رضا المجني عليه في القانون الجنائي المقارن، رسالة ماجستير قدمت الى كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد، ١٩٧٧، ص٢٦٢ – ٢٦٣.
(٢٤) د. احمد علي المجدوب، البحث السابق، ص١٣.
(٢٥) د. عبد المهيمن بكر، المرجع السابق، ص٦٧١ – ٦٧٢.
(٢٦) د. عبد الحميد الشواربي، جريمة الزنا وجرائم الاغتصاب وهتك العرض والفعل الفاضح والدعارة، دار الفكر الجامعي، ١٩٨٩، ص١.
(٢٧) د. علي راشد، المبادئ العامة في القانون العقوبات، ص٦٥٦.
(٢٨) انظر نص المادة (٢٦٣) من قانون العقوبات اليمني، وهو ذات اتجاه قانون العقوبات السوداني المادة (١٤٥) عقوبات.
(٢٩) انظر المواد (٤٨٧ – ٤٨٩) من قانون العقوبات اللبناني لسنة ١٩٤٣، والمواد (٢٨٢ – ٢٨٦) من قانون العقوبات الاردني.
(٣٠) د. علي ابو حجيلة، المرجع السابق، ص٣٤.
(٣١) د. محمد صبحي نجم، جريمة الزنا في الشريعة الاسلامية وقانون العقوبات الاردني، مجلة دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد السابع، ١٩٨٧، ص٢٢١.
(٣٢)د. محمد صبحي نجم، رضا المجني عليه واثره على المسؤولية الجنائية دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ٢٠٠٠، ص٢٦٢.
(٣٣) د. علي ابو حجيلة، المرجع السابق، ٣٥.
(٣٤) انظر في تفصيل ذلك عبد الحميد ابراهيم المجالي، القتل لحماية الشرف ودفع العار في الشريعة الاسلامية والقانون الاردني، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، العدد ١، المجلد ١٥، ٢٠٠٠، ص١٨٧ وما بعدها.
(٣٥) د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٥٢٧.
(٣٦) د. محمود ابو زيد، المعجم في علم الاجرام والاجتماع القانوني والعقاب، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص٤٧٣.

(٣٧) سورة الاعراف، الاية (٨٠)
(٣٨) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، جـ٢، ط٥، ١٩٦٨، ص٣٦.
(٣٩) انظر د. ماهر عبد شويش الدرة، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٧، ص١١١-١١٢.
(٤٠) انظر نص المادة (٣٩٣) عقوبات عراقي.
(٤١) انظر نص المادة (٢٦٤) عقوبات يمني.
(٤٢) انظر د. علي ابو حجيلة، المرجع السابق، ص٢٠-٢١.
(٤٣) د. عبد المهيمن بكر، القسم الخاص، المرجع السابق، ص٧٢٢.
(٤٤) د. محمود نجيب حسني، القسم الخاص، المرجع السابق، ص٥٩٤.
(٤٥) د. احمد فتحي سرور، قانون العقوبات القسم الخاص، ١٩٧٩، ص٥٥٦.
(٤٦) وتتجه بعض التشريعات كالقانون الانجليزي والفرنسي الى عدم العقاب على الزنا وان وقع من متزوج، اذ لا فائدة من معاقبة من لا تردعه مبادئ الاخلاق، فضلاً عن ان اثارة الفضيحة قد ينجم عنه ضرر بالعائلة اشد مما يترتب على المجتمع، والجزاء الطبيعي في نظر هذه التشريعات هو الحكم بالطلاق او الفرقة. انظر د. محمود محمود مصطفى، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، ط٦، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٤، ص٣٣٦.
(٤٧) انظر د. محمود نجيب حسني، القسم الخاص، المرجع السابق، ص٥٩٤ ؛ د. محمود محمود مصطفى، القسم الخاص، المرجع السابق، ص٣٤٠ – ٣٤١.
في حين توجه جانب اخر من الفقه المصري الى ان رضا الزوج المسبق بالزنا يسقط حقه بالشكوى مع اختلافهم في التعليل الذي استندوا اليه. انظر في تفصيل هذه الآراء د. محمد مصطفى القللي، أصول تحقيق الجنايات، ط١، مطبعة نوري، مصر، ١٩٨٠، ص٤٤ ؛ د. حسن صادق المرصفاوي، أصول الإجراءات الجنائية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص١٠٥.
ولا محل لهذا الخلاف في القانون العراقي اذ نص صراحة على إسقاط حق الزوج في تحريك الدعوى الجزائية ضد الزوج الزاني اذا ما ثبت أن الزنا قد تم برضاء الطرف الثاني في العلاقة الزوجية، وهذا ما نصت عليه المادة (٣٧٨) عقوبات عراقي، وقد== ==اتجهت بعض التشريعات العربية نحو ذات التوجه مثل قانون العقوبات السوري (المادة ٤٧٥عقوبات)، وقانون العقوبات اللبناني (المادة ٤٨٩ عقوبات).
(٤٨) من القوانين التي أخذت بهذا المبدأ قانون العقوبات العراقي (المادة ٣٧٨ عقوبات)، والمصري (المادة ٢٧٣ عقوبات)، والأردني (المادة ٢٨٤ عقوبات).
(٤٩) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الاوطار شرح نتف الاخبار من احاديث سيد الاخبار، جـ٧، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ص١١٢.
(٥٠) د. حسن صادق المرصفاوي، المرضفاوي في قانون العقوبات الخاص، منشأة المعارف، الاسكندرية،

١٩٧٨، ص٦١١ ؛ د. محمود نجيب حسني، القسم الخاص، المرجع السابق، ص٥٩٧ ؛ د. محمود محمود مصطفى، القسم الخاص، المرجع السابق، ص٣٣٧ – ٣٣٨.

(٥١) د. محمود محمود مصطفى، المرجع السابق، ص٣٣٨ ؛ د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٥٩٧.

(٥٢) د. عبد الحميد الشواربي، جريمة الزنا في ضوء القضاء والفقه، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص٣١.

(٥٣) د. محمود محمود مصطفى، المرجع السابق، ص٣٣٩ ؛ د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٦٠٢.

(٥٤) د. محمود محمود مصطفى، المرجع السابق، ص٣٣٨ ؛ د. عبد المهيمن بكر، المرجع السابق، ٧٢٥.

(٥٥) د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٥٩٩.

(٥٦) حسن حسن منصور، جرائم الاعتداء على الاخلاق، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص٧٧-٧٨.

(٥٧) د. محمود محمود مصطفى، المرجع السابق، ص٣٣٩ ؛ د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٦٠٠ – ٦٠١.

(٥٨) انظر نص المادة (٤٠٩) عقوبات عقراقي.

(٥٩) طبقت هذه العقوبة بموجب احكام القرار رقم (٩٥) بتاريخ ٤/ ٦/ ١٩٩٤ المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (٣٥١٤) بتاريخ ١٣/ ٦/ ١٩٩٤.

(٦٠) الغي تطبيق هذه العقوبة بموجب القرار رقم (١٠٦) بتاريخ ٢٦/ ٤/ ٢٠٠١ المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (٣٨٧٧) بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠٠١.

(٦١) د. عبد المهيمن بكر، المرجع السابق، ص٧٢٧ ؛ د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٦٠٥.

(٦٢) د. محمود محمود مصطفى، المرجع السابق، ص٣٤٢.

(٦٣) د. محمود ابو زيد، المرجع السابق، ص٣٦٠.

(٦٤) د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص٦٠٤

(٦٥) انظر نص المادة (٢٧٧) عقوبات مصري.

(٦٦) انظر نص المادة (٣٧٧/ ٢) عقوبات عراقي.

(٦٧) Spme Anthropological Consideration Concerning Natural Low. p. 6. اشار اليه د. احمد على المجدوب، البحث السابق، ص٤.

(٦٨) د. علي احمد المجدوب، البحث السابق، ص١٩ ؛ د. محمود ابو زيد، المرجع السابق، ص٢٩٧.

(٦٩) د. علي احمد المجدوب، البحث السابق، ص٢٩.

(٧٠) سورة النساء، الاية (٢٢).

(٧١) ابو بركات احمد بن محمد بن احمد الدردير، الشرح الصغير على اقرب المسالك الى مذهب الامام مالك، جـ٢، دار المعارف بمصر، ص٤٠٢.
(٧٢) سورة النساء، الاية (٢٢).
(٧٣) انظر د. علي احمد المجدوب، البحث السابق، ص٣٢ وما بعدها.
(٧٤) سورة النساء، الاية (٢٢).
(٧٥) سورة النساء، الاية (٢١).
(٧٦) د. علي احمد المجدوب، البحث السابق، ص٣٩-٤٠.
(٧٧) د. محمد صبحي نجم، المرجع السابق، ص٢٦٣.
(٧٨) د. علي احمد المجدوب، البحث السابق، ص٤٧.
(٧٩) نشر في جريدة الوقائع العراقية العدد (٢٦٥٠) بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٧٨.
(٨٠) نشر في جريدة الوقائع العراقية، العدد (٣٩٠٣) بتاريخ ٥/ ١١/ ٢٠٠١.
(٨١) موفق الدين ابي محمد بن عبد الله بن احمد بن قدامة، المغني، الجزء العاشر، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ص١٦٨؛ ابي اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز اباذي الشيرازي، المهذب في فقه الامام الشافعي، جـ٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ص٢٦٦- ٢٦٧.
(٨٢) انظر د. علي احمد المجدوب، البحث السابق، ص٧٠ - ٧١.
(٨٣) انظر د. محمد صبحي نجم، المرجع السابق، ص٢٦٣ - ٢٦٤.
(٨٤) نفس المرجع، ص٢٦٤.
(٨٥) انظر نص المادة (٢٦٣) عقوبات يمني.
(٨٦) ونشير في هذا الخصوص الى عقوبة الاعدام قد علق تطبيقها بموجب امر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم (٧) المنشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد (٣٩٧٨) بتاريخ ١٧/ ٨/ ٢٠٠٣ الذي نص في قسمه الثالث على ماياتي: (١. تعلق عقوبة الاعدام في كل حالة تكون فيها عقوبة الاعدام هي العقوبة الوحيدة المنصوص عليها لمعاقبة مرتكب الجناية، ويجوز للمحكمة ان تستعيض عنها بمعاقبة المتهم بالسجن مدى الحياة او بفرض عقوبة اخرى عليه اقل منها وفقاً لما ينص عليه قانون العقوبات.)

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

اولاً: كتب ورسائل

١. ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الاحكام السلطانية، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦.
٢. ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ٢، ط٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥.
٣. ابو بركات احمد بن محمد بن احمد الدردير، الشرح الصغير على اقرب المسالك الى مذهب الامام مالك، جـ٢، دار المعارف بمصر.
٤. ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة، المغني، جـ١٠، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع. د.ن.
٥. ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة، المغني، جـ٩، مطبعة العاصمة.
٦. ابي اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز ابادي الشيرازي، المهذب في الفقه الامام الشافعي، جـ٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.
٧. ابي محمد بن حزم الاندلسي، المحلى، جـ١١، مطبعة الامام، مصر.
٨. د. احمد فتحي سرور، قانون العقوبات القسم الخاص، ١٩٧٩.
٩. الامام المهدي الدين لله احمد المرتضى، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار، جـ٥، ط١، ١٩٤٩.
١٠. حسن حسن منصور، جرائم الاعتداء على الاخلاق، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥.
١١. د. حسن صادق المرصفاوي، اصول الاجراءات الجنائية، منشاة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٢.
١٢. د. حسن صادق المرصفاوي، المرصفاوي في قانون العقوبات الخاص، منشاة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٨.
١٣. د. ضاري خليل محمود، رضا المجني عليه في القانون الجنائي المقارن، رسالة ماجستير قدمت الى كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد، ١٩٧٧.
١٤. د. عبد الحميد الشواربي، جريمة الزنا في ضوء القضاء والفقه، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، ١٩٨٥.
١٥. د. عبد الحميد الشواربي، جريمة الزنا وجرائم الاغتصاب وهتك العرض والفعل الفاضح والدعارة، دار الفكر الجامعي، ١٩٨٩.

١٦ . عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، جـ٢، ط٥، ١٩٦٨ .

١٧ . د. عبد المهيمن بكر، القسم الخاص في قانون العقوبات، ط٧، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧ .

١٨ . علاء الدين بن ابي بكر مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٧، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦ .

١٩ . د. علي ابو حجيلة، الحماية الجزائية للعرض في القانون الوضعي والشريعة الاسلامية، ط١، دار وائل للنشر عمان، الأردن، ٢٠٠٣ .

٢٠ . د. علي راشد، المبادئ العامة في القانون العقوبات .

٢١ . د. ماهر عبد شويش الدرة، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٧ .

٢٢ . محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣ .

٢٣ . محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الاوطار شرح نتف الاخبار من احاديث سيد الاخبار، جـ٧، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة .

٢٤ . د. محمد زكي ابو عامر، الحماية الجنائية للعرض في التشريع المعاصر، الفنية للطباعة والنشر، ١٩٨٥ .

٢٥ . د. محمد زكي ابو عامر، قانون العقوبات القسم الخاص، ط٢، مطبعة التوني، ١٩٨٩ .

٢٦ . د. محمد صبحي نجم، رضا المجني عليه واثره على المسؤولية الجنائية دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠ .

٢٧ . د. محمد مصطفى القللي، اصول تحقيق الجنايات، ط١، مطبعة نوري، مصر، ١٩٨٠ .

٢٨ . محمود ابو زيد، المعجم في علم الاجرام والاجتماع القانوني والعقاب، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ١٩٨٧ .

٢٩ . د. محمود محمود مصطفى، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، ط٨، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٤ .

٣٠ . محمود مطلوب احمد، د. خالد رشيد الجميلي، الفقه الجنائي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤ .

٣١ . د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٨ .

٣٢ . يعقوب يوسف الجدوع ومحمد جابر الدوري، الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة في التشريع الجنائي العراقي، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢ .

ثانياً: بحوث

١. د. احمد علي المجدوب، الزنا بالمحارم في الفقه الجنائي الإسلامي والقوانين الوضعية دراسة مقارنة، المجلة الجنائية القومية، العدد ٢-٣، المجلد الحادي والعشرون، ١٩٧٨.
٢. عبد الحميد ابراهيم المجالي، القتل لحماية الشرف ودفع العار في الشريعة الاسلامية والقانون الأردني، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، العدد ١، المجلد ١٥، ٢٠٠٠.
٣. د. محمد صبحي نجم، جريمة الزنا في الشريعة الإسلامية وقانون العقوبات الأردني، مجلة دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد السابع، ١٩٨٧.

ثالثاً: دوريات

١. مجلة الوقائع العراقية العدد (٢٦٥٠) بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٧٨.
٢. مجلة الوقائع العراقية العدد (٣٥١٤) بتاريخ ١٣/ ٦/ ١٩٩٤.
٣. مجلة الوقائع العراقية العدد (٣٨٧٧) بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠٠١.
٤. مجلة الوقائع العراقية العدد (٣٩٠٣) بتاريخ ٥/ ١١/ ٢٠٠١.
٥. مجلة الوقائع العراقية العدد (٣٩٧٨) بتاريخ ١٧/ ٨/ ٢٠٠٣.

رابعاً القوانين

١. قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩.
٢. قانون العقوبات اليمني رقم (١٢) لسنة ١٩٩٤.
٣. قانون العقوبات المصري رقم (٥٨) لسنة ١٩٣٧.
٤. قانون العقوبات الاردني رقم (١٦) لسنة ١٩٦٠.
٥. القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١.
٦. قانون العقوبات اللبناني لسنة ١٩٤٣.
٧. قانون العقوبات السوري.

فساد الطليعة
في الصور الخليعة

د. أحمد عزام*

* أستاذ مساعد / منطقة جنين التعليمية / جامعة القدس المفتوحة.

ملخص

هذا البحث يتناول موضوعاً، أثره في المجتمعات أكبر من الجهود التي بذلت لمعالجته وبيان مخاطره وآثاره السلبية.

والقضية التي قام بدراستها ومعالجة مشكلتها هي (الصور الخليعة والأفلام الجنسية الهابطة) التي ذهب بعض– من ليس لديهم الفقه الكافي في هذا الدين – إلى إباحة النظر إليها، بدعوى أنها خيالية وليست حقيقية.

وبعد استطلاع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الفقهاء وقواعد هذا الدين أظهرت الدراسة بطلان هذه الدعوى، وفساد هذه المقالة، وأنها لا تستند إلى دليل البتة.

لكشف شبهات أصحاب هذا القول، والرد على ادعاءاتهم، وبطلان حججهم الواهية، النصيب الأوفر في هذا البحث ، فقد احتل مساحة واسعة، لأنه أصل المشكلة. كما أظهرت الدراسة أن الفقه الإسلامي يتسم بروح يسع الأحداث المستجدة كلها، وينفي عنه كل قول شاذ لا يتناسق مع روح هذا الدين، ومع أن أصحاب هذه البدعة ندرة يسيرة وشاذة من بين المسلمين إلا أن دراسة هذا البحث أظهرت خطورة انتشار هذه المقالة بين أبناء الطليعة المسلمة.

Abstract

This research deals with a topic that has serious impact on the society and reveals it□s shortcomings and bad consequences.

This issues discussed in this research are sexy photos and films, considered by some as allowed or legal claiming that such photos and films are not real, i.e. imaginative.

Upon reviewing the Qura`nic texts, prophetic and scholars' sayings; the study refutes this claim and proves it to be wrong as it lacks religious support and proof.

Te author believes that unveiling these misconception and wrong sayings are a priority to which the study deals. Study shows that, Islamic Fiqh. is up to date and copes with modern issues as well as it negates any saying that doesn't correspond to the true Islamic teachings.

Despite the fact that the people who claim such sayings are few and considered an exception the study shows the dangers of the spread of their sayings between the Muslim youths.

مقدمه:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أهمية البحث ودوافعه

تنبع أهمية هذا البحث من طبيعة الموضوع الذي يتطرق إليه، فهو يتحدث عن جانب من جوانب النفس البشرية طالما كان من أشد النوازع التي كان لها دور في تاريخ هذا الإنسان، فمن محسن لتنظيم هذه النزعة القوية، ومن مسيء لها ومستخدمها لهدم المجتمعات ولتحقيق الأهواء ولإرواء الشهوات. تلك هي الشهوة الجنسية التي فطر الله الناس عليها (لا تبديل لخلق الله) الروم ٣٠. وما من أمة في التاريخ البشري كله إلا كان لها دور في هذا المضمار مهما كان حجمه، لأنها مرتبطة بتكوينه الإنساني، . ومن هنا اهتمت بها الأديان السماوية أيما اهتمام، خاصة الدين الإسلامي باعتباره آخر الأديان السماوية إلى الأرض وأكملها.

ويكسب هذا البحث أهمية خاصة، لأنه يعرض لهفوة وسقطة ما كان لأصحابها أن يلجوا بابها، ويبيحوا ما لا يقبله دين إلهي ولا عقل بشري سوي، وهم - أصلحهم الله - نشروا هذه المقولة في عصر بلغ فيه الإعلام والتفنن في الرسومات والصور ذروته، فكانت فتنة لكثير من الشباب الجهلة.

وكان من دوافع هذا البحث تقاصر الهمم في وجه هذه المقولة الفاسدة، فكان ينبغي على أمة - قام دينها على إصلاح أخلاق الأمم - أن يقذفوا بهذه الترهات خارج المجتمع المسلم بالكلية، ولا يسمحوا بوصولها إلى مسامع شباب الأمة، بل ويقدموا أصحابها إلى محاكمة عادله.

ومن الدوافع القوية لهذا البحث، أن الذين أفسدوا البشرية في التاريخ الحديث ما كان لهم مطية أقوى من مطية الإعلام الفاسد والصور والأفلام الجنسية الهابطة التي نخرت في جسد أوروبا وأمريكا وغيرها. ومنذ عشرات السنين وأعداء الأمة في محاولة جادة لنقل هذه التجربة المدمرة إلى العالم العربي والإسلامي، في ظل انحطاط المسلمين وإهمالهم وتهاونهم من قبل.

فكان لا بد من تعرية هذه المقولة التي لا تستند إلى دليل شرعي ولا منطق سويٍّ ولا عقل مجرد من الهوى.

منهج البحث:

أولاً: إن طبيعة هذا البحث يفرض على الكاتب منهجاً تحليلياً ليعرض ويناقش ويرد ويكشف أماكن الضعف والشبهات، وبالتالي تسليط أضواء النصوص الشرعية عليها لتبديدها وبطلانها.

ثانياً: حاولت – قدر المستطاع – التركيز على موضوع (الصور الخليعة) وكل قضية أدخلتها فيه إنما هو خدمة للفكرة التي أردت الوصول إليها.

ثالثاً: انطلقت في بحثي هذا من النصوص الربانية والأحاديث النبوية وأقوال فقهاء الأمة، والقواعد الفقهية والأصولية وضوابط هذا الدين.

رابعاً: حاولت لفت الأنظار بطريقة ملحة إلى خطورة هذه المقالة ونشرها بين الشباب.

هذا وقسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد للبحث، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: طريق البصر.

المطلب الأول: حكم النظر

المطلب الثاني: عواقب النظر واختلاط الجنسين.

المطلب الثالث: موقع النظر.

المبحث الثاني: فتوى شاذة.

المبحث الثالث: شبهات أخرى على دعواهم.

المبحث الرابع: وقفات مع روح هذا الدين.

ومع هذا الجهد الذي بذلته، لا أزعم بأن هذا الموضوع قد بلغ مداه، بل بحاجة إلى علماء وفقهاء لديهم فقه بهذا الدين واطلاع على الواقع حتى يصل البحث إلى منتهاه. وأسأل الله التوفيق والسداد

تمهيد

كل دين نزل من السماء حافظ على الضرورات الخمس (الدين، والعرض، والنفس، والعقل، والمال) (١) التي لا يمكن للحياة أن تقوم بغيرها، باعتبارها قوام الحياة وأساسها.

ولما كان الإسلام آخر الرسالات السماوية إلى الأرض - وهو أكملها - حافظ عليها وجعل حول كل ضرورة منها سياجاً يحميها من تلاعب البشر وعبث العابثين.

فمن أجل الحفاظ على الدين حكم بقتل المرتد وأمر بقتال المشركين، ومن أجل الحفاظ على العرض رجم الزاني وحد قاذف المحصنات، وللحفاظ على النفس حرم قتل النفس إلا بالحق، وللحفاظ على العقل حرم الخمر والمخدرات، وللحفاظ على المال حرم السرقة وقطع يد السارق(٢). (وحرم الله سبحانه الخبائث لما فيها من الفساد إما في العقول أو الأخلاق). (٣)

ومن أبرز الخصائص التي تميز الإسلام عن المناهج الأرضية الوضعية اهتمامه البالغ بالجانب الخلقي، ولذلك بين الرسول الأكرم، صلى الله عليه وسلم، أن رسالته ومبعثه من أجل إتمام الجانب الخلقي للبشر، فيقول (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (٤)

وما من شيء يهدد البشرية - خاصة الحضارة الغربية - أكثر من الجانب الخلقي (والإفلاس في عالم القيم التي يمكن أن تنمو الحياة الإنسانية في ظلالها نمواً سليماً وترتقي رقياً صحيحاً، وهذا واضح كل الوضوح في العالم الغربي الذي لم يعد لديه ما يقنع ضميره باستحقاقه للوجود، والإسلام وحده هو الذي يملك تلك القيم وهذا المنهج) (٥).

ومن أوسع أبواب الدمار الخلقي وتقويض المقومات البشرية في النفس الإنسانية (الفساد الجنسي)، تلك الشهوة الحيوانية الجارفة، والتي إذا استعرت في النفس مزقت حجب الحدود، وانفلتت من الضوابط والقيود، خاصة إذا توفرت لها أسباب الفتنة، ووجدت من يوقد نارها ويؤجج سعارها. (٦)، ومداخل الفتنة إلى النفس البشرية ثلاثة أبواب وطرق (السمع، والبصر، والأنف)، وقد حرص الإسلام على حراسة هذه الأبواب، وضبط التصرف فيها بكل عناية واهتمام بالغين.

ولا نريد في هذا البحث أن نستطرد في باب السمع والأنف - باستثناء بعض الوقفات في نهاية البحث - حتى لا نخرج عن بحثنا، فلنسلط الأضواء على (باب البصر) الذي هو صلب بحثنا.

المبحث الأول: طريق البصر

المطلب الأول: حكم النظر

لا يجرؤ مسلم عبر فترات التاريخ الإسلامي كلها أن يجادل في تحريم تعمد نظر الرجل إلى النساء الأجنبيات، فهو (حرام بإجماع الأمة) (٧). .

(واتفق على تحريمه علماء السلف والخلف من الفقهاء والأئمة) (٨)

وهذا صريح في كتاب الله سبحانه ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. . . . . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ النور آية٣٠- ٣١.

قال الرازي (فإن قيل: لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج؟ قلنا لأن النظر بريد الزنى ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه)(٩). وصريح أيضاً في الأحاديث النبوية.

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال (كتب على ابن أدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة: العينان تزنيان، زنىها النظر، والأذنان تزنيان زنىهما الاستماع، واللسان زنىه الكلام، واليد زنىها البطش، والرجل زنىها الخُطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه)(١٠).

قال ابن بطال: أطلق على كل ما ذكر زنى لكونه من دواعيه فهو من إطلاق المسبب على السبب مجازاً) (١١).

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه (يا علي: إن لك كنزاً في الجنة فلا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة)(١٢) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال (إصرف بصرك) (١٣).

وعن سهل بن سعد أن رجلاً اطلع من جحر في دار النبي صلى الله عليه وسلم والنبي يحك رأسه بالمدري فقال: لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك إنما جعل الإذن من قبل الأبصار)(١٤).

وهذا النوع من النظر محرم سواء كان عن شهوة أو عن غيرها ولا يباح منه إلا في أحوال نادرة من ضرورة أو حاجة. (١٥)، ومن هنا فكل نظر متعمد إلى امرأة أجنبيه لغير غرض مشروع – ولو كان إلى الوجه والكفين – فهو حرام حتى لو كان هذا النظر عن غير نية خبيثة، قال الرازي: أما النظر إلى الوجه والكفين فهو على ثلاثة أقسام:

- إما أن لا يكون فيه غرض ولا فتنة .
- وإما أن يكون فيه غرض ولا فتنة فيه .
- وإما أن يكون فيه فتنة وغرض .

أما القسم الأول : فاعلم أنه لا يجوز أن يتعمد النظر إلى وجه الأجنبية لغير غرض وإن وقع بصره عليها بغتة يغض بصره لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (يا علي إصرف بصرك فان النظرة الأولى لك والثانية عليك)

القسم الثاني : وهو أن يكون فيه غرض ولا فتنة فيه فذاك أمور منها :

- بأن يريد نكاح امرأة فينظر إلى وجهها وكفيها .
- أو عند المبايعة .
- أو عند تحمل الشهادة . أو غير ذلك .

القسم الثالث : وهو أن يكون فيه فتنة وغرض . وهو أن ينظر لشهوة ، فذاك محظور ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (والعينان تزنيان) (١٦) ومثل هذا القول نص عليه الإمام (نظام الدين النيسابوري في تفسيره (غرائب القرآن) (١٧) .

المطلب الثاني: عواقب النظر واختلاط الجنسين

قال الإمام القرطبي : البصر هو الباب الأكبر إلى القلب ، وأعمر طرق الحواس إليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه وغضه واجب عن المحرمات ، وكل ما يخشى الفتنة من أجله . . . . وقد كره الشعبي أن يديم الرجل النظر إلى ابنته أو أمه أو أخته ، وزمانه غير من زماننا هذا ، وحرام على الرجل أن ينظر إلى ذات محرمه نظر شهوة ويرددها) (١٨) . (وإذا كان نساء الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز الاختلاط بهن ، ولا يجوز سؤالهن إلا من وراء حجاب ، فلا شك أن الاختلاط بغيرهن من النساء أو التحدث إليهن بدون حجاب يكون حراما من باب أولى ، لأن الفتنة بالنساء متحققة) . (١٩)

والمتتبع لصفحات التاريخ البشري يجزم بأن الأمم يبدأ انهيارها بالانهيار الخلقي ، ثم يتبعه الانهيار السياسي . وما من شك بأن العامل الحاسم في الانهيار الخلقي لأي أمة من الأمم يكون فساد العلاقة بين الجنسين ، وهي باكورة هذا الانهيار .

يقول البحاثة (لويزبرول) في مجلة (المجلات) ج١١ تحت عنوان (الفساد السياسي) : إن فساد الأسس السياسية وجد في كل زمان ، ومن الغريب المدهش أن عوامله في الزمن الغابر هي ذات عوامله في الزمن الحاضر ، يعني أن المرأة كانت العامل الأقوى في هدم الأخلاق

الفاضلة . . . . لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون صحبة النساء ذوات الطبائع الخفيفة اللائي كان عددهن بالغاً حد الكثرة ، فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد . ترى الناس اندفعوا في تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ واللذات) . وقالت الكاتبة الإنجليزية (اللادي كوك) في جريدة (ألايكو) : إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنى وها هنا البلاء العظيم على المرأة) ثم قالت الكاتبة : أما آن لنا أن نبحث عما يخفف – إن لم نقل يزيل– هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربيه؟ . . . . لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنى يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط الرجال بالنساء . . . . . . لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان ، وهذا غاية الهبوط بالمدنية) (٢٠) .

ومن هنا (فالفساد الخلقي المترتب عن التساهل في كشف العورات وعدم غض البصر والخلوة والاختلاط سبب للفساد السياسي الذي يظهر أثره في ظلم الشعوب) (٢١) .

ويبدأ انهيار الأمم من التساهل في النظر وعدم ضبط البصر بالضوابط الشرعية ، ثم انحلال العرى في علاقات الجنسين ، ثم الانحلال الجنسي والانفلات الخلقي ، لأن قوة الشهوة الجنسية جارفة لكل القيم والمبادىء والأخلاق التي سرعان ما تتهاوى أمام طوفانها الجارف . ثم يتبعه لا محالة الانهيار والفساد السياسي ، وينتشر الظلم في البلاد والعباد ، وتصبح الأمة بيد غيرها ، وربما بيد عدوها يسوقها إلى مذابح شهواته ومصالحه وأهدافه .

المطلب الثالث: موقع النظر

نكاد لا نعثر على خلاف بين المسلمين حول حكم النظر الذي تقدم في المطلب الأول ، من حيث أصل التحريم ، وإن اختلفوا في التفصيلات . ولا شك أن ظاهر الحكم الذي ورد في قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) النور ٣٠-٣١ ، إنما يتعلق ابتداءً في كائن بشري مكون من دم ولحم ، أما ما يتفرع عن هذا النص من أحكام لها علاقة أساسيه ووثيقة بالحكم ذاته ، وجدل يخوض فيه الخائضون ، فما كان يدور بخلد المفسرين هذا الضيق من الأفق الذي وصل إليه البعض ، حتى يتساءل أسئلة غريبة عن جوهر النص وروح هذا الدين فيقول : هل المنظور إليه يشترط أن يكون كائناً حياً من لحم ودم وأعصاب حتى يتعلق فيه التحريم ؟! وأن ما كان ظلاً وصورة لهذا الكائن لا علاقة له بالنصوص الواردة في هذا الشأن ؟! مع العلم أن نص الآية والأحاديث الشريفة التي نصت على تحريم النظر إلى العورة ، تركت المقصود منها

على إطلاقه، بغض النظر عن حال كون العورة في صورة اللحم والدم أو في حال كونها صورة عنها ؟!.

وقبل أن نبدأ في الخوض مع أصحاب هذه الشبهة لا بد أن نوضح العلة في تحريم النظر إلى المحرم، فإن اهتدينا إليها نكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق الموصلة إلى الحق بإذن الله.

فلنأخذ أمثلة من هذه النصوص التي نصت على تحريم النظر إلى العورة ونقف عندها وقفة المتأمل بنظرة ثاقبة. منها حديث سهل بن سعد السابق (٢٢) أن رجلاً اطلع من جحر في دار النبي صلى الله عليه وسلم والنبي يحك رأسه بالمدْري، فقال لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك، إنما جعل الإذن من قبل الأبصار).

قال ابن حجر عند هذا الحديث: واستدل بقوله (من أجل البصر) على مشروعية القياس والعلل، فإنه دل على أن التحريم والتحليل يتعلق بأشياء متى وجدت في شيء وجب الحكم عليه، فمن أوجب الاستئذان بهذا الحديث وأعرض عن المعنى الذي لأجله شرع لم يعمل بمقتضى الحديث، واستدل به على أن المرء لا يحتاج في دخول منزله إلى الاستئذان لفقد العلة التي شرع لأجلها الاستئذان، وذكر الأصوليون هذا الحديث مثالاً للتنصيص على العلة التي هي أحد أركان القياس(٢٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها)(٢٤) ووقع في رواية النسائي من طريق آخر (لا تباشر المرأة المرأة ولا الرجل الرجل)

قال القابسي: هذا أصل لمالك في سد الذرائع، فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج بالوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتنان بالموصوفة (٢٥).

وهذا الحديث في وضوحه يكاد يكون نصاً في المسألة، ورداً صريحاً على من يفرق بين النظر إلى الحقيقة والنظر إلى الصورة. فأنت ترى كيف حرم هذا النص نقل صورة المرأة إلى الرجل أو نقل صورة الرجل إلى المرأة بالألفاظ، فكيف إذا كانت هذه الصورة المنقولة بالألوان والحركات نقلاً تكاد لا تفرقها عن الحقيقة في شيء كما هو الحال في التلفاز أو السينما ؟! بل وربما تأتي بعض الصور أشد تأثيرا وإغراءً من الحقيقة، كما يتقن ذلك الفنانون بالتصاوير!!.

وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عندها – وفي البيت مخنث – فقال المخنث لأخي أم سلمه (عبد الله بن أبي أميه): إن فتح الله لكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان، فإنها تُقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخلن هذا عليكم)(٢٦) وفي رواية أخرى قال له: لقد غلغلت النظر إليها يا عدو الله، ثم أجلاه عن

المدينة إلى الحمى)(٢٧)

قال ابن حجر: قال المهلب: إنما حجبه عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيج قلوب الرجال، فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب.

وأضاف ابن حجر: ويستفاد من الحديث حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن، وهذا الحديث أصل في إبعاد من يستراب به في أمر من الأمور.

وعلق المهلب بقوله: وفيه حجة لمن أجاز بيع العين الموصوفة بدون الرؤية لقيام الوصف مقام الرؤية في هذا الحديث)(٢٨)

والظاهر أن كلام شراح الحديث واضح في المسألة، وأن الوصف قطعاً يقوم مقام الرؤية العينية للشيء نفسه فيتملى الخيال الصورة بعد وصفها للسامع، فيتمتع بالموصوف، فكأنما ينظر إليه عياناً، وكأن الصورة حقيقة أمام السامع.

والعجيب أن (غيلان بن سلمة يومها كان كافراً هو وابنته (بادية) ولم يسلموا إلا بعد فتح الطائف)(٢٩) فإذا كان النهي عن وصف الكافرات حتى لا يفسد الوصف خيال المؤمن، فكيف يجوز إفساد خيالهم ونفوسهم بصور المؤمنات الغافلات ؟!

وبهذا يتضح للقارىء الكريم أن الحكم الشرعي متعلق بالحقيقة والصورة على السواء، وأن أية محاولة للتفريق بينهما بدع من القول الذي لم يسبق إليها، وشبهة لا دليل عليها، (بل من تلاعب الشيطان لأن جانب المفسدة وإثارة الشهوات في هذا واضح كل الوضوح، كما نص على ذلك العلماء في العصر الحاضر) (٣٠).

ونبدأ الآن بنقض هذه الشبهة وتبديد ظلها في النفوس، كما سنوضحه في المباحث الآتية:

المبحث الثاني: فتوى شاذة

ذكرنا سابقاً أن الفساد الجنسي والخلقي في النفس البشرية أسبابه الفتن التي تدخل عليها من أبوابها الثلاثة، وتلك الطرق التي أومأنا إليها آنفاً حرص الشرع كل الحرص أن يوصد أبوابها أمام أي مفسدة تمر من خلالها للنفس البشرية فتعكر صفوها ونقاءها وطهارتها وعفافها.

وطريق النظر هو أوسع هذه الأبواب وأقواها إثارة وتهييجاً للشهوة الجنسية، ثم يليها طريق السمع، وكون المنظور إليه صورة أو حقيقة لا يختلف كثيراً في تأجيج نار الشهوة في النفس.

تلقى المسلمون هذا الدين خلفاً عن سلف، أمة عن أمة، وهذا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيدينا، وكلام فقهاء الأمة وعلمائها الأثبات لا يخفى على متعلم - بله فقيهاً أو عالماً - وكلها تقرر أن النظر إلى عورة امرأة أجنبية حرام وباب من أبواب الفتنة والفساد، وسهم من سهام إبليس، وطريق واسع للمعصية، ودفع للنفس لارتكاب أعظم الفواحش، وسلوك أقرب الطرق لإطفاء نار الشهوة المتأججة بين الأضلاع. وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا ينكره إلا جاحد أو من ضل عن جادة الطريق القويم.

وعلى هذا أمة الإسلام بلا نزاع - على اختلاف آرائها ومذاهبها ومشاربها واجتهاداتها وفرقها -، حتى خرج في آخر الزمان بعض المسلمين (٣١) يفرقون بين الصورة والحقيقة، فأباحوا النظر إلى صور عورات النساء والرجال مؤمنين وكفار على الإطلاق، سواء العورة المخففة والمغلظة، وتفرع عن هذه الفتوى جواز مشاهدة الأفلام الجنسية الساقطة !!.

وهذا القول غريب كل الغرابة على الحس الإسلامي العفيف النظيف، ولم يسبقهم إلى هذا القول أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يقل بهذا عالم واحد طوال فترات التاريخ الإسلامي على الإطلاق. فكان بمثابة الإجماع (الذي لا يجوز الخروج عليه، ومن رد الإجماع كان جاهلاً بالعلم معانداً للحق وأهله) (٣٢).

تقويض أركان الفتوى

والغريب أنهم حين فقدوا الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال العلماء راحوا يلصقون هذا القول بفقيه من فقهاء الأحناف، وهو (الكمال بن الهمام)(٣٣)

بريء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فلم يقله ولم يقصده وكلامه في واد والقوم في واد آخر، لا يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان. وإليك بيان هذا الأمر، فافتح إليه سمعك وبصرك:

بدأ (ابن الهمام) - رحمه الله - كلامه تحت (فصل في بيان المحرمات) ببيان أنواع المحرمات من النساء اللاتي يحْرُم نكاحهن فقال: الأول: النسب - فيُحَرِّم على الإنسان فروعه وفروع أبويه وإن نزلن. . . . . وفروع أجداده وجداته لبطن واحد. . . . .
والثاني: يحرم بها فروع نسائه المدخول بهن وإن نزلن. . . . . إلى أن أتم ابن الهمام الأنواع كلها.

إذن فموضوع الفصل الذي يتحدث فيه ابن الهمام هو بيان أنواع النساء المحرمات على

الرجال، ومتى تكون المرأة محرمة على الرجل حرمة أبديه أو حرمة مؤقتة (٣٤)

وتابع (ابن الهمام) شرحه لهذه الأنواع حتى انتهى إلى مسألة اختلف فيها الأحناف مع غيرهم، وهي قولهم: أن من نظر إلى فرج امرأة أجنبية بشهوة حُرِّمت عليه (بهذه النظرة) فروعها وأصولها، فصارت كأنها زوجته من ناحية التحريم، فلا يجوز له نكاح بناتها وأمها، واستدلوا بآثار، منها قول ابن عمر: إذا جامع الرجل المرأة أو قبلها أو لمسها بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة حُرِّمت على أبيه وابنه وحرمت عليه أمها وابنتها (٣٥). هذا إذا نظر إليها مباشرة دون أي حاجز أو حجاب شفاف أو مصقول، فأما إذا نظر إلى فرجها أو عورتها من وراء الزجاج فهو مُحرِّم كذلك (أي أن فروعها وأصولها يصبحن محرمات عليه) ثم قال: ولو كانت (أي المرأة) على الشط فنظر في الماء فرأى فرجها لا يُحرِّم، (أي النظر بهذه الصورة وهذه الطريقة لا يُحرِّم فروع المرأة وأصولها على الرجل الناظر) كأن العلة – والله أعلم – أن المرئي في المرآة مثاله لا هو. انتهى كلام ابن الهمام (٣٦).

فأنت ترى أن ابن الهمام لم يتطرق إلى حرمة أو حل النظر إلى المرأة، سواء كان مباشرة أو في المرآة على الإطلاق، وليس هذا موضوعه أصلاً، وإنما الحديث يدور حول قضية تحريم الفروع والأصول على الرجل الناظر بمجرد النظرة بشهوة!!. وهذا ما وضحه ابن عابدين في حاشيته – عند شرحه لهذه المسألة – .

وأما القول: لماذا فرقوا في الحكم بين الرؤية من المرآة والماء وبين الرؤية مباشرة، فكذلك الأمر فرقوا في الحكم ذاته بين لمس المرأة وجماعها بحائل مانع لإيصال حرارة جسم المرأة إلى جسم الرجل وبين لمسها وجماعها بدون حائل، فقال ابن عابدين: (قوله بحائل لا يمنع الحرارة) أي ولو بحائل، فلو كان مانعاً لا تثبت الحرمة، كذا في أكثر الكتب، وكذا لو جامعها بخرقة على ذكره) (٣٧). بل فرقوا في هذه المسألة بين جماعها في القبل وبين جماعها في الدبر، فاعتبروا جماع المرأة الأجنبية في دبرها لا يُحرِّم فروعها وأصولها، بخلاف جماعها في القبل فإنه يُحرِّم. ففي حاشية (فتح القدير) ما نصه (وقد نص محمد (يعني محمد بن الحسن الشيباني) في باب إتيان المرأة في غير مأتاها أن الجماع في الدبر لا يثبت حرمة المصاهرة، وكذا النظر إلى موضع الجماع من الدبر بشهوة) (٣٨).

فانظر – رحمك الله – بعين البصر والبصيرة، هل تجد لفتوى القوم الذين أباحوا النظر إلى الصور العارية مأتياً في هذه النصوص كلها ؟!! وهل ترى لهم سنداً أو دليلاً أو حتى شبهة يستندون إليها لدعم شبهتهم ؟!!.

وأخشى أن القوم قد قرأوا كلمة (يُحرِّم) يَحرُم، وتلك مصيبة أعظم، أو أن الشبهة دخلت

عليهم من تفرقة الأحناف بين النظر إلى المرأة حقيقة –دون وساطة – وبين النظر إليها في المرآة أو الصورة في مسألة تحريم الأصول والفروع !! وقد عرفنا أن الأحناف فرقوا – في هذه المسألة – بين لمس المرأة الأجنبية وجماعها بحائل، فلم يجعلوه مُحرِّماً للأصول والفروع، وبين لمسها وجماعها بغير حائل فجعلوه مُحرِّماً للأصول والفروع.

ثم عرفنا أنهم فرقوا – في هذه المسألة – بين جماع الأجنبية في دبرها فلم يجعلوه مُحرِّماً للأصول والفروع وبين جماعها في قبلها الذي يُحرِّم الأصول والفروع. فهل قصد فقهاء الأحناف – في هذه التفرقة – جواز الزنى في دبر المرأة الأجنبية ؟!! وهل قصد هؤلاء الفقهاء –في التفرقة بين الزنى بامرأة أجنبية بحائل وخرقة على الذكر وبين الزنى بها بدون حائل وخرقة – جواز الزنى بها إذا كان بحائل ؟!!

خلاصة القول

القضية التي يتحدث عنها الفقيه ابن الهمام وابن عابدين هي: متى يحرم على الرجل أصول المرأة وفروعها، فهم يعتبرون أن مجرد النظر إلى فرج المرأة الأجنبية يحرم أصولها وفروعها على الناظر، وكذلك أصول الرجل وفروعه يحرمون على المرأة المنظور إليها، أما إذا نظر إليها في المرآة أو الماء أو الصورة فلا تعتبر هذه النظرة محرمة للأصول والفروع على الناظر والمنظور إليه، كما فرقوا بين جماع المرأة في قبلها وجماعها في دبرها، فجعلوا الجماع في الدبر غير مُحرِّم، كما فرقوا بين جماع المرأة بوساطة وحائل وبين جماعها بدون حائل، فجعلوا الجماع بحائل غير مُحرِّم.

ومن هنا فقضية تحليل النظر إلى صورة عورة المرأة أو تحريمها بمنأى عن كلام الفقيه، ولم يدخل في ثنايا النص البتة ولم يقصده ولم يشر إليه بأي إشارة لا من قريب ولا من بعيد.

فإذا استنتج القوم من كلام ابن الهمام إباحة النظر إلى صورة عورة المرأة يلزمهم أن يستنتجوا أيضاً إباحة الزنى في دبر المرأة أو الزنى بها بحائل !! ولا أظن أن يقول به مسلم !!

المبحث الثالث: شبهات أخرى على دعواهم

كل قول أو زعم شذ عن إجماع الأمة في التاريخ الإسلامي – مهما كان متهافتا – لا بد له من شبهات يستند إليها لنشر بدعته، ولقد تعلق أصحاب هذا القول ببعض الشبهات نوردها فيما يأتي، ثم نبطل زعمها:

الشبهة الأولى: أن الحرام ما حرمه الله سبحانه ورسوله بنص ثابت وصريح، فإذا لم نجد نصاً صريحاً صحيحاً في قضية ما فالأصل أن تبقى على الإباحة. فقضية النظر إلى الصور العارية كبقية القضايا التي ليس فيها نص يحرمها، وبالتالي يبقى الأمر على الإباحة حتى نجد نصاً صريحاً صحيحاً يحرمها !!.

وهذه الشبهة من أكثر الشبه التي تعلقوا بها، وأبدأوا وأعادوا وجعلوها جوهر حجتهم، وظنوا أنهم قد وصلوا.

فنقول: لا يختلف اثنان من المسلمين أن مصدر التحريم والتحليل هو كتاب الله وسنة رسوله، ولا يلتمس المسلمون مصدراً للتشريع غيرهما، وبقية المصادر (كالقياس والإجماع) تبع لهما، ولكنها كلمة حق أريد بها باطل !!.

ولما كانت نصوص الكتاب والسنة محدودة ومعدودة وقضايا البشر المستجدة عبر الزمان والدهور غير محصورة ولا محدودة، فلا نتصور أن نجد لكل قضية جديدة نصاً صريحاً في الكتاب والسنة. ولا بد من قواعد تندرج تحتها آلاف المسائل والجزئيات، وقابلة لاستيعاب كل القضايا المستجدة، (لأن قصد الشارع ضبط الخلق إلى القواعد العامة، لأنه لا يتأتى ذلك من الجزئيات، لاستحالة حصرها، فلا بد في التشريع العام من قواعد عامه) (٣٩). وهذا الفهم الذي درج عليه علماء السلف الصالح، ومنه انطلقوا في الاستنباطات الفقهية، فوسع فقههم جميع قضايا عصورهم، وما رأيناها ضاقت يوماً ذرعاً بأي قضية استجدت على الأمة، فظهر ت القواعد الفقهية، وانتشر هذا العلم بين جميع المذاهب الإسلامية(٤٠)

يقول السيوطي: إعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم، به يطلع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه وأسراره، ويتميز في فهمه واستحضاره، ويقتدر على الإلحاق والتخريج، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الأزمان، ولهذا قال أصحابنا: الفقه معرفة النظائر (٤١).

ولذا كان التعلق بظواهر النصوص والجمود عليها دون التغلغل في فهمها وفقه مرادها ومراميها وأبعادها تخلف وإساءة لدين الله، وبالتالي ينفي عن الفقه الإسلامي خصيصة أساسيه يمتاز بها عن بقية التشريعات الأرضية، وهي الحيوية ومواكبة الأحداث والدهور والأزمان.

ومن خلال هذه المعطيات ندرك عدم اشتراط النص الصريح لكل جزئية أو قضية متجددة حتى يحكم عليها بالتحريم أو التحليل، وإنما يمكن أن تندرج تحت قواعد عامة في هذا الدين.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فكما ذكرنا سابقاً أن النصوص الواردة في تحريم النظر إلى العورات لم تخصص طبيعة هذه العورة في كونها من دم ولحم أو صورة مطابقة لها.

ومن جهة ثالثة، فقد نص الأصوليون على أن (الأصل في المضار الحرمة، لأن الضرر لا يجوز أن يكون مشروعاً ابتداءً بالإجماع لقوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج ٧٨ ، وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة ١٨٥ ، وللحديث الشريف (لا ضرر ولا ضرار) (٤٢). فإذا ثبت هذا الأصل فنقول: إذا وقعت حادثة مشتملة على المضار، فإن وجدنا نصاً على كونها مشروعة قضينا به تقديماً للخاص على العام وإلا قضينا عليها بالحرمة بناءً على هذا الأصل)(٤٣).

الشبهة الثانية: قاعدة (الوسيلة إلى الحرام حرام)

فمع أن هذه القاعدة واضحة جدا، وهي نص في تحريم النظر إلى الصور العارية فإن القوم أوردوا شبهة وشرطاً لهذه القاعدة وهي (أن تكون موصلة إلى الحرام حتماً)، وهذا الشرط -مع أنه بدعة -، فهو شرط باطل أيضاً من وجوه:

١- لقد رأينا أن الإسلام حرم وسائل إلى الحرام، مع أنها لا تؤدي حتماً إلى الحرام منها: تحريم الخلوة بالأجنبية ، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم) (٤٤)، فكم من رجل اختلى بامرأة، دون أن يحصل بينهما شيء مما حرم الله خوفاً من الله سبحانه، ومع ذلك يجمع العلماء على حرمته، ولا يجرؤ أحد أن يبيح الخلوة حتى لو كان واثقاً من تقوى الرجل والمرأة.

قال الإمام الغزالي: إن الخلوة بالأجنبية حرام، سواء خيفت الفتنة أم لا (٤٥)، ومنها: النهي عن الجلوس على حافة الطرق.

فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها، فقال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله: قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)(٤٦)

أفاد الحديث التحذير والنهي عن الجلوس على حافات الطرق لأنها مظنة الوقوع في الخطايا والذنوب، وتضييق الطريق على المارين، ولذلك بوب الإمام مسلم (باب النهي عن الجلوس في الطرقات) ثم خفف الرسول صلى الله عليه وسلم النهي وأجاز الجلوس للضرورة التي ذكروها (ما لنا من مجالسنا بد) أي لا نستطيع الاستغناء عن الجلوس فيها) (٤٧). وهذا التخفيف في الحكم من التحريم إلى الإباحة بشروط يستند إلى قواعد هذا الدين المبنية على التخفيف (وما جعل عليكم في الدين من حرج) والقاعدة الفقهية (إذا ضاق الأمر اتسع)

والقاعدة (المشقة تجلب التيسير). فأصل الجلوس منهي عنه ولم تبحه إلا الضرورة والتخفيف على الناس، خشية المشقة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم (فإن أبيتم إلا المجالس).

ونخلص من هذا الحديث إلى أن النهي والتحريم قد يتعلق في كثير من الأحيان بأسباب يمكن أن تؤدي إلى الحرام – عادة – وليس حتماً، وذلك لحسم أسباب الفساد.

ومنها حرمة النظر داخل بيوت الآخرين، كما ورد في حديث سهل السابق (٤٨) عن الرجل الذي اطلع من جحر في دار النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك، إنما جعل الإذن من قبل الأبصار). ونعيد تعليق ابن حجر هنا مرة ثانيه (٤٩) على هذا الحديث للأهميه، حيث قال: واستدل بقوله (من أجل البصر) على مشروعية القياس والعلل، فإنه دل على أن التحريم والتحليل يتعلق بأشياء متى وجدت في شيء وجب الحكم عليه، فمن أوجب الاستئذان بهذا الحديث وأعرض عن المعنى الذي لأجله شرع لم يعمل بمقتضى الحديث، واستدل به على أن المرء لا يحتاج في دخول منزله إلى الاستئذان لفقد العلة التي شرع لأجلها الاستئذان. وذكر الأصوليون هذا الحديث مثالاً للتنصيص على العلة التي هي أحد أركان القياس)(٤٩).

إن مجرد النظر داخل البيت محرم ولو لم ير فيه عورة البتة، فالنظر داخل غرفة وأهلها في غرفة أخرى محرم ما دامت الغرفة في إطار البيت، لمظنة تكشف العورات.

فالتحريم تعلق بالنظر إلى داخل البيت لأن البيت كله مظنة كشف العورات، مع أن النظر لا يؤدي حتماً إلى الوقوع على عورة من العورات، فقد يقع النظر على مكان خال أو غرفة في زوايا البيت فارغة، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يبيح هذه النظرة، فقد جاء النص بتحريم النظر مطلقاً.

ومن هذه الوسائل التي حرمها الشرع – دون أن تؤدي حتماً إلى الحرام – سفر المرأة بدون محرم، ففي الحديث (لا يحل لامرأة أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها)(٥٠). فهل سفر المرأة هذه الفترة بدون محرم يؤدي حتماً إلى وقوعها في الحرام ؟!! أم أن هذه الفترة كافية لأن تكون مظنة لتعرضها للاعتداء والوقوع في المحرمات ؟!!.

٢– ظاهر القاعدة لم تشترط وقوع الحرام حتماً، لأن هذا الأمر لا يعرف إلا بعد وقوع المحظور وحصول المفسدة، كما أن القاعدة لم تعمم بحيث أنها حرمت كل وسيلة إلى الحرام مطلقاً، ولم تدع القاعدة إلى الاحتياط السلبي أو الوسوسة كما يظن بعضهم، وإنما القضية تتعلق بغلبة الظن، وعليها بني الحكم، فعندما تتوافر أسباب المفسدة ويغلب على ظن العقول السليمة أنها مؤدية إلى الحرام تحرم، وأما إذا كانت الأسباب بعيدة وغير مؤدية– عادة– إلى الوقوع في الحرام فحينئذ لا نقول بحرمة هذه الوسيلة، لأن القول بحرمتها عند ذلك يكون

من باب الوسوسة والتشكك المنبوذ.

٣- النظر إلى الأمرد والخلوة به. (لم يرد نص صحيح في حرمة الخلوة أو النظر إلى الأمرد، ومع ذلك أفتى العلماء بتحريمه، وبالغ الصالحون في الإعراض عن المرد وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم. قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذارى، وهم أشد فتنة من النساء، وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد، يقعد إليه، وكان يقول: لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد، وحرمه بعضهم قياساً على المرأة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) وفي المرد من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم، ولأنه يمكن في حقه من الشر ما لم يمكن في حق النساء، ويسهل في حقه من الطرق المريبة والشر ما لا يسهل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولى. وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر، وسواء في كل ما ذكرنا نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره.

ودخل سفيان الثوري الحمام، فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال: أخرجوه عني فإني أرى مع كل امرأة شيطاناً، ومع كل أمرد سبعة عشر شيطاناً. وجاء رجل إلى الإمام أحمد ومعه صبي حسن الوجه فقال له: من هذا منك؟ فقال: ابن أخي، فقال: لا تجيء به إلينا مرة أخرى، ولا تمش معه بطريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ويعرفه سوء. . . . . وذلك لأن الفتنة بالمرد أقرب وأقبح) (٥١).

وهكذا رأينا كيف حرم العلماء كثرة الاختلاط بالمرد، خوفاً من الفتنة بهم، دون ورود نص صحيح على الحرمة، وإنما قالوا بحرمته لأنه وسيلة إلى الحرام، وليس حتماً مؤدياً إلى حرام.

٤- لو أجزنى الأسباب المؤدية للفساد لفتحنا أبواب الشر على مصراعيه. قال ابن حجر الهيثمي: لو جاز نحو النظر - ولو مع الأمن (من الفتنة) لجرَّ إلى الفاحشة وأدى إلى الفساد، فكان اللائق بمحاسن الشريعة الإعراض عن تفاصيل الأحوال، وسد باب الفتنة، وما يؤدي إليها مطلقاً)(٥٢).

ومع هذا فإننا نجد من يفترض في نفسه أو في غيره العصمة، وينسى طبيعة النفس البشرية، فهذا علي رضي الله عنه، وهو من أطهر البشر وأصفاهم نفساً ومن الثلة المختارة من الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين المهديين، ولا يشك فيه مثقال ذرة، ومع ذلك ينهاه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (فلا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة) (٥٣). فلم يأمن عليه الفتنة إذا كرر النظرة (٥٤).

حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمن على نفسه الشريفة من الفتنة، فقد روي عنه أنه مرت به امرأة ذات يوم فوقع نظره عليها، فقام ودخل إلى أهله فقضى شأنه معهم ثم خرج، فقيل له في ذلك فقال: إني لما رأيت المرأة ذكرت النساء فقمت إلى أهلي فقضيت شأني، فإذا أصاب أحدكم مثل هذا فليصنع هكذا)(٥٥).

وهكذا كان (يعلمهم صيانة القلوب عن مصاحبة خاطر امرأة ليست له بمحرم، وأنه إن عرض لأحدهم شيء من هذا فليفض إلى حلاله لئلا يعلق ذكر نساء الأجانب بباله، مع أن نظر المفاجأة ليس بمحرم) (٥٦) قال المفكر الإسلامي أحمد ديدات (جيمس ويكرت) في اعتراضه على من كتب في الجنس: إذا أكل الإنسان طعاماً فاسداً فإن جسده يفسد، وإذا قرأ شيئاً فاسداً فإن عقله يفسد) (٥٧). وبالتالي إذا نظر إلى شيء فاسد فإن بصيرته وخياله يفسدان أيضاً.

الشبهة الثالثة:الصورة خيال الشيء وليست حقيقته

وتنحصر هذه الشبهة في أن النظر إلى الصورة العارية لا يؤدي إلى حقيقة الزنى لكونها صورة جماداً لا حياة فيها، وهي خيال الشيء لا حقيقته، ولاستحالة إمكانية استجابتها للشهوة. ثم يقولون: ولأن من شروط الزنى أن يكون كالرشا في البئر وكالميل في المكحلة، وهذا لا واقع له مع صورة أياً كان نوعها. إلى أن قالوا: لو أن إنساناً طعن صورة رجل أو امرأة فهل يقاد بها؟ أي هل عليه عقوبة؟! (٥٨).

وقد ظن الكاتب أنه بهذه الاستدلالات الغريبة زاد رأيه قوة وصلابة. ويا ليته إذ وقع في هذه الورطة خلا كتابه من هذه العبارات العجيبة!!. ويفهم من كلامه أن كل فعل ما لم يؤد في النهاية إلى زنى حقيقي فهو أمر مباح لا بأس به! ولا أظن به قد وصل إلى هذا الحد.

إن الإسلام عندما حرم مقدمات الزنى لم ينظر إلى كونها تؤدي إلى زنى حقيقي فحسب، وإنما حرمها لأنها داخلة في جملة الفواحش، بل أطلق عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الشريفة (زنى) كما ورد في الحديث السابق، لأنه بالنظر (ينتقش في القلب ما قد رأته العين، وفي الضمير ما تسمعه الأذن، وفي النفس ما تطمع في تحصيله من الدنيا)(٥٩).

قال ابن حجر الهيثمي: (وليس الشيخ الفاني والمريض والعنين والخصي والمجبوب كذلك – أي لا يجوز لهم النظر– . . . . فيحرم على كل هؤلاء النظرة مطلقاً كالفحل، وعلى النساء الاحتجاب منهم). (٦٠). فالخصي والمجبوب يفقد آلة الجماع والزنى، فلماذا حرم عليهم فعل مقدمات الزنى إذن؟! ذلك لأن الشهوة والمتعة بالمرأة لا تنحصر بالجماع، فالنظر أيضاً

من طرق المتعة بالمرأة، فهو محرم ولو لم يؤد في النهاية إلى زنى حقيقي. قال الإمام الرازي: (ومعلوم أن الخصي والعنين ومن شاكلهما قد لا يكون له إربة في نفس الجماع، ويكون له إربة قوية فيما عداه من التمتع) (٦١)

وأما قولهم بأنها صور خياليه لم تتعلق نصوص التحريم الواردة بها، وإنما تعلقت في صور حقيقية، فقول غير مقبول لأن هذه الصور وإن كانت خياليه في ظاهرها، لكنها في الأصل صور لحقيقة واقعيه رجلاً كان أو امرأة، وليست من الخيال، بل هي صورة للحقيقة، أما الخيال فهو ما كان متصوراً بالعقل دون التزام الواقع.

وقد حرم الإسلام نقل صور النساء ووصفها ولو عن طريق الحديث والكلام. كما رأينا في رواية ابن مسعود السابقة (٦٢)(لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها). هذا أصل لمالك في سد الذرائع)، وهذا دليل على أن الوصف يقوم مقام الرؤية. وحديث المخنث(٦٣) الذي قال لأخي أم سلمه عبد الله بن أبي أميه إن فتح الله لكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخلن هذا عليكم). (فحجبه عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيج قلوب الرجال، فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب.....

وفيه حجة لمن أجاز بيع العين الموصوفة بدون الرؤية لقيام الصفة مقام الرؤية...... فإذا استوعب الوصف حتى قام مقام الرؤية المعتبرة أجزأ) (٦٤).

لقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم جريمة وصف المرأة وبيان مفاتنها للرجال، عندما يتملى الخيال الصورة بعد وصفها للسامع، فيتمتع بالموصوف فكأنما ينظر إليها عياناً، وكأنها حقيقة ماثلة أمام السامع، مما يؤدي هذا الوصف إلى تهييج غريزة الرجال وتأجيج للشهوات واستعار نارها التي لا تنطفيء إلا بقضاء حاجتها بأي طريقة.

فهذا في الوصف الكلامي، وهيهات أن يقدم الوصف الكلامي الحقيقة كما تقدمها الصور الملونة للعين، ففيها أعظم الفتن وجر النفوس إلى الهاوية.

المبحث الرابع: وقفات مع روح هذا الدين

هذا الدين أشبه ما يكون بالكائن الحي، فما دام أي جزء منه – مهما كان ضئيلاً – داخلا فيه مرتبطا بأجزائه، فإن الحياة تنبض في ثنايا عروقه، فإذا انفصل التحق بالفناء وعاد كبقية الأموات والجمادات.

وروح هذا الدين يدركه العالم المؤمن البصير – بعد أن يتقلب بين النصوص ويعيش في ظلالها، ويحيا مع أقوال أهل العلم، ويعاشر العلماء الربانيين – يدرك ذلك لا محالة، يدرك القول الدخيل على هذا الدين من القول الأصيل، ويدرك القول الذي يستحيل على دين الحق والقول الذي يدخل في الممكنات ويخضع للاجتهادات والخلافات، فتجد القول الغريب الشاذ ينفيه أهل العلم عن دين الله كما ينفي الكير خبث الحديد، لا يقبله أحد ولا يقره مسلم ولا يسمح أهل القبلة بإدخاله في إطار الاجتهادات والممكنات. وأما القول القريب من النصوص والذي يستشف من روح هذا الدين، فلا تجد العلماء يعلنون عليه النكير، إن كان له سند أو دليل أو له حظ من النظر.

ولولا هذا الروح الكامن في نسق هذا الدين، والذي ظل طوال العصور والأزمان مستقرا في صدور الذين أوتوا العلم وقلوبهم، لتعرض دين الله إلى الزوال، وأصابته معاول الملاحدة والزنادقة، وأضحى الاجتهاد لعبة للاعبين، وعبثاً لأصحاب الأهواء والزائغين. فهم يرون ما دام النص يحتمل التأويل وتسعه اللغة بما وسعت، فلم لا يكون حينئذ قولاً معتبراً واجتهاداً تقبله الأمة ويدخل في باب الاجتهاد والخلاف الفقهي ؟!!، وحينئذ يقرع باب الاجتهاد كل جاهل أو زنديق فينشر بين المسلمين أقوالاً هي أقرب إلى المجون والخلاعة منها إلى النظافة والعفاف والخلق الاسلامي، الذي هو أخص خصيصة تميز دين الله عن بقية المذاهب الأرضية الوضعية.

وقفه مع الغناء والموسيقى

كلمة الموسيقى وكلمة الغناء – بهذا الإطلاق – من الكلمات العامة التي لا يتعلق بها حل ولا تحريم، ولكن الأمر يتعلق بالآلة والمعاني التي تحدد حلها أو تحريمها. فدعوى إباحة الموسيقى والغناء مطلقاً دعوى باطلة، كما أن دعوى التحريم على الإطلاق دعوى باطلة كذلك.

فالشعر كلام حسنه حسن وقبيحة قبيح، وهو أيضاً يحتوي على موسيقى تبلغ أحياناً في حدتها أشد من الموسيقى التي تنبع من الآلات المعروفة، خاصة إذا صدرت من حنجرة ممتازة.

ومع ذلك فإن العلماء يضعون بعض المعايير لهذه الأحكام، ولهم أقوال وآراء، ليس هذا مجال ذكر اختلافهم فيها، لكنهم لم يختلفوا أن هذا النوع من اللهو إن اشتمل على فحش ومنكر أو كان مهيجاً للشهوة والشرور وتشجيع على الرذيلة فإن الحرمة تدركه لا محالة،

إذ أنها تضر بمقاصد الشريعة العامة (فالغناء إذا كان فيه شيء من الخنا والفحش . . . . فسماع ذلك وقوله حرام، سواء بألحان أو بغير ألحان، كما أن المستمع شريك القائل في الإثم، وكذلك بالنسبة لوصف المرأة بين الرجال فهو غير جائز) كذلك. (٦٥).

يقول الإمام الشوكاني: إن جميع الأغاني المهيجة للشرور، والمشتملة على وصف الجمال والفجور، ومعاقرة الخمور محرمة، حتى لو كان ذلك في النكاح) (٦٦).

فإذا كانت الأغاني والموسيقى - والتي في الأصل كلام وإيقاعات - صنعت في النفوس والقلوب أسباب الشر والفساد وإثارة نوازع الانحلال الخلقي، مما حدا بالشارع الحكيم إلى تحريمها، فكيف بالصور الخليعة التي تصنع في النفوس والقلوب ما يصنعه السحر أحياناً. وهذا لا يخفى على بشر سليم الفطرة الجنسيه ؟!!.

وقفة مع (صوت المرأة والرجل الخانع المتكسر)

صوت المرأة المجرد في الأصل مباح، ولا ينقل عن الإباحة إلى الحرمة إلا لسبب من الأسباب. يقول الغزالي: إذا سأل سائل هل تقول إن السماع من المرأة حرام بكل حال حسماً للباب، أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف العنت؟ فنجيب: هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان، أولهما: أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام، سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور، ثانيهما: إن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة ، فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال، فصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب، ولكن بينهما فرق لأن الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت، وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع، بل هو أشد، وصوت المرأة في غير الغناء - ليس بعورة، فالنساء في زمن الصحابة - رضوان الله عليهم - كن يكلمنهم في السؤال والاستفتاء والمشاورة وغير ذلك، ولكن الغناء له مزيد أثر في تحريك الشهوة، فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى، لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات، فينبغي أن يتبع مثار الفتن، ويقتصر التحريم عليه. هذا هو الأقيس عندي. ويختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل، في كونه شاباً أو شيخاً، ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال، فإنا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم، وليس للشاب ذلك، لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة، وهو حرام، فيختلف

ذلك بالأشخاص)(٦٧).

وهكذا رأينا كيف جعل الإمام مثار الفتن وتحريك الشهوة هي العلة في التحريم، مع أن أصل الشيء حلال، ولم ينقل عن الإباحة إلى التحريم إلا لسبب العلة التي دار حديث الغزالي عليها.

وتلك هي طريقة علماء الأمة في الوصول إلى الأحكام الفقهية وإصدار الفتاوى الشرعية للأمور المستجدة التي لم يرد فيها نصوص صريحة من الكتاب والسنة. فإذا أباح الشارع صوت المرأة المجرد في الحالة العادية فمن باب أولى أن يبيح صوت الرجل في الحالة الطبيعية، لكنه ينقلب إلى حرمة أحياناً (فقد يكون موضوع الغناء – الذي يتناوله رجل – لا بأس به ولا غبار عليه، لكن طريقة الغناء في أدائه بالتكسر في القول ينقل الغناء من الإباحة إلى التحريم أو الشبهة أو الكراهية، ذلك كالغناء الذي يذاع على الناس من الأغاني المهيجة التي تلح على جانب واحد، ألا وهو جانب الغريزة الجنسية وما يتصل بها من الحب والغرام، وإشعالها بهذا الشكل واستعمال كل أساليب الإثارة، خاصة للشباب والشابات) (٦٨)، والأولى أن يعتبر ذلك في حق المرأة، إذ هي أقرب إلى الفتنة من الرجل (فلو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة (العادية) من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها حينئذ حتى في القرآن الكريم)(٦٩).

ترى كيف انقلب الحلال إلى حرام إذا توفرت دواعي الفتنة وأسباب الفساد، وهنا سؤال يطرح نفسه: أيهما أشد فتنة وأعظم فساداً على النفوس وأوفر لدواعي الانحلال الخلقي صوت المرأة والرجل المخنث أم مشاهدة أفلام الجنس والخلاعة ؟!!.

وقفة مع فتنة الشم

من الأحاديث التي حذرت من هذه الفتنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أيما امرأة تطيبت ثم خرجت تريد المسجد لم تقبل لها صلاة) (٧٠). بل هناك تصريح بلفظ (فهي زانية) كما في رواية أخرى (٧١). فمع أنها خارجة للعبادة والصلاة في المسجد إلا أن رائحتها العطرية التي تفتن بها الرجال حرمتها من قبول الصلاة ورجعت مأزورة وليست مأجورة. بل اعتبر الرسول أن شم رائحة النساء زنى من قبل الرجل، كما أنه زنى من قبل المرأة التي هيجت شهوات الرجال برائحتها العطرية، فكيف بمن يريك صورة جسدها ومفاتنها ؟! ألا يكون ذلك أشد زنى من الرائحة ؟!

وقفة مع رأي الشرع في (القصص الغرامية والجنسية)

ذكرنا سابقاً حديث المخنث وهو ينقل صورة لابنة غيلان، حيث صورها للحضور بكلمات وألفاظ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم من فعله حتى نفاه من المدينة. كما ذكرنا تعليق شراح الحديث، خاصة ابن حجر الذي قال: يستفاد منه أن الوصف يقوم مقام الرؤية (٧٢).

ومن هنا فإن ما يقوم به كتاب القصص والروايات الإباحية، والذين شغفت أقلامهم بكتابة قصص الغرام الفاحش، والروايات التي تنضح بالتحريض على الزنى والانحلال، وتنقل العملية الجنسية، وتسعر في نفوس الشباب الشهوة الجارفة، كل هذا يحرم نشره وتداوله بين الشباب، لأنه مما يشجع على الرذيلة، وينتزع حجاب الحياء من النفوس ، فيتجرأون على الفواحش التي تنقل لهم بروايات وكتابات وقصص خياليه أو حقيقية.

والشعر الذي (يتحدث عن الحب والهوى والقبلة واللقاء ووصف الخدود والقدود وغيرها من الأمور الجنسية التي تثير الشهوة عند الشباب، وتشجعهم على الفاحشة والزنى وتقضي على الأخلاق) (٧٣). فإذا كان الشارع الحكيم لا يبيح نشر القصص والروايات الإباحية الفاحشة، ويعتبرها محرضة على الزنى ونشر الفاحشة في المجتمع المسلم كان الأولى أن يحرم الصور الخليعة الفاضحة والتي هي أشد فتكاً في الشباب والمجتمع بطريقة لا تخفى على أحد، وما أجمل ما قاله ابن حجر الهيثمي (ووسائل المعاصي معاصي مثلها)(٧٤)

ويقول الشيخ أبو زهرة (والمحافظة على الدين تكون بمنع الفتنة في الدين، وبمنع الضلال وبمنع إثارة الأهواء والمفاسد)(٧٥). ومن هنا (فالمتاجرة في أفلام الفيديو المعروضة في الأسواق، والتي تعرض المحرمات -كأفلام الجنس والخلاعة والمجون والأفلام البوليسية التي تعلم الناس وسائل الإجرام وتسهم في نشر الجرائم والرذائل - حرام شرعاً، والتعامل في هذه الأشرطة بيعاً وشراءً أو إجارة أو إهداءً تبادلاً كل ذلك محرم شرعاً، لأنها تسهم بلا شك في نشر الفاحشة بين المسلمين، والله عز وجل يقول: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) النور ٢٠ (٧٦) ، وأحياناً يلجأ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة إلى تصويرمن يعشقهم الشباب -من المغنين والممثلين والفنانين- بصورة شبه عارية ((فترى الشوارع والبيوت مليئة بصور المطربين والمطربات، السافرات العاريات، التي تجعل الشباب يعشقونها، فيرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فتنحل أخلاقهم وتفسد طبائعهم، فلم يعودوا يفكرون في دين ولا أرض محتله، ولا قدس ولا شرف ولا

جهاد) (٧٧).

فكل هذا من أعظم الحرمات والجرائم التي تفتك بالأمة وتزيل حواجز الحياء عند الجنسين، وتفتح أبواب الفواحش على مصراعيها، وحينئذ يغرق الجيل في وحل الجنس، وتتحقق أمنيات المحافل الماسونية التي وعدت بإبعاد الأجيال عن القيم والأخلاق والأهداف العليا، وتصرفهم عن معالي الأمور إلى الرذائل، فلم يعد للجيل هم سوى إرواء غليله من شهوة الجنس المستعرة. فانظر إلى الشارع الحكيم كيف حرص على إطفاء نار الشهوة عندما تستعر خوفاً من اندفاعها إلى الحرمات، ففي الحديث (يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (٧٨). فهل ترى الشرع الإلهي أمر بإطفاء شعلة الجنس بالصوم -خوفاً من الوقوع في الفاحشة - ثم يبيح مشاهدة الصور العارية وأفلام الجنس والفحش - التي تذكي هذه الشهوة إلى أقصى درجاتها ؟!!.

والناظر في دين الله نظرة تأمل وتفحص، والعاقل الذي لم يستول على عقله وأحاسيسه الهوى والشهوة، يجزم بأنه ما من شاب سليم الفطرة الجنسية يشاهد هذه الصور الخليعة أو(يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة، ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر. وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى، والقتال في القلب دائم، بين الشيطان(وهو الشهوات) وبين حزب الله تعالى وهو (نور العقل)، إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية. وغالب القلوب الآن قد فتحها جنود الشيطان وغلب عليها، فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها ؟!)(٧٩).

(والتعرض للشهوات يميت القلب، لأن حوادث الدنيا حسية طبعية، وحوادث الآخرة إيمانيه يقينية، والحسيات أقوى جذباً لمن لم يقو عليه يقينه، والحوادث إنما تبقى بكثرة أسبابها، والتعرض للملذات يقوي حوادث الحس، والعزلة والفكر والنظر في العلم يقوي حوادث الآخرة...... فإذا خالطت الخلق وتعرضت للشهوات ثم رُمتَ صلاح القلب رمت الممتنع) (٨٠).

ولا ينحصر أثر الأفلام الجنسية والصور العارية على الدين فقط، بل يتعدى أثرها على العقل واستقرار الإنسان النفسي، فهي تزيد من الإرهاق العصبي والتشويش العقلي والضغط على النفس البشرية - بسبب الإمعان في التفكير وإثارة الشهوة المستعرة باستمرار دون السبيل

إلى تفريغها، أو تفريغها بطريقة شاذة - كل هذا يؤدي إلى ازدياد في أعداد الشباب الذين يترددون على المستشفيات والأطباء المتخصصين في الأعصاب والأمراض النفسية.

ومن هنا فلا تتفاجأ من هول (الحقائق المروعة التي تؤكد أن نصف عدد الأسرَّة التي في مستشفياتنا يشغله أناس يثقلهم الإرهاق العصبي والعقلي) (٨١).

نتائج البحث

وبعد نهاية هذا البحث نخلص إلى النتائج الآتية :

١- اهتمام الإسلام البالغ بالجانب الخلقي والمحافظة على الأعراض، وإحاطته بسياج منيع .

٢- الفساد الخلقي يورث الفساد السياسي في المجتمعات .

٣- النظر إلى المحرمات بريد الفساد الجنسي بين الرجل والمرأة .

٤- الاختلاط بين الجنسين – دون حاجة أو ضرورة ودون ضوابط شرعيه- سبب أساسي للتفسخ الأسري والأخلاقي .

٥- ليس هناك فرق كبير بين النظر إلى الصورة أو إلى حقيقتها ، من حيث الآثار المترتبة على النظرة .

٦- إباحة النظر إلى الصورالخليعة بدعة وشذوذ في تاريخ الفقه الإسلامي .

٧- أن من ابتدعوا هذا القول بنوا مقولتهم على شبهات وأوهام تدل على ضحالة صلتهم بأصول الدين وقواعد الفقه الإسلامي .

٨- ليس كل خلاف جاء به أحد من الأمة معتبرا شرعاً . بل يشترط أن يكون له حظ من النصوص والقواعد الفقهية .

٩- ان هذا الدين كالكائن الحي فيه روح كامنة ، يلفظ كل دخيل عليه ، ولا يقبل إلا ما يتناسق مع روحه وكيانه .

١٠- تحريم النظر إلى الصور والأفلام الجنسية الخليعة ، أمر محسوم لم يخالف فيه أحد من فقهاء العصر الحاضر .

١١- هناك غفلة عن خطورة الآثار المترتبة على انتشار هذه الصور والأفلام الفاسدة في الإعلام، ويجب على أبناء الأمة محاربتها بكل الوسائل المتاحة .

الهوامش:

١- راجع د. الأشقر، محمد سليمان (الواضح في أصول الفقه للمبتدئين) الكويت، الدار السلفية، الثانية ص

٢- أنظر مقدمة كتاب (جريمة قتل النفس المسلمه) للدكتور عبد الله عزام .

٣ - القواعد النورانية الفقهية لابن تيميه ص ٢٨ .

٤- السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٩٢، البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٤١ ، كنز العمال للمتقي الهندي ٧/ ٥٢، السلسلة الصحيحة للألباني ٤٥ أنظر (موسوعة أطراف الحديث النبوي) ج٣/ ٥٩٢ .

٥- معالم في الطريق ص ٣ سيد قطب .

٦- والتدمير الأخلاقي عبر الشهوة الجنسية وإفساد المرأة هو إحدى الخطوط الثلاثة التي اتبعها اليهود كمخطط لمحاربة الإسلام عبر التاريخ وهذه الخطوط هي : ١- خط التشكيك في العقيدة ٢- خط التدمير الأخلاقي من خلال إفساد المرأة ، ولا ننسى أن أول احتكاك بين اليهود والمسلمين في المدينة هي حادثة بني قينقاع بسبب امرأة مسلمه ٣- خط التفتيت للأمم عن طريق إثارة النعرات القبلية والعنصرية . انظر حاشية كتاب (دلالة الكتاب والسنة على الأحكام من حيث البيان والإجمال أو الظهور والخفاء) للدكتور عبد الله عزام ص٤٦٦ .

٧- فتح الباري ٩/ ٣٣٨). وقد ذكر ابن حجر الهيثمي في الزواجر أن الأئمة حرموا النظر لقلامة ظفر المرأة المنفصلة . . . . . . ثم قال: وكذلك يحرم سائر ما انفصل من المرأة، لأن رؤية البعض ربما جر إلى رؤية الكل، فكان اللائق حرمة نظره مطلقاً، وكما يحرم ذلك على الرجل للمرأة كذلك يحرم عليها أن ترى شيئاً منه، ولو بلا شهوة، ولا خوف فتنة . (أنظر الزواجر ٢/ ٥).

٨- أحكام النظر إلى المحرمات، ص٣٢ لابن حبيب العامري .

٩- التفسير الكبير للإمام الرازي ٢٣ / ٢٠٥

١٠- متفق عليه / صحيح البخاري، كتاب القدر، باب الزنى والجوارح دون الفرج ج٥/ ٢٣٠٤ رقم ٥٨٨٩، وكذلك مسلم في باب القدر واللفظ له

١١-(نزهة المتقين لمجموعه من العلماء شرح رياض الصالحين للنووي ج ٢/ ١١١٦)

١٢- مسند أحمد ١/ ١٥٩، مستدرك الحاكم ٣/ ١٢٣، مصنف بن أبي شيبه ٤/ ٣٢٦ و ١٢/ ٦٤ ، الترغيب والترهيب ٣/ ٣٥ ، مشكل الآثار للطحاوي ٢/ ٣٥٠ ، كنز العمال للمتقي الهندي ٣٣٠٥٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٦٣ أنظر (موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ج١١/ ٢٠٠).

١٣- مسلم وأبو داود والترمذي أنظر الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ج٢/ ٨١ .

١٤- والمدري: عود تدخله المرأة في رأسها لتضم بعض شعرها إلى بعض . فتح الباري ج ١٠ / ٣٦٦ـ٣٦٧ .

١٥- انظر (أحكام النظر إلى المحرمات ص٣٣).

١٦- تفسير الرازي ج٢٣/ ٢٠٢ .

١٧- انظر هامش (تفسير الطبري ج١٨ / ٧٦) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري وبهامشه (تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للعلامة نظام الدين النيسابوري

١٨-- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢/
١٩-(٢) تفسير آيات الأحكام ج٢/ ٣٥١ - ٣٥٢ ، للشيخ محمد علي الصابوني
٢٠- (أحكام النظر إلى المحرمات) المقدمة ص٧-٨ نقلاً عن كلمة للشيخ مصطفى السباعي، نشرتها جمعية الإصلاح بالكويت سنة ١٣٨٧هـ ص ١٠ وما بعدها
٢١- (٢) المرجع السابق ص٦
٢٢- سبق ذكره ص ٧ .
٢٣- فتح الباري ١١/ ٢٥
٢٤- (فتح الباري ٩/ ٣٣٨
٢٥- . (فتح الباري ٩/ ٣٣٩)
٢٦- (فتح الباري ٩ / ٣٣٣)
٢٧- فتح الباري ٩/ ٣٣٣)
٢٨- فتح الباري ٩/ ٣٣٦)
٢٩- فتح الباري ٩/ ٣٣٥)
٣٠- انظر (محرمات استهان بها الناس يجب الحذر منها) ص٤١ وغيرها، محمد صالح المنجد
٣١- (انظر إلى هذا القول في كتاب (الخلاص واختلاف الناس ص٨٥ / للشويكي). فقد جاء فيه بكل عجيب، ونثر فيه من الفتاوى الغريبة عن حس المسلم وروح هذا الدين العفيف الحنيف. ولا نعلم كاتباً - مسلماً - غيره تجرأ على مثل هذا القول في كتاب معد للنشر والبيع والتوزيع في بلاد المسلمين، بل كل من تجرأ على هذه المقولة لا يزال يتوارى من القوم من سوء ما جاء به، فبعضهم تاب ورجع وأناب واستغفر الله سبحانه على ما تجرأ عليه، وبعضهم عدل قليلاً من أقاويله، والبعض الآخر أخفاها لعله يأتي زمان ينتشر فيه الجهل بهذا الدين ويعلنها بين الذين لا يعلمون. ويقال بأن كاتب كتاب (الخلاص) المذكور ممن تاب عن هذه الفتوى ورجع إلى الحق والصواب، وأعلن توبته في منشور وزعه باسمه قبل سنتين، والله أعلم، فإن كان كذلك فنسأل الله له المغفرة والتوبة والرحمة، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. على أنه يجب عليه شرعاً -كما أصدر كتاباً باسمه في هذه الفتاوى الغريبة-أن يصدر كتاباً باسمه لينقض ما قاله سابقاً، ويثبت فيه الحق والصواب.
كما تجرأ على هذه المقالة فرقة (الأحباش) أو (الهرويه)، وليس عجيباً أن يصدر منهم هذا القول، فهي فرقة -مع ضلالها وانحراف عقائدها وأفكارها - فهي تدعو بكل صراحة إلى الإباحية والاختلاط والسفور وتبيح النظر إلى أفلام الجنس وبشهوة، وقد بين ضلالاتهم وفساد دينهم العديد من علماء العصر كالشيخ ابن باز والشيخ القرضاوي وأبو بكر الجزائري وغيرهم . انظر كتاب (ضلالات فرقة الأحباش وافتراءاتهم على الأشعري والشافعي) ص ٢٦ للشيخ محمد عبد الهادي لافي
٣٢- . راجع كتاب (الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ ج١/ ص ١٧٢-١٧٣ . والعجيب أن علماء اليهود يحرمون هذه الصور والأفلام الجنسية ولا يسمحون لأنفسهم ولا لذويهم النظر إليها. والأعجب منه أن الإتحاد السوفياتي الشيوعي سابقاً - رغم إباحيته وشيوعيته - كان يمنع ظهور الأفلام الجنسية على شاشات التلفاز ويفسر ذلك بأن هذه الأفلام تسقط المجتمع وتفسد الأجيال والأمة !!!!.

٣٣- في كتاب (شرح فتح القدير للعاجز الفقير) تأليف الشيخ الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد المشهور (بابن الهمام) ج٣ / ١٣١ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، وكذلك أشار ابن عابدين في حاشيته إلى ما ذكره ابن الهمام، ووضحه أكثر من ابن الهمام - وكلاهما مذهبهما حنفي - أنظر (حاشية رد المحتار) لابن عابدين على (الدر المختار شرح تنوير الأبصار) في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة، ويليه تكملة ابن عابدين لنجل المؤلف ج٣/ ٣٤ .
٣٤- فتح القدير ج٣/ ١١٧
٣٥- فتح القدير ٣/ ١٣١
٣٦- فتح القدير ٣/ ١٣١ . وموضوع بيان المحرمات فصله ابن الهمام من ص ١١٧ - ١٣١ في المجلد الثالث من الكتاب المذكور، فارجع إليه لبيان المسألة التي نحن بصددها .
٣٧- حاشية ابن عابدين ج٣/ ٣٢
٣٨- (فتح القدير لابن الهمام) في حاشية ص ١٣١، وانظر ص ١٢٦ الجزء الثالث
٣٩- الموافقات للشاطبي ج٣/ ٢٦٥ من المتن والحاشية .
٤٠- من هذه الكتب التي تبحث في هذا العلم مثلا : الأشباه والنظائر لابن نجيم ٩٧٠هـ، والأشباه والنظائر للسيوطي ٩١١هـ، وكتاب القواعد لابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ، والقواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام وغيرها .
٤١- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعيه للسيوطي ص ٦ . وأنصح بالاطلاع على كتاب (الموافقات) للإمام الشاطبي، فهو كتاب عظيم ثمين يفتح آفاق المسلم ويكسبه سعة في الأفق لفهم الدين ويطلع من خلاله على عظمة التشريع والفقه الإسلامي .
٤٢- أخرجه أحمد ج٥/ ٢٢٧ وابن ماجه (الأحكام) والموطأ (الأقضية) أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) لجماعة من المستشرقين ج٢/ ٤٩٧
٤٣- انظر هامش تفسير الطبري ج١٤/ ٨١ (تفسير غرائب القرآن) لنظام الدين النيسابوري عند قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) النحل ٦١
٤٤- متفق عليه أنظر (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف) للمنذري ج٢/ ٨٢
٤٥- إحياء علوم الدين ٢/ ٢٨١ .
٤٦- متفق عليه / نزهة المتقين ٢/ ١١١٦ .
٤٧- نزهة المتقين ٢/ ١١١٦ .
٤٨- سبق ذكره ص ٧ .
والقواعد الفقهية السابقه تجدها موسعة في العديد من الكتب التى تكلمت في القواعد الفقهيه، أنظر مثلاً (الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٧٦ - ٨٣ وما بعدها) .
٤٩- سبق ذكره ص ١٠ .
٥٠- متفق عليه - نيل الأوطار للشوكاني ج٥/ ١٥ المجلد الثالث .
٥١- الزواجر ٢/ ٤، ٦ .
٥٢- الزواجر ٢/ ٥ .

٥٣- سبق ذكره ص ٧ .
٥٤- راجع كتاب (أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الخطر والآفات والرد على من استباح حله وادعى العصمة فيه من الفتنة) تأليف الحفظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن حبيب العامري ت ٥٣٠هـ ، ص ٤٢ وما بعدها .
٥٥- مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧٧ .
٥٦- أحكام النظر ص ٦٤) .
٥٧- أنظر شريط الفيديو في المناظرة الكبرى التي أجراها مع بعض علماء النصارى في الغرب .
٥٨- انظر (الخلاص واختلاف الناس) ص ٨٧ ، ٩٠- ٩١ هذه الشبهات المذكورة سابقاً كلها تجدها مبثوثة في هذا الكتاب وفي أماكن متعددة منه ، وأراد الكاتب من ذكر هذه الشبهات دعم مقالته ، فكانت أدل شيء على فسادها وبيان عوارها .
وقالت فرقة الأحباش : إن النظر إلى صورة المرأة العارية أو أفلام الجنس مباحة !! وشبهتهم أن النظر إليها ليس نظر إلى المرأة !! بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فقد أباحوا للرجل الأجنبي النظر إلى جسد المرأة العارية (حقيقة وليس صورة) بلا شهوة !! أنظر (ضلالات فرقة الأحباش) ص ٢٦ وما بعدها .
٥٩- صيد الخاطر ص ٣٣٢. حرمة مقدمات الزنى وأنها من الفواحش أمر لا يخالف فيه أحد، ولكنهم اختلفوا، هل هي من كبائر الذنوب أم هي من صغائر الذنوب ؟ وقد نص عدد من العلماء أنها من الكبائر (أنظر الزواجر للهيثمي ٢/ ٤).
٦٠- الزواجر ٢/ ٥ .
٦١- التفسير الكبير ج٢٣/ ٢٠٨ .
٦٢- سبق ذكره ص ١٠ .
٦٣- سبق ذكره ص ١١ .
٦٤- هذه النقولات سبق ذكرها ص ١١ وكررت لأهميتها، فتح الباري ٩/ ٣٣٣ ،
٦٥-إحياء علوم الدين ٢/ ٢٨٢ . أما الموسيقى بالأوتار والمعازف فقد ذكر ابن حجر الهيثمي الإجماع على تحريمها، ومخالفة ابن حزم في هذه المسألة خلاف غير معتبر – كما قال – والله أعلم، أنظر (الزواجر، للهيثمي ٢/ ٣٠٦، ٣٠١١).
٦٦- نيل الأوطار ٦/ ١٨٧ .
٦٧- إحياء علوم الدين ٢/ ٢٥٧ .
٦٨- فتاوى معاصره ٢/ ٤٩٣ للدكتور يوسف القرضاوي .
٦٩- إحياء علوم الدين للغزالي ٢/ ٢٥٧ . قال ابن حجر : حتى خروج النساء للمساجد وقضاء الحاجات في الأسواق وغيرها اشترط في الجواز أمن الفتنة (فتح الباري ٩/ ٣٣٨)
٧٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٣٦٥، مسند الحميدي ٩٧١، سنن ابن ماجه ٤٠٠٢، المسند لأبي عوانه ٢/ ١٧ أنظر (موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف) أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ج٤/ ١٥٥ .
٧١- سنن الدارمي ٢/ ٢٧٩ (موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ج٤/ ١٥٥) .

٧٢- انظر ص ١٠- ١١ من البحث.
٧٣- أنظر / توجيهات إسلاميه لإصلاح الفرد والمجتمع) لمحمد بن جميل زينو - المدرس في دار الحديث بمكة المكرمة ص ١٠٢.
٧٤- الزواجر ج٢/ ٣١١ .
٧٥- الإمام أبو زهرة، محمد (أصول الفقه) دار الفكر العربي ص٢٧٨.
٧٦- عفانه د. حسام الدين موسى، يسألونك، بيت المقدس للطباعة، ج١/ ١٠١ .
٧٧- زينو، محمد بن جميل، توجيهات إسلاميه لإصلاح الفرد والمجتمع ص١١٠ .
٧٨- أخرجه البخاري (كتاب الصوم ، والنكاح) وأحمد (مسند أحمد ١/ ٢٧٨) انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) لجماعه من المستشرقين ج٢/ ٣٥٧ .
٧٩- إحياء علوم الدين للغزالي ٢ / ٢٥٩ .
٨٠- صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢٨.
٨١- حوى، سعيد (الإسلام) ص٢١٥.

المصادر والمراجع:

١-الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ، وبذيله كتاب (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت ٨٠٦هـ لبنان – بيروت، دار القلم.

٢-قطب، سيد (معالم في الطريق) بيروت، دار الشروق.

٣-العامري، الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن حبيب ت ٥٣٠هـ (أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الخطر والآفات، والرد على من استباح حله وادعى العصمة فيه من الفتنة). بيروت، لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، ط. الثانية ١٩٩٧م.

٤-المنجد، محمد صالح (محرمات استهان بها الناس يجب الحذر منها) المدينة المنورة، مكتبة الخضيري، ط. الثالثة ١٤١٦ هـ.

٥-الأشقر، محمد سليمان (الواضح في أصول الفقه للمبتدئين) الكويت، الدار السلفية، ط. الثانية.

٦-عزام، عبد الله (دلالة الكتاب والسنة على الأحكام من حيث البيان والإجمال أو الظهور والخفاء) باكستان، ط. الأولى ١٩٩٣م.

٧-الرازي، الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير) بيروت، دار إحياء التراث العربي ط. الثالثة.

٨-الشويكي ، محمد (الخلاص واختلاف الناس) الرام، القدس ، مؤسسة القادسية الإسلامية ١٤٠٨هـ.

٩-ابن الهمام، الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد (شرح فتح القدير للعاجز الفقير) بيروت، لبنان دار إحياء التراث العربي.

١٠ – ابن عابدين، حاشية رد المحتار) لابن عابدين على (الدر المختار شرح تنوير الأبصار) في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة، ويليه تكملة ابن عابدين لنجل المؤلف، دار الفكر ط. الثالثة ١٩٦٦م.

١١- الطبري، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير (جامع البيان في تفسير القرآن) وبهامشه (تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان) لنظام الدين النيسابوري) بيروت، دار الفكر ١٩٧٨م.

١٢- الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر ، ت ٩٧٤هـ (الزواجر عن اقتراف الكبائر) ويليه (كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، والإعلام بقواطع الإسلام) بيروت، دار المعرفة.

١٣- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف الدين النووي ت ٦٧٦ هـ (صحيح مسلم بشرح النووي) بيروت، لبنان، دار الفكر.
١٤- جماعة من العلماء (نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين) لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف الدين النووي، بيروت، مؤسسة الرسالة ط. العشرون ١٩٩٢م.
١٥- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري) دار الفكر.
١٦- الشوكاني، الإمام محمد بن علي بن محمد (نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار) بيروت، لبنان، دار الجيل ١٩٧٣م.
١٧- زينو، محمد بن جميل (توجيهات إسلاميه لإصلاح الفرد والمجتمع) فلسطين، منشورات جمعية القرآن والسنة.
١٨- حوى، سعيد (الإسلام) بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط. الثانية ١٩٧٩م.
١٩- عفانه، د. حسام الدين موسى (يسألونك) فلسطين، بيت المقدس للطباعة.
٢٠- الصابوني، الشيخ محمد علي (روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن) دمشق، مكتبة الغزالي، ط. الثانية ١٩٧٧م.
٢١- القرضاوي، د. يوسف (فتاوى معاصره)
٢٢- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (الجامع لأحكام القرآن) دار الكتب العربي للطباعة والنشر، ط. الثالثة ١٩٦٧م.
٢٣-الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ت ٧٩٠ هـ وعليه (شرح التحرير دعاويه وكشف مراميه وتخريج أحاديثه) بقلم الشيخ عبد الله دراز، مصر، المكتبه التجارية الكبرى - شارع محمد علي ط. الثانية ١٩٧٥م.
٢٤- جماعه من المستشرقين (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) نشره د. أ. ي. ونسنك أستاذ العربية بجامعة ليدن، ليدن. مكتبة بريل ١٩٤٣م.
٢٥- زغلول، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني (موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف)، بيروت، دار الفكر ١٩٩٤م.
٢٦- المنذري، الإمام الحافظ بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ، تحقيق خيري سعيد، مصر، المكتبة التوفيقية.
٢٧- ابن الجوزي، الحافظ الإمام جمال الدين أبي فرج عبد الرحمن ت٥٩٧ هـ (صيد الخاطر)، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط. الأولى ١٩٩٣م.

٢٨- عزام، د. عبد الله (جريمة قتل النفس المسلمة) باكستان، مركز عزام الإعلامي.
٢٩- لافي، الشيخ محمد محمد عبد الهادي (ضلالات فرقة الأحباش (الهروية) وافتراءاتهم على الأشعري والشافعي) ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣م.
٣٠- ابن تيميه، شيخ الإسلام بن تيميه ت ٧٢٨ هـ (القواعد النورانية الفقهية) تحقيق محمد حامد الفقى، الرياض، مكتبة المعارف، ط. الثانية ١٩٨٣م.
٣١- الخطيب البغدادي، للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن ثابت ت ٤٦٣هـ كتاب(الفقيه والمتفقه) بيروت، دار الكتب العلمية، ط . الثانية ١٩٨٠م.
٣٣- السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت ٩١١هـ (الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعيه) بيروت، دار الكتب العلميه، ط الأولى ١٩٨٣م.

قبر الخليل عليه السلام وبيان ما فيه من البدع (عرض ونقد)

د. حافظ الجعبري*

* أستاذ مشارك، كلية الشريعة، جامعة الخليل.

ملخص

المؤكّد أنّ قبر النبي إبراهيم – عليه السلام – في مدينة الخليل، وأغلب الظن أنّه في المغارة التي بُني عليها المسجد الإبراهيمي، والتي تُسمّى في الكتاب المقدّس: "مغارة المكفيلة".

ولمّا كانت البدعة في الإسلام مردودة غير مقبولة، ويَلحق أَهلَها والقائمين عليها كثيرٌ من معاني الذم، وأوصاف الشؤم، وتُحبِطُ عمل صاحبها، وقد تؤدّي به إلى الكُفر أو الشِّرك...

ولمّا دخل على هذا المسجد كثير من البدعِ الاعتقاديّة والعملية، وبعضها كفرٌ وشركٌ، وكثير منها ضلالة لا تُرضي الله ورسُوله، وصَلَتْ حدّ الأربعين بدعةً، صار من المؤكّدِ وجوبهُ عَلى العلماء أنْ يبينوا هذه البِدَع، ويبصّرَوا المسؤولينَ والقائمينَ على هذا المسجد وغيره من المساجد بالسُّنن المقرّرات، والفرائض المُحرّرات، فإنّه لا يصلُحُ قولٌ ولا عملٌ ولا نِيّةٌ ما لم يكن موافقاً لشرعِ الله تعالى؛ فإنّ الخيرَ كلّه في الاتّباع، والشرّ كلّه في الابتداع...، وإلاّ خسرنا أجمَلَ ما في الدِّين الإسلاميّ من فرائِض وسُنَن.

Abstract

The tomb of the prophet Ibrahim (PBUH) is definitely located in Hebron most probably in the Cave [of Machpelah], on top of which the Ibrahimi mosque was built.

Since then, many doctrinal and practical heresies have been introduced into this Mosque. Some of these heresies are infidel and polytheistic, and many are untrue, which do not please Allah, nor His Messengers.

Religious heresies in Islam are rejected and unacceptable. Heresy inventors and followers are severely condemned. They may undermine one's work and lead to infidelity. Therefore, it is imperative to show the heresies, about 40 of them, made concerning the Ibrahimi mosque and informs its custodian or scholars who are seemingly associated with the Islamic religion of the fact that any deed, saying or intention is never correct unless it complies with the Sharia (Law) of Allah. Since the good deeds are manifested in observing the established teaching of Islam, and bad deeds are manifested in heresy-making or practicing. Otherwise, we shall lose the best of what we have in Islamic religion, the Far'd (obligatory acts) and the Sunan (supererogatory acts).

المُقدِّمة:

الحمد لله القائل:] وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون [(الأنعام: ١٥٣).

وأَشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، القائل:] أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله . . . [(الشورى: ٢١).

وأَشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله، القائل: (إنّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدي هَديُ محمد، وشرَّ الأمور مُحدَثاتها، وكل بدعة ضلالة) (١)، وفي رواية عند النسائي: (وكل مُحدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار). (٢)

أما بَعد: فإنّ المصيبة الكبرى آتية من البدعة التي تناولتْ دِين الله - تعالى - بالتقويض والهدم، وعبَثتْ بأحكامه الاعتقادية والشرعية، ومسَّتْ بالمنهج السلوكي للمسلمين، بعد أنْ أكمَل الله دينه، وختم أنبياءه ورسله بمحمد ﷺ.

وقد انتشرتْ المُحدَثات في الدين بعد القرون الثلاثة الخيرة (٣)، وما زالت تتسارع بصورة مذهلة يوماً بعد يوم، حتى صارت البدعة - في حِسِّ كثير من الناس - من الدِّين، بل هي السُنّة، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ.

وقد أثبتَ المختصّون من أهل العِلم، المتتبّعون للسُنن المقرَّرات أنّ بعض الناس يحملون كِبَر الابتداع وتجذيره ونَشْره بين المسلمين عن قَصْد وعن غير قصد؛ مما جرَّ لهم ضلالاً مبيناً في الدنيا، وعذاباً أليماً في الآخرة.

وقد صار لزاماً على العُلماء من أهل السُنة أن يبيِّنوا للناس زَيْف هذا الابتداع، وما اشتمل عليه من ضلال كبير، وباطل كثير.

وقد رأيت بِدَعاً كثيرة جداً وصلت حدّ الأربعين تُقام في قبر الخليل - عليه السلام - وهو الذي يُسمّى اليوم: "الحرم الإبراهيمي الشريف"، و "المسجد الإبراهيمي الشريف"، منها ما هو كُفر بالله، ومنها ما هو شِرك به، وكثير منها ضلالات ومكروهات، فلمّا رأيتُ ذلك وتأكّدت منه، رغِبت في أن أكتب بحثاً في هذا الموضوع، فاستخرتُ الله تعالى، وسميّته: بـ" قبر الخليل عليه السلام وبيان ما فيه من البدع (عرض ونقد)"، وحَصَرتُ الكلام فيه في قسمين:

القسم الأوّل: نظري، جعلته للحديث عن تاريخ القبر وما حَوله، والأحاديث الصحيحة

في النهي عن بناء المساجد على القبور، وتعريف بالبدعة، حقيقتها ومعالمها.

والقسم الثاني: عملي، تتبَّعتُ فيه ما يُقام في هذا المقام من بِدع على طول السَّنة، ومنها ما يكون في كل صلاة وفي كل يوم، وما يكون في يوم الجُمُعة، وفي المواسم والأعياد، وفي شهر الصيام، وغير ذلك من بدع متفرِّقة.

وإن منهجي في البحث في القسم الأول تاريخي، وفي القسم الثاني منه إثنوغرافي (٤) عايشت فيه ما يكون من أنواع العبادات التي تؤدى في كل وقت بحسبه. وقد ضبطت الآيات القرآنية، وخرجت الأحاديث النبوية مكتفيا ببيان المصدر والإشارة إلى رقم الحديث حتى لا أثقل البحث فيه، واظهرت اقوال العلماء في المسألة الواحدة والصواب الذي أميل إليه، كل ذلك بحسن ترتيب ووجازة لفظ ووضوح دلالة على حسب إدراك أهل هذا الزمان، وقد اعتمدت على كتب الأقدمين من العلماء كالإمام ابن تيمية والإمام الشاطبي، ورجعت إلى بعض كتب المحدثين ككتاب: اتباع لا ابتداع للدكتور حسام الدين عفانة، وقصدي في ذلك كله إصلاح ما أخطأ فيه بعض الناس ما استطعت.

واللهَ أسألُ أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه تعالى، ويجعل فائدته موصولة إلى القائمين على هذا القبر من مسؤولين وأئمة وخطباء وسَدَنة، ومنه تعالى التوفيق، وكفى به هادياً، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

القسم الأوّل: تعريف بقبر الخليل، عليه السلام، وبالبدعة والابتداع، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل:

نُبذة تاريخيّة عن مدينة الخليل وقبر إبراهيم عليه السلام.

١. مدينة الخليل:

تقع الخليل جنوب غرب القدس، ولها ظروف طبيعيّة جيّدة، وموقع مركزي بحيث تُعدُّ عاصمة الجزء الجنوبي في فلسطين(٥)، وهي من أقدم مدن الأرض، وثاني أقدم المدن الفلسطينيّة بعد مدينة القدس الشريف، ويرجع تاريخها إلى ما قبل ستة آلاف وخمسمائة سنة تقريباً، وسكانها الأصليّون من العرب الكنعانيّين الذين ينحدرون من الصُّلب السامي، وقد هاجروا من الجزيرة العربية ضمن موجات الهجرة الأولى قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. (٦)

عُرفت الخليل في التوراة باسم "أربع" و "ممرا" و"حبرون".

ويدلُّ الاسم "أربع" على أن المدينة قُسّمت إلى أربعة أرباع، بحيث سكن في كل رُبُع قبيلة، وقيل: لأنها تحتضنها أربعة جبال(٧)، والغريب أنها – اليوم – مُقسّمة إلى أربع حارات، هي: رُبُع حارة المشارقة، ورُبُع حارة قيطون، ورُبُع حارة القزّازين، ورُبُع حارة الشيخ.

ويدلُّ الاسم "ممرا" على الجزء الذي يقع في ظاهر المدينة، وهو الذي سكن فيه سيدنا إبراهيم، وقابل فيه ملائكة الله وهم في طريقهم إلى قوم لوط عليه السلام. (٨)

ويدلُّ الاسم "حبرون" على الاتحاد والصداقة التي حصلت بين قبائلها واتخذت من موقع الرميدة(٩) مركزاً للمدينة.

وقد ورد اسم "حبرى" و"حبرون" و"بيت حبرون" في المصادر العربية(١٠)، وفي العطيّة التي أعطاها رسول الله ﷺ لِتَميم الداري(١١) وأصحابه، ذَكَرها – عليه السلام – باسم حبرون، وفيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أَنطى محمد – رسول الله – لتميم الداري وإخوته: حبرون، والمرطوم، وبيت عينون، وبيت إبراهيم، وما فيهن نَطيّة بَتّ بذِمَّتهم، ونَفَّذْتُ وسلَّمْتُ ذلك لهم، فَمَن آذاهم لعنه الله)، شهد عتيق بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وكَتب علي بن أبي طالب وشَهد. (١٢)

والاسم العربي للمدينة هو الخليل، نِسبة إلى سيدنا إبراهيم خليلَ الله، قال تعالى:]

واتخذ الله إبراهيم خليلا [(النساء: ١٢٥)، فقد هاجر عليه السلام إليها من بلاد "أُور" الكلدانية في العراق في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وسكن في منطقة "ممرا" إلى أن توفي هو وزوجه سارة، ودُفنا في المغارة التي تُسمى "قبر إبراهيم"، ويسمّيها اليهود في التوراة: "مغارة المكفيلة"؛ ففي سفر التكوين الإصحاح رقم ٢٣: ﴿وعاشت سارة مائة وسبعاً وعشرين سنة، ثم ماتت سارة في قرية أربع، أي حبرون، في أرض كنعان. . . وقال للحثيين: إنْ طابت نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي، فاسمعوا لي والتمسوا لأجلي من عفرون بن صوحر أن يبيعني مغارة المكفيلة التي في طرف حقله، فأشتريها منه لقاء ثمن كامل، وأمتلكها لتكون مدفناً لي في وسطكم. . . فأجاب عفرون إبراهيم: إنّ الأرض تساوي أربعمائة شاقل(١٣)، وهو ثمن لا قيمة له بيني وبينك، فادفن مَيتك، فقبل إبراهيم عَرض عفرون، ووزن له الفضة التي ذكرها في مسامع الحثيين. . . وبمقتضى ذلك أصبح حقل عفرون الذي في المكفيلة مقابل ممرا، والمغارة التي فيه وجميع الأشجار القائمة في كل الحدود المحيطة به مِلكاً لإبراهيم، بمشهد من الحثيين وسائر الحاضرين في مجلس مدينته، وبعد ذلك دَفَن إبراهيم زوجته سارة في مغارة المكفيلة مقابل ممرا وهي حبرون في أرض كنعان، فامتلك إبراهيم من الحثيين الحقل والمغارة التي فيه؛ ليكونا مدفناً له﴾.

وفي الإصحاح رقم ٢٥: ﴿وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة، ثم مات بشيبة صالحة، وانضم إلى أسلافه، فدفنه ابناه إسحق وإسماعيل في مغارة المكفيلة، وفي حقل عفرون بن صوحر الحثّي مقابل ممرا، وهو الحقل الذي اشتراه إبراهيم من الحثيين، وفيه دُفن إبراهيم وزوجته سارة﴾، ومعلوم عندنا أن اسماعيل اقام بمكة المكرمة فلا نصدق ولا نكذب ما لم يخالف ما عندنا.

٢. قبر إبراهيم:

تقع في الركن الجنوبي الشرقي من مدينة الخليل المغارةُ التي دُفن فيها إبراهيم عليه السلام، وقد بُني على هذه المغارة سور كبير فخم البناء، مُتقن الصنعة، حجارته كبيرة جداً، يصل طول الواحد منها إلى سبعة أمتار أو أزيَدَ من ذلك بقليل، ويزيد ارتفاعه عن المتر، ويبلغ طول السور خمسة عشر متراً تقريباً، وعلى السور مئذنتان، إحداهما على الركن الجنوبي الشرقي، والأخرى على الركن الشمالي الغربي، وفي الداخل مشاهد علوية وهمية لأضرحة الأنبياء وزوجاتهم، وإلى جانب السور الغربي بناء يُقال: إنه مدفن نبي الله يوسف عليه السلام، وفي الجانب الشرقي بناء يُسمّى "الجاولية" بناه أبو سعيد سنجر الجاولي في القرن الثامن

الهجري. (١٤)

وفي بناء السور روايات منها:

١. الرواية الشعبيّة: وفيها أن إبراهيم – عليه السلام – أَمَر الجن ببنائه على قبر سارة بعد موتها.

٢. الرواية الإسرائيلية: وفيها أن الله تعالى أَمَر سليمان – عليه السلام – ببنائه بعد ما فرغ من بناء بيت المقدس، ففي كتاب: "الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل" (١٥)، أنّ سليمان لمّا فرغ من بناء الهيكل أوحى الله إليه قائلاً: ﴿يا ابن داود ابن على قبر خليلي حيراً حتى يكون لمن بعدك لكي يعرف، فخرج سليمان ومعه بنو إسرائيل من بيت المقدس، حتى أتى أرض كنعان وطاف بها، فلم يصبه، فرجع إلى بيت المقدس، فأوحى الله إليه: امض فإنك ترى نوراً من السماء إلى الأرض، فإنه نور خليلي إبراهيم، فخرج سليمان مرة ثانية، فنظره فأمر الجن فبنوا في الموضع الذي يُقال له "الرامة" (١٦)، فأوحى الله إليه: هذا ليس الموضع، ولكن انظر إلى النور المتدلّي من السماء إلى الأرض، فابن، فخرج سليمان فنظر فإذا النور على بقعة من بقاع حبرون، وعلم أن ذلك هو المقصود وبنى الحير على البقعة﴾.

ويبدو لي أن هذه الروايات: من الإسرائيليات التي دخلت على المسلمين، ومن الشعبيّات التي يتناقلها الناس جيلاً بعد جيل، ويردّدونها من غير وعي أو شعور، وأن الباني الحقيقي لهذا السور هو شخص يُقال له "هيرودوس" الأدومي، وقد كان مَلِكاً على فلسطين مؤيَّداً من قبل الرومان. (١٧)

وتذكُر المصادر أن أول من اتخذ القبر مكاناً للعبادة هم الرومان بعد أن اعتنقوا الديانة المسيحية، حيث سقفوا جزءاً كبيراً من السور، وفتحوا في الجدار باباً صغيراً ضيقاً وصار مكاناً للعبادة وحصناً منيعاً عند الحرب(١٨)، ثم تعاقب عليه اليونان والفرس وغيرهم إلى أن فتح المسلمون فلسطين في السنة الخامسة عشرة للهجرة، ونظروا إليه باحترام ولم يكن أحد منهم قد اتخذه مسجداً إلى حدود المائة الرابعة، يقول ابن تيمية في أوّل من اتخذ قبر إبراهيم مسجداً: (وقد كانت البُنية التي على قبر إبراهيم – عليه السلام – مسدودة، لا يُدخل إليها إلى حدود المائة الرابعة، فقيل: إن بعض النسوة المتصلات بالخلفاء رأت في ذلك مناماً، فنُقِبت لذلك، وقيل: إن النصارى لما استولوا على هذه النواحي نَقَبوا ذلك، ثم ترك ذلك مسجداً بعد الفتوح المتأخرة). (١٩)

وتعاقب المسلمون على هذا القبر في جميع العهود، ففي العهد الأموي بقي المُقام على ما هو عليه، وفي العهد العباسي أُظهر قبر يوسف عليه السلام، وفي العهد الأيوبي أُحضر المنبر

الموجود إلى اليوم من مدينة عسقلان، وفي العهد المملوكي أُضيف إليه الكثير من الزخارف وصدرت الفتوى الخطيرة المشهورة بالفتوى السّبكية التي تلقّاها المقرئ الشيخ "برهان الدين بن عمر بن خليل الجعبري"، والتي تجيز الصلاة في هذا المقام كغيره من المساجد(٢٠)، وفي العهد العثماني زُيّن بالرقوم الحجرية والكتابات والبيارق المختلفة، وخضع القبر للحكم الصليبي قبل الأيوبيين، وللحكم البريطاني قبل الأردنيين، وهو الآن تحت حكم الإسرائيليين حيث جعلوا منه قسماً كنيساً، وهو الآن مسجد وكنيس، تؤدّى فيه الصلوات لليهود والمسلمين تحت سقف واحد، وفوق المغارة التي دُفن فيها نبي الله إبراهيم] ولكل وجهة هو موليها [(البقرة: ١٤٨).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما قبور الأنبياء فالذي اتفق عليه العلماء هو قبر النبي ﷺ، فإن قبره منقول بالتواتر، وأما قبر الخليل فأكثر الناس على أن هذا المكان المعروف هو قبره، وأنكر ذلك طائفة، وحكي الإنكار عن مالك، وأنه قال: "ليس في الدنيا قبر نبي يُعرف إلاّ قبر نبيّنا ﷺ")(٢١)، وقال حين سُئل عن قبور الأنبياء: هل هي هذه القبور التي تزورها الناس اليوم؟: (القبر المتفق عليه هو قبر نبيّنا ﷺ، وقبر الخليل فيه نزاع، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنه قبره). (٢٢)

المبحث الثاني:

السَّفَر إلى المساجد والمشاهد، وبناء المساجد على القبور.

١. السفر إلى المساجد والمشاهد:

اختلف العلماء في السفر إلى المساجد والمشاهد بقصد الزيارة، هل يجوز أو لا؟ على قولين:

(أحدهما): لا يجوز، وقصْد زيارتها بدعة ومعصية وهو منهي عنه؛ لما في الصحيحين عن النبي ﷺ، قال: (لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا)(٢٣)، وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد وكل مكان يُقصد السفر إلى عينه للتقرب والعبادة، وإذا كان السفر إلى بيوت الله غير المساجد الثلاثة لا يجوز، فإنّ السفر إلى بيوت الموتى وقبورهم أَوْلى أن لا يجوز.

(الثاني): يجوز السفر إليها، وهو قول بعض المتأخرين، ولم يقل به أحد من السلف الصالح ش. (٢٤)

٢. بناء المساجد على القبور:

بناء المساجد على القبور حرام باتفاق علماء الأمة عامة، للأحاديث الصحيحة الصريحة في النهي عنه، ولاشتمال ذلك على أنواع من المحرّمات.

روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً منكم خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك). (٢٥)

وعن عائشة – رضي الله عنها – وعبد الله بن عباس، قالا: لمّا نُزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال، وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يُحذر ما صنعوا). (٢٦)

وعن أبي هريره أن رسول الله ﷺ قال: (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). (٢٧)

وفي الباب أحاديث كثيرة، وآثارٌ لَعَن فيها رسول الله ﷺ اليهود والنصارى، وهذا يفيد – قطعاً – في تحريم بناء المساجد على قبور الأنبياء وغيرهم.

يقول ابن تيمية: (فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم، يتعيَّن إزالتها بهدم أو بغيره، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين، وتُكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه، ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك، وليس في هذه المسألة خلاف). (٢٨)

ويقول في فتاويه: (اتفق السلف على أنه لا يُستلم قبر من قبور الأنبياء وغيرهم ولا يُتمسح به، ولا يُستحب الصلاة عنده، ولا قصدُه للدعاء عنده أو به؛ لأنّ هذه الأمور كانت من أسباب الشرك وعبادة الأوثان). (٢٩)

ثم إن بناء المساجد على القبور مشتمل على أنواع من المحرّمات المنهي عنها؛ كنهي النبي ﷺ أن يُسرج عليها أو توقد عليها المصابيح وغيرها، ونهيه أن نُشابه أهل الكتاب في أحوالهم هذه، ونهيه أن يُنذر لها، وغير ذلك، والسبب في ذلك هو فِطنة اتخاذها أوثاناً، وقد نبّه ﷺ على هذه العلّة بقوله: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)(٣٠)، وقوله: (اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد). (٣١)

وهذه العلّة هي التي أوقعت كثيراً من الناس في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك، سواء قَصَد بصلاته بَرَكة البقعة أم لم يقصد، [فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، أو بعض الصالحين، متبرِّكاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادّة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن الله به، فإنّ المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أنّ الصلاة عند القبر أيّ قبر كان لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مَزِيّة خير أصلاً، بل مزية شر]. (٣٢)

المبحث الثالث:

الابتداع ينافي الاتباع، والبدعة تقدح في الاعتقاد وتحبط العمل.

البدعة: طريقة في الدين مخترعة تُضاهي الشرعية، يقصد صاحبها بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى، وهي رأي على غير أصل من كتاب أو سُنّة أو إجماع أو قياس واضح معتبر شرعاً. (٣٣)

وما يُحدِثه الناس في الدين مما ليس منه مردود غير مقبول، وهو عين البدعة؛ لقوله ﷺ: (فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)(٣٤)، ولو كان ذلك الإحداث حسناً – كما يُظن – أو كان فيه مبالغة في التعبد لله تعالى كما هو في الغالب.

والبدعة تُخالف السُنّة من حيث التزام صاحبها عبادات معيّنة بكيفيّات وهيئات مخصوصة، أو من حيث قصدُ زيارة أماكن مخصوصة للعبادة والتبرُّك لم يُنص عليها شرعاً، أو من حيث تركُ بعض المطلوبات الشرعية تديّناً بضد ما شرع الله، علماً بأن المطلوبات الشرعية لا بد لها من النية الحسنة، وأن تكون موافقة لشرع الله، وليست ضد ما شرع.

وإنّ من البِدع بدعاً تقع في أمور ومسائل الاعتقاد، وقد تُخرج صاحبها من الملة وتدخله في الكفر أو الشركَ، فلا يقبل الله معها عملاً سواء وافق السُنّة أم خالفها.

والبدع من حيث تصوّرها يعلم العاقل ذمّها؛ لأنها اتباع للهوى لا للهدى، وصاحبها معاند للشرع ومشاق له، وكأنه يستدرك على الله سبحانه ورسوله عليه السلام في الأحكام، فيكون قد أنزل نفسه منزلة المُضاهي للمُشرِّع الحقيقي وهو الله ورسوله، فضلاً عما في الآيات والأحاديث، وما ورد عن السلف من ذم للبِدعة وأهلها وسوء عاقبتهم يوم القيامة، وليس أدل على ذلك مما ورد في البِدَع من الأوصاف المحذورة ومعاني الشؤم الواقعة على أهلها؛

كعدم قَبول أعمالهم، ولعنهم على لسان الشريعة، وليس لهم في الغالب من توبة، وذلك لأنّ الابتداع هوى في قلوبهم يصعب عليهم الانفلات منه، فيُخاف عليهم أن يكونوا معدودين في الفِرق الكافرة الخارجة عن الملة، أو تكون بدعهم نوعاً من الشرك أو الضلالة المؤدِّية إلى النار، وليس الإثم الواقع عليهم على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة ومن وجهات متعددة ويغلب على الظن معها التفاوت في عظم الإثم.

وإنّ مما يجب تقريره هنا، أن البدعة كلها إثم وضلالة، وأن كل بدعة قبيحة وسيئة، ولا يوجد بدعة حسنة أو بدعة فيها هدى، وإن المراد بقول الرسول ﷺ: (من سَنَّ في الإسلام سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا يُنقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا يُنقص ذلك من أوزارهم شيئاً...)(٣٥) هو العمل بما ثبت أنه سُنّة سَنَّها النبي ﷺ، أو المراد هو المبادرة إلى إحياء سُنّته عليه السلام، وهو ما يتفق مع قوله عليه السلام: (من أحيا سُنّة من سنتي قد أميتت بعدي، فإنّ له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن يُنقص ذلك من أجورهم شيئاً...). (٣٦)

وإن التحسين والتقبيح مختص بالشرع، ولا مدخل للعقل فيه حتى يُحسِّن أو يُقبِّح، وهذا مذهب جماعة أهل السُنّة الراسخين في العِلم، أما من ليس براسخ في العلم لعدم معرفته بكلام العرب أو لجهله بأصول الفقه وأصول الاعتقاد فهو الزائغ عن الصراط المستقيم الداخل في طُرُق البدع والابتداع وهي كثيرة جداً منها: (٣٧)

١. قَصْرُ النظر على دليل ما أو شبهة دليل، من غير استقصاء لمظان الأدلة كلها.
٢. الاعتماد على الأحاديث الضعيفة الواهية أو الموضوعة أو التي لا يقبلها أهل الحديث العارفون به.
٣. ردُّ الأحاديث الصحيحة التي جرت على غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ويدّعون أنها مخالفة للمعقول.
٤. تفسير كلام الله ورسوله على غير مراد الله ورسوله، وتأويله على غير أصل، وتدبّره على غير قواعد التدبّر الأمثل.
٥. الانحراف عن الأصول الواضحات إلى اتباع المتشابهات وتحريف الأدلة عن مواضعها.
٦. التغالي في تعظيم الشيوخ والتكالب على نصر المذهب أو الطريقة والتهالك في محبة أهل الضلال.

٧. الاستناد إلى الرؤى والمنامات في أخذ الأحكام الأصولية والفروعية.

يقول شيخ الإسلام: "فمن تدبّر هذا – يقصد البدع المنازعة للاعتقاد – علم يقيناً ما في حشو البدع من السموم المضعفة للإيمان، ولهذا قيل: إن البدع مشتقة من الكفر". (٣٨)

ولا يفوتني أن أنبه إلى أن من العلماء من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة والى بدعة هداية وبدعة ضلالة، والاولى ترضي الله سبحانه ورسوله عليه السلام والأخرى تغضبهما، ومنهم من قسمها بحسب أحكام الشريعة الخامسة؛ البدعة الواجبة والبدعة المندوبة والبدعة المحرمة والبدعة المكروهة والبدعة المباحة وذلك بحسب ما تناولته الأدلة والقواعد من الوجوب أو التحريم أو الإباحة (٣٩)

القسم الثاني: عرض البدع التي تقام
في قبر الخليل عليه السلام ونقدها، وفيه سبعة مباحث:

* وينحصر الكلام في هذا القسم في سبعة مباحث، وفي كل مبحث منها أنواع من البِدع ومسائل:

المبحث الأوّل: ما أُحدِث في تسمية المقام الذي على القبر بالحرم الإبراهيمي والمسجد الإبراهيمي.

المبحث الثاني: ما أُحدِث من بِدَع في الإعلام والأذان للصلاة.

المبحث الثالث: ما أُحدِث من بدع في الصلاة يوم الجمعة، وسائر الأيّام.

المبحث الرابع: ما أُحدِث من بدع في دخول الأموات، والتمسّح والتبرّك بالقبور والعتبات وآثار الأقدام.

المبحث الخامس: ما أُحدِث من بدع في المواسم والأعياد.

المبحث السادس: ما أُحدِث من بدع في شهر رمضان.

المبحث السابع: بِدَع أُخرى متفرِّقة.

المبحث الأوّل:

ما أحدث في تسمية قبر إبراهيم بالحرم الإبراهيمي والمسجد الإبراهيمي:

الحَرَم: وهو ما حرّم الله صيده ونباته، وهما مكّة والمدينة باتفاق المسلمين، (وفي وادي وجّ الذي بالطائف نزاع بين المسلمين)(٤٠)، فقد صحّ الحديث عن الإمام الشافعي في أنه حرم، خلافاً لأكثر العلماء.

أمّا مكّة فقد حرّمها إبراهيم ودعا لها، وذُكر تحريمها في القرآن، قال تعالى:] أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون [(القصص: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ (العنكبوت: ٦٧).

وأمّا المدينة فقد حرّمها النبي ﷺ ودعا لها، ولم يُذكر تحريمها في القرآن، وثبت في الحديث

عن عبد الله بن زيد عن النبي ﷺ قال: (إنّ إبراهيم حرّم مكّة ودعا لها، وحرّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكّة ودعوتُ لها في مدّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة). (٤١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس بِبَيْتِ المقدس مكانٌ يُسمّى حرماً، ولا بتربة الخليل). (٤٢)

وبناء على هذا، فإن تسمية هذا القبر وما يقوم عليه من بناء بالحرم الإبراهيمي بِدعة وضلالة لا تُرضي الله ورسوله، والأَوْلى أن يُسمّى هذا المقام بمقام الخليل إبراهيم عليه السلام، أو مشهد إبراهيم خليل الله.

وأمّا اتخاذه مسجداً وتسميته بالمسجد الإبراهيمي فقد حصل بعد الفتوح المتأخرة، يقول ابن تيمية مبيّناً ذلك: (وقد كانت البنية التي على قبر إبراهيم – عليه السلام – مسدودة لا يُدخل إليها إلى حدود المائة الرابعة، فقيل: إنّ بعض النسوة المتصلات بالخلفاء رأت في ذلك مناماً، فنُقبت لذلك، وقيل: إنّ النصارى لمّا استولوا على هذه النواحي نقبوا ذلك، ثم تُرك ذلك مسجداً بعد الفتوح المتأخرة، وكان أهل الفضل من شيوخنا لا يُصلّون في جميع تلك البنية، وينهون أصحابهم عن الصلاة فيها؛ اتباعاً لأمر رسول الله ﷺ، واتقاءً لمعصيته). (٤٣)

وأمّا شد الرحال إليه، فمنهي عنه لقوله ﷺ: (لا تُشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى). (٤٤)

والاستثناء هنا مُفَرَّغ، بمعنى أنه لا تُشد الرحال إلى مسجد إلاّ إلى ثلاثة مساجد، وذكرها عليه السلام بعَيْنِها، فلا مزيد عليها.

ويدخل في هذا المبحث مسألة "تخليل الحِجّة"، وهو: ما يفعله الحاج بعد عودته من مكّة؛ حيث يتوجّه لزيارة الأقصى، وتسمّى هذه الزيارة "تقديس الحِجّة"، ثم يتوجه إلى قبر الخليل "لتخليلها"، وكان هذا يحدث قبل الاحتلال اليهودي، وأكثر من يفعله الحجّاج الأتراك.

المبحث الثاني:

ما أُحدِث من بِدع في الإعلام والأذان.

١. بدعة الصلاة على النبي بعد كل أذان:

وهذه بدعة إضافية، لأنّ الأذان موقوف على ما سَنَّه رسول الله عليه السلام، وهو خمس عشرة كلمة، أوّله: الله أكبر، وآخره: لا إله إلاّ الله، وليس فيه: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، أو وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، فإن هذا ليس من

جملة الأذان، وقد دخلت هذه البدعة على الأذان في العصور المتأخرة في أواخر القرن الثامن الهجري. (٤٥)

ولا يُقال: إنها سُنّة؛ لقوله ﷺ: (إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ واحدة، صلى الله عليه بها عشراً. . .)(٤٦)، لأنّ هذا خاص بمن سمع المؤذِّن، ولأنه إنما يكون في خفض صوت لا برفع صوت كالأذان.

٢. بدعة التذكير والتسميع "الذِّكر والتسبيح" قبل أذان الفجر كل يوم:

يقول ابن الجوزي في "تلبيس إبليس" في ذكر تلبيسه عليهم في الأذان: (ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة؛ لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء، ومنه أنّهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ، ويجعلون الأذان وسطاً، فيختلط، وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فَيَعِظ ويُذكّر، ومنهم من يقرأ سُوَراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم، ويخلط على المتهجّدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات). (٤٧)

وهذا ما يقوله المؤذِّن قبل أذان الفجر في هذا المسجد، أنقله كما سمعته:

(يا غافلين وحِّدوا الله، ويا مستيقظين اذكروا الله، قولوا لا إله إلاّ الله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، سبحان الله الواحد الأحد، سبحان الله الفرد الصمد، سبحان الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، سبحان من رفع السماء بلا عمد، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد، سبحان مَن خلق الخلائق وأحصاهم عدد، وقسَّم الأرزاق بين عباده ولم ينس من فضله وكرمه وجوده أحد، سبحانه لا إله إلاّ الله.

يا واحداً في ملكه أنت الأحد — ولقد وجدنا بأنك أنت الفرد الصمد
لا أنت مولود ولست بوالد — ولا لك والد وليس لك من ولد
عزيز جبار قادر مقتدر — قهار للذنوب غافر
وعن العيوب ساتر — وأنت يارب قادر وعلى الجبابرة جبار.

سبحان يا من له السبحان، يا من لك العِلم والجاه والكرم والبرهان، سبحانه لا إله إلاّ الله، الليل ولّى وانقضت أحكامه وكذا المؤذن تنقضي أيامه، كان النبي يقوم الليل متهجداً ومن قيامه بالليل تورّمت أقدامه، يا نائمين الليل أفيقوا من منامكم، لاح الصباح وهذه أعلامه).

فأنت ترى ما فيه من خلط وخبط وأخطاء في النحو لا تصدر عن عالِم.

٣. بدعة التذكير والتسميع قبل أذان العشاء ليلتي الاثنين والجمعة.

وما يُقال في هاتين الليلتين هو نفس ما يُقال في الفجر، لكن بدون قولهم :

الليل ولّى وانقضت أحكامه وكذا المؤذن تنقضي أيامه . . . إلى آخر ما يُشبه الأبيات الشعرية .

٤ . بدعة التذكير والتسميع قبل أذان صلاة الجمعة .

وما يقوله المؤذِّن في هذا أنقله بتمامه كما سمعته مُلَحَّناً :

(صلّ يا رب وسلّم، وتفضل وزيد وديم وأنعم وامنن وباريك، بجلال جمال كمال بهاء نور عزتك وهيبتك وأفضاليك، على أشرف العرب والعجام، وإمام مكة والمدينة والحرم، وترجمان لسان القدم، ومنبع العلم والحلم والحكمة والحكم، محمد الذي لولاه ما كانت الأكوان، ولا خُلق إنس قبله ولا جان، صاحب الحوض الملآن، وله الدين العالي المشرّفا، على سائر الأديان، الذي أَنزلت عليه يا مولانا في محكم القرآن : ولمن خاف مقام ربّه جنتان، محمدٌ الذي سما ونما ونُصب له المعراج ﷺ عن الأيمن الصخرة المشرفة سُلّما، فرقا به جبريل من سماء إلى سما، فاخترق به السبع الطباق، وتملاّ لرؤيته الملك الخلاّق، فقال له : تقدّم يا حبيبي فإنك أنت العزيز المكرّما، الذي أَنزلت عليه يا مولانا : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، محمدٌ الذي شُق لدعوته القمار، وسعت لخدمته الشجار، وكلّمه الجلمود، وخاطبه الحجار، نبي هلل وكبّر وحج واعتمار، وبدين الله العظيم أَمَر، أَمَر ﷺ بالمعروف، ونهى عن الفحشاء والمنكر، الذي أَنزلت عليه يا مولانا في محكم كتابك الأنوار : إنّا أعطيناك الكوثر، فصلّ لربك وانحر، إنّ شانئك هو الأبتر) .

هذه هي التسميعة الأولى، وبعدها بقليل تبدأ التسميعة الثانية، وهي نفس التسميعة الأولى، ويزيد عليها هذا البيت من الشعر في مدح الرسول عليه السلام .

خُلقت مبرّءاً من كل عيب فإنك قد خلقت كما تشاء

كما يزيدون عليه بصوت جماعي قائلين : أيا أجلّ المرسلين المدد .

للجار حق أيا غيور فوالهم إذ أنت أسرع نجدة من آلهم

فو حق غارٍ أنت فيه ومن به لولاه ما خطر الجوار ببالهم

أَيَسومه ضيم وأنت ملاذه لا والذي قد خصّكم بنوالهم

ويختمون بالصلاة والسلام على رسول الله وعلى ساكني المغارة من الأنبياء، فيقول المؤذِّن : الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله محمد، فيقول من حوله : الصلاة والسلام عليه .

ويقول : الصلاة والسلام عليك يا سيدي إبراهيم، فيقولون : الصلاة والسلام عليه .

ويقول: الصلاة والسلام عليك يا سيدي إسحق، فيقولون: الصلاة والسلام عليه.
ويقول: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يعقوب، فيقولون: الصلاة والسلام عليه.
ويقول: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يوسف، فيقولون: الصلاة والسلام عليه.
ثم يؤذّنون الأذان السلطاني.

٥. بدعة الأذان السُلطاني.

ويكون هذا الأذان مباشرة بعد الفراغ من التذكير والتسميع السابق، ويؤدّونه بصورة غريبة، وكيفيّته أن يؤذّن المؤذّن الأذان مُلحَّناً، وحوله نفس المجموعة من الرجال والولدان يردِّدون وراءه ما يقول على هيئة جماعيّة مزعجة، وذلك إيذاناً لقيام الناس لصلاة ركعتين قبل صعود الخطيب المنبر، ويسمّونها سُنّة الجمعة، وهي من البِدع المحدَثَة.

٦. بدعة الإعلام بموت إمام أو شيخ من العاملين في المسجد.

وهذه بدعة لا تكون إلا لموت إمام أو شيخ يعمل خطيباً أو مدرِّساً أو شيخاً للسَّدَنة، فعند موته ينعاه المؤذِّن على الفور لإعلام الناس بموته لكي يشهدوا الصلاة عليه وتشييعه، ويكون مع المؤذن جماعة يترحَّمون عليه، بحيث يقول المؤذِّن: الشيخ فلان الفلاني ويذكر اسمه، توفي، فيقولون بصوت واحد: رحمة الله عليه، ويقول: انتقل إلى جوار ربِّه، فيقولون: رحمة الله عليه، ويستمر هذا مدّة تكفي لنشر الخبر في المدينة كلّها.

المبحث الثالث:

ما أُحدث من البدع في الصلاة يوم الجمعة، وفي سائر الأيّام.

أ. البدع التي تكون في صلاة الجمعة، وهي:

١. بدعة صلاة ركعتين بعد الفراغ من الأذان السلطاني، وقبل أن يصعد الخطيب المنبر، وتُسمّى سُنّة الجمعة.

٢. بدعة قراءة آيات من القرآن بين يدي الخطيب وهو جالس على المنبر قبل أن يقوم للخُطبة، وقد عُمِل لأجل هذا "الدّكّة" وهي موضع في الجهة المقابلة تماماً للمنبر، وبعد أن يقرأ المقرئ ما تيسَّر، يطلب من السامعين قراءة سورة الفاتحة، وإهداءها إلى أرواح ساكني الغار من الأنبياء وإلى روح نبيّنا ﷺ، وهذا نصّ ما يقول: (على نية الشفا وإلى حضرة المصطفى ﷺ وإلى ساكني الغار الشريف وإلى أرواحنا وأرواح المسلمين الفاتحة)، وهذه من البِدع أيضاً.

٣ . بدعة الترقية : وهي أن يقف المؤذِّن بين يدي الخطيب على أوّل درجات المنبر ، فيؤذِّن مُلَحِّناً ، ثم ينادي بين يدي الخطيب ، ووجهه إلى المصلين قائلاً : صحّ عن أبي هريرة – t – أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت)(٤٨) ، وبعد ذلك يقوم الإمام للخُطبة .

٤ . بدعة رفع الخطيب يديه عند الدعاء في الخطبة : الرفع ليس من السُنّة ، والإشارة بالإصبع عند الدعاء هو الصحيح الثابت عن النبي ﷺ ، ويجب الوقوف عند هديه ﷺ ، ففي زاد المعاد في هدي خير العباد : (وكان ﷺ يُشير بإصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله سبحانه وتعالى ودعائه) . (٤٩)

وعدّ العلماء رفع الأيدي عند الدعاء بدعة قديمة قبيحة مكروهة مخالفة للسُنّة . (٥٠) ومن العلماء من لا يعد رفع الأيدي عند الدعاء بدعة لأن النبي عليه السلام فعله عندما كان يقع بالمسلمين شدة أو حاجة ملحة .

ب. بِدَع الصلاة في سائر الأيام، وهي:

١ . بدعة قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) ، وذلك قبل إقامة الصلاة ، والطلب من الحاضرين قراءة سورة الفاتحة بقوله : (إلى حضرة المصطفى ﷺ وإلى ساكني الغار الشريف وإلى أمواتنا وأموات المسلمين ، الفاتحة) .

٢ . بدعة طلب الإمام من المأمومين استحضار النيّة ، وهذا خلاف الثابت من أمره ﷺ بتسوية الصفوف والتراص والاعتدال الذي يتبعه تكبيرة الإحرام مباشرة ، دون التلفظ بالنيّة ، فإن النبي ﷺ كان يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين(٥١) ، فلا داعي للاستعاذة والتلفظ بالنيّة وذكر اسم الفريضة وعدد ركعاتها وأنه إمام أو مأموم وأنه مستقبِل القِبلة إلى آخر ذلك من كلام مُحدَث . ومن العلماء من اشترط التلفظ بالنية في الصلاة وهم جمهور الفقهاء عدا الإمام أحمد رضي الله عنهم .

٣ . بدعة قول المأمومين عند دعاء الإمام في القنوت : حق ، أشهد ، حيث يقلبون أيديهم إلى الأسفل ، ويقولون عند ثناء الإمام على الله بقوله : إنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، حق حق ، وعند قوله : تباركت ربنا وتعاليت ، أشهد أشهد ، ثم يمسحون وجوههم بأيديهم مما لا أعلم فيه نصّاً واحداً يُحتج به .

٤ . بدعة الذِّكر الجماعي بعد الانتهاء من الصلاة : وهيئة هذه البدعة أن يستقبل الإمام المأمومين

بعد انتهاء الفريضة، ويطلب منهم قراءة سورة الإخلاص والمعوِّذتين والتسبيح ثلاثاً وثلاثين، والتحميد ثلاثاً وثلاثين، والتكبير ثلاثاً وثلاثين، وبعدها يختم بقوله: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ثم يطلب منهم قراءة الفاتحة على أرواح المسلمين.

يقول ابن تيمية: (أما دعاء الإمام والمأمومين جميعاً عقيب الصلاة فهو بِدعة لم يكن على عهد النبي ﷺ)[٥٢]، والذي كان على عهده هو انصرافه عن يساره وإقباله على المصلّين بوجهه وندب أمته أن يقولوا في دُبُر كل صلاة: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله مثلها، والله أكبر مثلها، ولا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وذلك تمام المائة.

٥. بدعة قول المصلي للآخر: "تقبّل الله منكم" وهو يصافحه بيده فور الانتهاء من الصلاة، فإن المداومة على ذلك من البدع، وهي زيادة على الصلاة ولا أصل لها، وأصلها من سنن الروافض[٥٣]، وهي تقطع على المسبّح تسبيحه، ويعتقد كثير من المصلين بأنها من تمام الصلاة ومن شعائرها.

المبحث الرابع:

ما أُحدث من بِدع في دخول الأموات والتمسُّح للتبرّك بالقبور والعتبات وآثار الأقدام.

وهذا يشمل أنواع البدع الآتية:

١. بدعة الطواف بالميت بعد الصلاة عليه على قبور الأنبياء ومشاهدهم داخل المسجد، بحيث يضعونه أمام كل مشهد، ويدعون له طالبين من الأنبياء المدد والموالاة والنجدة ورفع الضيم عن الميت، وهذا ما يقوله الشيخ المختص بتزويره والطواف به: أيا أجلّ المرسلين المدد.

للجار حق أيا غيور فوالهم　　إذ أنت أسرع نجدة من آلهم

فو حق غارٍ أنت فيه ومن به　　لولاه ما خطر الجوار ببالهم

أَيَسومه ضيمٌ وأنت ملاذه　　لا والذي قد خصّكم بنوالهم

ثم يطلب من المشيِّعين قراءة الفاتحة إلى صاحب المشهد.

٢. بدعة المرور بين مقامي إبراهيم وسارة – وهما متقابلان – اعتقاداً من النّاس أنّ من مرّ بينهما لا يُعرض على النار، ولا تؤثِّر النار يوم القيامة في بدنه، وذلك لقربه من إبراهيم الذي صارت النار عليه برداً وسلاماً كما هو في قصة إبراهيم مع قومه.

٣. بدعة حمل البيرق الإبراهيمي والخروج به أمام الجنازة، وهذه البدعة لا تكون إلاّ للخاصة من العلماء العاملين في المقام، ولغيرهم ممن هم في عِلية أقوامهم من المشايخ والعلماء.

٤. بدعة التمسّح بأبواب المشاهد والقبور وشبابيكها، وعتبات المقامات، والإطار النحاسي الذي على مدخل الغار، وأثر الأقدام الذي هو في شباك الحجرة الإبراهيمية، وتقبيل الأيدي بعد المسح، وتقبيل الحجارة والحديد أيضاً، وهذا كله من الأوهام الباطلة، والزّعم بأثر أقدام النبي ﷺ هو محض كذب وافتراء على رسول الله وغيره من الأنبياء، وما يُذكر من أقوال وإشاعات حولها فكلّه كذبٌ موضوع مما عملته أيدي النحاتين المزوّرين، والغريب أن العوام يصدّقونه ويفعلونه، ومن المعلوم عند العلماء والأئمة أنه لا يُشرع تقبيل أي شيء من الحجارة إلاّ الحجر الأسود الذي بالكعبة المشرّفة؛ لما ثبت أنّ رسول الله ﷺ قبّله، ففي الصحيحين أنّ عمر بن الخطاب – t – قال: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلك ما قبّلتك) (٥٤).

٥. بدعة إلقاء الأوراق والقصاصات في المغارة يكتبون فيها حاجاتهم، ويطلبون من الأنبياء قضاءها، أو يتقربون من الله بهم، أو يستشفعونهم عند الله تعالى، وكثيراً ما كانت تسقط بعض هذه الأوراق في السُّرَج فتُحدِث حريقاً داخل المغارة يصعب إطفاؤه.

٦. بدعة إلقاء النقود بجميع فئاتها في فناء الأضرحة بقصد التقرّب إلى الله بالصدقات، وتكون هذه الأموال من نصيب السَّدَنة العاكفين عندها يوزّعونها بينهم، وقد رأيت بعض الصبية الصغار يضعون على رأس عود طويل قطعة من اللبان – العلكة – ويمدّونه فتلتصق به الأوراق النقدية، فهم أولى بها من السدنة الذين يُشجعون هذه البدعة ويتكسّبون منها.

المبحث الخامس:
ما أُحدث من بِدع في المواسم والأعياد.

وهذا يشمل أنواع البِدع الآتية:

١. بدعة النداء لصلاة العيد بالإقامة الآتية: (الصلاة جامعة على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان يا أُمّة الهادي عليه السلام).
قال بعض العلماء: ينادي المؤذِّن بقوله: الصلاة جامعة؛ كما هو في صلاة الكسوف، والأكثرون من العلماء على أنه إذا صُلّيت الصلاة بلا إقامة فهو أحسن وهو السُنّة، وفي زاد المعاد: (وكان ﷺ إذا انتهى إلى المصلّى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة ولا قول: الصلاة جامعة، والسُنّة أنه لا يفعل شيء من ذلك). (٥٥)

٢. بدعة الطواف بعد صلاة العيد بمقامات وأضرحة الأنبياء للسلام عليهم وتعييدهم وقراءة الفاتحة على أرواحهم، ومعلوم أن الرسول ﷺ نهانا أن نتخذ قبره عيداً، فكيف باتخاذ قبر إبراهيم وأولاده عيداً، قال ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا عليَّ؛ فإنّ صلاتكم تبلُغُني حيث كنتم). (٥٦)
وقال أيضاً: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيث ما كنتم فصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلُغُني)(٥٧)، فإنّ ما يفعله أهل البدع لا أصل له في دين الإسلام، ولا في أعياد المسلمين، والسُنّة زيارة الأموات في جميع الأوقات عدا يومي العيد، لأنهما يوما فرح وسرور للمسلمين.

٣. بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وإن مما يُقام في قبر الخليل – عليه السلام – بدعة الاحتفال بالمولد النبوي في يوم عيد يُسمّى "عيد المولد النبوي" في الثاني عشر من ربيع الأول، تُقرأ فيه قصة ميلاد النبي، وتُلقى فيه المواعظ الدينيّة، وتتلى فيه المدائح النبويّة، وتوزّع الحلوى، والغرض منه التقرّب إلى الرسول وزيادة حُبّه وتعظيمه في النفوس.
ومعلوم أنّ حب النبي عليه السلام يكون في متابعته لا في التشبه بالنصارى في عيد ميلاد المسيح عليه السلام، ونقل بعض الباحثين أن الاحتفال بالمولد النبوي أحدثه الرافضة الفاطميون زمن المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٢ هـ، بالقاهرة(٥٨)، ثم إنّ يوم ميلاده – عليه السلام – غير معروف على وجه التحديد، وإن مما يدخل في المدائح النبوية بعض الشركيات؛ كقول البوصيري المشهور:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

إن لم تكن آخذاً يوم المعاد يدي صفحاً وإلاّ فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فأي شرك بالله بعد هذا، وأي غُلوّ في الدين أكبر منه؟ وأعجب من هذا ما يسمّونه "الحضرة النبويّة"، وفيه يقوم جميع الحاضرين إجلالاً لحضرة النبي الذي وصل الاحتفال ليُشاركهم فرحتهم، فهم يُرحّبون به على الحقيقة ويُحيّونه بأحسن تحيّة، قال تعالى:] ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين [(البقرة ١٤٥)، هذا في حال حياته، فكيف وهو ميت لا يخرج من قبره إلاّ يوم القيامة.

٤ . بدعة الاحتفال بالإسراء والمعراج: وإنّ مما يُقام في قبر الخليل – عليه السلام – بدعة الاحتفال بالإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب، تُقرأ فيه قصّة الإسراء بالنبي وعروجه إلى سِدرة المنتهى، وتُلقى فيه المواعظ، وتُتلى المدائح، وتُوَزَّع الحلوى، والغرض منه حبّ النبي وتعظيمه، وقد يحدث فيه بعض المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء والصبيان، ولا يُعرف بالتحديد الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج.

٥ . بدعة الاحتفال بالهجرة النبويّة: وإن مما يُقام في قبر الخليل عليه السلام بدعة الاحتفال بالهجرة النبويّة من مكة إلى المدينة في اليوم الأوّل من شهر محرّم، وتُلقى فيه المواعظ الدينية، والكلمات السياسيّة.

ونقل بعض الباحثين ما أشار إليه المقريزي في كتابه "الخطط والآثار"، أنّ أوّل من احتفل بالهجرة الفاطميون الروافض، ولم يكن يُعرف يوم هجرته على وجه التحديد. (٥٩)

المبحث السادس:
ما أُحدث من بِدع في شهر الصيام.

وفيه نوعان من البِدع:

١ . بدعة ما يُقال بين الركعات في صلاة التراويح.

يُصلي الناس صلاة التراويح في المسجد ركعتين ركعتين، ويصلّون الوتر ثلاث ركعات، وبين كل ركعتين يقولون بصوت جماعي: (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت وهو على كل شيء قدير، صلّوا على خير الأنام محمد)، وفي الختام وقبل القيام للوتر يقولون بهيئة جماعية، وبصوت مرتفع: (يا أُمّة خير الأنام ومسك الختام ومصباح

الظلام ورسول الله الملك العلام محمد، يتقبل الله منّا ومنكم الصيام والقيام، مقصدي من الله توبة لي ولكم ولجميع الأنام، وأدخَلَني الله وإياكم بمنّه وكرمه داره دار السلام بسلام، قوموا إلى الوتر يرحمكم الله).

ومعلوم أن قيام رمضان هو صلاة التراويح، وقد صلاها رسول الله منفرداً منذ فُرض الصيام في السنة الثانية للهجرة، وصلاها جماعة بعض ليال، فصارت سُنّة، ولو أنه ترك صلاتها جماعة خشية أن تُفرض على المسلمين، وتركها أبو بكر جماعة على إمام واحد؛ لأنّ الناس في عهده لم يكونوا بحاجة إلى صلاتها مجتمعين على إمام واحد، وصُلِّيت في عهد عمر على إمام واحد ولم يكن يتخللها بين الركعات ذِكر أو موعظة، وفي المداومة – على صلاتها بهذا الشكل الجماعي في كل ليلة من ليالي الشهر حتى صارت كالفريضة – نظرٌ عند العلماء، هل المداومة عليها بدعة أو لا؟.

٢. بدعة التوحيش "التوديع": وهي قصيدة يرددها المؤذِّن قبل أذان العشاء في الأيام الثلاثة الأخيرة التي تلي ليلة القَدْر وفي الجمعة الأخيرة إذا اتفق أن جاء بعد ليلة القدر، وبين كل بيت والذي يليه يردد الحاضرون من حوله هذا البيت من الشعر ملحناً:

لا أوحش الله منك يا رمضان يا شهر التوبة والغفران

أما القصيدة الشعرية فأنقلها بتمامها، وقد وجدتها في كتاب: "الروض الفائق في المواعظ والرقائق": (٦٠)

شهر الصيام لقد كَرُمت نزيلا ... ونَوَيت من بعد المقام رحيلا
وأقمت فينا ناصحاً ومؤدِّباً ... وشفيت منا بالفؤاد غليلا
نبكيك يا شهر الصيام بأدمُع ... تجري فتحكي في الخدود سيولا
أسَفاً على الأُنس الذي عوَّدتنا ... وصنيعِ فعلٍ لا يزال جميلا
شهر الأمانة والصيانة والتقى ... والفوزَ فيه لمن أراد قَبولا
تبكي المساجد حسرة وتأسفا ... إذا عُطّلت من أنسه تعطيلا
فيه الجنان تفتحت لقدومه ... وتزيَّنت ولدانها تحفيلا
وتفيأت أشجارها بظلالها ... وقطوفها قد ذُللت تذليلا
والحور للصوام يشتقن اللّقا ... والوصل والتقريب والتعجيلا
والنار يُغلق بابها من أجله ... إذ زاده رب العلا تبجيلا
والمارد الشيطان فيه قد غدا ... عن صائميه مصفَّداً مغلولا
طوبى لمن قد صحّ فيه صيامه ... ودعا المهيمن بكرة وأصيلا

وبليلة قد قام يختم وِرده	متبتلاً لإلهه تبتيلا
يرتاح فيه إلى الخطاب وقد غدا	يتلو الكتاب مرتلاً ترتيلا
يبكي لفرقة شهره أسفاً على	تقصيره إذ لم ينل تحصيلا
شهر يفوق على الشهور بليلة	عن ألف شهر فُضِّلت تفضيلا
هي ليلة مستغنم أوقاتها	وتنزلت أملاكها تنزيلا
يا فوز عبد قد رآها مرة	في عمره إذ أدرك المأمولا
من قامها يُغفر له ما قد مضى	من ذنبه وينال فيها السولا
فاجهد عساك تنالها فيما بقي	بالجد واحذر أن تكون غفولا
واسأل إلهك بِرَّه ونواله	يعطيك فضلاً من لدنه جزيلا
ثم اقتدي بالهاشمي المصطفى	أزكى الورى في العالمين أصولا
المجتبى المختار أفضل من غدا	في المذنبين مشفَّعاً مقبولا
صلى عليه الله جلَّ جلاله	ما دام نجم في السماء أفولا

٣ . بدعة قراءة ختم الختمة: وصورتها أن يتحلّق جمع من المصلّين بعد صلاة العصر في اليوم الأخير من شهر الصيام، فيقرؤون جماعة بصوت واحد السور الأخيرة من القرآن من سورة الضحى إلى سورة الناس، وبعدها يقرؤون سورة الفاتحة، وفواتح سورة البقرة، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وبعض الآيات الأخرى من القرآن، ثم يُهلِّلون ويكبّرون مائة مرة، ثم يتلو أحدهم أسماء الله الحسنى، ويختم بدعاء طويل يطلب فيه أن يتقبل الله صيامهم وقيامهم، ويطلب من المستمعين قراءة الفاتحة وإهدائها إلى روح المصطفى ﷺ وإلى أرواح الأنبياء أجمعين، وإلى ساكني الغار الشريف، وإلى أموات المسلمين أجمعين، وهذا من البدع المخالفة لهَديه ﷺ .

المبحث السابع:
بدعٌ أخرى متفرقات.

ذَكَرْنا فيما سبق أنه لا يجوز السَّفر إلى غير بيوت الله الثلاثة، لقوله ﷺ : (لا تُشدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا)، وقلنا: إنه سَفَرُ معصية وبدعة نهى الرسول ﷺ عنه، ويدخل في هذا المبحث أنواع من البدع تُقام في هذا القبر، وهي:

١ . بدعة النذر بإهداء الزيت والشمع والبخور؛ وذلك لإسراجه وتطييبه، وهذا النذر

معصية باتفاق العلماء لا يجوز الوفاء به، وقد نقل صاحب كتاب "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" قول الإمام الأذرعي: (وأما النذر للمشاهد التي بنيت على قبر وليّ أو شيخ أو على اسم من حَلّها من الأولياء، أو تردَّد في تلك البقعة من الأنبياء والصالحين... فهذا النذر باطل غير منعقد... بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإن الناذر لا يقصد بذلك إلاّ الإيقاد على القبر تبرّكاً وتعظيماً، ظانّاً أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه)[١١].

٢. بدعة الطواف بالزائرين على الأضرحة وقراءة سورة الفاتحة: حيث يقوم بعض السَّدنة بمصاحبة الزائرين إلى باب الغار، والطواف بهم على الأضرحة لقراءة الفاتحة عند كل ضريح، وذلك طمعاً في صدقات الزائرين وهداياهم يقتسمونه بينهم، وهذا من جملة أكل أموال الناس بالباطل والصدّ عن سبيل الله.

٣. بدعة المرقومات: وهي كثيرة في المسجد بعضها باللغة العربية وواحدة بلغة أجنبية، وهي تكتب إما للتاريخ، وإما للرياء والسُّمعة، قال ابن مرشد: (كره مالك البناء على القبر، وجعْلَ البلاطة المكتوبة، وهو نوع من بِدع أهل الطول أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه).[١٢]

٤. بدعة الكِسوة: حيث أحدثوا في المسجد مواضع جعلوا فيها أضرحة من خشب كسوها بالقماش الفاخر المُرصَّع بالآيات، وبأسماء الأنبياء، ووضعوا جوارها الصناديق المزركشة، والبيارق الفخمة الملونة.

٥. بدعة زفة العريس: حيث اعتاد الناس في ليلة عرس أحدهم أن يصحبوه لصلاة العشاء في المسجد، بعد الصلاة يطوفون به على أضرحة الأنبياء، ثم يخرجون في زفّة كبيرة ينشدون الأناشيد، ومعهم فرقة تقرع الطبول، وتضرب الدفوف حتى بيت الزوجية، متبرِّكين بساكني المغارة من الأنبياء.

٦. بدعة ختان الأطفال: حيث يُسافر كثير من الناس بأطفالهم لعمل الختان لهم على درجات المسجد، وذلك تبرّكاً بساكني المغارة من الأنبياء، ثم تُوزَّع الحلوى على الحاضرين، ومنهم من يسوق الهدي إلى العاكفين من المجاورين.

٧. بدعة حَلْق رأس الأطفال وإلقاء الشَّعر داخل الغار: حيثُ يفعل هذا كثير من الناس تبرُّكاً بأهل الغار، وتوزّع الحلوى على الحاضرين، وتُعطى الصدقات للعاكفين المجاورين.

يقول شيخ الإسلام: (فإن هؤلاء السَّدنة فيهم شَبَهٌ من السَّدنة التي كانت للاّت والعزّى

ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدّون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شَبَهٌ من العاكفين الذين قال فيهم الخليل إبراهيم عليه السلام:] ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون [(الأنبياء: ٥٢). (١٣)

٨. بدعة ترك أكل الحمام الذي يعيش في المسجد: وذلك أنّ أهل البلد والمجاورين لا يأكلون لحم الحمام الذي يعيش ويمرح في المسجد، ويعتقدون أن أكله حرام، وذلك قياساً على حرمة صيد حمام البيت الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، فهذا الترك للتدين من البِدع التركية، حيثُ تديَّنوا بضد ما شرع الله، وخرجوا عن سُنّة النبي عليه السلام. (١٤)

٩. بدعة تولية المناصب الشرعية من لا يصلح بطريقة التوريث: وجعل المستند في ذلك كوْن المنصب كان لأبيه، وهو في نفسه ليس بأهل، وهذا واضح في كثير من المناصب في هذا المسجد كمنصب صاحب بدعة الترقية، وبعض الخطباء وغيرهم، وقد اتفق العلماء على هذه البدعة، وذكرها القرافي عن شيخه العز بن عبد السلام، وعدّها من البِدع المحرَّمة التي تناولتها قواعد التحريم وأدلته من الشريعة، ونقلها الشاطبي في الاعتصام وأيّده، وقال: (هذه بدعة ظاهرة). (١٥)

ولا يفوتني أن انبه الى ان كثيرا من هذه البدع قد ترك الناس العمل بها كبدعة ختان الأطفال وحلق رؤوسهم والنذور والطواف على الأضرحة وزفة العريس والطواف بالميت على القبور وحمل الأعلام أمام الجنائز وغيرها.

وأيضا فإن كثيرا من العلماء لهم رأي آخر في بعض هذه المسائل مخالف لما ذهبنا إليه في بحثنا هذا ولهم في ذلك شبه أدلة هي عندهم من جملة ما يستدلون به على أن ما يحدثونه مقبول غير مردود.

الخاتمة

وفي ختام البحث أعرض ثلاث نتائج هامة توصّلتُ إليها، وأوصي المسلمين وأهل العلم بجملة من التوصيات ليأتوا منها ما استطاعوا، وأنصحهم بنصيحة فإن الدين النصيحة:

النتائج:

١. ليس في الدنيا قبر نبي يُعرف إلاّ قبر نبيّنا محمد ﷺ في المدينة المنوّرة، وإنّ مكان قبر الخليل عليه السلام ظني، والراجح أنه في هذا المكان المعروف – اليوم – بالحرم الإبراهيمي.
٢. إنّ البدع التي تُقام في قبر الخليل عليه السلام وفي غيره من المساجد كثيرة جداً، وإنه لا يوجد مسجد في بلاد المسلمين فيه مثل ما في هذا المسجد من بِدَع، فقد زادت على الأربعين بدعة كما ترى، وبزيادتها يزيد ما فيها من مفاسد تقع بجوار الأنبياء.
٣. إنّ بعض ما فيه من بدع هي كفر بالله تعالى أو إشراك به غيره من الأنبياء في هذا القبر، فضلاً عن سائر البِدع المكروهات.

التوصيات:

أوصي إخواني المسلمين جميعاً، وأهل العلم الشرعي والمنتسبين إليه بما يأتي:
١. الدعوة إلى زيارة هذا المقام لهذا النبي الكريم والسلام عليه فإنه من السنة.
٢. التواجد في هذا المقام في كل وقت وبخاصة أهل محافظة الخليل حتى لا يتمكن اليهود من دخوله أو العبادة فيه.
٣. أن لا تُبنى المساجد والمشاهد على قبر كائن من كان، وأن تزال القبور المشرفة الزائدة عن الحدّ المسموح به شرعاً في مقابر المسلمين.
٤. أوصي مَن تأكّد عليه الوجوب من العلماء في إحياء السُنن وإماتة البِدع أن يبيِّنوا للناس البِدع والمحدَثات في المساجد المبنية على القبور في بلادهم، وأن يكتبوا ذلك في مصنّفات مستقلّة أو أبحاث خاصة كهذا البحث.
٥. أوصي الجامعات والقائمين على كلّيات الشريعة فيها، أن يُقرِّروا تدريس مساق "نقد البِدع والخرافات" على طلبة الشريعة، حتى لا يقع أحد فيها فيُقتدى به.
٦. أوصي مديريّات الأوقاف بإقامة دورات تأهيليّة للأئمة والدعاة والوُعّاظ لتعريفهم بالبِدَع وتبصيرهم بخطرها، وحثّهم على إلقاء خُطبة مقترحة عن البِدَع والابتداع، وتكون

هذه الخُطبة دوريّة كل ستة أشهر أو اكثر؛ لمسيس الحاجة إلى ذلك حتى لا يقع النّاس في الضلال.

وأختم بنصيحة أُذَكِّر فيها أهل البِدَع والذين يُجذِّرون لها، ويعكفون عليها بمجرّد العناد والاستكبار بقوله - تعالى - على لسان صاحب هذا القبر: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ (الأنبياء: ٥١ - ٥٣).

فإن قالوا مثل قولهم، أو:] قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا [(يونس: ٧٨).

قُلنا لهم ما قال نبيُّهم عليه السلام:] قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم[(الزخرف: ٢٤).

فإنّ الدِّين النصيحة، فإنّ الدِّين النصيحة...

وأسألُ الله تعالى بعد الثناء عليه بهذين السؤالين:

أسأله أن لا أكون غَفلتُ عن واحدة من البِدع التي تُقام في هذا القبر حتى لا يُظن أنّها سُنّة من السُنن.

وأسأله تعالى الاعتصام مما يُقام من البِدَع أو الابتداع، في غيره من المساجد وفي كل مكان، شاكرا من يقرأ هذا البحث وداعياً له بظهر الغيب بأن يقضي الله مصلحته ويوفقه لخير العمل ويجزل له المثوبة على ما يبديه من ملاحظات على هذا البحث بما قد يكون فيه من هفوات وأخطاء وعزائي في ذلك أن الكمال لله وحده وأن العصمة للأنبياء عليهم السلام وكفى بربك هاديا ونصيرا.

الهوامش:

١ - صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ٤٦٤، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ط: ١ مع شرح النووي، دار الخير.

٢ - سنن النسائي، ٣/ ١٨٨، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، رواه مسلم الحديث صحيح

٣ - قرن النبي عليه السلام والقرن الذي يليه والقرن الذي يليه كما ورد في الحديث الصحيح

٤- وهو منهج المعايشة ومن ثم الوصف والاستنباط نقلا عن الهيئة التدريسية في كلية التربية - جامعة الخليل

٥ - انظر: مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلّد الأوّل، العدد الثاني، آب ٢٠٠٣م، موضوع: التاريخ القديم لمدينة الخليل من ٣٢٠٠ - ٥٨٩ ق.م، الدكتور محمد العلامي، ص٦

٦ - كتاب خليل الرحمن مدينة لها تاريخ، دكتور يونس عمرو، الطبعة الأولى، دار القلم - رام الله، ص٩.

٧ - كتاب الخليل عربية إسلامية، لمحمد ذياب أبي صالح، ص٤٨.

٨ - التوراة: "سفر التكوين٣٥: ٢٧، ٥٠: ١٣، ١٣: ١٨، ١٤: ٢٤".

٩ - وهو جبل أو تل في وسط المدينة ويشرف عليها، ويحمل نفس الاسم حتى اليوم.

١٠ - مجلة جامعة الخليل للبحوث، نفس المجلّد والعدد والموضوع، ص١١.

١١ - أبو رقية، تميم بن أوس بن حارثة بن الدار بن هانئ، صحابي جليل، روى عدة أحاديث عن النبي ﷺ منها حديث الجساسة، وحديث الدين النصيحة، انظر: كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٢٢.

١٢ - الحديث ضعيف، وقد ورد في الإقطاع في كثير من الكتب مثل الأحكام السلطانيّة للماوردي، وكتاب الأموال لأبي عبيد، وكتاب الخراج لأبي يوسف، انظر ذلك في كتاب تميم بن أوس الداري، راهب أهل عصره، وعابد أهل فلسطين، تأليف: محمد محمد حسن شراب، دار القلم - دمشق، ص١٣٢ وما حولها.

١٣ - (حوالي خمسة كيلو غرامات من الفضة)، والشاقل هو المثقال، وهو اليوم: شيقل.

١٤ - وهذا مكتوب على المرقوم الموجود فيه إلى اليوم.

١٥ - الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، أبو اليُمن القاضي مجير الدين العليمي الحنبلي، بيروت - دار الجيل، ١٩٧٣م، الجزء الأوّل، ص٥٥.

١٦ - الرامة، موقع في ظاهر المدينة من جهة الشمال قبالة قرية حلحول التي يُقال إن بها قبر يونس عليه السلام.، المرجع السابق

١٧ - انظر في ذلك ما نقله صاحب كتاب: الخليل عربية إسلامية عن: محمود العابدي في مجلة الفيصل، عدد ٤، سنة أولى، ص١٣٣، وأحمد سوسة في كتاب: العرب واليهود في التاريخ، ص٥٧٨، والموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، ص٣٥٣، وعوديد أبيسار في سفر حبرون، ص٧.

١٨ – ويُقال: إن الذي فتح الباب هو الخليفة المهدي، المرجع السابق

١٩ – انظر: كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع المجد، ص٣٣١.

٢٠ – تلقى الإمام بهاء الدين السبكي، المدرس بالأزهر (عام ٧٠٨ هـ) طلب فتوى من الشيخ العلامة برهان الدين بن عمر بن خليل الجعبري، المقرئ بالمسجد الإبراهيمي: هل يجوز للنساء دخول المسجد وصلاتهن فيه؟، فجاء الإمام السبكي إلى الخليل بنفسه من مصر، وكانت الخليل تابعة للدولة المملوكية بمصر، وبعد الطواف بالمسجد وزيارة أضرحة الأنبياء والصلاة فيه أفتى بما يلي: (صحّ وثبت في يوم السبت ثامن عشر صفر سنة ثمان وسبعمائة بحرم الخليل – عليه السلام – دخول الحرم وزيارة القبور الشريفة والوقوف عند الإشارات التي عليها، وصلاة الجماعة والجماعات هناك، فإنه بني محراب شريف ووضع إلى جانبه منبر، وقد مضى على ذلك أزمان متطاولة والعلماء وأئمة الإسلام مطّلعون على ذلك، وقد أقرّه الخلفاء وملوك الإسلام ولم ينكره منكر، فصار كالإجماع، فيجوز فيه ما يجوز في المساجد من قيام العبادة والاعتكاف فيه، كما يَحرم فيه المكث على المرأة الحائض وحامل الجنابة، ولا يُقال إنه مقبرة فإن الأنبياء الذين فيه صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم، أما النساء فعلى خلاف فيه والله أعلم)، انظر في ذلك كتاب: شيء من تاريخنا في رحاب الحرم الإبراهيمي الشريف، ص١٦، نقله عنه صاحب كتاب: الخليل عربية إسلامية، ص١٥٤.

٢١ – انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، مؤسسة الرسالة، جزء ٢٧، ص٤٤٤، و ص٤٤٥.

٢٢ – نفس المرجع السابق.

٢٣ – صحيح البخاري مع الفتح، محمد بن إسماعيل البخاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مطبوع مع شرح فتح الباري، ٣/٣٠٦، وصحيح مسلم بشرح النووي، لمسلم بن الحجّاج النيسابوري، دار الخير، الطبعة الأولى، مطبوع مع شرح النووي، ٣/ ٥١٧.

٢٤ – انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص٣٢٨.

٢٥ – انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ١٨٥.

٢٦ – صحيح البخاري مع الفتح، ٢/ ٧٨. صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ١٨٤.

٢٧ – صحيح البخاري مع الفتح، ٢/ ٧٩. صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ١٨٤.

٢٨ – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص٣٣٠.

٢٩ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٢٧/ ٣١، ابن تيمية

٣٠ – موطأ مالك، الإمام مالك بن انس، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، الطبعة الثانية، برقم ٣٧٦، حديث حسن أو صحيح

٣١ – مسند أحمد، الإمام أحمد الشيباني، برقم ٧٠٥٤، حديث صحيح صححه الألباني

٣٢ – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص٣٣٤.

٣٣ – انظر تعريف البدعة في كتاب: الاعتصام للعلامة الإمام أبي إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المجلّد الأول، ص٣٧، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محمد رشيد رضا.

٣٤ – رواه مسلم برقم ١٤٣٥ .
٣٥ – رواه مسلم برقم ١٦٩١ .
٣٦ – رواه الترمذي برقم ٢٦٠١ ، انظر : سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، ضعيف جدا ضعفه الألباني لكن له شواهد في الصحيح
٣٧ – انظر الباب الرابع من كتاب الاعتصام : في مآخذ أهل البدع في الابتداع ، المجلّد الأول ، ص٢٢٠ – ٢٨٦ .
٣٨ – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص٢٩٤ .
٣٩ – نقل ذلك القرافي عن شيخه العز بن عبد السلام وأورده الشاطبي في الاعتصام ورد عليه ، انظر صفحة (١٨٨–١٩٠) من الباب الثالث
٤٠ – انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص٤٣٤ .
٤١ – صحيح البخاري مع الفتح ، ٥/ ٢٥٠ ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ٤٩١ .
٤٢ – انظر : مجموع الفتاوى ، ٢٧/ ١٤ .
٤٣ – انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص٣٣١ ، ٣٣٢ .
٤٤ – صحيح البخاري مع الفتح ، ٣/ ٣٠٦ ، صحيح مسلم ، ٣/ ٧١٥ .
٤٥ – نقل هذا الشيخ علي محفوظ في كتابه : الإبداع في مضار الابتداع ، ص١٧٢ ، طبعة دار الاعتصام – القاهرة ، عن كتاب : خطط المقريزي .
٤٦ – صحيح مسلم بشرح النووي ، ٢/ ٦٦ .
٤٧ – انظر كتاب : نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس ، لأبي الفَرَج ابن الجوزي ، ط : ١ ، ص١٣٣ .
٤٨ – صحيح البخاري مع الفتح ، ٣/ ٦٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ٣/ ٤٥٣ .
٤٩ – زاد المعاد في هدي خير العباد ، شمس الدين أبو عبد الله ابن القيم ، ١/ ٤٢٨ ، مؤسسة الرسالة ، ط : ١٢ ، ١٩٨٦م ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط .
٥٠ – انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ٦/ ١٦٢ .
٥١ – انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ٢/ ١٥٩ .
٥٢ – انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٢٢/ ٥١٩ .
٥٣ – انظر : حاشية ابن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار ، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين ، ط : ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ٦/ ٣٨١ .
٥٤ – صحيح البخاري مع الفتح ، ٤/ ٢٠٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ٣/ ٣٩٦ .
٥٥ – زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١/ ٤٤٢ .
٥٦ – سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتب العلمية ، ط : ١ ، برقم ١٧٤٦ ، صححه الألباني
٥٧ – مسند الإمام أحمد برقم ٨٤٤٩ ، حديث صحيح صححه الألباني
٥٨ – انظر كتاب : الإبداع في مضار الابتداع ، للشيخ علي محفوظ ، ص٢٥١ ، وكتاب البِدع الحولية ، لعبد الرحمن التويجري ، ط : ١ ، ٢٠٠٠م ، دار ابن حزم ، ص١٣٧ ، ١٣٨ .

٥٩ – انظر: كتاب البدع الحولية، لعبد الرحمن التويجري، ص٣٩٧.

٦٠ – انظر: كتاب الروض الفائق في المواعظ والرقائق، شعيب بن سعد الحريفيش، ص٦٠، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: ١، ٢٠٠٤م.

٦١ – انظر: كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط: ٤، المكتب الإسلامي، بيروت/ دمشق، ص٢٠٥، ٢٠٦، نقلاً عن شرح منهاج النووي.

٦٢ – انظر: نفس المرجع، ٣٣٤.

٦٣ – نفس المرجع السابق، ص٢٠٤، ٢٠٥.

٦٤ – انظر: كتاب الاعتصام، المجلّد الأوّل، فصل في البدعة التركية، ص٤٢ – ٤٥.

٦٥ – انظر: نفس المرجع، ونفس المجلّد، ص١٨٨، ٢٠٠.

قضايا أدبية
من وجهة نظر خلدونية

د. نادي ساري الدّيك*

* أستاذ مشارك، منطقة رام الله التعليمية، جامعة القدس المفتوحة

ملخص:

ابن خلدون عالم ثرّ العطاء، صاحب فلسفة خاصة في حياته الفكرية، كتب في مجالات كثيرة، وله باع في الأدب والنقد، إذ ناقش مجموعة من القضايا الأدبية والنقدية سادت في عصره والعصور السابقة له، إلاّ أننا آثرنا الكتابة عن أربع قضايا فقط، وقدمنا نبذة عن حياته وعصره، فكان صاحب ثقافة موسوعية، يعيش في عصر متماوج، غير مستقر، مما دفعه إلى الهجرة إلى أكثر من بلد، والتعامل مع أكثر من أسرة حاكمة، وتقلده مناصب متنوعة، مما انعكس على نتاجه، بمعنى لم نجده يسير في اتجاه واحد، وإنما نجده مقلداً تارة، يسير في ركب الأقدمين متأثراً بآرائهم ونتاجاتهم، فهو لم يخرج من دائرة القدماء في فهمه لكثير من القضايا الأدبية، كاللفظ والمعنى والمنظوم والمنثور، إلاّ أنه صاحب سبق في فهم الشعر وتعريفه، وكذلك صاحب رأي صريح في موقفه من الفنون الشعبية والأدبية المستحدثة، كالموشحات والأزجال والمواويل والكان كان، ويورد نصوصاً تنمّ عن تفاعل مع روحية النص فلم يتأثر بالآراء الرافضة لمثل تلك الفنون وخروجها على عمود الشعر العربي، والبناء الهندسي للقصيدة العربية، وعلى الرغم من ذلك نجده عربياً في نهجه عقلياً في طرح الأفكار والمضامين التي تخص السياسة والاجتماع، محافظاً سلفياً في فهم بعض القضايا الأدبية، إلاّ أنه صاحب فكر يتمايز عن غيره، وثقافة موسوعية تعزّ على الكثيرين في زمانه والأزمنة التي أعقبتها.

Abstract

Ibn Khaldoun is a scholar characterized by his special philosophy wrote in several fields, like literature, criticism and sociology. However, the present study concentrates on four literary and critical issues which influenced his age and the preceding ages; Ibn khaldoun was very well-informed with an encyclopedic knowledge. He lived in a tumultuary, unstable period which forced him to immigrate to more than one country, deal with more than one monarchy and occupy various posts, Those ever-changing circumstances were reflected in his imitative of others literary production. Therefore, he did not specialize in one field. Sometimes, he tended to imitate old writers and scholars in dealing with phonetics and semantics as well as \\in verse and prose. Never the less, he was a pioneer in perceiving and defining poetry, and he had an explicit opinion regarding new pop and literary arts like mowashahat, mowawil, azjal and alkan-kan. He used to quote phrases which showed his interaction with the spirit of the text. He was not influenced by the opinions rejecting those arts just for being unconventional.

Despite that, he demonstrated an Arab mentality and a rational attitude in presenting thoughts relevant to politics and sociology.

In brief, he was imitative in some topics but creative in others. More importantly, he was unique in encyclopedic knowledge unrivalled both in his age and the subsequent ages.

المقدمة:

ابن خلدون من الشخصيات صاحبة التراكمات المعرفية والثقافية المتعددة، وهو من المبدعين في مجالات بحثهم وتأصيل أفكارهم وقيمهم، وصاحب سيادة معرفية تجاه حقول المعرفة التي يتبناها ويبحث في أطرها ومنطلقاتها. ونجده يفلسف الأشياء ولا يطرقها جزافاً أو عرضاً، وإنما يدخلنا في العمق المعرفي للقضايا التي يناقشها، ويجعل العقل سلطان التوجه أحياناً فلا يغترّ بشيء أو يبهج فيه، وإنما نجده صاحب دراية واعية في حقله المعرفي. وقد عاش في زمن مضطرب إلى حد بعيد، لأن دولة الموحدين كانت آيلة للسقوط، مما يرينا انحساراً في نفوذها وسلطانها، علماً أنه أفاد من فلسفة حكمها ومنطلقات فقهائها، وإن وجدنا جموداً يسيطر على الحياة الثقافية والفكرية السائدين آنذاك، مما جعل أصحاب الفلسفة وعلم الكلام من المحاربين والمطاردين، وظهور المواقف المناهضة لمواقفهم وفلسفاتهم، فكان الموقف المعادي للفلسفة ومنطلقاتها هو السائد آنذاك، مما يرينا رحيلاً مبحوثاً عنه لدى ابن خلدون، فكانت مصر وجهته ومستقره إلى حين، لذا أثرت تلك الأشياء كلها في فكره وطرح قيمه وأفكاره، ومثل ذلك يجب ألاّ يغيب عن وعينا عند دراسة ابن خلدون أو علاقته بالأدب والعلائق الأدبية التي ناقشها.

لذا نقول ما إقامة ابن خلدون زمن الموحدين في بلاد المغرب وتأثره بالفلاسفة وعلماء الكلام ثم خشيته من أعداء المنطق والفلسفة، ورحيله إلى مصر المحافظة على بعض قيمها وثوابتها، ومستقره فيها إلاّ ويترك أثراً واضحاً في نفسيته وطرائق تفكيره، فنراه مختلفاً في مواقفه تجاه ما يطرح من أشياء، فعندما تقرأ المقدمة وكتاب التعريف وغيرهما من الكتب تستيقن أنه أفاد من المعطيات المحيطة به كلها، فنجد أثر الفلسفة والمتكلمين في طرحه، وكذلك نلمح أثر المحافظين والمتشددين في بعض الطروحات، كل ذلك لا يغنينا من تتبع آراء ابن خلدون في موضوعات متعددة في الأدب العربي حتى نستجلي بعض المواقف، ونظهر ماله وما عليه، خدمة للحقيقة وإنصافاً لرجل عاش مفكراً ومات سياسياً مرتحلاً، وترك أثراً فكرياً عميقاً ينمّ عن فراسة ودراية وعمق ومشورة مجرّبة.

وأما الأشياء التي ندرسها، أو نبحث عنها، فنقول إنها تأتي في محاور متعددة، كان لابن خلدون رأي شاف فيها، أو نجده ينقل آراء السابقين له، خدمة وتدعيماً لفكرته، فيكون قد عرّفنا بمنطق الفكرة، أو جسّد لنا ما نقله غيره عبر التسلسل الزمني، فيرينا نمطية تفكير سبقته ومعطيات فكر معاصر له، على وفق تفكير خلدوني خالص.

أما القضايا التي نستطرقها وقد تحدث عنها ابن خلدون، إضافة إلى نبذة عن حياته هي :

١. قضية اللفظ والمعنى.
٢. قضية النظم والنثر.
٣. قضية الشعر.
٤. قضية الموشحات والأزجال.

في حين نجد قضايا أخرى قد أخذت حيزاً في تفكيره ونتاجه، وسوّد لها صفحات في كتبه، أصبحت خالدة مع الأيام، لذا اكتفينا بالقضايا الأربع التي دوّنا عنواناتها أو مسمياتها، وذلك لعدم الإطالة في بحث قد نراه أو نستشعره مبحوثاً من قبلنا، وإن كانت هذه القضايا قد بحثت من قبل باحثين ناشطين، إلاّ أننا سوف ننطلق من فهمنا بعد أن نستقرئ فهم السابقين والمعاصرين لكل قضية على حدة، وندون ما أفدناه من غيرنا، كما نؤكد على احترامنا لآراء الآخرين، إن لقيت رواجاً في نفسنا أو معارضة من فكرنا، لأن ما يكتبه الإنسان قد لا يعجب الناس جميعهم أو يرضيهم قطعاً، فإرضاء الناس غاية لا تدرك ولا تستدرك، حتى النفس الإنسانية للباحث نفسه قد ترضى عن شيء في حينه، وتتمرد عليه أو ترفضه أو تعدّل عليه فيما بعد، فما كان من صنع البشر يبقى ناقصاً، ومن يتابع نتاجات الآخرين يعلم طرائق تفكيرهم، ويصبح قريباً منها. لذا آمل أن تكون سطور بحثي قريبة من النفوس والعقول لأنها خرجت من نفس صادقة وعقل يبحث في المطلوب بحثه.

ما تقدم يدفعنا حتى نستتبع خطاه مرة أخرى، ونقرأ ما تركه لنا بروحية العصر الفاحصة لمعطيات الماضي وتبيان أثرها، والإفادة من نواظم الفكر والبحث المتعددة، فنفيد من التاريخ وجزئياته والأدب وكلياته، وعمق الفلسفة وتنظيم المنطق حتى يتوحد ذلك في منهج تكاملي شمولي، يميط اللثام عن بعض الأشياء التي نبحث فيها، ثم نختم قراءتنا بخواتيمها، ونسرد قائمة المصادر والمراجع التي أفدنا وأرشدتنا طريق الصواب، حتى تخرج كلمات بحثنا خيطاً في شمس مضيئة إن شاء الله تعالى.

حياته وأهم أحداث عصره:

ليس ابن خلدون نكرة، أو مخلوقاً لا يعرفه الناس، وإنما علم من أعلام الفكر وصاحب نظره فاحصة في الحضارة، ومؤصل لثقافة كان يعزّ عليها أن تعيش في ظروف مهينة، كل ذلك لا يمنعنا أن نقدم بين يدي الباحثين نبذه عن حياته، وذلك تمشياً مع روحية البحث العلمي، وتسهيلاً على المبتدئين حتى تتسنى لهم معرفة مصادر حياته وأدبه، وإن وجدنا بعض الناس لا

يعرفون إبن خلدون، فهذا نقص في الإنسان وليس فيما لا يعرفه من أشياء، وخلل في القيم والثوابت التي يعيشها في مرحلته وزمانه (الذي لا يعرف)، ومن ثم خلق حالة من التراتب المعرفي لكل من يبحث ويحاول تأهيل معرفته تجاه ابن خلدون، لذا ندون بعض الأشياء عن حياته وسيرته، وإن وجدنا كتاباً قائماً بذاته يعرّف بإبن خلدون كتب بقلم ابن خلدون نفسه، زيادة على الآراء والأقوال الأخرى التي قيلت في حياته وعلمه، من قبل أناس نشيد بآرائهم وثوابتهم، وعلى الرغم من ذلك لابد من الانطلاق لإثبات الحقائق بعد تمحيصها لأن ليس كل ما يقال يعتد به، وهذا لا يعني التشكيك في بعض الآراء. وإنما زيادة في الحرص الذي نبتغيه، مما يؤكد أثر السيرة والحياة والظروف التي يعيشها الإنسان على نتاجه وتفكيره.

فمن يتتبع كتابه " التعريف بابن خلدون " يجد لوحات متعددة تشي عنه وعن عصره وأدبه فهو كما دون بخط يده: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، يعود نسبه إلى حضرموت من عرب اليمن، إلى وائل بن حُجر بن الأين بن قحطان(١). وفد جده على الرسول الكريم في عام الوفود، ومن ثم اتصل بمعاوية بن أبي سفيان، إذ رد إحدى عطاياه، وبعد واقعة حجر بن عدي الكندي قتله معاوية(٢).

نزل جده خلدون بقرمونة في بلاد الأندلس، ومن ثم سكنوا إشبيلية، وهم أسرة غاية في النباهة، وتمرس في المناصب الرفيعة طوال أيام الدولة الأموية في الأندلس، ومن ثم في عصر الطوائف، وبعدها غادرت أسرته من إشبيلية إلى سبتة في المغرب الأقصى، ثم إلى بونة في الجزائر، وكانوا شهدوا واقعة الزلاّقة زمن يوسف بن تاشفين حيث استشهد نفر كثير من آل خلدون، وبعدها اضمحلت دولة العرب في الأندلس، واتصلوا بحكام أفريقيا، فكان لهم مواقف مشهورة زمن الموحدين، لأن جده الأدنى " محمد بن خلدون " رجل دولة مخضرم عمل لأكثر من أمير حفصي، وبعدها زهد في العمل السياسي والحجابة وتفرغ للعلم وتحصيل المعرفة، وأصبح فقيهاً فيما بعد(٣).

كانت الحجابة والجباية قبل توليه القضاء، ثم نشأ جده فقيهاً أديباً، وهذا ما نتلمسه من كلامه حيث كان صاحب مكانة في صناعة الشعر وله باع طويلة في العربية، وله دراية فاعلة في النقد لأنه كان محكماً بين الشعراء في مدينة تونس، وله بصر بالشعر وفنونه، عهدي بأهل الأدب يتحاكمون إليه، ويعرضون حكمهم عليه(٤).

أما مولده فكان في غرّة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعماية في مدينة تونس، حيث تربى في حجر والده الفقيه العالم بالقرآن وقراءاته، وقد تتلمذ على شيوخ لهم باع طويلة في العلم

والمعرفة، وفقهاء القراءات القرآنية المعدودين وأصحابها ومن أشهرهم أبو العباس أحمد بن محمد البطرني، الذي قرأ عليه القرآن مرات متعددة، ثم عرض عليه كتاب التقصّي لأحاديث الموطأ، ودرس عليه كتباً جمَّةً مثل كتاب التسهيل لابن مالك الحياني النحوي ومختصر بن الحاجب في الفقه "وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي وكبار الأساتذة في تونس ومنهم: إمام العربية والأدب بتونس، أبو عبد الله محمد بن بحر، وكان زاخراً في علوم اللسان" (٥).

أما الأحداث الهامة في عصره فنجدها متعددة، لا تنحصر في جانب واحد، وإنما نجد السياسة بوجهيها المدني والعسكري تؤثر أثراً كبيراً، ومن ثم الأمراض الفتّاكة التي حصدت أرواحاً كثيرة من الناس، لذا نجد أول حدث يعيشه ابن خلدون غزو تونس على يدي السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المتوفى عام (٧٥٢هـ) مصطحباً معه جماعة من أهل العلم والمشورة كان يحرص على تزيين مجلسه بهم منهم شيخ الفتيا بالمغرب، وإمام مذهب مالك أبو عبد الله محمد بن سليمان السّطي، الذي كان ابن خلدون ينتاب مجلسه ويفد عليه(٦).

ظلّ مكباً على طلب العلم واقتناء الفضائل متنقلاً بين الدروس والحلقات إلى أن كان الطاعون الجارف، الذي ذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواه، لذا لزم مجلس الشيخ أبي عبد الله الآبلي، وعكف على القراءة عليه ثلاث سنين، ثم انتدب ليتولى أول منصب وهو يناهز العشرين من عمره، إذ التحق بأبي محمد بن تافراكين (المستبد على الدولة يومئذ بتونس) إلى كتابة العلامة عن سلطانه أبي اسحق، وذهب معهم سنة ثلاث وخمسين وسبعماية، وكانت هذه العلاقة فاتحة خير لشق طريق طويل في العمل السياسي والفقهي والعلمي فيما بعد(٧).

وقد سجنه السلطان المريني عام (٧٥٨هـ) بتهمة التآمر مع أمير بجاية الحفصي، حيث قضى عامين كاملين في سجنه، وقد ساعده على الفكاك موت السلطان، وشفاعة وزيره (ابن عامر) الذي أخرجه مع نفر من سجنه وقد قال شعراً خاصاً في ذلك(٨)بعد خروجه من السجن حاول الرحيل إلاّ أن الوزير (ابن عامر) أغدق عليه وظلّ من خاصته حتى تقلبت عليه الأحوال، بعدها رحل لخدمة بني الأحمر وتم ذلك في الثامن من ربيع الأول سنة أربع وستين وسبعماية للهجرة، ولما وصل اهتز السلطان لقدومه، وهيأ له منزلاً من قصوره، وأظهر له معاملة خاصة تليق بعالم وسياسي طموح، وكان قد ذهب بسفارة ناجحة إلى (الطاغية ملك قشتالة) الذي حاول استدراجه للإقامة في ملكه، إلاّ أنه اعتذر وعاد للإقامة عند بني الأحمر،

وكان لصديقه ابن الخطيب أثر فاعل في تلك السفارة(٩).

ونعتقد أن السفارة السياسية التي قام بها قد نجحت كما يقول، لذا خلقت في نفسه روحية خاصة، بصّرته في الأمور السياسية والتفكك الذي تعيشه الأسرة الحاكمة آنذاك، وقد بدأت حالة المقارنة لديه، مما أثر في فكره ونتاجه، حتى أكثر من ذكر العمارة الأندلسية في معرض حديثه عن العمران البشري، وفي عام (٧٦٦هـ) عاد إلى تلمسان إحدى مدن المغرب راغباً في الإنكباب على طلب العلم وبثه، إلاّ أن سلطانها آنذاك أبا حموموسى بن يوسف بن عبدالرحمن بدا له أن يرسله سفيراً ليؤلف قلوب بعض القبائل، فأظهر الطاعة، لكنه أضمر اللحاق بأولاد عريف في جبل كرزول القريب من مدينة الجزائر، وتحقق له ما يريد، فأكرم أولاد عريف وفادته وأقام في القلعة أربع سنوات منكباً على إنجاز تاريخه (العبر) ومن ثم كتب المقدمة الشهيرة التي أتمها في منتصف عام ٧٧٩هـ(١٠).

وفي عام (٧٨٤هـ) توجه ابن خلدون لأداء فريضة الحج، إلا أنه مكث في مصر في كنف الملك الظاهر برقوق، وتوافد عليه طلبة العلم، ومن ثم عين مدرساً في مدرسة القمحية التابعة لوقف صلاح الدين الأيوبي، وبعدها أصبح قاضي المالكية لأول مرة في عام (٧٨٦هـ) وفي هذه السنة نُكب ابن خلدون بأهله، عندما كتب الملك برقوق سلطان تونس مستشفعاً بأهله للحاق به في مصر، ولما يمّموا وجهتهم مصر غرقوا في البحر، مما دفعه إلى الخروج عن المنصب والزهد في الدنيا والتفرغ للعلم والقراءة والتدريس(١١).

وفي عام (٨٠٨هـ) تولى ابن خلدون منصب قاضي قضاة المالكية للمرة السادسة بعد أن شغله وعُزل عنه مرات عدّة، إلى أن توفاه الله في الخامس والعشرين من رمضان من العام ٨٠٨ للهجرة، عن ست وسبعين سنة، وهو على رأس منصبه ودفن في القاهرة(١٢).

ما تقدم يرينا أن حياته حافلة بالحوادث الجسام والمتناقضات، إلاّ أن السمة البارزة في حياته نتاجه ونظرته الثاقبة وصراحته في مواطن كثيرة وهو يدون بخط يده عن حياته وسيرته الحافلة بالعطاء، والبرهان الساطع على ذلك كتبه وأفكاره والقضايا التي تحدث عنها، والتي سوف نفرد حديثاً لكل واحدة من القضايا التي دونها في المقدمة:

١. اللفظ والمعنى:

قضية اللفظ والمعنى من القضايا المهمة التي شغلت بال النقاد منذ أن عرف النقد واهتم به في التراث النقدي الإنساني، وقد ظهرت منذ عهد مبكر إذ عالجها الفلاسفة الإغريق،

ومن ثم النقاد العرب منذ أن نشأ الفكر نشأته الأولى لأن " هذه مسألة من مسائل علم الجمال الحديث وشغل بها الأقدمون قبل أن يعالجها العرب وقد تحدث فيها هؤلاء وأولئك عن المعايير الجمالية الموضوعية التي تعدّ من أسس الحكم على العمل الأدبي من الناحية الفنية على الرغم من أن مادة التعبير الأدبي هي الجمل بما تشمل عليه من ألفاظ منظومة أو منثورة يستعان بها على محاكاة الأشياء والأفعال كما قرر ذلك أفلاطون(١٣) " .

فمسألة البحث والتمحيص والانشغال بالقضية الجمالية قديمة وفيها لكل باحث أو أديب صاحب رأي وجهة نظر تنمّ عن فهمه الخاص لهذه المسائل الفنية التي توضح أمور كثيرة، فقضية اللفظ والمعنى من القضايا الحيوية التي ناقشها الأدباء والنقاد العرب القدامى، منذ بشر بن المعتمر أستاذ الجاحظ الذي تحدث عن هذه المسألة في رسالته التي دون الجاحظ نصوصها في بعض كتبه، ومن ثم نجد الجاحظ وهو صاحب رأي صريح وواضح في غير موضع من كتبه، نجده من الذين ينصرون اللفظ على المعنى حيث يقول " الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم التقطيع، وبه يوجد التأليف أو لن تكون حركات اللسان ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتأليف " (١٤).

من يقرأ هذا النص للجاحظ يجده من المنتصرين للفظ على المعنى، وإن وجدنا له نصاً آخر يدل على المنطلقات ذاتها شريطة أن تكون هناك عملية وئام تام وتناسب في عملية الترابط بين الحروف والمخارج والكلمات وتجانسها مع بعضها، إذ لا يكون في بناء الجملة أو التركيب اللغوي ما يعاضله أو فيه حوشي من الكلام، فاللغة تتأثر سلباً أو إيجاباً بالبناء العضوي لها، فكما يستخدمها تظهر وتبان بقول الجاحظ "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك " (١٥).

هنا نستنتج من قول الجاحظ أن المعاني ليست وقفاً على طبقة من الناس دون طبقة أخرى، أي إنها ليست خاصة بالأدباء وحدهم، وليست الإجادة في المعاني وحدها دليلاً على براعتهم الفنية، لأن المعنى الجيد قد يتأتي من غير الخاصة من صنّاع الكلام، وكما تأتي منهم، فلكل إنسان فكره ومخيّلته ونظرته للحياة، وهذا نستشفه من قوله "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي. . . . " .

إن مظهر الفنية في نظر الجاحظ يبدو في الإجادة في القوالب والأشكال التي تحتوي المعاني وتبرزها، فقد ذكر إقامة الوزن وسهولة اللفظ حتى لا يكد اللسان ويثقل على الإسماع، وذكر جودة السبك وهي حسن تأليف الكلام ونظمه واتساق التراكيب في داخل العبارة، مما جعل

هذه المسألة تستمر حتى بعد الجاحظ بكثير، وهذا ما أكده صاحب العمدة، حينما دوّن رأي بعض المنتصرين للفظ على المعنى، كما يقول سمعت بعض الحذاق يقول " قال العلماء اللفظ أغلى من المعنى ثمناً وأعظم قيمة، وأعز مطلباً، فإن المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، ألا ترى لو أن رجلاً أراد المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجو والبحر . . . فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني من حسن جلالها من اللفظ الجيد الجامع للرّقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة . . . . وقال أنّ المعنى مثال اللفظ حذو الحذو يتبع المثال فيتغير ويثبت بثباته(١٦) "

من هنا يتضح لنا أن الأدباء قد اختلفوا بينهم في مسألة التفضيل بين اللفظ والمعنى، لذا أخذ الصراع يحتدم بين الأدباء، إذ سخر كل منهم رأيه خدمة لموقفه وفكره، فمنهم من أخذ ينتقي الألفاظ الجزلة الفخمة، ومنهم من مال إلى البديع والمحسنات اللفظية، واستخدام مواهبهم حتى يرفدوا النقاد بأعمالهم الأدبية التي تصل الناقد والقارئ معاً.

لذا نجد بعض الكتاب ينهى الآخرين ويرشدونهم بأن يتحققوا من الصناعة الكلامية، وأن يقللوا من السجع والزخرف اللفظي الذي تعجّ به مؤلفاتهم ويكون السجع مقبولاً إذا جاء عفو الخاطر لا مصطنعاً، كما قال ابن أبي الأصبع " ولا تجعل كلامك كله مبنياً على السجع فتظهر عليه الكلفة، وتبين فيه أثر المشقة، ونتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط أو اللفظ النازل، وربما استدعيت كلمة للقطع رغبة في السجع فجاءت نافرة من أخواتها قلقة في مكانها " (١٧)

والشيخ عبد القاهر الجرجاني من الذين تنبهوا إلى هذه المسألة، فصياغة اللفظ وحسن تركيبه واختيار التراكيب المناسبة ووضع المفردات في مكانها الخاص، أو الذي يليق بها هو الذي يعطي للأدب رونقه ومعناه وصفته الخاصة، كأدب عموماً أو كشعر خاصة "كيف والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب فلو أنك عمدت إلى بيت شعر وفصل نثر، فعددت كلماته كما جاء واتفق وأبطل نضده ونظامه الذي بني عليه، وفيه أفرغ المعنى وأجرى وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو أن تقول في " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل " " منزل قفا ذكرى نبك " أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان " (١٨).

ما تقدم هو عبارة عن بذرة أتت أكلها على يدي الشيخ عبدالقاهر في نظرية النظم لديه، لأنه يعتقد أن نظم الألفاظ، تابع لنظم المعاني في النفس البشرية، ذلك لأننا نقتضي في نظم الكلم، إيثار المعاني وترتيبها، على حسب ترتيب المعاني في النفس(١٩).

ونحسّ أن من ينتصر للمعنى ينطلق من الانبعاث النفسي للحدث أو عملية التجاوب الروحي والاختمار المعرفي في نفسية الإنسان، أو التراتب المعرفي في جملة المعاني في نفس صاحبها، وهذه سابقة على اللفظ، لأن الإنسان يصنع المعنى ويختار في مخيلته ونفسه ومن ثم يبدأ بالبحث عن اللفظ المناسب حتى يضعه فيه، أو يبحث عن القالب المناسب حتى يصبّه فيه، ومثل ذلك سابق على اللفظ كما يسبق المتبوع التابع، والألفاظ تابعة والمعاني متبوعة، لأن القول بالاتباع النفسي أو الكلام النفسي ليس حديثاً، وإنما نجده شيئاً مفصلاً عند الأشعري(٢٠).

فالانتصار للفظ دون المعنى أو المعنى دون اللفظ لم ينه القضية أو لم يجعل الأدباء والنقاد يسيرون في نهجها الجديد المتفق عليه، وإنما استمرت مع استمرارية الحياة، حتى وجدنا بعض المختصين يسلك مسلك المساواة بينهما، ومن ينحو هذا المنحى (المساواة) يرى أن الأدب (لفظ ومعنى) وعلى الناس المهتمين قياس الأدب بقدر ما تمكن فيه صاحب النص المحيوك أو المصنوع، من عملية التوفيق والإصابة في مكمن الشيء، أو في كلّ لفظة يتعامل معها أو يجعلها في بنائه الفني والإبداعي، فنجد المساواة تتمثل في مساواة اللفظ للمعنى أو المعنى للفظ، لا يزيد ولا ينقص كل من الآخر، وهذا ما نجده عند بعض النقاد وحينما وصف بعض الموصوفين في بلاغته ومقدرته على بناء النص الأدبي "كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي مساوية لها، لا يفضل أحدها على الآخر" (٢١).

إن هذه المفاضلة وصلت عصر ابن خلدون ووجدناه يغترف بدلوه منها، ويدلي بدلوه فيها، على الرغم من نضوج الفكرة واتضاح معالمها من خلال عملية التأطير التي تمت لها من قبل أصحاب الشأن النقدي والأدبي، وقد تمثل الوضوح في موقف ابن قتيبة عندما ساوى بينهما، وكذلك فعل ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر الذي ماهى بينهما، ونجد من ألغى هذه المعادلة كما فعل الجرجاني في نظرية النظم.

إلا أن ابن خلدون قد أشرك نفسه فيها، ونجده يميل إلى رأي أصحاب الاعتزال المتمثل في موقف الجاحظ، الذي رفض رأي أستاذه، النظام وانتصر للفظ على المعنى، وكأنه ينتصر للفظ القرآن الكريم، ويؤكد أن عملية الإعجاز القرآني تتمثل فيما تتمثله عملية إعجاز اللفظ في الأسلوب القرآني، وكأنه أي ابن خلدون يميل لهذا الرأي حتى ينتصر لفكرة اللغة السائدة أو القوية ألا وهي لغة القرآن الكريم، ولهذا نراه يقول "إعلم أنّ صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعنى، وإنما المعاني تتبع لها، وهي أصل، فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر يحاول في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب، ليكثر استعماله

وجريه على لسانه، حتى تستقر له الملكة في لسان مضر، ويتخلّص من العجمة التي تربى عليها في جيله، ويفرض نفسه مثل وليد لينشأ في جيل العرب ويلقن لغته كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم" (٢٢)

يرينا ابن خلدون أثر البيئة في اقتباس اللغة وخلق العلاقة معها، فالإنسان الذي يعيش مع قوم تبزغ فيهم الفصاحة والبلاغة وملكة اللسان، هو غير الإنسان الذي يعيش منعزلاً أو مع أناس بسطاء في الثقافة والوعي، وكأنه يرمي إلى أثر التربية والتنشئة اللغوية التي كانت متبعة عند العرب سابقاً، عندما كانوا يرسلون أبناءهم للبوادي كي يقتبسوا البلاغة وفصاحة اللسان وقوامة البدن معاً، فعندما يتربى المرء في كنف قوم معنيين فإنه يصبح منهم في كل شيء.

ومن يتتبع ويسترسل مع نص ابن خلدون تجاه الأمر نفسه، يستيقن أنه يرتكز على روحية نصوص الجاحظ ولا يبتعد أبداً، وإنما يسير على خطاه، علماً أنه قد علم ما قاله الآخرون في هذه القضية، إلاّ أنه ينتصر لفكرة الجاحظ وينكر الأفكار الأخرى، وكأنه يأخذ هذه الأمور بمسلماتها لا يزيد عليها ولا ينقص، وهذا أمر فيه بعض من هنات، خاصة إذا كان التبع يملك قوة التفكير وصواب الرأي في مواطن كثيرة كما هو الحال مع ابن خلدون الذي يسدد سهم الجاحظ أحد شيوخ الاعتزال في وقته، وصاحب المدرسة الجاحظية، لكنه انتصر للقرآن ولغته وللعرب ولغتهم، وقد أفرد رسائل متعددة يرد فيها على الشعوبيين لأنه عايشهم وفهم مقاصدهم، وبما أن ابن خلدون يعيش ظروفاً أكثر صعوبة من ظروف الجاحظ، ويعاني أكثر مما كان يعانيه، وتتمثل المعاناة في تهاوي الممالك العربية في الأندلس وكثرة المتكالبين على العرب بكل مقوماتهم ومكوناتهم، ومن ثم بدأت حياة التقليد تظهر وتسيطر على كل شيء في الحياة وقيمها، لذا وقف ابن خلدون هذا الموقف، وكأنه يقول: بما أن الجاحظ قال بقوة الألفاظ وسيادتها ودافع عن القرآن ولغته وأمة القرآن، فإني أتبنى الموقف نفسه، لأني أؤيد الجاحظ فيما يذهب إليه لأني أدافع عن القرآن ولغة القرآن في زمن يعزّ فيه الدفاع عن لغة عربية صافية، لأن اللغات واللهجات بدأت تسيطر على الحياة وفنون الإبداع في زماني الذي يحتاج إلى من يدافع عنه فيقول: "وذلك أنّا قدّمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل، والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، وأما المعاني فهي في الضمائر وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها يشاء ويرضى فلا تحتاج إلى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه، وهو بمثابة القالب للمعاني" (٢٣).

مثل رأي ابن خلدون هذا لا يشي عن روحية العالم ولا عن عمق تفكير مؤصّل، وإنما نجده

رأياً عابراً لا قوة فيه، وبالذات أنه سُبق بآراء عميقة لنقاد ومفكرين يعتد بآرائهم، كما أنه لم يذهب بعيداً عن روحية الجاحظ مرة أخرى، واستكمال مقولته تؤكد ما نرنو إليه "فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء أحد في نفسه، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المعقد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه، والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" (٢٤).

التعليل الذي قدّمه ابن خلدون بين يدي القارئ لا يستوي إلى قامة صاحبه، (بل لا يتعدى ارتفاع أو سمك مشط قدم الإنسان)، لأن غرفات الماء من البحر لا تكون متساوية لأمور متعددة، منها ما يعلق مع الماء من عوالق البحر، ومن ثم لا يكون الماء واحداً، لأنك لا تستطيع أن تشرب من النهر مرتين كما قال أحد الفلاسفه الإغريق، فكيف إذا كان تعامل الإنسان مع البحر، الذي يعيش في حركة مستديمة، ألا وهي حركة المدّ والجزر، وهذه الحركة أكثر فاعلية من حركة النهر نفسه، ونضيف هل اللون فقط هو الخصيصة الوحيدة للمادة أو للشراب الذي يسكب في الإناء الزجاجي، أم أن الألوان تتغير بإضافة المواد إلى بعضها بعضاً، ونردف، أين مذاقات الشراب والأشياء التي تحتويها المشروبات؟!.

كل ذلك يدفعنا للقول: إن موقف ابن خلدون هذا ما هو إلاّ إظهار العارف بما يعرف، لكن هذا الإظهار أو التظهير جعل صاحبه مقصراً عن الآراء الأخرى، أو مكرراتها ولا ننكر لفظه تتبع التي أوردناها قبل ذلك، أو قد يكون ذلك من باب العلم بالشيء وإظهار حالة السعة والشمولية التي يبحث عنها أو يعيشها، وإن كان موسوعي الثقافة والإبداع، وبما أنه كذلك فلا نعتقد أنه سوف يصيب في كلّ ما يطرح من آراء وأقوال إصابة المجتهد المصيب في كل شيء، وهو مرة أخرى كما الجاحظ يحاول أن يتتبع أموراً كثيرة فهما متشابهان في سعة الإطلاع، والعمق الثقافي والاستطراد أحياناً، وإن كان ابن خلدون يمتاز في فهمه لعلوم بذاتها كما هو علم التاريخ مثلاً، والجاحظ من قبله يمتاز بروحية خاصة وعمق الصلة مع مواضيع معينة كما هو كتابه الحيوان الزاخر بالعلم والمعرفة، إلاّ أن الاثنين يمتازان بالسعة والشمولية والعمق المعرفي، لذا نجد موقفيهما متشابهين في قضية اللفظ والمعنى، انتصاراً للمبدأ والمنطق والعمق الفكري.

٢. النظم والنثر:

لم يكن ابن خلدون من أوائل المتحدثين عن تكوين اللسان العربي من النظم والنثر، وإنما سبقه إلى ذلك المتقدمون بدءاً من أبي حيان التوحيدي الذي حاول تجسيدها عبر لياليه المتتابعة التي ضمها كتابه الإمتاع والمؤانسة، علماً أنها ليست القضية الأولى التي يناقشها، وإنما كثيرة هي القضايا التي فعّلها وأعطى وجهة نظر تحترم فيها، فالنظم والنثر من القضايا التي أخذت أبعاداً نقدية وبلاغية متعددة عند المختصين في هذا الجانب، وإن كانت الفلسفة أخذت حيزها أيضاً لذا نجد أبا حيان التوحيدي يظهر الحجج والبراهين التي ساقها أصحاب الرأي والمشورة من نقاد وفلاسفة تتمثل في الآراء التي فضلت النثر على النظم أو الموازنة بينهما(٢٥).

إن روحية الفلسفة لا تنعدم عندما يتحدث التوحيدي عن هذه القضية، لأن أهل الفلسفة أول من فصل أو حاول الفصل بين المنظوم والمنثور، وقد حددوا خصوصية كل جنس وما يمايزه عن الآخر، فما يصلح للإقناع العقلي قد لا يصلح لإظهار العاطفة وتصوير الخيال، علماً أن منطلقات التوحيدي ومن تثقف بثقافته الفلسفية تجاه القضية ذاتها، تختلف حتماً عن نظرات المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة(٢٦).

فقد انطلق من ثقافة سائدة، إذ أدخل العمق العقدي والإرث الأخلاقي حينما انتصر للنثر، وقد أكد أن العرب انتصروا للخطابة حيث تعفف الملوك عن قول الشعر، واستند إلى حقيقة تفهم بالضدية وتتمثل في موقف الشعراء وجعلهم الشعر وسيلة للتكسب ورفع الناس أحياناً والحطُّ من قيمتهم أحياناً أخرى، بمعنى أنهم يرفعون الوضيع ويضعون صاحب المكانة إن شاءوا، ودعم رأيه بشاهد حي تمثل في عدم نزول القرآن منظوماً، بل منثوراً وفي هذا الرأي تكلف كثير كما نفهم، لأن القرآن كما هو معهود ليس نثراً كنثر البشر وليس شعراً أيضاً، فبما أن الله برأ النبي من الشاعرية وبرأ القرآن كذلك فمن باب القياس نجد القرآن مبرأ أيضاً من النثر الذي يحوكه الناثرون.

وأما ابن رشيق فلا نجده مبتعداً عن طروحات المرزوقي، فقد ظلّ يحوم في الدائرة ذاتها، ولكن دون أن يستطيع إظهار روحية الإقناع، عندما انتصر للشعر وفضله على النثر، علماً أنه لم يخرج من دائرة العقيدة والأخلاق، وأخذ يؤكد على موقفه مستنداً على مكانة الشعر عند العرب، ومتحدثاً عن عاداتهم وقيمهم مما يرينا نمطاً ثقافياً سائداً مغايراً للنمط الثقافي الذي نجده عند أبي حيان التوحيدي، ومن تسلح بنهجه للوصول إلى الهدف، فلا غرابة في ذلك ما دام يطمح كل من المرزوقي وابن رشيق في إسناد المكانة للفكرة التي يدافعان عنها، وإن

تناسى كلاهما خصوصية كلّ إنسان مبدع من أسلوب وثقافة ومراس قول إن كان شاعراً أم ناثراً، وهذا يحتمل السلبية أحياناً في حق الناقدين القديمين، إلا أنهما أدليا بدلويهما في غمار الموضوع، فما أقدم عليه كل من أبي حيان والمرزوقي وابن رشيق تجاه قضية المنظوم والمنثور لا نجد له مثيلاً في بلاد الأندلس، وهذا يعود للقصور النقدي الذي انتاب بلاد الأندلس حتى مجيء ابن خلدون، فمن يتتبع الدراسات المتتبعة للحركة النقدية عند العرب في الأندلس، يتيقن ضعف الحضور الأدبي حينذاك، فكما يقول شوقي ضيف " لا نبالغ إذا قلنا بأن شخصية الأندلس في الأدب العربي ليست من القوة كما ينبغي " (٢٧)، ويؤكد إحسان عباس على مقولة أستاذه ويجعل عوامل الضعف عائدة إلى عوامل واضحة دونها، وكان يخص عصر الطوائف والمرابطين فقال: " إن النقد الأندلسي لم يستقل بكيان واضح، شأنه في ذلك شأن النقد في العصر السابق –عصر سيادة قرطبة– وأن المسؤول عن ضعفه انحياز مؤرخي الأدب إلى جانب المقامة في إظهار براعتهم الأسلوبية، وتأثره بالقواعد الأخلاقية والدينية وثورته على الإلحاد والفلسفة واللفظة (غير الشعرية) ومايزال هذا النقد يدور حول تعليم الأحكام أو معالجة البيت الواحد بل اللفظة الواحدة " (٢٨).

مثل ذلك يعود إلى أسباب متعددة، قد لا يتسع المقام هنا للحديث عنها، وإن كان أهمها عملية التقليد المقصود لأهل المشرق في أنماط حياتهم المختلفة، وإن وجدنا بعض العلامات الفارقة في هذا التاريخ الممتد لأكثر من ثمانية قرون، وعندما نصل إلى القرن الثامن نجد الحياة الأدبية بلقعاً إلا فيما ندر، وهذا ما يؤكده ابن خلدون في تعريفه بابن خلدون عندما يحدّثنا عن " أحمد ابن شعيب الجزنائي كاتب أبي الحسن المريني حيث يقول: " وكان له شعر سيثق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين، وكانت له إمامة في نقد الشعر وبصربه " (٢٩)

وعلى الرغم من موقف ابن خلدون من شيوخه وإجلالهم، إلا أنه يؤكد أن الناس في زمانه يؤكدون حقيقة بالغة الأهمية ولها مغزى ثقافي هام فيقول: " وسمعنا من شيوخنا في مدارس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لأبن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها " (٣٠)

العبارة التي أكد عليها ابن خلدون مازال الناس يتداولونها في معاهدهم ومؤسساتهم الثقافية، وهذا مردّه إلى ذوق سائد وثقافة تحكي قصة حياة على الرغم من التفاوت في النظر إليها، بمعنى نجد ثقافة الشرق العربي تسيطرعلى الثقافة الأندلسية وتسيرها، وإلاّ أن المسألة لم تكن بالحدية المرسومة، بل نجد من حاد عن الثقافة المشرقية، وابتنى لنفسه مجداً أدبياً خالصاً،

أو مجداً إبداعياً يخالف القيم السائدة وإن شابه بعضها، فما مقدمة ابن خلدون وتاريخه على سبيل المثال لا الحصر إلا حالة مغايرة للنشأة الثقافية الأندلسية المغربية إلى جانب لسان الدين ابن الخطيب، صاحب الموسوعية الثقافية والعلمية التي حملت لنا جوانب مضيئة من حياة العرب في الأندلس، فهو مفكر ومتصوف وشاعر وطبيب وغير ذلك من الفنون الإبداعية الأخرى.

فعلى الرغم من قلّة الآراء النقدية في بلاد الأندلس، فإننا نجد من يسهم إسهاماً فاعلاً في تفعيل بعض القضايا والحديث عن قضايا أخرى، كما هو الحال عند ابن خلدون عندما تحدث عن النظم والنثر، فقد أماط اللثام عن شيء كان الناس بحاجة إليه، وهي حدّ تعريف الشعر والنثر والتفريق بينهما، وإن لم نجد تعريفاً مانعاً شافياً للشعر حتى يومنا هذا، إلا أن تعريف ابن خلدون له جعل الدارسين يأخذون به ويفعلونه أكثر من تعريفات الآخرين، فهو يؤكد أن لسان العرب، وفنهم يأتي على فنين كما يقول: "أعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفّى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام، فأما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم" (٣١).

القراءة المتأنية لرأي ابن خلدون في تعريفه للشعر والنثر نراه يؤكد على أهمية الوزن للتفريق بين الفنين، ولا نجده يكتفي بذلك كما القدماء، وإنما يؤكد على الأسلوب الذي يماهي به الإنسان وغيره، وقد يكون الأسلوب أكثر أهمية من الوزن بل لنقل إنه يوازيه، لأنه ليس كل كلام موزون شعراً، إذا لم تتدخل عناصر أخرى من الخيال والتصوير، ويزيد على ذلك ويقول: "وأعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك، وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا في الوزن" (٣٢).

بما أن ابن خلدون وضع رأياً واضحاً في عملية التفريق بين المنظوم والمنثور، نجده ينكر على المتأخرين من الكتاب والمترسلين الذي يخلطون بين الفنين المعنيين، إذ استعملوا أساليب

ومقومات الشعر الأسلوبية في الخطابات والمراسلات السلطانية، وهذا الخلط يضر في البناء الفني إذ أنّ البلاغة العربية تضمحل، وتصبح الأمور متداخلة في التوجهات، ويصبح الكلام ركيكاً سمجاً لا يليق بمقام السلطان، فما يليق بالعامة لا يليق بالسلطان بمعنى نجده يؤكد أن الشعر لا يليق بالمخاطبات السلطانية، وإنما النثر المسترسل دون تكلف هو ما يليق بالسلطان، فوجب أن ننزّه المخاطبات السلطانية عنه، فأساليب الشعر تنافيها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والإطناب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة إلى ذلك في الخطاب والتزام أيضاً من اللوذعة والتزيين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب، ينافي ذلك ويباينه والمحمود في الخطابات السلطانية الترسلٍ وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيع إلاّ في الأقل النادر وحيث ترسله الملكة إرسالاً من غير تكلف له، ثم إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال، فإن المقامات مختلفة، ولكل مقام أسلوب يخصه من إطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة وكناية واستعارة، وأما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فمذموم، وما حمل عليه أهل العصر إلا استيلاء العجمة على ألسنتهم(٣٣)

إن استخدام هذه الأساليب في المخاطبات السلطانية، لهو من أثر العجمة في القول والأداء، بمعنى نجد الضعف يسيطر على التراكيب والأساليب الأدبية من خلالها تتداخل الأساليب النثرية والشعرية، فيطغى الأسلوب الركيك، وتضعف الحجة والبراهين، وهذا لا يليق بحال من الأحوال بالمقامات السلطانية، لأن عدم إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال يشكل حالة من العجز في المرسل أولاً ويؤدي إلى تهتك في الملكة لدى المستقبل ثانياً، ومثل ذلك تمثل في كتابات أهل المشرق وشعرائهم فهم يجهدون أنفسهم لمجانسة المفردات حتى تلتقي مع مطابقة الحال، وإن كان ذلك على حساب البناء النحوي واللغوي السليمين " حتى أنهم ليخلّون من التجنيس ويدعون الإعراب ويفسدون بقية الكلمة عساها تصادف التجنيس " (٣٤)

لذا نجده يرفض تداخل الأساليب، بمعنى يريد أن يبقى أسلوب النثر خالصاً من تدخلات الأساليب الشعرية كما يريد كذلك نصاعة الأسلوب الشعري وابتعاده عن الأساليب الممجوجة، وهذا يشكل ثورة كبيرة في زمن تزدحم فيه التداخلات وتسيطر على الأدب حالات السجع والركاكة والسماجة في القول، فما تفشي البديع المصطنع إلاّ حالة راكدة في بنائية الإبداع الفني، فالمبالغة في طلب البديع يشكل امتداداً للصنعة والتصنع، بينما الاقتصاد في طلبه أي البديع يكون مجانساً للطبع والسجية على السواء.

فالكلام إما أن يكون مسجوعاً وإما أن يكون مطبوعاً، وهذا يخلق فارقاً كبيراً بين الأمرين، فعندما يخاطب الإنسان الناس بكلام مطبوع فإنه يصل إلى قلوبهم وعقولهم بيسر وسهولة، فما الخطاب في الحالات كلها إلا وسيلة يراد بها نقل أشياء محدودة، إن كانت فنية أو فكرية فليس الخطاب مقصوداً بحدّ ذاته، وإنما ما يحمله الخطاب من دلالات عميقة ومتعددة يشكل الحالة المطلوبة وهذا لا يعني عدم استخدام أيّ نوع من المحسنات البديعية واللفظية، وإنما يترك الأمر لمقدرة المنشىء فإذا استطاع أن يدخل بعض محسنات القول المرغوبة في نصّه فهذا لا يبطل النص مطلقاً، في حين إدخال المحسنات دون دواع يؤدي إلى تدهور بنائية النص وتهتك العلاقة بين المستقبل والنص معاً، فالإشارات البديعية الجمالية وبعض حالات التورية في المفردات قد تسهم في تفعيل دور النص، خاصة إذا اكتملت حالات التجانس بين الألفاظ والمعاني فتكون حالة اللذة الاستماعية بالجمال قد تحققت، وإن وجدناه يؤكد أن تلك المحسنات تبقى زائدة على الرغم من الجماليات التي أحدثتها في طبيعة النص.

وقد استند ابن خلدون في مواقفه من البديع وكثرته وقلته في النص على ثقافته الأدبية والفنية والمعرفية، فكأنه يعيد إلى الأذهان طبيعة الخطاب الأدبي وبنائيته إبان الدولة العربية الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي، إذ كان الذوق العربي في بنائية النص الأدبي مسيطراً حتى عند ذوي السلطان والإمامة في السياسة، وقد أورد مجموعة من الأبيات الشعرية التي تدلل على السليقة والذائقة واستند على النص القرآني لآيات متعددة كي ينقل طبيعة الخطاب عند الشعراء في عصر ما قبل الإسلام والعصور اللاحقة ومن ثم بيان طبيعة النص القرآني، وكأنه يقول: إن الشعر سليقة العرب فلا يجوز إدخال ما يثقله ويجعله ممجوجاً عند المتلقين، والقرآن الكريم كذلك نزل بلغة يفقهها العرب، وأساليب اعتادوا التعامل معها، فلم يكن النص القرآني ثقيلاً على العرب فلو كان القرآن قد نزل بلغة يصعب فهمها عبر أساليب صعبة المراس، لكانت العلاقة اللغوية هي المدخل للطعن في النص من قبل المشركين، إلاّ أنهم لم يطعنوا فيه من حيث البناء الأسلوبي وإنما من حيث الدلاله العقدية والروحية للآيات الحاملة لمثل تلك الأشياء لعدم إيمانهم بها، فعلى الرغم من موقف ابن خلدون من البديع واستخداماته، إلاّ أنه يؤكد أن الشعراء العباسيين قد استخدموه وتفاوتوا في استخداماته، فمثلاً ما قام به بشار بن برد في بعض نصوصه الشعرية لا يتساوى مع نصوص أبي تمام وابن المعتز خليفة يوم وليلة، ومن يتتبع ذلك في نصوصهم يجد الفارق الواضح في الاستخدام، لذا نجده يتمثل بأبيات شعرية لشعراء إسلاميين، حتى يدلل على صحة موقفه من الصنعة في القول والطبع أيضاً، وهذا تمثل في قول قيس بن ذريح صاحب لبنى من البحر الطويل:

وأخرجُ من بين البيوت لعلني   أحدث عنك النفس في السّر خاليا

ثم يردفه بقول كثير عزّة، وإن انتسبا للمدرسة العذرية ذاتها ومن الطويل أيضاً:

وإني وتهيامي بعزّة بعدما   تخليت عما بيننا وتخلّتِ

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما   تبوّأ منها للمقيل اضمحلتِ

الأبيات الشعرية والنص القرآني التي تمثل بها، ترينا موقفاً واضحاً لابن خلدون من البديع، فهو لا ينكره البتة، وإنما يريده معتدلاً، أي من استخدم المحسنات البديعية واللفظية عليه ألا يثقل نصه بها، وإنما عليه أن يدعها تأتي عفو الخاطر فتصبح للتلميح لا للتقبيح، لهذا الأمر نجده يعقب على تلك الأشعار بقوله: "فتأمل هذا المطبوع الفقيد في الصنعة في أحكام تأليفه وثقافة تركيبه، فلو جاءت فيه الصنعة من بعد هذا الأصل زادته حسناً" (٣٥)

كل ذلك يؤكد مدى حرص ابن خلدون على البناء الفني القريب من السليقة العربية، علماً أنه أفاد من سابقيه ونقل عنهم ودون شروط قال بها ابن رشيق القيرواني وغيره من النقاد القدماء، إذ يجب مراعاة بعض القيم عند استخدام البديع من قبل أصحاب الحوك الفني كما يسميهم ابن خلدون، فالذوق كما يعتقد يشكل عماد العلاقة مع البديع، ونجده يعوّل على الذوق والملكة كثيراً فيقول: "فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المغيرة لذلك على أساليب العرب وإنما مخاطبتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه، وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب، وإذا سمع تركيباً غير جار على ذلك المنحى مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر وبغير فكرة، إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان، ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعنية والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه، وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم، وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء، وهذا أمر وجداني خاص بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد مهم" (٣٦).

كلام ابن خلدون عن الذوق والملكة يستند إلى الدربة والمراس والوعي تجاه العمل المراد صنعه، وهذا ما يؤكده في كثير من أقواله، فالتذوق والدربة كما يرى تخلق إحساساً صادقاً

بالشيء ولا تجعل ذلك مدخلاً للعمل باللسان، وإنما تخلق همساً تذوقياً باللسان، ومثل هذا الموقف ليس غريباً على الذوق والبيئة العربيين، بمعنى نجد ابن خلدون قد أفاد من سابقيه، وبالذات الآمدي في كتابه الموازنة بين الطائيين، إذ انتصر للبحتري على أبي تمام، وإن تحدث أولاً عن أبي تمام وعرض آراءه فيه، ومن ثم جاء حديثه عن البحتري، إلاّ أنه في نهاية المطاف انتصر للبحتري لاقتدائه بعمود الشعر العربي(٣٧).

فانتصار الآمدي للبحتري يعني انتصاراً للسليقة والذوق العربيين، وهذا ما نراه يترسخ في ذهنية ابن خلدون ونفسيته، فهو مقلد إذا جاز التعبير أكثر منه مجدداً وبالذات فيما يخص التذوق والملكة والبناء الفني الأدبي بشكل عام، وكأن طبيعة الحياة بأنماطها المختلفة وانهيارات النظم السياسية للأسر العربية الحاكمة آنذاك واشتداد شوكة الأوروبيين ضد المسلمين، جعلته ينتصر للروح العربية في أشياء كثيرة، على رأسها الفن والإبداع وإن رفض فلسفاتهم في الحكم والغلبة على سبيل المثال لا الحصر(٣٨)، لذا نجده ينتصر للذوق ويحتكم إليه أكثر من انتصاره للعلوم المكتسبة في النقد، وهذا يؤدي إلى ضياع حالة الاحتكام وعدم الدقة في إصدار البناء الإبداعي أو النقدي، لأن الارتكاز على رؤية واحدة يبقى قاصراً، بينما الارتكاز في إصدار الأحكام على أكثر من ركيزة يعني الانبعاث الإيجابي والمقدرة على إصدار الأحكام ومصداقيتها.

وفي معرض حديثه عن التفريق بين النظم والنثر، نجده يعرّج على القرآن الكريم، ويقف وقفة المتيقن فيما يقول، وإن كان كلامه تجاه تعريف القرآن يشكل إعادة صياغة إذا جاز التعبير لآراء السابقين له أمثال الجرجاني والباقلاني وغيرهما، إلاّ أنه يضع رأياً صريحاً لما يقول: "وأما القرآن وإن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى، بعدها ويثني من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى: "الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم" وقال قد فصّلنا الآيات ويسمي آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعاً ولا التزام فيها ما يلتزم في السجع ولا هي أيضاً قواف، وأطلق اسم المثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بأم القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا، ولهذا سميت السبع المثاني" (٣٩).

رأي ابن خلدون هذا يؤكد أن القرآن ليس شعراً وليس نثراً أيضاً فهو أي القرآن لا تنطبق عليه تعريفات النثر ولا سماته ولا تعريفات الشعر ولا سماته، وإنما له تعريفاته ومسمياته التي تمايزه عن غيره من الإبداعات والفنون الإنسانية، ويضيف أن حفظ القرآن والتعامل مع نصه لا

يشكل ملكة أو ينمي الملكة إن وجدت كما هي الأشعار والمحفوظات منها ومن غيرها، وكأنه يغلق باب أي توجه يقول بإمكانية تفعيل الملكة وتنميتها عن طريق خلق العلاقة مع القرآن الكريم، فكما يقول: "إن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة، كما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله" وهذا يتعارض مع قول صريح آخر تجاه أثر القرآن في نفوس المسلمين إذ يؤكد على الملكة المتجددة والمتأثرة بالقرآن لدى الشعراء المسلمين فيقول: "إنّ كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية ومنظومهم، فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان وذي الرمة والأحوص وبشار، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدراً من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك، أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد، ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم، والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإيتان بمثليهما. . . "(٤٠)

ما جاء به ابن خلدون فيما يخص عدم أثر القرآن فيمن يبتغي تنمية الملكة والتذوق، ومن ثم نجده يؤكد على أهمية القرآن في خلق ملكة الشعراء الإسلاميين وتنميتها، وهذا مخالف لأبسط مكنونات الرأي السديد فلا صحة في مثل هذا الموقف، وهو يتعارض مع رأي يكرره ابن خلدون من أن شعراء الأمصار أقل بلاغة من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية والإسلام، في حين نجده يؤكد على شاعرية أهل الأمصار وعدم شاعرية شعراء مرحلة ما قبل الإسلام أو ما يسمى بالعصر الجاهلي، لأن ما جاء به الشعراء الجاهليون يشكل القاعدة الصلبة التي ينطلق منها الشعراء العرب فيما بعد تلك المرحلة، ونقول أيضاً من يتتبع الآراء النقدية في شعر حسان بن ثابت مثلاً يجد بوناً شاسعاً في آراء النقاد بمعنى نجدهم ينتصرون لشعره في حقبة الجاهلية، ويظهرون عيوب شعره وركاكة بعض قصائده في مرحلة إسلامه وتفاعله مع الإسلام، فما جاء به ابن خلدون من أحكام وآراء متناقضة مردها إلى حالة التنظير التي جاء بها خاصة فيما يختص الذوق والملكة، ولا نجدنا مغالين إذا قلنا: إن إصدار الأحكام على عواهنها يضرّ أكثر مما ينفع، فليس صائباً الرأي الذي يقول بأن الشعراء الإسلاميين أكثر شاعرية من الشعراء الجاهليين بسب القرآن وتعاملهم معه، وإن وجد بعض الشعراء الإسلاميين أكثر رقة وعذوبة من بعض الشعراء الجاهليين، وكذلك نجد أشعار بعض الجاهليين أكثر رقة ودماثه وعذوبة من بعض شعراء الإسلاميين، وإن كان السبب الفاعل في تفاوت الأشعار ليس الإسلام وإنما اختلاف البيئات والثقافات والرقي العقلي والفكري واتساع رقعة الثقافة،

وامتداد الأمصار وكثرة الحوافر ورقة العيش في أكناف المدن، كل ذلك أدى إلى ظهور رقة وعذوبة في التعبير الشعري إلى جانب أشعار معبأة بالفكر والمنطق وأثر علم الكلام والعقائد واضح وضوح الشمس في نهار يوم مشمس في بلد لا تغيب عنه الشمس، فالنظرة يجب أن تكون متدرجة لا تجعل الناس مقاماً واحداً أو طبقة واحدة تتأثر وتؤثر بالمعايير نفسها والمستوى نفسه، فكما أن مفردة الذوق فضفاضة نجد أحكامه المعتمدة على الذوق الذي أسهب في تمجيده فضفاضة هي الأخرى.

٣. قضية الشعر:

لم يكن النقاد العرب أول من ناقش قضية الشعر وأولياته ومعناه ومقوماته وإنما سبقوا إلى ذلك من قبل الفلاسفة الإغريق، وأحد الأدلة على ذلك كتاب الشعر لأرسطو الذي أول من نقله إلى العربية الفيلسوف العربي المسلم ابن رشد، وإن لم تكن ترجمته ناضجة بالمستوى الفني المطلوب في فنية الترجمة كما هي ترجمات المعاصرين لنا، ومثالها ترجمة عبد الرحمن بدوي على سبيل المثال لا الحصر، إلاّ أن أول من وضع تعريفاً للشعر من النقاد العرب القدماء هو الجاحظ صاحب الأسلوب المتمايز عن غيره في العمق والأداء، مما يرينا تعريفاً خاصاً للشعر ينمّ عن ذوق وتجربة في فهم الموضوع فقال: "فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" (٤١).

وكأن الجاحظ هنا يقرّ أن الشعر صناعة كما هي الصناعات الأخرى يحتاج إلى مهارة ودربة وذائقة كما هي حرفة النسيج التي تحتاج إلى مهارات متعددة، علماً أن الجاحظ لم يخرج عن المفهوم السائد عند العرب سابقاً من أن الشعر حرفة يتكسب بها كثير من الشعراء، وأن هناك طبقة تسمى طبقة عبيد الشعر ويترأسهم زهير بن أبي سلمى، لكن الجديد في فهم الجاحظ للشعر ما يرينا حالة التصوير التي يؤكد عليها وجنس من التصوير، ونظن أن مسألة التصوير هنا تعني التخيل أو المقدرة على التخيل والاستبصار، فكما استطاع الشاعر أن يتصور ما يجول في خاطره قبل كتابته فهذا يشكل دافعية إيجابية للتماثل والتوحد مع طبيعة الموضوع المبحوث عنه في ذاتية الشاعر وخلده، ثم نرى فيما بعد تعريف قدامة بن جعفر للشعر إلى أن يصل الأمر إلى ابن خلدون الذي لم يخرج هو الآخر في بداية تعريفه للشعر عن مقتنيات البيئة والثقافة العربيتين، وكأنه يفيد كثيراً من القدماء ولا يخرج عليهم بما جاء به من تعريف للشعر، وإن أضاف بعض اللمسات الخاصة به وفهمه فيقول: "الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في

عرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والأوصاف فصل عما يخلو من هذه، فإنه في الغالب ليس بشعر، وقولنا المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة، لأن الشعر لا تكون أبياته إلا كذلك، ولم يفصل به شيء وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به، فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة، فإنه حينئذ لا يكون شعراً إنما هو كلام منظوم لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور، وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً " (٤٢).

تعريف ابن خلدون يؤكد على أشياء جلّها استطرقها القدماء، إلا أنه يضيف رأيا خاصاً به ألا وهو "الجاري على أساليب العرب المخصوصة به" وكأنه يخرج الخارجين عن هذا التوصيف من طائلة الشعر العربي، بمعنى آخر كل شاعر لم يبن قصيدته على النسق العربي المعهود يعد شعره نظماً لا شاعرية فيه، وهذا موقف ليس سهلاً، والأخذ به يحتاج إلى احتراز كبير وتحفظ لا يستهان بهما، وهو أي ابن خلدون يخرج كثيراً من الشعراء المهمين في العربية من خانة الشعر إذا جاز التعبير على هذه الشاكلة، من ذلك نجده يخرج شعراء يعتد بهم كما في قوله " وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب عند من يرى أن الشعر لا يوجد لغيرهم " (٤٣).

ومثل ذلك يرينا مدى دقة تصوير الذوق السائد في بلاد المغرب والأندلس، فكما يقول إحسان عباس: " ولم يكن هذا نابعاً عن عداء للفلسفة، بمقدار ما كان ناجماً عن ذوق يتجه نحو الربط بين الشعر والسهولة المطلقة، وهو رأي ربما كان ترجمة مشوّهة لقصر الشعر على أمثال البحتري، وتسمية كل من المتنبي وأبي تمام " حكيماً " وهذا لا يدل على أن الذوق بعد حازم قد أصابه انحسار، وإنما يدل على أن وقفة حازم في النظر إلى المتنبي كانت خارجة عن الذوق العام في الأندلس والمغرب " (٤٤)، علماً أن القرطاجني قد غاير الذوق العام السائد آنذاك، واعتمد الفكر الفلسفي إلى حد بعيد في عملية فهم النص الشعري وبناء الرأي النقدي وتجسد ذلك عبر صفحات متعددة في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

وبما أن ابن خلدون يتبنى آراء مشايخه في فهم الشعر نجده يؤكد ذلك في نصه الخاص بالشعر، إلاّ أنه يخالف نفسه عندما يقرّ في كتابه التعريف بابن خلدون أنه حفظ أشعاراً للمتنبي وغيره من الشعراء الذين لا يعدونهم أصحاب شعر وإنما هم أهل نظم يميل إلى الفكر

أكثر منه إلى الشعر، وهذا ما قاله على لسان أستاذه إمام العربية في تونس أبو عبدالله محمد بن بحر حيثما أرشده كي يحفظ أشعاراً لشعراء مختلفين "وأشار عليّ بحفظ الشعر فحفظت كتاب الأشعار الستة، والحماسة للأعلم، وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي ومن أشعار كتاب الأغاني" (٤٥).

فما حفظه ابن خلدون يدلل على ذوق خاص، فعندنا حفظ أشعار أبي تمام وبعض أشعار المتنبي لتغذية موهبته وملكته لم يخرجهما من دائرة الشعر بل قال حفظت شعر حبيب في حين نجده يعارض نفسه ويتبع أهواء مشايخه ويقرّ أنهما أصحاب نظم لا شعر، وهذا رأي يحمل ما يحمل من جناية على الشعر والإبداع الشعري.

كما يؤكد على أن الشعر فن من الفنون المتبعة لدى الأمم كلها، وليست للعرب فيها ميزة من حيث كونه جنساً أدبياً، وإنما تكمن الميزة في طرائق البناء والتقسيمات المتفق عليها "هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم، ويوجد في سائر اللغات، إلاّ أنا الآن إنما نتكلم في الشعر الذي للعرب، فإن أمكن أن تجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودهم من كلامهم، وإلاّ فلكل لسان أحكام من البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى إذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير الذي تتفق فيه رويا وقافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت فيه بإفادته في تراكيبه حتى كان كلام وحدة مستقل عما قبله وما بعده وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك، ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود. . . . ويراعي فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه. . . . وإنما هي أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور، وقد حصروها في خمسة عشر بحراً، واعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم" (٤٦).

بعد قراءة ما أورده ابن خلدون تجاه الشعر، نجده يهتم بهذا الجنس الأدبي المسمى شعراً، ويرينا مكانته عند العرب ومدى اهتمامهم به، ومن ثم البناء الهندسي للقصيدة، فهي تتكون من مجموعة الأبيات وكل بيت له بناؤه الخاص، ويجب أن يتمتع باستقلالية تظهره أو تمايزه عن غيره من الأبيات، وهذا الأمر لم يخرج من خلالها عن نظرة القدماء عندما تكلموا عن وحدة البيت والتضمين أي إذا لم يكن البيت مكتملاً في معناه، فإن معناه يتضمن مع البيت الذي يليه، ومثل هذا مخالف للذوق العربي، ونجد ابن خلدون يتعهده ويتبناه، وبعد يرينا طريقة

عرض الموضوعات في القصيدة والانتقال من بيت إلى آخر، وهذا يسميه حسن التخلص، ثم نجده يتحدث عن الموسيقى، ويجب على الشاعر ألا يجعل الأبحر الشعرية تتداخل في القصيدة الواحدة، ومن ثم يجب عليه أن يتابع نمط البناء الخاص، أي عليه ألا يجعل الشعر يتداخل مع النثر، وبعدها يؤكد على العروض أو الموسيقى الخارجية للقصيدة العربية ويؤكد أن البناء الموسيقي للشعر العربي عرفه العرب عبر خمسة عشر بحراً عروضياً، وكأنه تناسى البحر المتدارك أو الخبب وهو البحر السادس عشر، الذي اكتشفه الأخفش من بعد الخليل أو تداركه من بعده، فسمي بذلك (المتدارك).

كل ما جاء به يشعرنا أنه يوصي من يريد كتابة الشعر أن يتعامل مع اللغة لا على أساس نحوي أو بياني أو إيقاعي فقط، وإنما عليه امتلاك أمره في ذهنه أو على الشاعر أن يجسد صورته الذهنية في خلده، ومن ثم يخطط كيف تكون الصورة بتكاملياتها فيقول في كيفية بناء القصيدة: "إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصاً كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإنّ لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوحد فيه على أنحاء مختلفة" (٤٧).

إن ما يقوله ابن خلدون هنا ليس من السهل فهمه أو تناوله بسهوله، وبالذات في جملته الضبابية إذا جاز التعبير (التراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص) فكما يقول أحد الباحثين في ضوء اعتقاد ابن خلدون بأن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني نقترح تفسيراً لكلام ابن خلدون يتلخص في أنه يفترض في الشاعر مسبقا، القدرة على استحضار حالة في ذهنه تمثل صورة أو خيالاً شعورياً، غير أن الشاعر ليس حراً في صوغ تفاصيلها، لأنه متقيد بتفاصيل محددة، ولكي يتسنى له ذلك فهو مطالب باستقراء ذلك الموروث الهائل من الشعر الجاهلي على وجه الخصوص، بغية تمثل التفاصيل الرئيسية للصورة التي يود التعبير عنها، ثم هو بعد ذلك ليس عليه إلاّ أن يختار الألفاظ المناسبة وفي هذه المرحلة فقط هو مطالب بمراعاة قوانين الإعراب والبيان(٤٨).

وبمعنى فيه شمولية كما نعتقد أنه من أراد أن يخاطب الطلل، فعليه أن يحصر المكان المطلوب ذكره؛ ثم عليه اتباع أحد طرائق القدماء فإما يقتدي بالنابغة الذبياني أو دعبل الخزاعي، أو امرئ القيس كل حسب الطلب المبحوث عنه وغير ذلك من النماذج شريطة ألاّ يبتعد الشاعر

عن منطلقات وتخيلات من سبقوه تجاه المكان، وكأنه يجعل من أي شاعر صاحب ذاكرة حية ممتلئة بالمنظوم الشائق، وكأنه يذكرنا بابن طباطبا العلوي في نظرته للذوق العربي في الشعر، إلا أن ابن خلدون لا يلغي الذاكرة الخاصة أو الذاتية للشاعر، وإنما يريد تفعيل المكتسب مع المتخيل حتى تخرج الصورة مكتملة الدلالات والفلسفات دون نقصان، فما يحفظه الإنسان من أشعار غيره، ضروري لانطلاقته وامتداد قامته، وبعدها على المكتسب من غيره، النهوض بذاته والبدء في نظم ما يعتمل في الذات من أشياء حتى تتضح الصورة، لذا نرى الخلوة مع الذات في مكان تستريح فيه النفس مسألة ضرورية، وبالذات في أوقات معينة من فصول السنة وأطراف الليل، ذلك يدفع حالة التحفيز لديه، فعليه اختبار القافية قبل بناء البيت وبعده القصيدة، ومن ثم تكون عملية البناء لأن تمييز ذلك يشكل مسألة معقدة وصعبة المراس، وإذا تم ذلك للإنسان عليه مراجعة ما حاك من أشعار بالنقد والتنقيح واستخدام الفصيح والتراكيب الفاعلة، واختيار الألفاظ غير القبيحة أو المستهجنة والحوشية، ومن ثم تجنب التعقيد في البناء كل ذلك يعطينا نسقاً عربياً خالصاً كما يرى ابن خلدون، الذي أفاد من سابقيه من النقاد وبالذات عندما يتكلم عن المطبوع والمصنوع من الشعر، وينتصر للمطبوع فيه، وذمّ التكلف والتصنع على الرغم من سيطرة الصنعة والتصنع والتكلف في زمانه، حتى كأنا نشعر وقد انعدم المطبوع من القول "ذلك لأن المطبوع قد فات زمنه، ولم يعد له وجود ولكن ابن خلدون كان ينظر إلى المشكلة نظرة تاريخية، ويحاول أن يفيد من كتاب العمدة، ويستوقفنا هنا حديثه عن لذّة الذهن في انتقاله بين درجات الدلالات في التركيب وهذه اللذة هي (الظفر) بالمدلول من دليله" (٤٩).

وعلى الرغم من إفادة ابن خلدون من سابقيه وبالذات أصحاب الرأي المنتصرين فيه للمطبوع، نجده أيضاً يفيد من أصحاب الفكر المغاير، أي أنه يفيد من النقاد الذين تأثروا بالفكر الفلسفي، كما أثرت الفلسفة في فكرهم، وهذا عكس فهمهم للنص الشعري كما هو الحال مع حازم القرطاجني فقد أفاد فهم حازم (للظفر) فكما يقول: "والظفر من أسباب اللذة كما علمت" المشابهة أو المتماثل مع رأي حازم جعل الناقد إحسان عباس ينظر في المسألة ويقول: "فهذا يذكرنا بحديث حازم عن الظفر، ولكن من الصعب أن يقال أن ابن خلدون اقتبس هذا من حازم، لأن حديث هذا الناقد عن الظفر إنما كان في حال الأفعال الإنسانية" (٥٠)، ونجده يلتقي بحازم أيضاً في نظرته إلى هوان الشعر على الناس، إلاّ أن تعليله يختلف مما جاء به حازم من تعليل، فما نشأ من نفور نحو الشعر، إنما يعود إلى الكذب والنفاق والاستجداء بالشعر وقد بدأ هذا الأمر منذ أبي تمام والمتنبي وابن هاني أي منذ زمن

ليس بالقريب، أي عندما أعمل الفكر في الشعر مما أدى إلى تغيير في الأساليب واختلاف في المذاقات، ويرى أن أهل الهمم والمناصب الكبيرة قد تغيرت مذاقاتهم في تلك الأزمنة فكما يقول "أنِفَ منه أهل الهمم والمراتب من المتأخرين وتغير الحال وأصبح تعاطيه هجنة في الرياسة ومذمة لأهل المناصب" (٥١) ويرى إحسان عباس أن رأي ابن خلدون هذا مغاير لما كان سائداً قبل ابن خلدون فيقول: "ولا ندري متى حدث ذلك فقبل ابن خلدون بأقلّ من قرن ألّف ابن الأبّار "الحلة السيراء" ليثبت أن أهل المراتب والمناصب الكبيرة كانوا يجدون في الشعر مجالاً للتعبير عّما تجيش به نفوسهم، إنّ هوان الشعر لانعدام القدرة على تذوقه كما قال حازم أدقّ من هذا الذي أورده ابن خلدون. " (٥٢) ومن يستقرئ هذه المواقف يجد أنّ ابن خلدون المنتصر للقدماء من العروبيين في نظراتهم للشعر إن جاء التعبير كما هو الحال مع ابن رشيق، يغايرهم هذه المرّة، ويميل إلى المرزوقي الذي ينتصر للنثر على الشعر، وهذا ماجسده المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة، فكما يقول أحد النقاد المستغربين من مواقف ابن خلدون المتناقض بعضها مع ذوقه وسلفيته التي أبرزها في كثير من المواقع عبر صفحات كتبه، "وعلى أية حال فلا ينبغي لاستغرابنا أن يطول، لأن ابن خلدون كان شاعراً مادحاً إلى جانب وظائفه الأخرى التي شغلها قبل أن يتفرغ لتأليف المقدمة وقبل أن يرتحل إلى مصر ليصبح قاضي قضاتها، وما من شك في أن ابن خلدون لم يعد بحاجة إلى بذل أشعاره طمعاً في نيل منصب وقد أصبح قاضي قضاة مصر لا بل ربما تمنى لو تناسى الآخرون أنه كان في يوم من الأيام شاعراً مادحاً" (٥٣)، فما جاء به الباحث حول موقف ابن خلدون من تكسب الآخرين بالشعر، نؤيده إلاّ أننا نردف ونقول: ليس كلّ صاحب منصب رفيع يتعفف عن التكسب، وإنما الأمر يتمثل في تنشئة الإنسان ووعيه والثقافي وقيمه العقدية قبل وبعد كلّ شيء، ومن يتابع رأي ابن حجر العسقلاني في ترجمته لابن خلدون نجد مفارقات واضحة تتمثل في نفي العلمية والمهارة عند ابن خلدون فيقول: "إن ابن الخطيب لم يوصف بعلم، وإنما ذكر له تصانيف في البلاد وشيئاً من نظمه ولم يكن بالماهر، وكان يبالغ في كتمانه مع أنه كان جيد النقد" (٥٤).

ما تقدم من رأي نجد أن صحته وغلطه متلازمان، فالصحة تتمثل في أن ابن خلدون ناقد جيد والغلطة تتمثل في نفي من كتب عن ترجمته صفة العلمية عنه والتأني في بناء الرأي، فمثل ذلك فيه بهتان على ابن خلدون، وقد تكون النزعة الذاتية والحسد من البواعث لخلق مثل هذا الرأي وكذلك الاختلاف في الرأي والتباعد في وجهات النظر لا يبتعدان عن الحسد والذاتية تجاه ذلك.

الموشحات والأزجال:

يحتل الشعر مكانة مرموقة من الظواهر الفنية والإبداعية الإنسانية، وقد تعدد التقسيمات للأنواع الشعرية لما للحالة الشعرية من أهمية بالغة في حياة الإنسان، لأن الفن يعبر عن الحياة بالصورة، مثلما يعبر العلم عنهما بالفكر، فالفكر والصورة يشكلان حالتان من الرحابة والعمق، فالفكر رحب في تعبيره، والفن عميق في تلك المسألة التعبيرية أيضاً "فالشعر إذن، وبما هو يعبر عن الواقع هو صورة لهذا الواقع وهو بالتالي علم بهذا الواقع ولا يعترض على ذلك بالقول: إن الشعر يعبر عن خلجات القلب وعن العاطفة المتأججة، وبذلك يكون بعيداً عن الواقع إذ أن الإنسان بكليته هو صنيعة الواقع، فالنفس تكتسب عناصر من الواقع والقلب يختلج عندما يثار من الخارج" (٥٥).

وبما أن الشعر يحتل تلك المكانة لذا نجد العرب وقد عرفوا منه ما كان قريباً لبيئاتهم، ووعيهم إلاّ أن الشعر الغنائي كان صاحب الحظوة من حَوْكِهم وبناء قصائدهم، وبعد أن تعمقت الحياة الثقافية في نفوس الناس وتجذرت الحضارة وتداخلت الثقافات والحضارات، نجد طرائق التعبير الشعورية تتسع دائرتها حتى تعددت مسببات النتاج الإبداعي من الشعر، وكثرت الأنماط البنائية أيضاً، فلم يعد الشعر صاحب مسمى واحد فقط وإنما نجد فنوناً شعرية بمسميات مختلفة تظهر للعيان، إذ كل منطقة تعطي منها مسمى خاصاً يليق به وبالقيم التذوقية تجاهه، وقد أكد على ذلك ابن خلدون حينما قال: "ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأعراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء، ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام، وربما هجموا على المقصود الأول كلامهم، وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون، فأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه ألحاناً بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية، ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبه إلى حوران من أطارف العراق والشام، وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم إلى هذا العهد ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم، يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء يخالف آخرها الثلاثة في رواية ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة شبيهاً بالمربع والمخمس الذي أحدثه المتأخرون من المولدين، ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول" (٥٦).

يسهب ابن خلدون في إيراد نماذج من الأشعار العامية، ويظهر مدى حرص أهل الأمصار على الإتيان بها والتفاعل معها، ويستنكر أيضاً على كثير من اللغويين ما يرونه هجيناً من خلال ما وضع من أشعار، فهي في نظرهم هجينة ومستقبحة لأنها ليست معربة، ويعود السبب إلى عدم مطابقة ألسنة اللغويين مع ألسنة شعراء أصحاب تلك الأشعار، لذا انعدمت حالة الذوق

لديهم، فابن خلدون لا يجد مزية في لهجة من اللهجات على غيرها، مادامت تؤدي الغرض الذي وضعت من أجله، وتأدية مقصوده والإبانة عما في نفسه، إذ لكل لهجة ما يميزها عن غيرها عند أهلها ومريديها.

والموشحات الأندلسية هي امتداد لحالة التطور التي طرأت على الشعر العربي، فهي لا تشكل حالة شاذة، وإنما هي نمطية تعبيرية من أنماط التعبير الشعري لدى العرب، فهي لم تظهر في الوجود إلا بعد أن تعددت مذاقات الحياة، واتسعت وسائل التعبير والإيضاح وتجسدت أنماط بنائية في الفن الشعري، تزاحم القصيدة العربية عند أهل المشرق "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سمّوه الموشَّح، ينظمونه أسماطاً أسماطاً، وأغصاناً أغصاناً، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالية فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، ويُسهبون فيها، ويمدحون كما يفعل في القصائد وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية، واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله، وقرب طريقه، وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس، مقدم بن معافر الفريري من شعراء أمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ ذلك عنه أبو عبدالله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذلك، وكسدت موشحاتهما، فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية" (٥٧).

ما تقدم يرينا أن الموشح ما هو إلاّ نتيجة حالة من التمدن انعكست على الأداء الشعري، نتيجة لامتداد رقعة الشعر وقيمه، وتهذيب مناحيه وفنونه، حتى تجسّد ذلك في عملية التنميق التي أحلت في الجسد الشعري العربي، وهذا لا يظهر إلاّ نتيجة لرقي الحياة وتطورها، فظهر ما يسمى بالموشح، الفن الذي يعبر عن نهضة تكاملية، إلاّ أنه لا يتماشى مع بناء القصيدة العربية، وإنما اتخذ الموشح شكلاً فنياً لم يعهده العرب قبل ذلك. فكان الذوق السائد آنذاك قد ضاق من نمطية القصيدة العربية شكلاً ومضموناً إذا جاز التعبير، فنهض بالفن المستحدث إلاّ أن هذا الفن لم تكن بنائيته سهلة أو مقلّدة لما هو موجود، وإنما نجده قد تحقق على وفق نظام هندسي مايزته عن شكل القصيدة العربية، وكذلك خروجه على النظام العروضي أو الموسيقى الخارجية للقصيدة العربية، علماً أن القصيدة العربية التزمت بخمسة عشر بحراً عروضياً عدا البحر المتدارك الذي استدركه الأخفش على الخليل، بينما نجد الموشح وقد أخذ تلك الأبحر العروضية الخليلية لكنه زاد عليها ليس في المسميات لبحور جديدة، وإنما في عملية توزيع

النغمات التي يقوم عليها الموشح الواحد، لأن بناءه يكفل ذلك التوجه الجديد، لأن ثمة أوزاناً مهملة في العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولم ينظم أحد من قبل شعراً على هذه الأوزان. وقد وجد المتأدبون في هذه الأوزان فرصة لهم يمتحنون قدرتهم على بناء الأشعار على غير ماشاع وألف من أوزان. (٥٨)

ولا نبتعد كثيراً إذا قلنا إن الموشح اقترن ظهوره بالتطور المنظم الذي حصل للغناء العربي، لأن الغناء لم يبق على حاله عند قدوم العرب إلى الأندلس، وإنما بدأت روحية التطور تنمو تدريجياً مع مرور الأيام، حتى غدا الغناء معلماً من معالم الأندلس البارزة، فقد تأثر بالمؤثرات كلها كما تأثرت نظم الحياة الأخرى، وذلك يجعل حالة التداخل قائمة بين التطور في الغناء والموسيقى والألحان وبين تطور نظم الحياة المختلفة وهذا ما جعل الأندلسيين يقدمون على بناء موشحاتهم دون عائق، فكما يقول إحسان عباس "أما أن الموشح كان يغنّى فذلك شيء لا يحتاج برهاناً، بل يعرف ببداهة النظر ومن عرف الموشحات (في شكلها البعيد عن الشعر المألوف) وجدها مما لا يصلح أن يقرأ للترنم مثلما أن الشعر الحديث المتفاوت في تفاعيله لا يصلح للإلقاء الخطابي وإنما يصلح للقراءة، بل لعلني أبعد أكثر من ذلك حين أذهب إلى أن الموشح لا يمكن أن يدرس منفصلاً عن القاعدة الموسيقية التي ألف على أساسها مثلما أن بعض أشعار عمر والأحوص والعرجي من الحجازيين لابدّ أن تدرس على ضوء الغناء المتقن الذي وضعت تطبيقاً لألحانه" (٥٩)

إن معرفة الألحان في الموشحات ليس سهلاً، لأنها بنيت بناءً غير بناء القصيدة العربية، وهذا ما أكده ابن سناء الملك حينما قال: "لا عروض له إلاّ التلحين وأن أكثر الموشحات مبني على تأليف الأرغن، وكذلك أن المغني عند الخروج من البيت (الغصن) أي القفل يحتاج إلى أن يغيّر شدّ الأوتار" (٦٠)، وكذلك إشارته إلى ما يزيد على الموشح لدى التلحين من ألفاظ صوتية لا معنى لها تتخذ ركازاً ليستقيم اللحن(٦١).

فإذا كان الموشح امتداداً للتطور الذي حدث على بناء القصيدة العربية شكلاً ومضموناً، وظهور فنون أخرى متعددة في أبنيتها وقيمها، ومادام الموشح قد اقترن بالغناء، والغناء يقترن بالموسيقى، إذ لا بد من خلق حالة المواءمة بين الأمور كلها خاصة إذا علمنا أن الموسيقى في الأندلس ما هي إلاّ امتداد للموسيقى العربية في بلاد المشرق، وقد نهض كثير من الموسيقيين بهذا العبء الكبير مما أدى إلى ازدهار الفن الموسيقي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتطور في نظم الحياة المختلفة، وبما أن الموشح لا عروض له إلاّ التلحين لذا نرى أحد الباحثين يردّ أصل الموسيقى الأندلسية إلى أصولها المشرقية فيقول "أما أصلها فلا جدال أنها موسيقى عربية أندلسية مغربية

صحيحة، ولدت على ضفاف دجلة والفرات ونمت هناك تحت تأثيرات مختلفة فارسية وروميه مكنتها من الأسس العلمية التي ترتكز عليها ونقلها إلى الأندلس زرياب الموسيقي البغدادي الشهير، وهناك تأثرت من جديد بمؤثرات مغربية بما كان من الاتصال الوثيق بين العدوتين، وقد حقق علماء تاريخ الموسيقى أنها لم تتأثر مطلقاً بالجانب الإسباني وقد انتقلت من ذلك الوقت إلى المغرب، كما انتقلت إلى تونس حيث تسمى (المألوف) وإلى الجزائر حيث تدعى (الغرناطي) كما أنها بالمغرب لم تركد في الأول بل نمت وزاد فيها المغاربة طبوعاً وميازين وأدخلوا في الميازين المعروفة صنائع جديدة، لذلك لا أعتبرها أندلسية محضة(٦٢).

ما طرأ على الحياة من نظم متطورة، أدى إلى انبعاث روح التجديد وتوجه الشعراء إلى نظم موشحاتهم بنهم واندفاعية فاعلين، وهذا يؤدي بشكل مواز إلى تحفيز الملحنين في وضع ألحان جديدة ومبتكرة تعبر عن مكنوناتهم وانفعالاتهم وطموحاتهم أيضاً، حتى يجسدوا ما وصلوا إليه من منطلقات وتوجهات يعتقدون بها ويدافعون عنها، إن كانت وجدانية أو عقدية، لأن أغراض الموشح لم تختلف ولم تبتعد كثيراً عن أغراض القصيدة العربية، وكذلك غناء الموشحات لم ينسلخ عن ظاهرة الغناء الممتدة من عصر ما قبل الإسلام حتى العصر الأندلسي ومتنامياته، علماً أن الموشحات والأزجال لقيتا رواجاً لدى الدارسين والمتذوقين على حد سواء، وهذا جعل كتب الأدب تحمل في ثناياها آراء الباحثين والنقاد، إلاّ أن ما جاء به ابن خلدون في مقدمته بخصوص الموشحات والأزجال، ثبت ثبوتاً قطعياً أنه منقول من كتاب "المقتطف من أزاهر الطرف" (٦٣)للشاعر والأديب ابن سعيد المغربي. وإن كان الناس يتدارسون أقوال ابن خلدون من المسلمات وهذا يعرفه كل من له علاقة بالأدب العربي عامة والأدب الأندلسي خاصة وبالذات فيما يخص الموشحات وما يتعلق بها من قريب أو بعيد، والذي كشف عن هذه المسألة التاريخية الباحث الأستاذ الدكتور "عبدالعزيز الأهواني" عندما عثر على كتاب المقتطف، إذ لفت نظره الفصل الثاني عشر من المخطوط نفسه الواقع تحت عنوان "المخملية الثانية عشر المشتملة على ملح الموشحات والأزجال" فوجده يحمل المعلومات نفسها التي دوّنها ابن خلدون في مقدمته في فصل الموشحات والأزجال، ووجد أن ابن خلدون لم يزود ولم ينقص في المعلومات الواردة في المقتطف، بمعنى قد يكون قد سلخ أو نسخ الفصل كاملاً دون تدخل يذكر، وقد أثبت الأهواني ذلك بمقال نشرته مجلة الأندلس، وهي مجلة ناطقة باللغة الإسبانية، وكان ذلك عام "١٩٤٨" "إلاّ أنّ هذه المقالة لم تف بالغرض، ربما لأنها نشرت بلغة أجنبية، فلم تتح لمعظم الدارسين العرب فرصة الاستفادة منها" (٦٤).

لم يغب كشف الأهواني كثيراً إذ أعلن ذلك عام ١٩٦٢م، في مؤتمر ابن خلدون بالقاهرة،

فقد لقي الإعلان رواجاً وصدى كبيرين، عندما قدّم الأهواني بحثا للمؤتمر تحت عنوان "ابن خلدون وتاريخ فني التوشيح والزجل" إذ يظهر الفصل الثاني عشر من كتاب المقتطف، ويؤكد على ما ذهب إليه، من أن ابن خلدون أخذ ما أورد في موضوع الموشحات عن ابن سعيد المغربي، وعندما طبع كتاب المقتطف عام ١٩٨٣م، قدّم له دكتور سيد حنفي وأكد أن عنوان البحث الذي تقدّم به الدكتور الأهواني هو "ابن خلدون والأدب" والصحيح أنّ هذا هو عنوان المحور الذي عالج في إطاره الأهواني علاقة ابن خلدون بتاريخ فني التوشيح والزجل(٦٥)، وقد سجل أهم الملاحظات التي جاء بها الأهواني وسندون بعضاً منها:

١. كان بين يدي ابن خلدون وهو يكتب (فصله) عن الموشحات والأزجال في مقدمته، كتاب ابن سعيد "المقتطف من أزاهر الطرف" ينقل عنه نقلاً حرفياً دون تصرف أو تغيير.

٢. إن المقارنة بين نصي ابن خلدون وابن سعيد تدلّ على أن ابن خلدون قد أسقط (الحجاري) الذي استقى منه ابن سعيد أخباره، تلك الأخبار التي أوردها الحجاري في كتابه (المسهب في غرائب المغرب) كما تدل أن ابن خلدون قد أسقط ابن سعيد من أول الفصل ولم يشر إلى كتابه المقتطف الذي نقل عنه، وأنه ذكر ابن سعيد عدة مرات، فإن ذكره له يوهم القارئ أن ابن خلدون ينقل عن ابن سعيد أخباراً وينقل عن غيره ما سبق تلك الأخبار على حين أن الكلام كله من المقتطف سواء في ذلك ما جاء في نص ابن خلدون بعد قوله (قال ابن سعيد) أو ما جاء قبل هذه العبارة.

٣. إنّ في نص ابن خلدون بعض سطور تزيد على ما بين أيدينا من نسخة المقتطف ولكن مراجعة هذه الزيادات اليسيرة يقطع بأن بعضها كان في أصل المقتطف وسقط من ناسخ المخطوط لأن ابن خلدون نفسه في إحدى هذه الزيادات قد أشار إلى ابن سعيد، أما بعضهم الآخر سقط من هذه الزيادات فيرجح الدكتور الأهواني أنه أيضاً كان في الكتاب ثم سقط من النسخة التي وصلت إلينا، لأنه يتفق مع سياق نص ابن سعيد(٦٦)، إن ما أورده الأهواني وأثبته سيد حنفي حسنين لم يذكره محققو مقدمة ابن خلدون ودارسوها، وبالذات الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي حقق المقدمة تحقيقاً علمياً وافياً، وطبع الكتاب أكثر من مرّة، إلا أنه لم يذكر شيئاً عما أخذه ابن خلدون، علماً أن البحث قد نشر عام ١٩٤٨م وأعيد نشر خبره عام ١٩٦٢م، في حين نجد الدكتور الوافي يحيل في مقدمته لبحوث ودراسات قدّمها عام ١٩٧٦م، في حين نجد سنين طويلة بين بحوثه وبحوث الدكتور الأهواني حول (فني التوشيح والزجل) عند ابن خلدون(٦٧)، وكذلك نجد هذا الإغفال لدى شوقي ضيف في كتابه الفن ومذاهبه في الشعر العربي علماً أن الكتاب قد ظهر في طبعته التاسعة، وقد

أفاد في حديثه عن الغناء الأندلسي والموشحات والأزجال من مقدمة ابن خلدون وإن كان الكتاب يتداول بين الناس منذ عقد الخمسينيات من القرن العشرين[٦٨].

بينما نجد من يشير إلى هذه المسألة كما فعل د. إحسان عباس في كتابه "تاريخ الأدب الأندلسي" فيقول: "كتب ابن خلدون في مقدمته فصلاً عن الموشحات نقل فيه ما قاله ابن سعيد في المقتطف، ويعود تاريخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى عام ١٩٦٢ "(٦٩). وكذلك أشار الدكتور محمد زكريا عناني في الموشحات الأندلسية، إلى اتكاء ابن خلدون على ابن سعيد المغربي.

على الرغم مما قيل ولم يقل في حق ابن خلدون وابن سعيد المغربي، ولمن الأحقية في نسبة ما كتب عن الموشحات والأزجال، نقول: إن مثل ذلك لا يضير ابن خلدون شيئاً، لأنه ليس لدى أي باحث ما يدلل على أن ابن خلدون سلخ الفصل الثاني عشر من كتاب "المقتطف" عامداً متعمداً في عدم ذكر صاحبه ابن سعيد، لأن نسخ المقدمة لم تصلنا بخط ابن خلدون حتى نتأكد من ذلك، وإنما وصلت عبر خطوط الناسخين، وقد يكون وقع ذلك من باب السهو أو من باب القصدية لأحد الناسخين، إلا أننا نرجح الأمر من باب السهو أو التصحيف أو سقوط بعض الكلمات أو الأسطر التي تدلل على نسبة تلك الأسطر عن الموشحات والأزجال لابن سعيد في كتابه المقتطف، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى نقول: "هل بضع صفحات في كتاب يضمّ مئات الصفحات (المقدمة) تناقش موضوعات فكرية وسياسية وثقافية وأدبية ونقدية ترفع من مستوى رجل بقامة ابن خلدون أو تنزل من مكانته الفكرية؟ نقول: لا، لأن ما أبدعه ابن خلدون في مجالات الإبداع كافة، تنفي عنه أنانية البحث والسرقات كما عند بعض ضعاف النفوس، وأعيد وأكرر أن ذلك قد يعود لأسباب النسخ أو التصحيف أو القصدية الضدية من قبل بعض الناسخين، وعلى الرغم من الإقرار من أن ما أورده ابن خلدون عن الموشحات يعود لابن سعيد المغربي إلا أن بعض الباحثين يؤكد على ما تفضل به ابن خلدون في المقدمة، من أنه وضع فصلاً " ذا قيمة تضطر الباحثين للرجوع إليه والاعتماد عليه، لأنه تعرّض فيه لفنون الشعر العامي في عصره هو، وتوسع فيما نقل من نصوص عن المغرب، وسيظل له مع ذلك الإطار العقلي الذي وضع فيه العقل كله، شاهداً على امتيازه وتفوقه وحسن إدراكه" (٧٠)، وميزته في البحث والاستبصار في عمق الأشياء التي يوردها ويبحث عنها، لذا ما أورده الأهواني إظهار للحقيقة ليس تجريحاً أو منقصة في شخصية ابن خلدون، وإنما من باب الانتصار للحقيقة، وإنصافاً لابن سعيد المغربي، وهذه فضيلة من فضائل البحث العلمي المستنير غير المتجني على أحد، وهذا ما أكده الأهواني في نفسه، حينما علل أهمية نشر الفصل المعني بالموشحات والأزجال فقال:

"لم ننشره لتجريح ابن خلدون بقدر ما نشرناه لإنصاف ابن سعيد" (٧١).

وما موقف الأهواني إلاّ إظهار لخلق عميق متأصل في نفسه، وتجسيد لأدبه الإنساني الذي غاير فيه موقف الباحث المتشفي "وهذا في رأينا قول سديد لأنه يحول دون تورط الباحثين المحدثين فيما تورط فيه بعض نقادنا القدامى حين استنفذوا جهوداً كبيرة في تعقب سرقات الشعراء بوجه خاص، ولأن هاجس الباحث الحقيقي ينبغي أن يكون هاجساً علمياً بحتاً لا هاجساً أخلاقياً، بحيث يتعامل مع واقعة نقل ابن خلدون عن ابن سعيد على أنها واقعة تبرز لنا مصدراً جديداً من مصادر ثقافة ابن خلدون وليس على أنها واقعة سرقة، خاصة وأن في إثبات ابن خلدون لأسماء الكثير ممن نقل عنهم أو أفاد من جهودهم ما يجعلنا نحسن الظّن به، ويدفعنا إلى التعامل مع أي كشف عن نقول جديدة على أنها تعزيز لمعرفتنا بمصادر ثقافته" (٧٢)وخصائص مجتمعه ومحيطه.

ونضيف على ما سبق ونقول: لو تتبعنا نشاط القدماء في كتبهم المتنوعة، وخرّجنا ما لهم وما أخذوه عن غيرهم، لوجدنا أشياء كثيرة لأناس لا نعرفهم، بينما نعرف أنها لأصحاب تلك المؤلفات، كما هو البيان والتبين، والعقد الفريد، والعمدة لابن رشيق القيرواني، ومن يستقرئ قول ابن رشيق في مقدمة كتابه العمدة، يستيقن صحة ما نصبو إليه، حيث قال واصفاً نهجه في تأليف كتابه العمدة "وعولت في أكثره على قريحة نفسي، ونتيجة خاطري، خوف التكرار ورجاء الاختصار، إلاّ ما تعلق بالخبر، وضبطه الرواية، فإنه لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه ولا معناه، ليؤتى بالأمر على وجهه، فكل مالم أسنده إلى رجل معروف باسمه، ولا أحلت فيه على كتاب بعينه، فهو من ذلك، إلا أن يكون متداولاً بين العلماء لا يختص به واحد منهم دون الآخر، وربما جعلته أحد العرب، وبعض أهل الأدب تستراً بينهم، ووقوعاً دونهم، بعد أن اقترنت كل شكل بشكله ورددت كل فرع إلى أصله، ويثبت الناشر المبتدئ وجه الصواب فيه، وكشف عنه لبس الارتياب به، حتى أعرف باطله من حقه، وأميز كذبه من صدقه" (٧٣).

ما جاء به ابن رشيق يدلل على سيادة ثقافة معينة عند القدماء، ينتهجونها في بحثهم وتأليفهم، لذا ما تلمسه عند ابن خلدون ما هو إلاّ امتداد لثقافة سائدة، وطريقة متبعة، فمن أيقن تلك الطريقة وفهمها لا يشك لا من قريب أو بعيد في طريقة ابن خلدون في التأليف والأخذ والعرض والتفسير.

ويؤكد ابن خلدون في مقدمته أن فن التوشيح لم يكن حكراً على وشّاح بعينه، وإنما عرّفنا على أسماء متعددة واختار مطالع موشحات مشهورة، ومن ثم سرد نصوص موشحات لها قيمة السبق والفن معاً "وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن

الطوائف، وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس بإشبيلية، وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتأنق فيها، فتقدّم الأعمى الطليطلي بالإنشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله " ضاحك عن جمان " صرف ابن بقي موشحته وتتبعه الباقون، وذكر الأعلم البطليوسي أنه سمع ابن زهير يقول ما حدث قط وشاحاً على قول إلاّ ابن بقي حين وقع له " أما ترى أحمد " (٧٤) فما ذكره لهذه الأسماء إلا دليل على وعيه وسعة اطلاعه في الموضوع المبحوث فيه، وما اختياره للنماذج التوشيحية إذا جاز التعبير التي دونها في مقدمته إلا دليل على ذوق رفيع ومقدرة في الاختيار أيضاً، وكذلك يرينا الذوق السائد تجاه النص الأدبي بعامّة والنص الشعري والموشحات بخاصّة.

وبما أنّ فن التوشيح ظهر وازدهر وانتعش في بلاد الأندلس نتيجة لعوامل متعددة، منها بيئية ومنها ثقافية واجتماعية، لذا ظهر فن آخر لدى العامة من الناس في الأمصار الأخرى، ألا وهو فن الزجل، وهذا ما أكده ابن خلدون قائلاً " ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيها إعراباً، واستحدثوه فناً سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناصبهم إلى هذا العقد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة، وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها، واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وكان لعهد الملثمين وهو إمام الزجالين على الإطلاق، قال ابن سعيد ورأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب، قال وسمعت أبا الحسن بن جحدر الأشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة " (٧٥).

ونجد ابن خلدون يعدد أسماء الزجالين، بعد تأكيده على انتشار هذا الفن في العراق أكثر منه في بلاد المغرب العربي كما يروي عن ابن سعيد " قال ابن سعيد ورأيت أزجاله مروية ببغداد " لذا نجده يعرّفنا بابن قزمان وابن جحدر وأبي الحسن سهر بن مالك والوزير عبد الله بن الخطيب، ومحمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش، وأبو عبدالله الآلوسي، وغيرهم، وقد أسهب في إيراد نماذج من الأزجال التي تتعدد فيها المذاقات والألوان التعبيرية، مما جعل بعض أهل الأمصار يتجهون لاستحداث فن جديد وقد أسموه عروض البلد " ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً وسموه عروض البلد وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف

بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح، ولم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب مطلعها : أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام " (٧٦).

ومن يتتبع يجد أن ذوق الناس لم يتحدد أو يتقولب على وفق نمطية واحدة، بمعنى لم يكتف الناس بالموشحات والأزجال وعروض البلد، بل استحدثوا أيضاً فنوناً متنوعة لها قيمها وثقافتها مما دفع ابن خلدون أن يدون ما وصله من تلك الفنون الشعبية ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الأعراب. " . . . . واستفاض بأطراف البلد والجسم صار في الرماد، فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته، وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم، وكثر استعماله بينهم، واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافاً إلى المزدوج والكاري والملعبة والغزل، واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها، وأما أهل تونس فاستحدثوا في الملعبة أيضاً على لغتهم الحضرية، إلاّ أن أكثره رديء، وكان لعامة بغداد أيضاً فن من فنون الشعر يسمونه المواليا وتحته فنون كثيرة يسمون منها القوما وكان منه مفرد ومنه بيتين، ويسمونه دوبيت، على الاختلافات المعتبرة عندهم في كل واحد منها، وغالباً مزدوجة من أربعة أغصان وتبعهم أهل مصر القاهرة، وأتوا فيها بالغرائب، وتبحروا فيها في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية، فجاؤوا بالعجائب " (٧٧).

وقد ورد في المستطرف " أن الأبشيهي قد أخرج الموشحات من الشعر وجعلها فناً قائماً بذاته فقال : والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي : الشعر القريض، الموشح والدوبيت والمواليا، والكان كان، والقوما، ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف " (٧٨).

إن اتفاق القدامى على الفنون المتعددة المستطرقة، يرينا مدى حرص كل أديب باحث منهم على ايصال الحقيقة كما عاشها أو عايشها، ولم ينفوا وجود مثل تلك الفنون خوفاً على الشعر الفصيح، وإنما عدّوها مصدراً ثقافياً مدعماً ومعززاً للفكر والوعي آنذاك ولم يبتعد المتحدثون عن القدماء في هذا التوجه، إذ أكد بعضهم أن الأشعار العامية لها أوزانها العروضية بعضها يشبه أوزان الشعر الفصيح والأخرى لا مثيل لها في الأوزان المعهودة "والشعر العامي أوزان بعضها يشبه أوزان الشعر الفصيح وبعضها لا مثيل لها في الأوزان المعروفة في هذا الشعر، فأوزان الشعر العامي الموجودة في الشعر الفصيح ثلاثة، الرجز والوافر والسريع " (٧٩).

لذا نقول : إن ما جاء به أصحاب الفن الإبداعي من إبداعات متغيرة ومتباعدة عن الشعر وبنائه لهو من سنن الحياة وتطورها.

الخاتـمة:

المذاهب تؤثّر في أصحابها ومريديها، كما أن البيئات تؤثر فيمن يعيشون فيها، ومن خلال ذلك وبعد قراءة متأنية في القضايا الأدبية التي ناقشها ابن خلدون واثرنا الحديث عنها، استطعنا أن نستجمع أفكاراً تجاه تلك القضايا ندون عصارتها:

١. ابن خلدون من المفكرين المبدعين الذين عاشوا وعايشوا أحداثا متناقضة وبيئات متصارعة، وأفكارا تطارد أفكاراً وسياسات تهاجم غيرها، ورأى منابع العروبة تهشم من جديد على أيدي أبنائها وأعدائها، إن كان ذلك مقصوداً أو عفوياً من قبل الأبناء المنخرطين في عملية تفكك القيم وصراع الثقافات.

٢. تنقل ابن خلدون في بيئات متعددة، واطلع على آداب حقب طويلة وتأثر بالنظم الفكرية والعقائدية المتعددة التي كانت سائدة آنذاك.

٣. تأثر بأصحاب العقائد وعلماء الكلام وأصحاب الفلسفات، وتولى مناصب سياسية وقضائية مرموقة وكان يلقى احتراماً من قبل المعنيين في ذلك.

٤. تحدث في موضوعات متعددة منها فكرية وثقافية وسياسية وأدبية وكان له رأي واضح في كل ما تحدث أو عن كل ما نقل عن الآخرين.

٥. ابن خلدون صاحب شخصيتين، شخصية المقلد في رأيه وبالذات فيما يخص الأدب العربي والثقافة العربية، فنراه يحذو حذو القدماء في آرائهم، وكأنه بذلك ينتصر للعرب على أعدائهم متأثراً بالمذهب الظاهري الذي يقول "العودة إلى الأصل. . العودة إلى الينبوع" مما يرينا شخصاً مقلداً في رأيه، أو رامياً لسهام الآخرين، انتصاراً لفكرته كما هو الحال مع قضية اللفظ والمعنى، في حين نجده مقلداً مجدداً في نظرته للشعر والنثر بينما نجده مجدداً عندنا يتحدث عن الموشحات والفنون الإبداعية الأخرى دون تحفظ.

٦. عندما يتحدث عن الأدب والثقافة نجده عربياً خالصاً في الذوق والنوايا، وعندما يتحدث عن السياسة وفلسفة الحكم نجده يعيب على العرب، ويقرّ أنهم لا يصلحون لنظام حكم وهذا ـ كما نشعر ـ من أثر الانهزامات والانقسامات التي كانت سائدة في عصره، وهذا يؤكد أنه لم يكن لغيره، وإنما نجده صاحب آراء خلاّقة وجهود بناءة.

٧. استطاع أن يميز بين النظم والنثر وبينهما وبين القرآن الكريم، لذا جعله فناً خالصاً لا يشبهه فن الشعر والنثر.

٨. كان صاحب رأي واضح حتى في تلك التي تنسب لغيره كما هو موقفه من الموشحات والأزجال، والفنون الشعبية الأخرى، وهذا يؤكد على صحة موقفه وسعة أفقه وامتلاكه لثقافة مؤسس لها، بمعنى نجده يلتفت لحياة الآداب الشعبية كما يلتفت للفنون المتعارف عليها الأخرى، والمعني هنا (النظم والنثر).

الهوامـش:

١- عبدالرحمن بن خلدون، التعريف بإبن خلدون ورحلاته غرباً وشرقاً، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، مطبعة معتوق أخوان، بيروت، د.ت. ص٣-٤
٢- المصدر نفسه ص٥
٣- المصدر نفسه ص٩-١٢
٤- المصدر نفسه ص ١٣-١٧
٥- المصدر نفسه ص ١٧-١٩
٦- المصدر نفسه ص ٢٠
٧- المصدر نفسه ص٥٧
٨- المصدر نفسه ص ٦٩
٩- المصدر نفسه ص ٨٨
١٠- المصدر نفسه ص ٢٣٤ وما بعدها
١١- المصدر نفسه صفحات متعددة ٢٥٢-٢٦٢-٢٦٣
١٢- السخاوي- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، ج٤، القاهرة ، ١٣٥٤هـ، ص ١٤٥-١٤٩
١٣- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٧٩
١٤- الجاحظ، البيان والتبين، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٤٩، ص٧٩
١٥- الجاحظ، الحيوان، ج٣، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ١٩٦٩، ص٤٢
١٦- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢، ص١٢٧
١٧- الشيخ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٣م، ص ٣١٦
١٨- الشيخ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعارف، استنبول، ١٩٥٤، ص٣
١٩- الشيخ عبدالقاهر الجرحاني، دلائل الأعجاز تعليق وشرح: محمد عبدالمنعم خفاجي، ط١، مكتبة القاهرة، مصر ١٩٦٩م، ص ٩٣-٩٧
٢٠- كتاب التوحيد (ص١١) نقلاً عن النظرية النقدية عند العرب، هند حسين طه، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٨٣) الجمهورية العراقية، ١٩٨١ ص١٧٥
٢١- بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة ١٩٦٩، ص ٢٩٦
- ٢٢ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار إبن خلدون، الإسكندرية، مصر، د،ت، ص٤٢٥
- ٢٣ مقدمة ابن خلدون، ص٤٢٥
٢٤- المصدر نفسه ص٤٢٥
٢٥- أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرحه أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، لبنان، د،ت (الليلة الخامسة والعشرون) ج٢ ص١٣٠-١٤٧
٢٦- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج١، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥١، ص١٦-١٨

٢٧- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٩، دار المعارف بمصر، د،ت، ص٤١٢
٢٨- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط٥.دار الثقافة، بيروت ١٩٧٨، ص١٠٦
٢٩- ابن خلدون، التعريف بإبن خلدون، ص٤٩
٣٠- مقدمة ابن خلدون، ص ٤٢٦
٣١- مقدمة ابن خلدون، ص٤١٧
٣٢- المصدر نفسه ص ٤١٧-٤١٨
٣٣- مقدمة ابن خلدون، ص٤١٨
٣٤- مقدمة ابن خلدون ص٤١٨
٣٥- مقدمة ابن خلدون ص٤٢٠
٣٦- مقدمة ابن خلدون، ص٤١٤
٣٧- الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج١، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١
٣٨- المقدمة ص١٠٦-١٠٧ وغيرهما من الصفحات
٣٩- مقدمة ابن خلدون، ص٤١٧
٤٠- المصدر نفسه ص٤٢٠
٤١- الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٤٢
٤٢- مقدمة ابن خلدون، ص٤٢٢
٤٣- المصدر نفسه، ص٤٢٢
٤٤- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٣م، ص٦٢٦
٤٥- التعريف بابن خلدون، ص١٩
٤٦- مقدمة ابن خلدون، ص٤١٩
٤٧- مقدمة ابن خلدون، ص٤٢٠
٤٨- غسان اسماعيل عبدالخالق، مفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني، منشورات رابطة الكتاب الاردنيين بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٩٣-١٩٤
٤٩- احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٦٣٥
٥٠- المصدر نفسه، ص ٦٣٦
٥١- مقدمة ابن خلدون، ص ٤٢١
٥٢- إحسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب، ص٦٣٦
٥٣- مفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني، ص٢٠١
٥٤- نقلاً عن: مفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني، ص٢٠١

٥٥- مصباح العاملي، ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليوناني باكتشافه حقائق الفلسفة، ط١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مركز التوثيق الجماهيري، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٨، ص١١٢
٥٦- مقدمة ابن خلدون، ص٤٢٨-٤٢٩
٥٧- مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٦
٥٨ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، ط٥، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٤٤
٥٩- سليم الحلو، الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها، قدم له د. إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥، ص ٧
٦٠- ابن سناء الملك، دار الطراز، تحقيق جودت الركابي، دمشق ١٩٤٩، ص٣٥-٣٦
٦١- الصدر نفسه ص
٦٢- محمد الفاسي، مجلة تطوان، العدد السابع، ١٩٦٢، ص٩
٦٣- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، تقديم وتحقيق ودراسة د. سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، صفحات متعددة
٦٤- مفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني، ص ٢٠٥
٦٥- المقتطف من أزاهر الطرف، ص٢٣
٦٦- نقلاً عن مفهوم الأدب في الخطابة الخلدوني، ص٢٠٥-٢٠٦
٦٧- أنظر، ابن خدلون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، ط٣، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت. صفحات متعددة (١١٤-٢٦٩)
٦٨- أنظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٩، دار المعارف القاهرة، د.ت
٦٩- أنظر: احسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص٢٦٩
٧٠- عبد العزيز الأهواني، ابن خلدون وتاريخ فني التوشيح والزجل، من أعمال مهرجان ابن خلدون، المنعقد في القاهرة من ١٢ الى ١٦ يناير ١٩٦٢م، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٦٢، ص٤٧٧
٧١- المصدر نفسه، ص٤٧٦
٧٢- أنظر: رأي د. فهمي جدعان، نقلاً عن مفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني، ص٢٠٩-٢١٠
٧٣- ابن رشيق القيراوني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤، ص١٧
٧٤- مقدمة ابن خلدون، ص٤٣٦-٤٣٧
٧٥- المصدر نفسه، ص٤٤١
٧٦- مقدمة ابن خلدون، ص٤٤٥
٧٧- المصدر نفسه، ص٤٤٥-ص٤٤٩
٧٨- الابشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ج٢، ص٢٣٦
٧٩- جرجي زيدان، تاريخ الآداب العربية، ط٢، ج٤، مصر د.ت، ص ١٩٦

المصادر والمراجع:

١ . ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢ .

٢ . ابن سعيد المغربي، المقتطف من أزاهر الطرف، تقديم وتحقيق ودراسة د. سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

٣ . أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه، أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، لبنان، د. ت.

٤ . إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط٥، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م.

٥ . إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأدرن، ١٩٩٣م.

٦ . الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ج٢ . مصر، د. ت.

٧ . الجاحظ، البيان والتبين، ج١، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٤٩م.

٨ . الحاحظ، الحيوان، ج٣، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ١٩٦٩م.

٩ . السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

١٠ . الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج١، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.

١١ . الشيخ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٣م.

١٢ . المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج١، نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

١٣ . بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٤ . جرجي زيدان، تاريخ الآداب العربية، ج٤، ط٢، مصر، د. ت.

١٥ . سليم الحلو، الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها، قدّم له د. إحسان عباس، منشورات

مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
١٦. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٩، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
١٧. عبدالرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، مطبعة معتوق أخوان، بيروت، د.ت.
١٨. عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، د.ت.
١٩. عبدالعزيز الأهواني، ابن خلدون وتاريخ فني التوشيح والزجل، من أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ١٢-١٦ يناير، ١٩٦٢، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٢م.
٢٠. عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعارف، استنبول، ١٩٥٤م.
٢١. عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق وشرح محمد عبدالمنعم خفاجي، ط١، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م.
٢٢. غسان إسماعيل عبد الخالق، مفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، بدعم من مؤسسة عبدالحميد شومان، ط١، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٣م.
٢٣. محمد الفاسي، مجلة تطوان، العدد السابع، ١٩٦٢م.
٢٤. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م.
٢٥. مصباح العاملي، ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليوناني باكتشافه حقائق الفلسفة، ط١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مركز التوثيق الجماهيري، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٨م.
٢٦. هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٨٣) الجمهورية العراقية، ١٩٨١.

شبكة الطرق في محافظة الخليل

(دراسة جغرافية تطبيقية)

د. أحمد عبدالقادر اغريب*

* أستاذ مساعد، كلية الآداب، جامعة الخليل – فلسطين.

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد العوامل المؤثرة على الطرق، وتحليل خصائص شبكة الطرق في محافظة الخليل من حيث مؤشر الانعطاف، ودرجة الترابط، والكثافة، ودرجة الانتشار، وتحقيقا لهذا الهدف طبقت معادلات درجة الترابط، ومؤشر الانعطاف، ومؤشر آيتا، ومؤشر بيتا الأول.

ويهدف البحث إلى معرفة كفاية شبكة الطرق، ومن الاتجاهات التي هدف إليها البحث تقييم شبكة النقل في المحافظة.

وقد كشفت نتائج تحليل البيانات عن أن ٨٠٪ من الطرق في محافظة الخليل تأثرت بالتضاريس كما تأثرت بحجم التجمعات السكنية والعلاقات السياسية محليا، وإقليميا، وأظهر مؤشر الانعطاف الذي تراوح ما بين ٤٪ إلى ٧٥٪ تدني كفاءة الطرق، والانتشار العشوائي للتجمعات العمرانية، وحسب معيار نمط الشبكات، اتضح أن شبكة النقل أكثر من مجزأة، ولا ترقى إلى أن توصف بالمترابطة، أو المتكاملة، وهي غير متطورة أيضا.

وبما أن مؤشر آيتا بلغ ١٩,٥كم/ وصله فإن ذلك يدل على أن التجمعات السكنية قريبة من بعضها البعض. وبلغ مؤشر بيتا الأول (٦) وذلك يشير إلى بنية تحتية من الطرق غير كافية مما يعني أن المحافظة بحاجة إلى المزيد من تنظيم الطرق وتأهيلها.

Abstract

This study aims to determine the factors affecting roads and analyses road net properties in Hebron district using the curve indicator, connection degree, density, and spread degree. To achieve this objective, connection degree formulas, curve indicator, ETA Indictor, Beta first indicator were applied. Moreover, the study examined the sufficiency and efficiency of the road net.

Data Analysis showed that 80% of the roads were affected by the topography, settlement size, and the local & regional political relations.

The research revealed the inefficiency of the road net (4%-75%), and the random distribution of the housing communities. According to the road net standard, it was clear that the road net is undeveloped and cannot be described as integrated. As ETA indicator reached link 19.75 km, it is concluded that the housing communities are close to each other. The value of the Beta first indicator was 6, thus the infrastructure is insufficient and the districts are in great need of more organization and development.

مشكلة الدراسة:

تستحوذ محافظة الخليل على ٢٥٪ من سكان الضفة الغربية، وعلى ٢٠٪ من مساحتها، وتقع المحافظة بين قطاع غزة ووسط الضفة الغربية وشمالها، ويسودها نشاط نقل تجاري أكثر من المحافظات الفلسطينية جميعاً، وذلك بوجود ٥٠٠٠ شاحنة مسجلة في المحافظة، ولا يمكن إغفال أثر العوامل الطبيعية والبشرية على أنماط الطرق، وتوزعها، ومواقعها، والنمو، والتطور الذي حدث عليها، حيث أدت المصالح الأمنية والعسكرية للاحتلال الإسرائيلي إلى شق طرق جديدة عرفت بالطرق الالتفافية، فكانت مميزة بخصائصها عن الطرق الفلسطينية.

يحاول الباحث أن يطرح تساؤلات لعل الدراسة تستطيع الإجابة عنها وهي كما يأتي:

١-كيف تتوزع شبكة النقل في المحافظة؟

٢-ما نمط شبكة النقل وما مدى ترابطها ؟

٣-ما مدى كفاءة شبكة النقل في محافظة الخليل وكفايتها ؟

٤-ما تأثير شبكة النقل ودورها في مختلف المجالات الاقتصادية ؟

٥-كم يبلغ مؤشر الانعطاف للطرق في محافظة الخليل ؟

٦-هل الطرق الموجودة في محافظة الخليل، تدل على مستوى اقتصادي واجتماعي عال أم متدن ؟

٧-ما هي مرتبة شبكة النقل في محافظة الخليل ؟

أهمية البحث:

يعد تحليل المجال الجغرافي لشبكات الطرق أحد الأساليب التي تؤدي إلى إفراز أنماط جغرافية لها، ومعرفة خصائصها الاقتصادية والمكانية لها، ويكشف ذلك أبعاد التنظيم الجغرافي لظاهرة شبكات النقل الخاضعة للدراسة والتقييم، كما أنها تبرز أيضا الخصائص العامة الرئيسة لنظام النقل في الوحدة أو الإقليم الجغرافي. ونظام النقل في أي وحدة جغرافية، ما هو إلا نتيجة نهائية لعمليات متراكمة، ومستمرة الحدوث بمرور الزمن رسمت الملامح العامة، وأبرزت شخصية الإقليم، وأسهمت في تشكيل خصائصه الاقتصادية والاجتماعية.

إن صورة شبكة النقل المعبدة داخل منطقة الدراسة، تعكس خصائص البيئة الاقتصادية،

والسياسية، والاجتماعية لهذه المنطقة، ويساهم مستوى هذه الخصائص في تكثيف التفاعل بين الأنشطة الإنتاجية المختلفة، وتقوية الروابط بين تلك الأنشطة من جهة، والموارد الطبيعية، والبشرية من جهة أخرى، حيث هناك تأثير متبادل بين الأنشطة، وشبكات النقل، والقوى العاملة، والتجمعات السكنية، وحركتها اليومية باتجاه مقاصدها.

وكلما حصلت زيادة في عدد السكان، وكذلك في الأنشطة الإنتاجية الاقتصادية، والاجتماعية، تطلب ذلك توسعا في الطرق، لما يطرأ من ضغط على شبكات النقل والطرق، والتي تضع حملها في النهاية على البيئة الطبيعية، والاجتماعية، وتسهم أعمال المحافظة على البيئة في تطوير عناصر معينة في البنية التحتية وتنميتها (٤)و(٥).

ويعد تحليل شبكة النقل وتقييمها جزءا من تحليل المجال الجغرافي الاقتصادي، الذي يعتبر ذا أهمية بالغة لأصحاب القرار السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والخدماتي والتنموي.. الخ، ويعتبر خطوة أساسية للتخطيط، والتنظيم، والتأهيل للمجال الجغرافي، كما أن الجغرافي المدرب تدريبا جيدا، يعتبر هذا العمل وسيلة تحقق أهداف دراسته التي تستند إلى التوزع، والربط والتحليل، وتعد معرفة الارتباط للظاهرات الجغرافية أمرا مهما لاستقصاء صورة الحيز الجغرافي وفهمه (٦). كما أن توضيح الانتظام الجغرافي للشبكة، وخصائص نمطها وتفسيره، يهدف إلى تحليل العمليات التي أدت إلى حدوثه وفهمها، ويفيد هذا في التنبؤ للمستقبل بكيفية تطور تلك الظاهرة في مكانها، ومن ثم التعامل معها.

واستنادا إلى ما سبق، فإن أهمية موضوع هذه الدراسة، تنبع من أن المعلومات الواردة فيها تشكل قاعدة مهمة بل ضرورية للمخططين والمنظمين لقطاع النقل بشقيه وسائط النقل، وشبكات الطرق، إذ لا يمكن للمخطط في قطاع النقل أن يمارس وظيفته دون الاستناد إلى نتائج التحليل الجغرافي، الذي له دلالات مهمة للتنمية الإقليمية، كما تكمن أهمية الدراسة في أنها تستند إلى المنهج التحليلي الجغرافي الكمي، وتدرس قطاعا مهما يعتبر الأساس في البنية التحتية، وأساسا للتنمية الاقتصادية، والاجتماعية بعامة. ومحافظة الخليل هي حلقة الوصل بين قطاع غزة ووسط الضفة الغربية وشمالها، وهي الكبرى مساحة وحجما سكانيا، وتعد شبكة النقل البري من أهم دعائم تحقيق التنمية الإقليمية لأنها الوسيلة الوحيدة في المحافظة، لما لها من أثر على تنشيط الحركة بين المحافظات الفلسطينية، وداخل المحافظة ذاتها، مما يترتب عليه تنمية اقتصادية وحضارية، لأن النقل عملية متممة للإنتاج بوجود المنفعة المكانية في الوقت المناسب، بنقل الإنتاج من أماكنه إلى الأماكن التي تحتاج إليه (٧)، ومن هنا تأتي أهمية قياس كفاية شبكة الطرق.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز خصائص شبكة النقل في محافظة الخليل، من توزعها الجغرافي، وخصائصها الاقتصادية، وترابطها الحضري، ويتفرع عن هذا الهدف الرئيس، أهداف فرعية أخرى يمكن تحديدها فيما يأتي :

١-تحديد العوامل الجغرافية المؤثرة على الطرق .
٢-تحليل مؤشر الانعطاف للطرق .
٣-تحليل درجة ترابط شبكة الطرق .
٤-تحليل كثافة شبكة الطرق .
٥-تحليل درجة انتشار الطرق وارتباطها .
٦-توضيح نمط شبكة النقل في محافظة الخليل .
٧-محاولة بناء نموذج لشبكة النقل في محافظة الخليل .

منهجية الدراسة:

إن درجة التقدم في قطاع النقل تعد في الوقت الحالي دالة على مستوى النمو الاقتصادي لأي دولة من الدول (٨)، ولا شك أن استخدام الأساليب الكمية في تحليل شبكات النقل يساعد في الوصول إلى نتائج دقيقة، وهي من الاتجاهات الحديثة في البحوث الجغرافية، إذ أن التباين في خصائص شبكات النقل، هو انعكاس للمظاهر الجغرافية في النظام الاقتصادي والاجتماعي (٩).

ويمكن تعريف شبكة النقل بأنها(انتظام مجموعة من الوصلات تربط بين مجموعة من العقد) (١٠)، ويدرس الجغرافي شبكة الطرق من زاوية تركيب التغيرات المكانية وعلاقتها بالعوامل الجغرافية، وهنا يأتي دور الجغرافي الاقتصادي المتمرس، ليساهم الجانب التطبيقي للجغرافيا في دراسة الطرق وتحليلها خدمة لقضايا التنمية، وشكلا من أشكال التصدي لحل المشكلات التي يعاني منها المجتمع، وتأتي هذه الدراسة لتوضح بالتحليل الجغرافي وضعية شبكة الطرق في محافظة الخليل.

تعتبر الوحدة المكانية هي الأساس الذي تجرى عليه الدراسات والتحليلات الجغرافية، وبالتالي تجمع البيانات بناء على تحديدها، وقد اعتمد الباحث محافظة الخليل ممثلة بحدودها الإدارية وحدة مكانية للدراسة، أما بالنسبة للمعيار فاعتمد الباحث في تحليله لشبكة النقل

على معيار المسافات الفعلية، والهوائية بين التجمعات السكنية، وعدد الوصلات، وحجم التجمعات السكنية على شبكة الطرق، ذلك أن هذه المعايير تساعد في تحديد مدى استقامة الطرق، وتحديد نمط الشبكة، ومرتبتها بين شبكات الطرق الأخرى، وتحديد كفايتها.

ولحرص الباحث على إنجاز بحث أصيل ومتكامل، استخدم أنواع البيانات المتاحة كافة، فراجع سجلات بلدية الخليل، ومديرية الأشغال العامة، ومركز الإحصاء الفلسطيني، وبما أن الأعمال الميدانية هي الأسلوب الأمثل في الدراسات الجغرافية، لأنها وحدها تستطيع نقل صورة الأرض وما عليها بالتفصيل، وبناء على ما سبق، أجرى الباحث دراسة ميدانية فعلية فقاس أطوال شبكة الطرق في محافظة الخليل، من خلال عدة جولات ميدانية مستخدما عداد السيارة والشريط لتحقيق الهدف، وطاف مجمل الطرق، ووقف على خصائصها، ورسم خارطة ميدانية مبدئية، وفرغت البيانات التي جمعت على جداول وخرائط أولية، ثم عولجت بعد تفريغها حسب الحاجة، والموضوع، ونوع البيانات، والهدف من التحليل، و استخدمت معادلة معامل مؤشر الانعطاف للطرق، ومعادلة معامل درجة ترابط الشبكة، ومعادلات كفاية الطرق، ومقياس درجة انتشار الطرق.

المحددات الجغرافية المؤثرة على الطرق في محافظة الخليل:

أولا: المحددات الطبيعية:

تتأثر شبكة النقل بصورة كبيرة بالأشكال العامة لسطح الأرض، ولا يقتصر تأثير التضاريس على الطرق بتحديد مواقعها بل تحدد التضاريس وبشكل صارم مسارا شبه إجباري للطريق(١١)، مما يدعو في النهاية إلى قصر الطريق أو إطالتها. فهناك فرق كبير بين شبكات الطرق في المناطق الجبلية كما هي الحال في محافظة الخليل، وشبكات الطرق في المناطق السهلية كالسهل الفلسطيني الذي يعج بالطرق بكل صوب واتجاه، ورغم التقدم التكنولوجي على مستوى العالم، فما زالت العوائق الطبيعية تعوق إنشاء خطوط النقل، فتضطر الطرق للدوران حول الجبال الوعرة، وسايرت بعض الأودية بين الجبال، واتضح بأن ٨٠٪ من طرق محافظة الخليل تأثرت بالتضاريس، وذلك لارتفاع الكلفة الاقتصادية لشق الطرق قديما وحاليا، ولهذا حددت الطبيعة الجبلية لمحافظة الخليل تنظيم الطرق البرية وكثافتها ونمطها.

تتجه بعض الدول خاصة الغنية منها للتغلب على العقبات الطبيعية، وذلك بصرف كلفة عالية جراء ذلك، وينفذ مثل هذا العمل عادة تحت ضغط الحاجة الاقتصادية، ويتمثل ذلك بشق

الطرق عبر مناطق بعيدة عن الكثافة السكانية، مثل طرق شبه الجزيرة العربية، أو تحت ضغط الحاجة الأمنية العسكرية، ويتمثل هذا في محافظة الخليل من خلال شق طريق فرش الهوى مثلا في منطقة شديدة التضرس، إلا أن المصلحة الأمنية الإسرائيلية، اقتضت شق هذا الطريق رغم كلفته العالية، وهذا الطريق يربط محافظة الخليل بالساحل الفلسطيني من جهة الغرب.

ثانيا: المحددات البشرية:

إذا ما سلمنا بالأثر الكبير بل الشديد للظروف الطبيعية على اتجاهات شبكات النقل وخصائصها، فإن للظروف البشرية دورا فعالا في هذا السياق، وأكثر العناصر البشرية تأثيرا هو حجم السكان، وكثافتهم، ونشاطهم، فالعلاقة طردية بين حجم السكان وشبكات الطرق، كاستجابة حضارية لا بد منها، كما تمثل أيضا انعكاسا لمدى مدنية المجتمع، إذ بدون شبكة نقل يكون مستوى الحياة الاقتصادية بدائياً، فالأنشطة الاقتصادية بحاجه إلى النقل، وحركة السكان الاجتماعية بحاجة إلى النقل، ومحافظة الخليل تحتوي على شبكة طرق تغطي التجمعات السكنية كافة، بالإضافة إلى أربعة مخارج رئيسة، كطريق القدس الخليل شمالا، وطريق بئر السبع الخليل جنوبا، وطريقين باتجاه الغرب تربطه بموانئ الساحل الفلسطيني وهذه الطرق هي المسئولة عن العلاقات المكانية الاقتصادية، والاجتماعية لمحافظة الخليل.

ولا نغفل في هذا السياق أثر العلاقات السياسية على اتجاه شبكات النقل ونمطها، حيث تفتتت شبكة النقل في المحافظة عام١٩٤٨م، عندما فقدت المحافظة ارتباطها بالساحل غربا، والنقب جنوبا، ولم تعد إلى سابق عهدها إلا بعد حرب عام ١٩٦٧م، إذ من الطبيعي في هذه الفترة توجه شبكة النقل في إقليم الخليل باتجاه شرق الأردن فقط، وتوجه الأردن بحريا باتجاه ميناء بيروت بدل موانئ فلسطين (١٢)، وخلاصة القول، إن مجمل العناصر الجغرافية تتشابك مع بعضها البعض بطريقة فعالة ومعقدة، في رفع أو خفض كثافة شبكات النقل، وفي تحديد خصائصها الوظيفية.

نشأت الطرق البرية في محافظة الخليل مسايرة للتضاريس، وهي طرق النقل الوحيدة في المحافظة تحت ظل قلة الإمكانات، إذ اتصلت محافظة الخليل بمحافظة بيت لحم والقدس بوساطة طريق شبه معبد عام ١٨٩٦م (١٣)، وشيئا فشيئا زادت الطرق المعبدة كما ونوعا، لتصبح محافظة الخليل مرتبطة مع بعضها البعض بشبكة من الطرق المعبدة. يمثل الطريق أقصر مسار يربط بين أي تجمعين سكانيين أو أكثر، هذا نظريا واقتصاديا، ولكن قلما يتحقق

ذلك المشهد في الواقع لانحراف الطريق عن الاستقامة تحت تأثير سياسي، أو اقتصادي، أو بشري أو طبيعي، وقد بينت الدراسة بوجود حوالي ١١٤٦كم هي طرق زراعية غير معبدة، انظر الجدول (١) وطرق معبدة بلغ طولها حوالي ٤٢٢كم(١٤) منها ١١٥كم درجة أولى، و ١٨٩كم درجة ثانية، ودرجة ثالثة ١١٨كم.

الجدول (١) التوزع المكاني للطرق الزراعية غير المعبدة في محافظة الخليل

الوحدة المكانية الإدارية	أطوال الطرق /كم
وحدة الخليل	٥٧
وحدة حلحول	١٠١
وحدة ترقوميا	٢١٢
وحدة دورا	٢٥٩
وحدة الظاهرية	٢١٣
وحدة يطا	٣٠٤

المصدر : ا- مديرية الزراعة - الخليل
ب- الدراسة الميدانية

اقترنت الطرق مكانيا بالتضاريس، وارتبطت تفاعليا بالسكان، ونشاطهم الاقتصادي، لهذا استطالت الطرق في بعض المواقع نتيجة عدم توفر الكلفة لتحطيم الجبال، إلا أن المحافظة تشكل حاليا معبرا بين شمال الضفة الغربية ووسطها وقطاع غزة، وكذلك الساحل الفلسطيني، والطرق في محافظة الخليل عموما نمطان الأول: طولي من الشمال إلى الجنوب، والثاني: عرضي من الشرق إلى الغرب، أنظر الخارطة (١).

التحليل الكمي لشبكة الطرق في محافظة الخليل:

١- تحليل مؤشر الانعطاف للطرق في محافظة الخليل:

يتطلب الحصول على مؤشر الانعطاف عمل جدول يتضمن الطول الفعلي والمستقيم الهوائي للطريق، وكلما اقتربت قيمة المؤشر من القيمة ١٠٠٪ كان الطريق الفعلي يقترب من الشكل المستقيم، وبالتالي تمثل أقصى كفاءة بالنسبة للمسافة، وكلما تزايد عن ١٠٠٪ فهذا يدل على بداية انعطاف، وقلة كفاءة الطريق من الناحية الاقتصادية (١٥)، ويعد مؤشر الانعطاف تقييما

لمدى استقامة الطرق، ويظهر الحاجة لإضافة وصلات، أو حذف وصلات، وأحيانا تحديد مواصفات وسائط النقل، ومعادلة القياس هي:

$$\text{مؤشر الانعطاف} = \frac{\text{الطول الفعلي للطريق}}{\text{الطول المستقيم للطريق}} \times ١٠٠\%$$

أظهرت نتائج التحليل وجود انعطاف عالي القيمة في طرق شبكة النقل في محافظة الخليل، وصل متوسطه إلى ٣٠,٧٧٪ على الطرق كافة في محافظة الخليل، حيث تراوحت النتائج ما بين ٧٥٪ على طريق سعير حلحول، وانخفضت إلى ٤٪ على طريق فرش الهوى لقربها من الاستقامة انظر الجدول (٢)، وقد أنشأ هذه الطريق الاحتلال خدمة لأغراضه الأمنية والسياسية. ويمكن القول إن هناك ارتباطا واضحا بين المشهد الطبيعي والطرق، وضآلة أثر فعل الإنسان المستند إلى الفقر، والتخلف التكنولوجي، وانعدام التخطيط، وبالتالي لم تجد طرق المحافظة خاصة العرضية منها منفذا لها إلا من خلال فتحات الأودية، متأثرة بعامل توزع تجمعات السكان، وعامل التضاريس، والكلفة الاقتصادية، أما الطريق الطولية والتي تخترق وسط المحافظة جنوبا شمالا، سايرت خط تقسيم المياه في معظم مسارها، مع انحناءات تجاه التجمعات السكنية التي نشأت على سطح الهضبة.

الجدول (٢) مؤشر الانعطاف لبعض الطرق الرئيسة في محافظة الخليل

اسم الطريق	طول الطريق الفعلي	طول الطريق بالخط الهوائي	دليل الانعطاف	النسبة المئوية ٪
حلحول- الظاهرية	٣٢	٢٩	١١٠	١٠
صوريف- الرماضين	٥٠	٣٥,٥	١٤٠	٤٠
الرماضين – الظاهرية	٩	٧	١٢٨	٢٨
بيت عوا – خرسا	٩,٥	٨,٥	١١١	١١
فرش الهوى	١٢	١١,٥	١٠٤	٤
ترقوميا – الخليل	١١,٥	١٠	١١٥	١٥
يطا – الخليل	١٣	٩	١٤٤	٤٤
بني نعيم – الخليل	٩	٦	١٥٠	٥٠
سعير – حلحول	٧	٤	١٧٥	٧٥

المصدر: الدراسة الميدانية

يتضح جليا بأن مؤشر الانعطاف متباين بين طريق وآخر في محافظة الخليل ، ويدل ذلك على تدني كفاءة الكثير من وصلات الطرق في المحافظة ، باستثناء الطرق التي شقها الإسرائيليون ، وبصفة عامة فإن معدل المؤشر للشبكة ٧٧ , ٣٠٪ كاف ليوضح تدني كفاءة الشبكة ويكمن تفسير ذلك بالانتشار العشوائي للتجمعات العمرانية ، وبتأثر الطبيعة الجبلية للمحافظة ، مما يزيد من إمكانية المخاطر جراء السير عليها ، ويؤخر عملية الوصول بين نقطة وأخرى .

٢- تحليل نمط شبكة الطرق في محافظة الخليل:

تتخذ شبكة الطرق أنماطا خطية متشكلة من عدد الوصلات (الطرق)، وعدد من العقد (التجمعات السكنية)، وهي شكل من أشكال التنظيم المكاني ، كما أنها علاقة جغرافية بين العقد الحضرية والطرقات (١٦) ولتحقيق هذا الهدف لا بد من إيجاد خارطة طبولوجية تخدم غرض التحليل (انظر : الخارطة (٢))ويمكن استخدام الوصلات بين العقد الحضرية مقياساً لتحليل شبكة النقل ، وحدد صلاح عيسى ثلاثة أنماط للشبكات (١٧) :

أ- شبكة مجزأة : وهي وجود بعض الوصلات بين العقد الحضرية .

ب- شبكة مترابطة : ترتبط العقد الحضرية بوصلات فيما بينها مباشرة ، أو غير مباشرة .

ج- شبكة كاملة : ترتبط كل عقدة حضرية بأخرى مباشرة .

واستنادا لما تقدم ، تعتبر شبكة الطرق في محافظة الخليل شبكة أكثر من مجزأة ، وأقل من الترابط الكامل .

٣- تحليل درجة ترابط شبكة النقل في محافظة الخليل:

تعبر درجة الترابط لشبكة النقل عن درجة العلاقة المكانية بين التجمعات السكنية من جهة ، والوصلات من جهة أخرى ، ومن أهم المؤشرات الكمية التي تقيس درجة الترابط هذه ، مؤشر جاما (١٨) ، وبحساب هذا المؤشر على النحو الآتي :

$$\text{درجة الترابط} = \frac{\text{عدد الوصلات}}{\text{٣ (عدد العقد - ٢)}}$$

وتتراوح قيمة المؤشر بين صفر وواحد ، والترابط الكامل يكون الجواب واحداً صحيحاً ، وكلما تدنى عن واحد صحيح دل على تدني درجة ترابط الشبكة حتى تصبح معدومة عند درجة الصفر ، وإذا ازدادت القيمة عن واحد دل على أن هناك أكثر من شبكة كاملة ومتطورة .

وأظهرت نتائج التحليل أن شبكة النقل في محافظة الخليل غير مترابطة بشكل كامل وغير متطورة، يشير التحليل إلى حصولها على ٠,٥٪ من الواحد صحيح، وبالتالي فإن عدد الوصلات الموجودة فعلا في المحافظة لا تساوي الحد الأقصى لعدد الوصلات الممكنة، والمطلوبة على أرض المحافظة، والضرورية لربط التجمعات السكنية مع بعضها البعض بيسر وسهولة، وبالتالي لا يوجد ترابط تام، أو عالي الدرجة بالشبكة.

٤- تحليل كثافة الطرق في محافظة الخليل:

تساعد دراسة كثافة الطرق على إبراز درجة التطور الاقتصادي للمحافظة، وتعطي صورة واضحة عن مدى كفاية الطرق، واتضح من خلال الدراسة انخفاض كثافة الطرق في محافظة الخليل، إذ أن كل ١٠٠٠ نسمة لهم ٧٨١م طول من الطرق المعبدة، وكل ١٠٠ كم٢ من مساحة المحافظة بلغ نصيبها حوالي ٤٢,٢كم طول من الطرق المعبدة، وبالتالي الكفاية قليلة وكذلك الكفاءة لشبكة الطرق.

٥- تحليل درجة انتشار الطرق في محافظة الخليل:

تحدد درجة انتشار الطرق مدى التباعد، أو التقارب، أو الانتشار بين عقد الشبكة الحضرية، والمعادلات الآتية بإمكانها تحقيق الهدف.

$$\text{مؤشر آيتا} = \frac{\text{إجمالي طول الطرق}}{\text{عدد الوصلات}}$$

مؤشر بيتا الأول = عدد الوصلات - عدد العقد + عدد أجزاء الشبكة (١٩)

أوضح التحليل أن مؤشر آيتا بلغ حوالي ١٩,٥كم/ وصلة، ويدل هذا على التقارب بين التجمعات السكنية، وقرب المسافات فيما بينها، في حين أظهر تحليل مؤشر بيتا الأول الذي يدل على مستويات التنمية الاقتصادية، والاجتماعية في محافظة الخليل، إن نتائج التحليل الكمي بلغت القيمة ٦، وفي هذا السياق تتناسب التنمية تناسبا طرديا مع قيمة مؤشر بيتا الأول، وهذه القيمة متدنية لمحافظة الخليل، وبالتالي فإن البنية التحتية المتمثلة هنا بشبكة الطرق غير كافية، وبحاجة إلى المزيد، إذ ما زال إمكانية شق طرق جديدة في محافظة الخليل متوفرة، وضرورية، والمحافظة بحاجة للمزيد من التنظيم، والتأهيل للمجال الجغرافي.

النتائج والتوصيات:

١- تدني كفاءة الكثير من وصلات الطرق في محافظة الخليل.

٢- شبكة الطرق في المحافظة أكثر من مجزاة وأقل من مترابطة وبعيدة عن التكامل وغير متطورة.

٣- انخفاض كثافة الطرق في المحافظة وكفايتها أدى إلى تدني مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٤- مشكلة الطرق في محافظة الخليل تكمن في أن معظم الطرق الواصلة بين التجمعات السكانية هي خارج الحدود البلدية وبالتالي لا تقوم بصيانتها وتأهيلها.

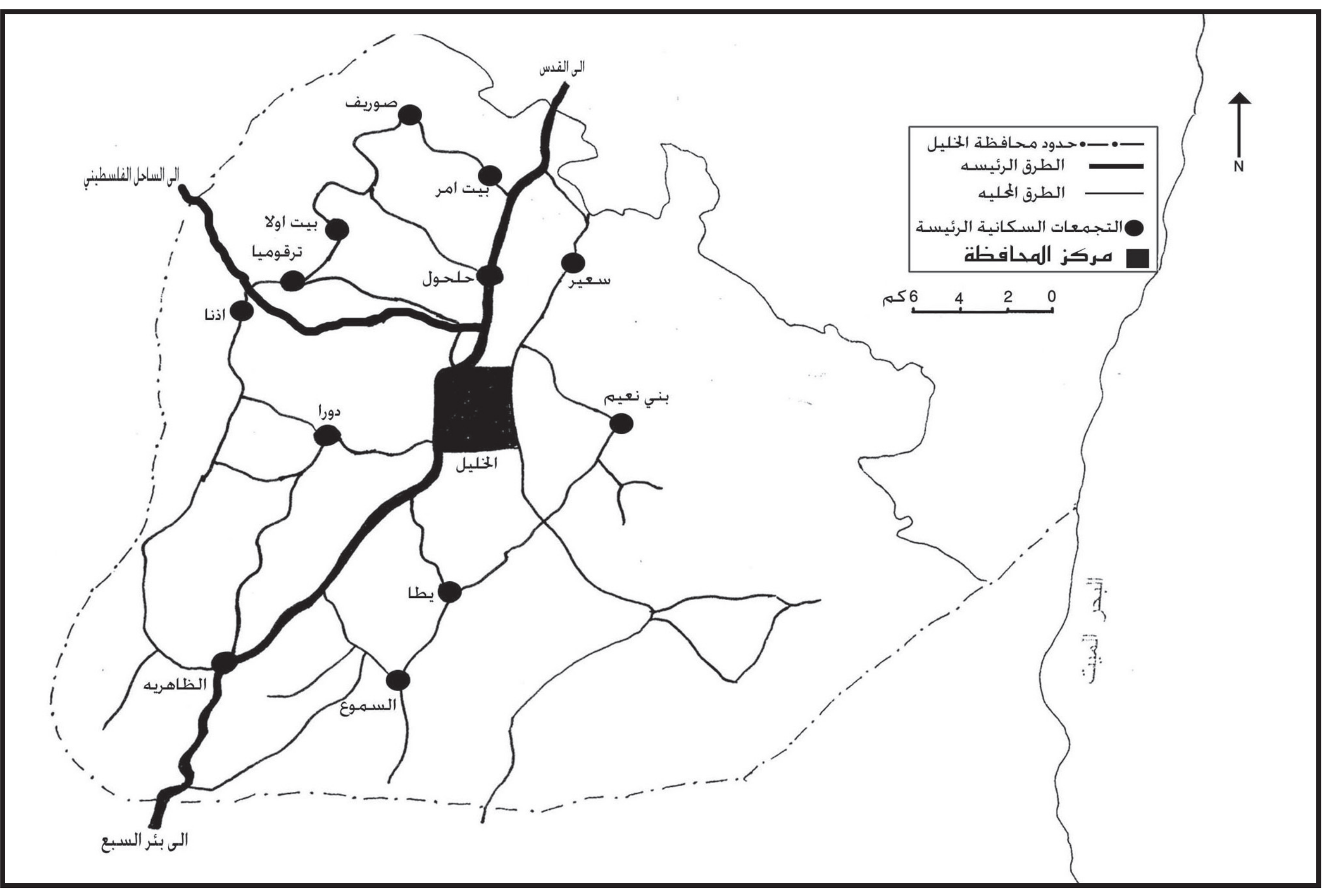
٥- إعادة تأهيل الطرق العريضة وتنظيمها بعامة، خاصة طريق معبر ترقوميا وذلك بهدف التنمية والربط المستقبلي بين الضفة الغربية وقطاع غزة.

٦- رصف الطرق الزراعية وذلك للاستقرار الزراعي وإحداث التنمية والمساعدة في توزيع السكان بشكل مخطط.

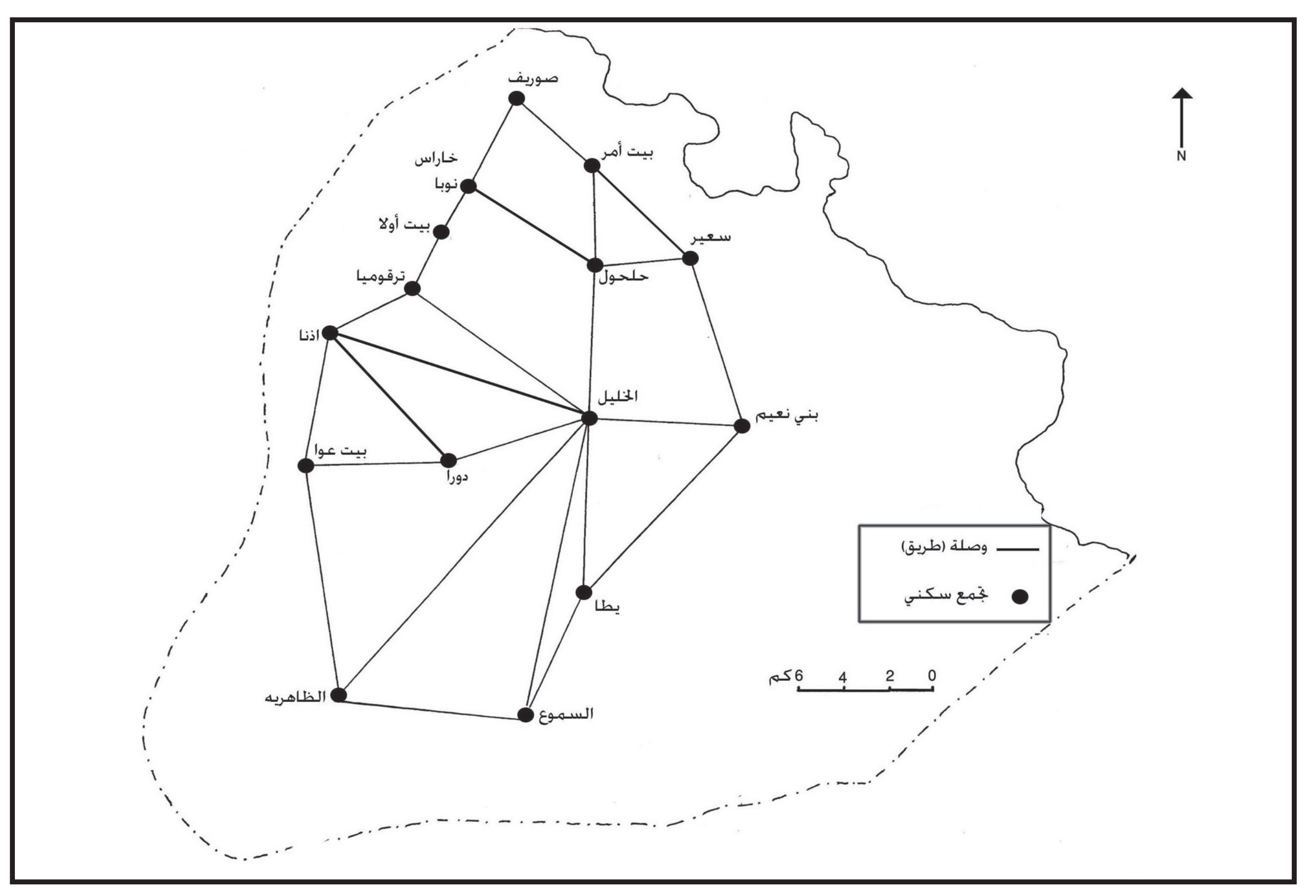
٧- إنشاء المزيد من وصلات الطرق بين التجمعات السكنية مباشرة لرفع كفاية الشبكة وزيادة درجة ترابطها وتكاملها.

٨- العمل على تقليل الانعطافات من خلال تقصير طول الوصلات والتغلب على التضاريس لزيادة كفاءة الطرق حيث كان مؤشر الانعطاف عالياً جدا ووصل ٧٥٪.

٩- هناك أربع تجمعات سكنية هامة من حيث سهولة الوصول وهي مدينة الخليل وبلدة حلحول وبلدة ترقوميا وبلدة سعير.



خارطة رقم (١) شبكة الطرق في محافظة الخليل



خارطة رقم (٢) الخارطة الطبولوجية لمحافظة الخليل

الهوامش:

١- القرعاوي : نجاح مقبل ، شبكة الطرق البرية في المنطقة الشرقية بالسعودية ، دراسة في جغرافية النقل ، الرياض ١٩٩٦ ، ص١ .

٢- عبده : سعيد أحمد ، اصول جغرافية النقل ، دراسة كمية وتطبيقية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص٢٦ .

٣- Fitzgerlad , b.p. development geographical methode , science in geography , oxford university press , oxford , 1977 , p. 35.

٤- رسول : احمد حبيب ، جغرافية الصناعة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص٢٣ .

٥- صالح : حسن عبد القادر وأحمد اغريب ، التحليل المكاني للصناعات الكيماوية في منطقة عمان ، دراسات ، الجامعة الأردنية ، المجلد ٢٣ ، عدد ١٩٩٦ ، ١ ، ص٧٨ .

٦- الفرا : محمد علي ، علم الجغرافيا دراسة تحليلية ، قسم الجغرافية ، جامعة الكويت ، نشرة ٢٢ ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص١٩-٢٢ .

٧- عزيز : محمد الخزامي ، نظم المعلومات الجغرافية ، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ ، ص٢٨٩ .

٨- القرعاوي : نجاح مقبل ، شبكة الطرق البرية في المنطقة الشرقية بالسعودية ، دراسة في جغرافية النقل ، الرياض ١٩٩٦ ، ص٣ .

٩- عبده : سعيد أحمد ، أصول جغرافية النقل ، دراسة كمية وتطبيقية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص٢٧ .

١٠- Fitzgerald , b.p. development geographical method , science in geography , oxford university press , oxford , 1977 , p. 36

١١-سالم : عوني رجا ، الطرق البرية في سوريا ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٦ ، ص٤١ .

١٢-رياض : محمد ، جغرافية النقل ، دار النهضة ، بيروت ن ١٩٧٤ ، ص٨٤ .

١٣-حماد : سعيد ، النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ، ١٩٣٩ ، ص٣٩٥ .

١٤-وزارة النقل الفلسطينية - مديرية دائرة السير : محافظة الخليل ، سجلات عام ٢٠٠٥م .

١٥-عبده : سعيد أحمد ، شبكة الطرق البرية في دولة الإمارات ، المجلة الجغرافية العربية ، القاهرة ، عدد ٢١ ، ١٩٨٩ ، ص١١٢ .

١٦-خير : صفوح ، المنهج العلمي في البحث الجغرافي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص٥١٠-٥١٣ .

١٧-عيسى : صلاح عبد الجابر ، التحليل الكمي لشبكة الطرق البرية محافظة المنوفية ، المجلة الجغرافية العربية ، الجمعية الجغرافية المصرية ، عدد ١٨ ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص١٧ .

١٨- **Fitzgerald , b.p. development geographical method, science in geography , oxford university press , oxford , 1977 , p. 37**

١٩- عزيز : محمد الخزامي ، نظم المعلومات الجغرافية ، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ ، ص٢٩١ .

المراجع:

١-الفرا، محمد علي، علم الجغرافيا دراسة تحليلية، قسم الجغرافية، جامعة الكويت، نشرة ٢٢، الكويت، ١٩٨٠.

٢-القرعاوي، نجاح مقبل، شبكة الطرق البرية في المنطقة الشرقية بالسعودية، دراسة في جغرافية النقل، الرياض ١٩٩٦.

٣-حماد، سعيد، النظام الاقتصادي في فلسطين، بيروت، ١٩٣٩.

٤-خير، صفوح، المنهج العلمي في البحث الجغرافي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٣.

٥-رسول، احمد حبيب، جغرافية الصناعة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

٦-رياض، محمد، جغرافية النقل، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٤.

٧-سالم، عوني رجا، الطرق البرية في سوريا، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، ١٩٨٦.

٨-صالح، حسن، واغريب أحمد، التحليل المكاني للصناعات الكيماوية في منطقة عمان، دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد ٢٣، عدد ١٩٩٦، ١.

٩-عبده، سعيد أحمد، شبكة الطرق البرية في دولة الإمارات، المجلة الجغرافية العربية، القاهرة، عدد ٢١، ١٩٨٩.

١٠-عبده، سعيد أحمد، أصول جغرافية النقل، دراسة كمية وتطبيقية، القاهرة، ١٩٨٨.

١١-عزيز، محمد الخزامي، نظم المعلومات الجغرافية، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٨.

١٢-عيسى، صلاح عبد الجابر، التحليل الكمي لشبكة الطرق البرية محافظة المنوفية، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، عدد ١٨، القاهرة، ١٩٨٦.

١٣-وزارة النقل الفلسطينية - مديرية دائرة السير، محافظة الخليل، سجلات عام ٢٠٠٥م.

١٤- Fitzgerald, B.P. Development Geographical Method, Science In Geography , Oxford University Press , Oxford , 1977.

تقويم الأطعمة التي يتناولها طلبة التمريض في قطاع غزة

د. يوسف إبراهيم الجيش*

د. بكر محمود الزغبوط**

---

* أستاذ مساعد في الصحة العامة، كلية التمريض، الجامعة الإسلامية.

** أستاذ مشارك في الكيمياء الحيوية والتغذية، كلية العلوم، الجامعة الإسلامية

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقويم الأطعمة المختلفة التي يتناولها طلبة التمريض يوميا في قطاع غزة ، وقد استخدم فيها نماذج بيانات غذائية لمدة ثلاثة أيام متتالية وزعت على عينة عشوائية منتظمة قوامها ٩٣ من طلبة كلية التمريض بالجامعة الإسلامية في غزة ، و٥٩ من طلبة كلية فلسطين للتمريض في خان يونس ، وأجريت الحسابات والتحليل الإحصائي للنتائج المدونة .

حسب نتائج الدراسة يستهلك طلبة كلية التمريض بالجامعة الإسلامية (٨٠٪ طلاب و ٤٦ ٪ طالبات)، وطلبة كلية فلسطين للتمريض (٨٢,٣٪ طلاب و ٤٤٪ طالبات) حصتين أو أكثر يومياً من مجموعة اللحوم وبدائلها ، ويستهلك طلبة كلية التمريض بالجامعة الإسلامية (٢٧٪ طلاب و ٣٣٪ طالبات)، وطلبة كلية فلسطين للتمريض (١٤,٦٪ طلاب و ١٦٪ طالبات) حصتين أو أكثر يومياً من مجموعة اللبن ومنتجاته ، ويستهلك طلبة كلية التمريض بالجامعة الإسلامية (٩٩٪ طلاب و ٨٢٪ طالبات)، وطلبة كلية فلسطين للتمريض (٩٧٪ طلاب و ٨٤٪ طالبات) أربع حصص أو أكثر يومياً من مجموعة الحبوب ، وكذلك يستهلك طلبة كلية التمريض بالجامعة الإسلامية (٤٧٪ طلاب و ٥٦٪ طالبات)، وطلبة كلية فلسطين للتمريض (٦٧,٧٪ طلاب و ٣٦٪ طالبات) أربع حصص أو أكثر يومياً من مجموعة الخضراوات والفواكه .

يستنتج من هذه الدراسة أن هناك نقصاً ملحوظاً لدى طلبة الجامعة في قطاع غزة في تناول اللحوم (خاصة عند الطلبات)، واللبن ومنتجاته، و الخضراوات والفواكه، مما قد يترتب عليه نقص في بعض العناصر المهمة داخل الجسم كالحديد والبروتين والكالسيوم والألياف وبعض الفيتامينات .

كلمات رئيسية : تقويم الأطعمة، المجموعات الغذائية، طلبة التمريض، قطاع غزة .

Abstract

This study aimed to assess the daily consumption of different food groups among nursing students in the Gaza Strip. Study samples consisted of 93 subjects from the college of nursing at the Islamic university of Gaza (IUG) and 59 subjects from Palestine college of nursing (PCN), Khan Younus. Systematic random sample was used to select the subjects from both colleges of nursing. Every student in the sample recorded his normal daily food intake in a given structural food record for three successive days. SPSS WIN was used to analyze the data. Results of the study showed that eighty percent (80%) males and 46% females among nursing students at IUG consumed 2 servings or more daily of meat and meat alternates group. In comparison with, 82.3 % of males and 44 % of females from PCN. Twenty seven percent (27%) males and 33% females among nursing students at IUG consumed 2 servings or more daily of milk and milk products group. In comparison with 14.6 % of males and 16 % of females from PCN. Ninety nine percent (99%) males and 82% females among nursing students at IUG consumed 4 servings or more daily of grains group. In comparison with 97% of males and 84% of females from PCN. Forty seven percent (47%) males and 56% females among nursing students at IUG consumed 4 servings or more daily of fruits/vegetables group. In comparison with 67.7% of males and 36 % of females from PCN.

In conclusion, the amounts of daily consumption of meat (esp. for females), milk/ milk products, and vegetables/fruits among Nursing students in Gaza Strip are significantly low. Thus, the study indicates that the university students in the Gaza strip may be at risk of specific essential nutrients such as iron, protein, calcium, fibers, and vitamins.

Key words: assessment of food consumption, food groups, Nursing students, the Gaza Strip

مقدمة:

أظهرت السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا في مجال استخدام التغذية في علاج الأمراض المختلفة ؛ لأنه ثبت أن هناك زيادة مضطردة في نسبة الوفيات بين المرضى ذوي التغذية السيئة(١ ، ٢)، فالدراسات العلمية الكثيرة في هذا المجال أقنعت الأطباء أنه لا العلاج الكيميائي، ولا أجهزة التشخيص المتطورة تعد كافية لعلاج المرضى ما لم يعطوا قدراً من الطاقة والمواد الغذائية المختلفة التي تفي باحتياجات المرضى اليومية، وعليه فإن تقويم حاجة المريض من العناصر الغذائية يعد حجر الأساس أو الخطوة الأولى الواجب اتخاذها مؤشراً للحالة الصحية له قبل الشروع في أي إجراء علاجي ، وتجري عملية التقويم الغذائية بطرق عدة على النحو الآتي: التاريخ الصحي، والتقويم الغذائي، والتقويم المعملي، والتقويم السريري، والتقويم الجسماني، ومن أهم الطرق المتبعة لإجراء التقويم الغذائي: سجل الأغذية المتناولة خلال ٢٤ ساعة، وسجل التكرار الغذائي (٣)، وسجل البيانات الغذائية لمدة ثلاثة أيام متتالية (٤ ، ٥ ، ٦)، وسجل المجموعات الغذائية (٣ ، ٥). أحياناً قد لا يتوافر للفاحص جداول التحليل الغذائي اللازمة لتحليل الأغذية التي يتناولها الشخص إلى عناصر غذائية، فمن الممكن في هذه الحالة استعمال طريقة المجموعات الغذائية للتعرف إلى تغذية هذا الشخص، وعلى الرغم من أن هذه الطريقة ليست في دقة الطرق الأخرى ، فإنها تتميز عنها بسهولة الوقت وقلته والجهد اللازم لإجرائها (٣).

ولإجراء التقويم باستخدام المجموعات الغذائية تصنف الأغذية التي يتناولها الشخص إلى أربع مجموعات هي: اللبن ومنتجاته، واللحوم وبدائلها، والفواكه والخضراوات، والخبز والحبوب، وأطعمة أخرى لا تدخل ضمن هذه المجموعات الغذائية الأربعة ، ولا ينصح بتناولها رغم احتوائها على قدر كبير من الطاقة وعلى بعض المواد الغذائية مثل: الدهون الحيوانية والزيوت النباتية والسكاكر و المشروبات الغازية والصناعية وغير ذلك، ومن ثم تحديد كمية الغذاء المتناول على مدار اليوم في كل مجموعة، و مقارنة الكميات التي يتناولها الفرد بوحدات القياس المعروفة، التي تسمى حجم الحصة (٣، ٥، ٦)، فعدد الحصص الموصى بها للفرد البالغ من هذه المجموعات الغذائية هي: حصتان من اللحوم وبدائلها، وحصتان من اللبن ومنتجاته، أربع حصص من الخبز والحبوب، وأربع حصص من الفواكه والخضراوات. فكل مجموعة من هذه المجموعات الغذائية الأربعة الرئيسة تزود جسم الإنسان

ببعض العناصر المهمة الخاصة بها، فمجموعة اللبن ومنتجاته تتميز بعناصر غذائية مختلفة أهمها: الكالسيوم والبروتين والريبوفلافين وفيتامين ب٦، ومجموعة اللحوم وبدائلها تتميز بعناصر غذائية مختلفة أهمها: البروتين والريبوفلافين و الثيامين والنياسين وفيتامين ب١٢ والحديد، والزنك، ومجموعة الخضراوات والفواكه تتميز بعناصر غذائية مختلفة أهمها: فيتامينات (أ وج) والألياف والأملاح وبعض الفيتامينات الأخرى، وأما مجموعة الخبز والحبوب فتتميز بعناصر غذائية مختلفة أهمها: الريبوفلافين و الثيامين والنياسين والحديد. وإذا تبين أن شخصا بالغا يتناول باستمرار أقل من حصتين من اللبن ومنتجاته، فسيتعرض هذا الشخص إلى نقص في عنصر الكالسيوم وغير ذلك من العناصر الخاصة بهذه المجموعة، والشيء نفسه يحدث عند تناول أقل مما هو مطلوب من الحصص الأخر، فقد يتعرض ذلك الشخص لنقص في عناصر غذائية مهمة تختص بها كل مجموعة، فعلى سبيل المثال أيضا إذا تبين أن شخصا بالغا يتناول باستمرار من مجموعة الخضراوات والفواكه حصتين يومياً، فهذا يعد مؤشراً لاحتمال تعرضه لأمراض نقص فيتامين (أ و ج)، وذلك لأن الكمية الموصى بها من هذه المجموعة هي أربع حصص أو حتى أكثر (٣)، وتفيد الدراسات الوبائية الحديثة أن تناول الكمية الكافية من هذه المجموعة يقلل من مخاطر بعض أنواع السرطانات مثل سرطان الثدي، والقولون، والرئة، والمثانة، والمريء (٧، ٨).

على أي حال، فإن تناول هذا القدر من الحصص اليومية (من الأطعمة الحيوانية و النباتية) يمد الفرد البالغ بحوالي ١٢٠٠ سعر حراري، وهذا يعد غير كافٍ من الطاقة (٣، ٤)، ويعد كافياً لمعظم العناصر الغذائية ما عدا فيتامين (ب٦) وفيتامين (و) وعنصري الماغنيسيوم والزنك (٣، ٥)، ولموازنة هذا النقص في احتياجات الفرد البالغ من الطاقة وبعض العناصر المهمة للجسم يوصى عادة بزيادة حصص كل مجموعة واعتبار عدد المجموعات المبينة أعلاه هي حد أدنى (٩، ١٠)، بحيث تمد هذه الزيادة في عدد الوجبات الجسم في حدود ٢٠٠٠ سعر حراري يوميا، وتكفيه من كل العناصر، ويفضل أن يعد مقدار الطاقة المعيار الأساسي الذي يقاس عليه عدد الحصص الغذائية التي يحتاجها الفرد البالغ (١، ٣، ٤).

هناك حملات توعية غذائية شاملة للشعب الأمريكي تقودها مؤسسات صحية مختلفة مثل مؤسسة الصحة العامة، و البحث القومي، ومعهد السرطان، وغير ذلك... توصي الأفراد بتناول الحصص اليومية من المواد الغذائية المختلفة، ورغم هذه التوعية المتواصلة، فإن كثيرا من طلبة الجامعة في هذا البلد – على سبيل المثال – يتناولون أقل مما هو مطلوب من المجموعات الغذائية المهمة (١١)، وفشل الطلبة في تناول أغذية صحية من ناحية الكم والكيف يعزى

إلى عوامل عدة منها : استثناء بعض الوجبات اليومية (١٢)، وعدم الالتزام بتنوع الأطعمة المتناولة يومياً (١٣)، وتناول الأطعمة السريعة باستمرار (١٤)، وكذلك نقص الوعي العام بمفهوم التوصيات والإرشادات الغذائية ومفهوم الحصص الغذائية (١٥).

تعد هذه الدراسة من أوائل الدراسات حول التقويم الغذائي للبالغين في المجتمع الفلسطيني ، فالدراسات في هذا المجال تتركز حول الوضع الصحي للأطفال والحوامل دون غيرهم من فئات المجتمع الأخرى (١٦)، رغم إعطاء الأولوية لمثل هذه الدراسات في بلدان كثيرة منذ فترة طويلة (١٧-٢٠)، ففي دراستنا السابقة في هذا المجال قيمت الطاقة الغذائية وعناصرها لطلبة كليات التمريض في قطاع غزة بتقدير ما تتناوله هذه الفئة نفسها من طلبة الجامعة حسب ما توافر لدينا من جداول تحليل الأطعمة العربية التي استخدمت في هذه الدراسة (٣) ومقارنتها بالحصص اليومية للطاقة الغذائية وعناصرها الموصى بها عالمياً (٤)، ولكن وجدنا أن هذه الدراسة لا تكفي لتقويم هذا الجانب من جوانب الحالة الصحية لهؤلاء الطلبة تحت الدراسة ، لأنها لا تشمل العناصر الغذائية الضرورية الأخرى ، لذلك تهدف هذه الدراسة لتقويم الوضع الغذائي لطلبة التمريض قي قطاع غزة من خلال تصنيف الأطعمة التي يتناولها الطلبة إلى مجموعات غذائية ، وتحديد عدد الحصص اليومية المتناولة من كل مجموعة ، ومقارنتها بعدد الحصص القياسية التي يجب أن يتناولها الشخص البالغ للوصول إلى رؤيا أوضح حول الوضع الغذائي الصحي لطلبة الجامعة في قطاع غزة .

المواد والطرق:

يعد منهج هذه الدراسة غير تجريبي ووصفي مقارن حيث استخدم الباحثان نماذج بيانات غذائية لمدة ثلاثة أيام متتالية (نموذج لكل يوم) معتمدة من مصادر عدة ، وهي ذات ثبات ومصداقية (٥ ،٦) ، وقد جربت هذه النماذج على بعض طلبة كليات التمريض في الفصول الدراسية السابقة لفحص مدى ملاءمتها لهذه الدراسة قبل اعتمادها بشكل نهائي .

عينة الدراسة وكيفية إجرائها:

قام كل طالب بتسجيل كمية طعامه اليومي ونوعيته في النماذج الخاصة به لمدة ثلاثة أيام متتالية ، فكان معدل الاستجابة من قبل الطلبة المشاركين في هذه الدراسة هو ٩٧٪ و ٨٧٪ من كلية تمريض الجامعة الإسلامية وكلية فلسطين للتمريض على التوالي .

التعاريف الإجرائية:

١- في أثناء هذه الدراسة قُدِّر حجم الحصص الغذائية التي يتناولها طلبة التمريض يوميا بالاعتماد على عدة مصادر(٣ ، ٥ ، ٦ ، ٩) وهي على النحو الآتي :

- ❋ مقدار حصة واحدة من اللحوم وبدائلها : ٦٠ جرام من اللحم الأحمر أو الدجاج أو السمك بعد الطبخ أو بيضة دجاج مزارع ، و تعادل الحصة الواحدة من البقول نصف كوب من المكسرات أو كوب بقول ناشفة مطبوخة .
- ❋ مقدار حصة واحدة من الحبوب : ٢٥ جرام خبز ، كما تعادل نصف كوب حبوب أو معكرونة مطبوخة .
- ❋ مقدار حصة واحدة من الفواكه : حبة متوسطة من التفاح ، أو البرتقال ، أو الموز ، أو نصف حبة كرافوت ، أو نصف حبة شمام بلدي ، أو نصف كوب عصير فواكه مركز (طازج أو معلب)، أو ربع كوب فواكه مجففة .
- ❋ مقدار حصة واحدة من الخضراوات : حبة بطاطس ، أو حبة باذنجان ، أو نصف كوب خضراوات مطبوخة ، أو كوب خضراوات طازجة ، أو ثلاثة أرباع كوب عصير خضراوات مركز .
- ❋ مقدار حصة واحدة من اللبن ومنتجاته : كوب لبن ، أو كوب لبن رايب ، أو ٥٠ جرام جبن ، ٧٥جرام لبنة ، أو كوب ونصف أسكيمو أو بوظة ، أو طبق صغير مهلبية .

٢- عدد الحصص الغذائية القياسية الموصى بها للفرد البالغ : قُدِّر عدد الحصص الغذائية القياسية التي يتناولها طلبة التمريض يوميا بالاعتماد على مصادر عدة (٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠)، وباجتهاد الباحثين وهي : ٢-٤ حصص من مجموعة اللحوم وبدائلها أو من مجموعة اللبن ومنتجاته ، و ٤-٨ حصص من مجموعة الخبز والحبوب أو مجموعة الفواكه والخضراوات .

جمع البيانات ومعالجتها إحصائيا:

قام الباحثان بتصنيف المواد الغذائية المختلفة التي يتناولها الطلبة في كل يوم إلى أربع مجموعات هي : اللبن ومنتجاته ، واللحوم وبدائلها ، والفواكه والخضراوات ، والخبز والحبوب . وحسب التعاريف الإجرائية السابقة لكل حصة ، وبعد الحصول على البيانات

المطلوبة رتبت هذه البيانات وعولجت إحصائيا باستخدام الحزمة الإحصائيةSPSS للتعرف على عدد الحصص الغذائية التي يتناولها الطلبة يوميا من كل مجموعة غذائية .

* اختبار-كاي تم عند مستوى دلالة مقداره ٥ ٪ ، واعتبر الفرق بين أي نسبتين ذا دلالة إحصائية عندما تكون القيمة المعنوية (قيمة-P) أقل من هذه النسبة .

تقويم البيانات : قُيِّمت البيانات عن طريق مقارنة ما يتناوله الطلبة من حصص غذائية مع الحصص القياسية المطلوبة ، ومن مقارنة بيانات العينتين مع بعضهما بعضا .

النتائج و المناقشة:

في هذه الدراسة قُدِّر عدد الحصص اليومية من المجموعات الغذائية التي يتناولها طلبة كليات التمريض بقطاع غزة ومقارنتها بالكميات الموصى بها يومياً للفرد البالغ وهي : ٢-٤ حصص من مجموعة اللحوم وبدائلها أو من مجموعة اللبن ومنتجاته، و٤-٨ حصص من مجموعة الخبز والحبوب، أو من مجموعة الفواكه والخضراوات، فوجد أن حوالي ٨٠٪ (طلاب) و ٤٦٪ (طالبات) من طلبة التمريض بالجامعة الإسلامية يتناولون حصتين أو أكثر من اللحوم وبدائلها (جدول ١)، وفي المقابل طلبة كلية فلسطين للتمريض ٣ , ٨٢٪ (طلاب) و ٤٤٪ (طالبات) يتناولون حصتين أو أكثر من هذه المجموعة (جدول٣)، فاتضح أن هناك نقصا في تناول الطالبات في الكليتين من هذه المجموعة الغذائية المهمة لتي تمد الجسم بالبروتين الكامل والحديد وبعض الفيتامينات، فيخشى-حسب هذه النتائج- أن يكون أكثر من نصف طالبات تمريض قطاع غزة عرضة لنقص هذه العناصر الغذائية الهامة . ووجد أن كثيرا من الطلبة في الكليتين لا يتناولون الحصص اليومية المطلوبة من اللبن ومنتجاته، فجدول (١) يوضح أن ٢٧٪ (طلاب) و ٣٣٪ (طالبات) من كلية تمريض الجامعة الإسلامية يتناولون حصتين من هذه المجموعة أو أكثر، وفي المقابل (جدول ٣) يوضح أن ٦ , ١٤٪ (طلاب) و ١٦٪ (طالبات) من كلية فلسطين للتمريض يتناولون الكمية نفسها ، أي أن هناك نقصا واضحا في تناول هذه المجموعة عند هؤلاء الطلبة (خاصةً طلبة كلية فلسطين)، وقد يعزى ذلك إلى الفروق في مستوى المعيشة، وعليه يخشى على غالبية هؤلاء الطلبة أن يكونوا عرضة لنقص عناصر غذائية مهمة مثل عنصر الكالسيوم، ومن ثم تعرضهم لمرض هشاشة العظام في مرحلة مبكرة .

وفي قراءة لنتائج مجموعة الحبوب والخبز التي يتناولها طلبة التمريض بالجامعة الإسلامية تبين أن ٩٩٪ (طلاب) و ٨٢٪ (طالبات) يتناولون أربع حصص يومية أو أكثر من هذه المجموعة

المهمة (جدول ٢)، أما طلبة كلية فلسطين للتمريض فيتناول منهم ٩٧٪ (طلاب) و ٨٤٪ (طالبات) أربع حصص أو اكثر من هذه المجموعة (جدول ٤)، أي أن غالبية طلبة التمريض في قطاع غزة يتناولون ما هو مطلوب من العناصر الغذائية التي تحتويها هذه المجموعة، وهذه الفروق بين ما يتناوله الطلاب و تتناوله الطالبات قد يعود إلى محاولة الطالبات المحافظة على أوزانهن في هذه المرحلة، وقد يعود إلى أن المستوى المطلوب من الطاقة للطالبات أقل من المستوى المطلوب من الطاقة للطلاب (٤).

وفي قراءة لنتائج مجموعة الخضراوات والفواكه التي يتناولها طلبة التمريض بالجامعة الإسلامية تبين أن حوالي٤٧٪ (طلاب) و ٥٦٪ (طالبات) يتناولون أربع حصص أو اكثر من الخضراوات والفواكه (جدول ٢)، بينما في كلية فلسطين للتمريض ٦٧,٧٪ (طلاب) و ٣٦٪ (طالبات) يتناولون الحصص نفسها من هذه المجموعة المهمة (جدول ٤)، أي أن هناك نقصا واضحا في تناول هذه المجموعة عند طلبة تمريض الجامعة الإسلامية و طلبة فلسطين للتمريض، وهذا أيضاً قد ينعكس سلبا على حياة هؤلاء الطلبة، فيخشى عليهم من نقص الفيتامينات و الألياف و الأملاح في المستقبل التي تقدمها هذه المجموعة.

هذا النقص في تناول بعض الحصص الغذائية المهمة لدى طلبة التمريض في قطاع غزة مثل: اللبن ومنتجاته أو الخضراوات والفواكه أو اللحوم (عند الطالبات فقط) قد يعود إلي الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني، وقد يعود إلى استثناء بعض الوجبات (كما لاحظنا ذلك عند تفريغ النماذج)، أو تناول الوجبات السريعة، أو قلة الاطلاع والمعرفة في هذا المجال، أو حتى تداخل كل هذه الأسباب مجتمعة.

نتائج هذه الدراسة تتفق مع دراسات أخرى أجريت على طلبة الجامعات، ويبدو أن هذه مشكلة عالمية(Global) ، حيث يعاني الطلبة بشكل عام من نقص في تناول الألياف والكالسيوم والحديد وبعض الفيتامينات، أو حتى عناصر غذائية أخرى (١٣، ٢٠- ٢٢)، و نسبة الالتزام في تناول الحصص الغذائية المطلوبة في هذه الدراسة تختلف مع دراسة سابقة (٢٣) أجريت في هذا المجال؛ فبينت أن ٨٤٪ من الطلاب و ٦٣٪ من الطالبات يلتزمون بتناول الحصص اليومية المطلوبة من مجموعة اللحوم وبدائلها، و أن ٨٢٪ من الطلاب و٨٧ ٪ من الطالبات يلتزمون بتناول الحصص اليومية المطلوبة من مجموعة اللبن ومنتجاته، وأن ٥٧٪ من الطلاب و ٥٣٪ من الطالبات يلتزمون بتناول الحصص اليومية المطلوبة من مجموعة الحبوب والخبز، وأن ٧٢٪ من الطلاب و ٥٧٪ من الطالبات يلتزمون بتناول الحصص اليومية المطلوبة من مجموعة الخضراوات، وأن ٨٢٪ من الطلاب و٧١٪ من الطالبات يلتزمون

بتناول الحصص اليومية المطلوبة من مجموعة الفواكه .

عند إجراء اختبار-كاي عند مستوى دلالة قدره ٥٪ وجد أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية وقيمة معنوية بين طلاب وطالبات كل كلية تمريض الجامعة الإسلامية في تناول مجموعة اللحوم وبدائلها (جدول ١) ، وفي تناول مجموعة الخبز و الحبوب (جدول ٢) ، وأن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية وقيمة معنوية بين طلاب وطالبات كل كلية فلسطين للتمريض في تناول مجموعة اللحوم وبدائلها (جدول٣) ، وفي تناول الخبز و الحبوب (جدول ٤)، وفي تناول الفواكه والخضراوات (جدول ٤) . الاختلاف في مستوى تناول اللحوم أو تناول الفواكه قد يرجع إلى الاختلاف في الظروف الاجتماعية بين الجنسين، أما الاختلاف في مستوى تناول الخبز والحبوب، فيرجع إلى الاختلاف في كمية الطاقة الغذائية اللازمة لكل من الجنسين (٤)، وعند إجراء الاختبار نفسه عند مستوى الدلالة نفسه لفحص الفروق بين عدد الحصص التي يتناولها طلبة تمريض الجامعة الإسلامية وطلبة كلية فلسطين للتمريض، وجد أنه لا يوجد أي نوع من الفروق المعنوية بين الطلاب (جدول ٥) أو بين الطالبات (جدول ٦) في الكليتين .

هذا التحليل الغذائي أجري على عينات عشوائية منتظمة من طلبة كليتي التمريض في شمال قطاع غزة وجنوبه ، وهذه العينات التمثيلية لا تمثل فقط الكليتين، بل بالتأكيد تمثل فئة الطلبة الشابة في المجتمع الفلسطيني .

الاستنتاجات:

تبين هذه الدراسة أن طلبة التمريض في القطاع يعانون من نقص ملحوظ في تناول الحصص الغذائية المطلوبة من اللحوم (خاصة لدى الطالبات)، واللبن ومنتجاته، و الخضراوات والفواكه، مما قد يترتب عليه نقص في بعض العناصر المهمة داخل الجسم، وقد يعزى ذلك إلى تردى الوضع الاقتصادي والسياسي، وغياب التوعية الصحية المطلوبة في هذه المدينة المحاصرة .

التوصيات:

بهدف تدعيم ما توصلت إليه هذه الدراسة يقترح الباحثان إجراء عدد من الدراسات التي تمثل امتدادا بحثيا في هذا المجال باعتبار التغذية من العوامل المؤثرة على الصحة الجسدية والنفسية و الاجتماعية .

١- إجراء دراسات أوسع داخل المدن والقرى والمخيمات حول الوضع الغذائي والصحي للشباب الجامعي في فلسطين.

٢- دراسة علاقة كل من الوضع الاقتصادي والاجتماعي والمستوى الثقافي بعدد الحصص اليومية المتناولة لدى فئة الطلبة من المجتمع الفلسطيني.

٣- تقويم الحالة الغذائية للطلبة عن طريق التحليل الكيميائي للعناصر الغذائية المهمة مثل مستوى كل من الهيموجلوبين و بعض الفيتامينات و الأملاح داخل الدم، فهذه الطريقة تعكس الوضع الغذائي الحقيقي لهؤلاء الطلبة.

٤- نشر التوعية الغذائية الشاملة بين فئات الطلبة في المجتمع الفلسطيني.

جدول ١: عدد حصص اللحوم وبدائلها،
وعدد حصص اللبن ومنتجاته التي يتناولها طلبة تمريض الجامعة الإسلامية

	Meat and Meat alternates group Servings/day (cut-off points)				Milk and milk products group Servings/day (cut-off points)			
	<1 No.(%)	1-<2 No.(%)	2 No.(%)	>2 No.(%)	<1 No.(%)	1-<2 No.(%)	2 No.(%)	>2 No.(%)
Male(56)	2(4.0)	9(16.0)	10(18)	35(62)	19(34)	22(39)	9(16)	6(11)
Female(37)	3(8.1)	17(46)	7(19)	10(27)	9(24)	16(43)	5(14)	7(19)
Chi-square (P-value)	13.75 (<0.05)				1.93 (> 0.05)			

جدول٢: عدد حصص الحبوب والخبز، وعدد حصص الخضراوات و الفواكه التي يتناولها طلبة تمريض الجامعة الإسلامية.

Sex	Grains group Servings/day (cut-off points)				Fruits/Vegetables group Servings/day (cut-off points)			
	<2 No.(%)	2-<4 No.(%)	4 No.(%)	>4 No.(%)	<2 No.(%)	2-<4 No.(%)	4 No.(%)	>4 No.(%)
Males (56)	1 (2)	0(0.0)	2(4)	53(95)	6(11)	24(43)	7(13)	19(34)
Females (37)	1(3)	6(16)	5(14)	25(68)	3(8)	13(35)	7(19)	14(38)
Chi-square (P-value)	14.05 (<0.05)				1.18 (> 0.05)			

جدول ٣: عدد حصص اللحوم وبدائلها، وعدد حصص اللبن ومنتجاته التي يتناولها طلبة كلية فلسطين للتمريض في خان يونس

Sex	Meat and Meat alternates group Servings/day (cut-off points)				Milk and milk products group Servings/day (cut-off points)			
	<1 No.(%)	1-<2 No.(%)	2 No.(%)	>2 No.(%)	<1 No.(%)	1-<2 No.(%)	2 No.(%)	>2 No.(%)
Males(34)	0(0.0)	6(17.6)	12(35.2)	16(47.1)	17(50)	12(35.2)	2(5.8)	3(8.8)
Females(25)	1(4)	13(52)	5(20)	6(24)	10(40)	11(44)	4(16)	0(0)
Chi-square(P-value)	9.83 (<0.05)				4.25 (> 0.05)			

جدول ٤: عدد حصص الحبوب والخبز ، وعدد حصص الخضراوات و الفواكه التي يتناولها طلبة كلية فلسطين للتمريض في خان يونس.

Sex	Grains (Bread-Cereals) group Servings/day (cut-off point)				Fruits/Vegetables group Servings/day (cut-off points)			
	<2 No.(%)	2-<4 No.(%)	4 No.(%)	>4 No.(%)	<2 No.(%)	2-<4 No.(%)	4 No.(%)	>4 No.(%)
Males(34)	0(0)	1(3)	0(0)	33(97)	6(17.6)	5(14.7)	7(20.6)	16(47.1)
Females(25)	1(4)	3(12)	5(20)	16(64)	2(8)	14(56)	4(16)	5(20)
Chi-square (P-value)	11.78 (<0.05)				11.71 (< 0.05)			

جدول ٥: نتائج اختبار-كاي لدراسة الفروق بين نسبة ما يتناوله طلاب تمريض الجامعة الإسلامية و طلاب كلية فلسطين للتمريض من الحصص الغذائية المختلفة.

Food group	Chi-square	(P-value)
Meat and Meat alternates	4.74	>0.05
Milk and milk products	3.31	>0.05
Grains	3.51	>0.05
Fruits and Vegetables	7.77	>0.05

جدول ٦: يبين نتائج اختبار-كاي لدراسة الفروق بين نسبة ما يتناوله طالبات تمريض الجامعة الإسلامية، وطالبات كلية فلسطين للتمريض من الحصص الغذائية المختلفة.

Food group	Chi-square	(P-value)
Meat and Meat alternates	0.55	>0.05
Milk and milk products	6.00	>0.05
Grains	0.66	>0.05
Fruits and Vegetables	2.66	>0.05

المراجع:

[1] Chang R.W.S., Richardson R., Adams J., & Hatton I. 1985. Incidence of malnutrition among Saudi surgical patient: A preliminary survey. Saudi Med J. 6 (5), 459- 67

[2] Beck A. M., Balknas U. N., Furst P. et al. (2001). Food and nutritional care in hospitals: how to prevent undernutrition, report and guidelines from the Council of Europe. Clin. Nutr. 20, 455–460.

[٣] المخللاتي. ج. (١٩٩٧). دليل تغذية المرضى في المستشفيات. دار الشروق، عمان، الأردن.

[٤] الزعبوط. ب. م. والحبيبي. م. أ. (٢٠٠٦). تقويم الطاقة الغذائية و عناصرها التي يتناولها طلبة التمريض في قطاع غزة. مجلة جامعة النجاح الوطنية. تحت النشر.

[5] Whitney E.N., Hamilton E.M.N. and Rolfes S.R. (1990). Understanding Nutrition (5th Ed.). West Publishing Company, USA.

[6] Cataldo B. C., Nyenhuis J.R., and Whitney E.N. (1989). Nutrition and Diet Therapy: Principles and Practice (2nd Edition). West Publishing Company, U.S.A.

[7] Block G, Patterson B. , and Subar A. (1992). Fruit, vegetables and cancer prevention: A review of epidemiologic evidence. Nutr Can. 18(1), 1-19.

[8] Henderson B., Ross R.U., and Pike M.C. (1991). Towards the primary prevention of cancer. Science, 254,1131-1138.

[9] Williams S.R. (1989). Nutrition and diet therapy (6th edition), Times Mirror/Mosby College Publishing, Boston, USA.

[10] U.S. Dept. of Agriculture (USDA), U.S. Dept. of Health and Human Service (DHHS). (2005). New food guide pyramid (FGP) information: Basic food groups of balanced diet and healthy eating. Washington, DC. Home and Garden , Bulletin, USA.

[11] Krebs-Smith S.M., Heimendinger J., Patterson B.H., Subar A., and Pivonka E. (1995). Phycho-social factors associated with fruit and vegetable consumption. AMJ Health Prom., 10, 98-104.

[12] Sax, L. J. (1997). Health trends among college freshmen. Health Trends, 45, 252-262.

[13] Schuette L.K., Song, W.O., and Hoerr, S.L. (1996). Quantitative use of the food guide pyramid to evaluate dietary intake of college students.

Journal of the American Association, 96, 453-457.

[14] Task Force on National Health Objectives in Higher Education. (1991). Healthy Campus 2000: Making it happen. Linthicum, MD: American college Health Association.

[15] Cotugna N. & Vickery, C.E. (1994). College Student's awareness, Knowledge and compliance with food guide pyramid recommendations. AM J Health Promotion, 8(6), 417-419.

[16] Nutrition Department, Directorate General of Primary Health Care and public Health. (2004). The state of Nutrition West Bank and Gaza strip: A comprehensive review of nutrition situation of west Bank and Gaza strip. Unicef, WHO, and Palestine national Authority, MOH, Palestine.

[17] Khan M. K. and Al-Kanhal M.A. (1998). Dietary Energy and Protein Requirements for Saudi Arabia: A methodological approach. EMHJ. 4(1) 68-75.

[18] Khattak M.M., Khan A.,& Khattak U. (2002). Energy and Nutrients Intakes of Male and Female University Students. Pakistan J. Nutrition, 1 (4), 174-178.

[19] Rao S. (2001). Nutritional Status of the Indian Population. J. Bioscience. 26 (4), 481-489.

[20] Howarth C.C. (1991). Dietary intake and nutritional status Among university undergraduates. Nutrition Research, 11, 395-404.

[21] Zabut B.M., Bayomy M., and Salama A. R. (1999). Estimation of average dietary fiber intakes of university students in the Gaza Strip, J. of Al-Aqsa University , Gaza, 3 (1), 21-31.

[[22] Huong, Y., Song W.O., Schemmel R.A., & Hoerr S.M. (1994). What do college students eat? Food selection and meal patterns. Nutrition Research, 14(8), 1143-1153.

[23] McArthur L., Rosenberg R.I., Grady F.M. & Haward A.B. (2002). College students' compliance with food guide pyramid recommendations. J. Family and Consumer Sciences, 94(2), 29-38.

الأبحاث

باللغة الإنجليزية

Venturini L. and Vanin V.R., “HPGe detector effi. calib. for exte sources in the 50- 1400 keV energy range”. Appl. Radiate. Isot., Vol. 44, No. 7, pp: 999-1002, (1995).

Yu K.N., Guan Z.J., Stoks M.J. and Young E.C., “The assessment of natural radiation dose committed to the Hong kong people” J. Environ. Radioactivity, Vol. 17, p: 931, (1992).

References

Bodansky D., Robkin M. and Stadle D. Indoor radon and its hazards. University of Washington Press, (1987).

Data in Science and Tech.: Semiconductors Group IV Elements and IIIV Compounds. Edited by O. Madelung, Springer-Verlag, New York, (1991) .

Eisenbud M., and Gesell Th. Environmental radioactivity from natural, industrial and military sources,. Fourth Edition, pp:135-218, (1997).

El-Sayed A., Abdel–Rassoul A. and Aly H. Proc. of the 7th Int. Conf. on Environmental Protection; Alexandria, Egypt, May 20-22, (1997).

Environmental Measurements Laboratory (EML), USA, Department of Energy, Nov. (1990).

Goet Z. Jennifer L. Background radiation in soil samples. Sandia Laboratories. Aluquerque, NM. (1997).

Helmer R.G. Efficiency calibration of Ge detector for 30-2800 keV, gamma ray. Nucl. Instr. Meths, Vol. 199, p: 521, (1982).

IAEA Measurement of Radionuclides in Food and the Environment Technical Reports Series, No.295, Vienna, (1989).

IAEA, Determination of radionuclides in food and environment samples. IAEA International Training Caurse – Karsruhe,(1998).

Khan A.J, Prasad R . and Tyagl R.K., " Nuclear Tracks and Radiation Measurements", Vol. 20,No. 4, pp: 609-612, (1992).

Klaus D., Richard G.H., “Gamma and X-ray spectrometry with semiconductor detector”, North-Holland ,(1988).

Knoll, G.F, ”Radiation Detection and Measurement “; Univ. of Michigan, John Wiley and Sons, Inc, Third Edition NewYork , (2000).

Nancy A. Ch., Donald C. B. and Earl Q. K., “Environmental Measurement Laboratory (EML)”, Procedure Manual-HASAL- 300, 27th edition (1992).

Organization for Economic Cooperation and Development(OECD), Exposure to radiation from the natural radioactivity in building materials, Report by a Group of Experts of the OECD Nuclear Energy Agency, OECD, Paris, France, (1979).

Ruixiang L., Atomic Energy Science Technology, Vol. 20, No. 5, pp:596-601, (1986).

UNSCEAR ,Sources and Effects of Ionizing Radiation , United Nations Scientific Committee on the Effects of Human , Atomic Radiation Report to the General Assembly with Annexes,(1998).

UNSCEAR, Effects and Risks of Ionizing Radiation, UN, New York, (2000).

Van Dijk W. and De Jong P., Health Physics, Vol. 61, p:501, (1991).

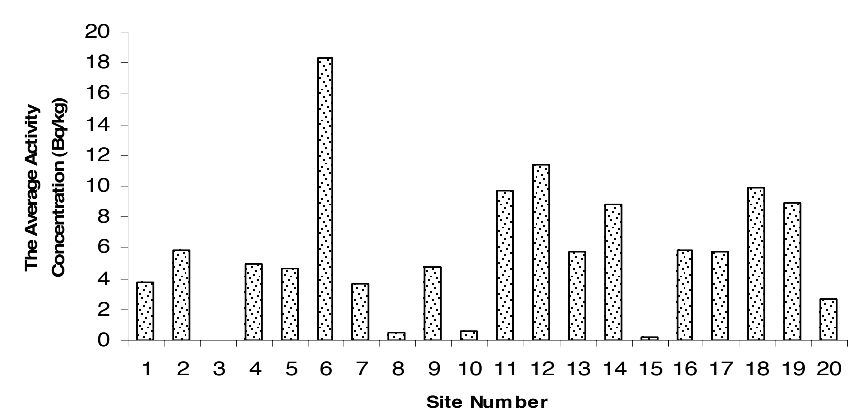


Figure 6. The Average Activity Concentration of Cs-137 in Soil Samples from Hebron Region at Different Depths.

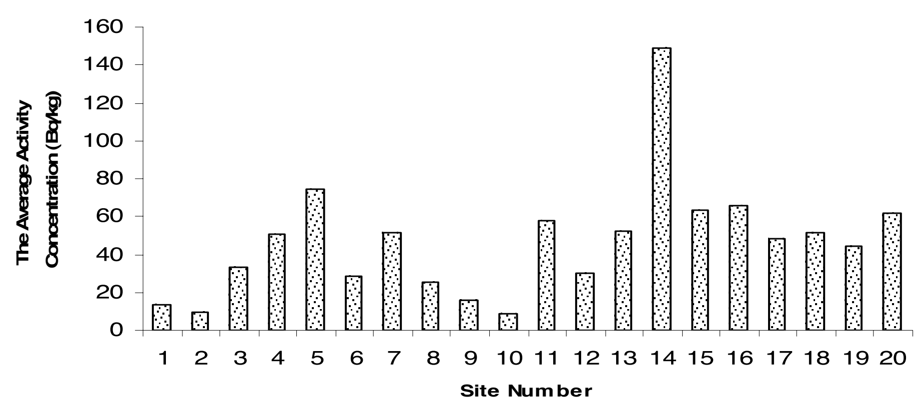


Figure 3. The Average Activity Concentration of U-238 Series in Soil Samples from Hebron Region at Different Depths.

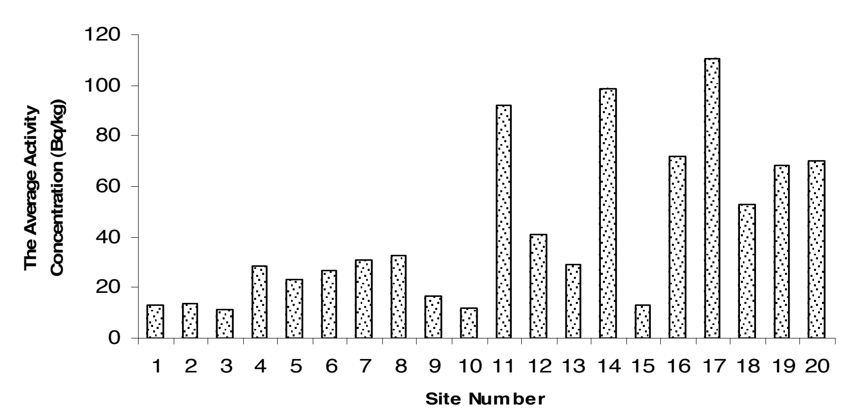


Figure 4. The Average Activity Concentration of Th-232 Series in Soil Samples from Hebron Region at Different Depths.

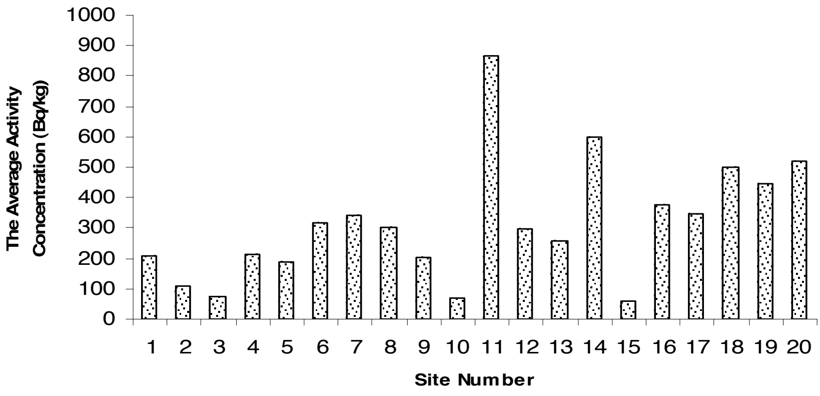


Figure 5. The Average Activity Concentration of K-40 in Soil Samples from Hebron Region at Different Depths.

Table 4. The dose rate, the external hazard index and the external gamma radiation of the soil sample at different depths in southern Hebron province

Site	Sample	Depth (cm)	Dose rate (nGy/hr)	Ra_{eq} (Bq/kg)	H_{ex}(mGy/yr)	I_γ
11	11SRIII	Surf. 20 40 60	137.60 99.10 136.15 119.58	292.88 209.44 277.89 246.56	0.79 0.57 0.75 0.67	2.11 1.52 2.10 1.84
Average			**123.11**	**256.69**	**0.70**	**1.89**
12	12SRIII	Surf. 20 40 60	67.08 50.38 58.73 34.56	142.39 107.55 123.97 71.72	0.38 0.29 0.33 0.19	1.03 0.78 0.90 0.53
Average			**52.69**	**111.41**	**0.30**	**0.81**
13	13SRIII	Surf. 20 40 60	86.40 45.14 41.20 37.40	189.41 96.34 88.15 79.76	0.51 0.26 0.24 0.22	1.34 0.70 0.64 0.58
Average			**52.54**	**113.42**	**0.31**	**0.82**
14	14SRIII	Surf. 20 40 60	222.9 145.68 112.35 125.26	486.87 319.49 239.28 269.64	1.32 0.86 0.65 0.73	3.44 2.25 1.73 1.92
Average			**151.55**	**328.82**	**0.89**	**2.34**
15	15SRIII	15 meter	38.36	86.83	0.24	0.60
16	16SRIV	Surf. 20 40 60	137.76 104.96 58.40 66.82	298.03 277.35 123.77 142.17	0.80 0.61 0.33 0.38	2.11 1.61 0.90 1.03
Average			**91.99**	**210.33**	**0.53**	**1.41**
17	17SRIV	Surf. 20 40 60	173.65 81.05 116.39 95.29	376.99 172.08 248.51 202.82	1.02 0.46 0.67 0.55	2.66 1.24 1.77 1.45
Average			**116.60**	**250.1**	**0.68**	**1.78**
18	18SRIV	Surf.	78.72	166.07	0.45	1.21
19	19SRIV	Surf.	83.56	176.88	0.48	1.28
20	20SRIV	Surf.	95.14	202.04	0.55	1.46
Total Average			**86.33**	**201.62**	**0.54**	**1.44**

Table 3. The dose rate, the external hazard index, and the external gamma radiation of the soil sample at different depths in northern Hebron province.

Site	Sample	Depth (cm)	Dose rate (nGy/hr)	Ra_{eq} (Bq/kg)	H_{ex}(mGy/yr)	I_γ
1	1SRI	Surf.	26.23	54.35	0.15	0.41
		20	23.44	48.29	0.13	0.36
		40	24.10	49.35	0.13	0.37
		60	24.21	50.77	0.14	0.37
Average			**24.50**	**50.70**	**0.14**	**0.38**
2	2SRI	Surf.	18.14	38.02	0.11	0.28
		20	28.66	60.34	0.16	0.44
		40	13.66	28.85	0.08	0.21
		60	11.68	24.75	0.07	0.18
Average			**18.04**	**38.0**	**0.11**	**0.28**
3	3SRI	15 meter	25.04	55.48	0.15	0.39
4	4SRI	Surf.	55.18	119.91	0.32	0.85
		20	51.33	111.41	0.30	0.79
		40	47.79	103.60	0.28	0.74
		60	44.87	97.29	0.26	0.69
Average			**49.80**	**108.05**	**0.29**	**0.77**
5	5SRI	Surf.	63.38	140.07	0.38	0.98
		20	59.16	130.74	0.35	0.92
		40	54.57	120.58	0.33	0.85
		60	43.71	96.82	0.26	0.68
Average			**55.21**	**122.05**	**0.33**	**0.86**
6	6SRI	Surf.	53.95	113.01	0.31	0.83
		20	43.97	92.52	0.25	0.68
		40	40.07	83.84	0.23	0.62
		60	36.17	75.41	0.20	0.56
Average			**43.54**	**91.20**	**0.25**	**0.67**
7	7SRI	Surf.	62.41	133.58	0.36	0.96
		20	56.72	121.10	0.33	0.88
		40	52.79	112.40	0.30	0.82
		60	56.96	121.46	0.33	0.88
Average			**57.22**	**122.14**	**0.33**	**0.89**
8	8SRII	Surf.	47.83	100.16	0.27	0.74
		20	45.92	96.23	0.26	0.71
		40	44.86	94.64	0.26	0.69
		60	55.13	116.26	0.31	0.85
Average			**48.44**	**101.82**	**0.28**	**0.75**
9	9SRII	Surf.	25.43	53.35	0.14	0.39
		20	22.29	45.94	0.12	0..34
		40	38.60	80.62	0.22	0.59
		60	19.28	40.16	0.11	0.30
Average			**26.40**	**55.02**	**0.15**	**0.41**
10	10SRII	15 meter	14.52	30.98	0.08	0.22
Total Average			**38.7**	**70.2**	**0.22**	**0.60**

Table 2. The activity concentration of ^{238}U-series, ^{232}Th-series, ^{40}K and ^{137}Cs in Bq/kg (dry weight) of the studied samples in southern Hebron province.

Site	Sample	Depth (cm)	^{238}U	^{232}Th	^{40}K	^{137}Cs
11	11SRIII	Surf.	64.9 ± 3.3	127.5 ± 6.4	592.1 ± 29.6	30.2 ± 1.5
		20	37.6 ± 1.9	94.6 ± 4.7	475.0 ± 23.6	5.3 ± 0.3
		40	64.9 ± 3.2	76.9 ± 3.8	1338.1 ± 66.9	2.8 ± 0.1
		60	64.7 ± 3.2	70.0 ± 3.5	1060.0 ± 53.0	0.3 ± 0.1
Average			**58.0 ± 2.9**	**92.3 ± 4.6**	**866.3 ± 43.3**	**9.7 ±0.5**
12	12SRIII	Surf.	39.0 ± 2.0	53.5 ± 2.7	349.1 ± 17.5	24.2 ± 1.2
		20	40.8 ± 2.0	31.6 ± 1.6	280.0 ± 11.0	17.8 ± 0.9
		40	26.9 ± 1.4	51.0 ± 2.6	313.5 ± 15.7	2.1 ± 0.1
		60	13.5 ± 0.7	27.2 ± 1.4	251.0 ± 12.6	1.3 ± 0.1
Average			**30.1 ± 1.5**	**40.8 ± 2.0**	**298.4 ± 14.9**	**11.4 ± 0.6**
13	13SRIII	Surf.	100.5 ± 5.0	45.1 ± 2.3	317.1 ± 15.9	12.4 ± 0.6
		20	38.5 ± 1.9	26.4 ± 1.3	260.9 ± 13.1	6.9 ± 0.4
		40	36.9 ± 1.9	23.3 ± 1.2	232.9 ± 11.7	2.2 ± 0.1
		60	32.9 ± 1.7	20.6 ± 1.0	226.0 ± 11.3	1.1± 0.1
Average			**52.2 ± 2.6**	**28.9 ± 1.5**	**259.2 ± 13.0**	**5.7 ± 0.3**
14	14SRIII	Surf.	236.9 ± 11.9	130.7 ± 6.5	819.1 ± 41.9	24.0 ± 1.2
		20	195.3 ± 8.3	80.6 ± 4.0	505.6 ± 25.3	6.0 ± 0.3
		40	67.7 ± 3.4	90.6 ± 4.5	545.7 ± 27.3	5.2 ± 0.3
		60	97.0 ± 4.9	92.0 ± 4.6	533.5 ± 26.7	0.0 ± 0.0
Average			**149.2 ± 7.1**	**98.5 ± 4.9**	**601.0 ± 30.1**	**8.8 ± 0.4**
15	15SRIII	15 meter	63.7 ± 3.2	12.8 ± 0.6	61.5 ± 3.1	0.2 ± 0.0
16	16SRIV	Surf.	88.5 ± 4.4	124.8 ± 6.2	403.5 ± 20.2	15.3 ± 0.8
		20	83.6 ± 4.2	80.6 ± 4.0	370.0 ± 18.5	4.3 ± 0.2
		40	43.9 ± 2.2	36.2 ± 1.8	365.0 ± 18.3	2.6 ± 0.1
		60	47.7 ± 2.4	46.2 ± 2.3	368.9 ± 18.4	1.0 ± 0.1
Average			**65.9 ± 3.3**	**72.0 ± 3.6**	**376.9 ± 18.8**	**5.8 ± 0.3**
17	17SRIV	Surf.	105.5 ± 5.3	152.7 ± 8.4	396.5 ± 19.8	11.0 ± 0.6
		20	31.0 ± 1.6	80.3 ± 4.0	340.9 ± 17.0	7.0 ± 0.4
		40	33.5 ± 1.7	131.7 ± 6.6	346.5± 17.3	4.9 ± 0.3
		60	21.8 ± 1.1	77.7 ±5.5	296.9 ± 14.8	00.0
Average			**48.0 ± 2.4**	**110.6 ± 6.1**	**345.2 ± 17.3**	**5.7 ± 0.3**
18	18SRIV	Surf.	51.6 ± 2.6	53.0 ± 2.7	502.3 ± 2.7	9.9 ± 0.5
19	19SRIV	Surf.	44.7 ± 2.2	68.4 ± 3.4	446.8 ± 22.3	8.9 ± 0.4
20	20SRIV	Surf.	61.8 ± 3.1	70.0 ± 3.5	520.8 ± 26.0	2.7 ± 0.1
Total Averge			**65.6**	**71.3**	**447.1**	**7.5**

Table 1. The activity concentration of ^{238}U-series, ^{232}Th-series, ^{40}K and ^{137}Cs in Bq/kg (dry weight) of the studied samples in northern Hebron province.

Site	Sample	Depth (cm)	^{238}U	^{232}Th	^{40}K	^{137}Cs
1	1SRI	Surf.	13.4 ± 0.7	17.2 ± 0.9	211.3 ± 10.6	7.9 ± 0.4
		20	15.1 ± 0.8	11.4 ± 0.6	220.6 ± 11.0	3.6 ± 0.2
		40	13.6 ± 0.7	12.3 ± 0.6	236.6 ± 12.0	2.2 ± 0.1
		60	12.3 ± 0.6	11.4 ± 0.9	155.6 ± 8.0	1.3 ± 0.1
Average			**13.6 ± 0.7**	**13.1 ± 0.7**	**206.0 ± 10.3**	**3.8 ±0.1**
2	2 SRI	Surf.	10.5 ± 0.5	12.6 ± 0.6	123.8 ± 6.2	7.1 ± 0.4
		20	11.5 ± 0.6	25.8 ± 1.3	154.9 ± 7.8	6.5 ± 0.3
		40	8.4 ± 0.4	9.8 ± 0.5	82.5 ± 4.1	5.8 ± 0.3
		60	8.7 ± 0.4	7.3 ± 0.4	72.7 ± 3.6	3.8 ± 0.2
Average			**9.8 ± 0.5**	**13.9 ± 0.7**	**108.5 ± 5.4**	**5.8 ± 0.3**
3	3 SRI	15 meter	33.2 ± 1.7	11.5 ± 0.6	75.2 ± 3.8	0.0 ± 0.0
4	4SRI	Surf.	55.2 ± 2.8	33.1 ± 1.7	225.4 ± 11.3	6.3 ± 0.4
		20	51.6 ± 2.6	30.0 ± 1.5	218.9 ± 10.9	5.5 ± 0.3
		40	48.0 ± 2.4	27.5 ± 1.4	211.7 ± 10.6	5.0 ± 0.3
		60	46.6 ± 2.3	24.4 ± 1.2	204.3 ± 10.2	3.3 ± 0.2
Average			**50.4 ± 2.5**	**28.8 ± 1.4**	**215.1 ± 10.8**	**5.0 ±0.3**
5	5 SRI	Surf.	81.5 ± 4.1	30.2 ± 1.5	198.7 ± 9.9	5.9 ± 0.3
		20	77.2 ± 3.9	27.1 ± 1.4	192.6 ± 9.6	5.8 ± 0.3
		40	71.2 ± 3.6	24.9 ± 1.2	178.4 ± 8.9	4.9 ± 0.3
		60	66.8 ± 3.3	11.5 ± 0.6	175.9 ± 8.8	2.1 ± 0.1
Average			**74.2 ± 3.7**	**23.4 ± 1.2**	**186.4 ± 9.3**	**4.7 ±0.3**
6	6 SRI	Surf.	35.1 ± 1.8	33.3 ± 1.7	393.3 ± 19.7	25.0 ± 1.3
		20	28.8 ± 1.4	28.7 ± 1.4	294.9 ± 15.0	20.7 ± 1
		40	26.3 ± 1.3	24.1 ± 1.2	299.5 ± 15.0	14.8 ± 0.7
		60	23.9 ± 1.2	20.5 ± 1.0	288.3 ± 14.4	13.2 ± 0.7
Average			**28.5 ± 1.4**	**26.7 ± 1.3**	**319.0 ± 16.0**	**18.4±0.9**
7	7 SRI	Surf.	57.6 ± 2.9	33.8 ± 1.7	359.1 ± 18.0	4.3 ± 0.2
		20	50.7 ± 2.6	31.0 ± 1.6	337.7 ± 16.9	4.2 ± 0.2
		40	46.6 ± 2.3	28.2 ± 1.4	330.1 ± 16.5	3.6 ± 0.2
		60	50.4 ± 2.6	31.1 ± 1.6	345.3 ± 17.3	2.8 ± 0.1
Average			**51.3 ± 2.6**	**31.0 ± 1.6**	**343.1 ± 17.2**	**3.7 ± 0.2**
8	8 SRII	Surf.	26.3 ± 1.3	33.9 ± 1.7	328.3 ± 16.4	0.9 ± 0.0
		20	24.5 ± 1.2	33.7 ± 1.7	306.5 ± 15.3	0.7 ± 0.0
		40	23.8 ± 1.2	35.6 ± 1.7	259.6 ± 13.0	0.3 ± 0.0
		60	27.4 ± 1.4	28.1 ± 2.3	312.2 ± 15.6	0.2 ± 0.0
Average			**25.5 ± 1.3**	**32.8 ± 1.9**	**301.7 ± 15.1**	**0.5 ± 0.0**
9	9 SRII	Surf.	14.6 ± 0.7	17.9 ± 0.9	170.7 ± 8.5	9.1 ± 0.5
		20	14.3 ± 0.7	10.9 ± 0.5	208.6 ± 10.4	7.5 ± 0.4
		40	22.0 ± 1.1	25.9 ± 1.3	280.9 ± 14.0	1.4 ± 0.1
		60	12.2 ± 0.6	11.3 ± 0.6	153.3 ± 7.7	1.2 ± 0.1
Average			**15.8 ± 0.8**	**16.5 ± 0.8**	**203.4 ± 10.2**	**4.8 ± 0.2**
10	10 SRII	15 meter	8.9 ± 0.4	11.8 ± 0.6	67.2 ± 3.4	0.6 ± 0.0
Total Average			**32.9**	**22.9**	**225.9**	**5.5**

Conclusion

The following concluding remarks are drawn from results of the present study: Firstly, the radionuclide concentration levels of most natural radioactive elements in the inspected areas are decreasing by increasing the soil depth. For ^{137}Cs, it is found that concentration levels decrease on going deeper in soil. Secondly, the radionuclide concentration levels for natural and artificial radioactive elements are higher for those areas located in the southen part of Hebron province. This might be attributed to some nuclear activities close to the inspected area such as the Israeli Demona nuclear reactor in Negev. Also, it is found that ^{137}Cs concentration is slightly higher around oil lube mineral in site (6) which may be due to chemical reaction taking place inside the oil lube mineral. Finally, all measurements and calculations performed in northen region are lower than the international assigned levels; while many measurements performed in southern Hebron region are higher than the international levels (UNSCEAR, 2000). Accordingly, the obtained results that are above the international assigned reference values are considered as a potential source of danger and as a radioactive polluted resources that could be hazarduoes to the inhabitants in the southern part. Our recommendation to the law makers is that the implementation of an environmental protection rules to reduce radiation pollution is of great importance.

The Radium equivalent for the collected soil was calculated according to the following equation *(Yu K et al., 1992; Van Dijk and De Jong, 1991)*:

$$\mathbf{Ra_{eq} = 1.43\, C_{Th} + C_{Ra} + 0.077 C_K}\ , \qquad \mathbf{(4)}$$

In defining Ra_{eq} activity, it has been assumed that an equivalent activity of 370 Bq/kg for ^{226}Ra or 259 Bq/kg for ^{232}Th or 4810 Bq/kg for ^{40}K can produce the same γ- dose rate (I_γ) reference. The maxium Ra_{eq} value should be 370 Bq/kg in order to keep the external dose 1.5 mGy/yr *(OECD, 1979)*.

(c) The external hazard index (H_{ex}):

The external hazard index H_{ex} due to the emitted gamma rays of the samples is calculated and examined according to the following inequality *(Van Dijk and De Jong, 1991; Ruixiang, 1986)*:

$$\mathbf{H_{ex} = C_{Ra}/370 + C_{Th}/259 + C_K/4810 \leq 1} \qquad \mathbf{(5)}$$

The value of H_{ex} must be lower than unity in order to keep the radiation hazard insignificat. The maximum H_{ex} value of unity corresponds to the limit of 370 Bq/kg for Ra_{eq}, after which the health hazard starts functioning.

(d) Radioactivity Level Index (I_γ)

This index can be used to estimate the level of gamma radiation hazard associated with the natural radionuclides . The radioactivity level index may be defined as *(Ruixiang, 1986)*:

$$\mathbf{I_\gamma = C_{Ra}/150 + C_{Th}/100 + C_K/1500} \qquad \mathbf{(6)}$$

The permissible value of the radioactivity level index (I_γ) is less than unity**.**

The calculated as well as the measured values of D_r, Ra_{eq}, H_{ex} and I_γ parameters of the samples collected from the northen side of Hebron province are shown in Table 3. The average value of all parameters in this region are found to be lower than international levels [D_r = 55 nG/ hr, Ra_{eq} = 370 Bq/kg, $H_{ex} < 1$ and $I_\gamma < 1$].

The different values of D_r, Ra_{eq}, H_{ex} and I_γ of the samples collected from the south part of Hebron province are reported in Table 4. The average values for the most parameters in this region are found to be higher than the assigned international levels .

province (Table 1), and is higher than the international limit and ranged from 61.5 to 1338.1 Bq /kg within an average 447.1 Bq /kg in the southern part of the province as it can be seen from Table 2.

The average concentration for ^{137}Cs were found to range from 0 to 25.0 Bq /kg within an average 5.5 Bq /kg in the northen side of the province (see Table 1), and it is ranged from 0 to 30.2 Bq /kg within an average 7.5 Bq /kg in the southern side of the province (see Table 2).

The average activity concentration levels of ^{238}U series, ^{232}Th series, ^{40}K and ^{137}Cs, measured for the inspected soil samples at different depths are shown in Figures 3, 4, 5 and 6, respectively.

(2) Assessment of Exposure Risk:

Exposures to radionuclides will be occurred either by external irradiation or internal irradiation following ingestion or inhalation of the radionuclides.

(a) The absorbed dose rate (D_r):

The gamma radiation doses for the population living in a rural area is due to the soil content of radionuclides which can be estimated by employing a half-infinite source of a homogenous distribution and by considering only the contribution D_r, from the natural radionuclides in the soil. The convenient formula is given by using the following equation: *(Yu K et al 1992).*

$$\mathbf{D_r = 0.427C_U + 0.662C_{Th} + 0.043C_K, \quad nGy/hr} \qquad (3)$$

where C_U, C_{Th} and C_K are the activity concentration of uranium, thorium and potassium, respectively. The international recommended value for D_r is about 55 nGy/hr *(UNSCEAR, 2000).*

(b) Radium equivalent activity (Ra_{eq}):

The distribution of ^{226}Ra, ^{232}Th and ^{40}K in soil samples is not uniform. The uniformity with respect to radiation exposure has been defined in terms of radium equivalent activity (Ra_{eq}) in Bq/kg and it can be used to compare the specific activity of materials containing different amounts of ^{226}Ra, ^{232}Th and ^{40}K.

Results and Discussion

(1) The activity concentration of radionuclides

The radioactivity concentrations of different identified radionuclides was calculated by gamma rays spectrometry with the following simple regression *(El-Sayed et al, 1997).*

$$C = \frac{Net\ Area(c/s)}{I_{\gamma}\ \xi\ M}, \qquad Bq/kg. \qquad (2)$$

where C is the activity concentration of the gamma rays spectral line in Bq/kg and M is the mass of sample in kg.

The average values of activity concentration in each specific location in Hebron province are reported in Table 1 (northen region) and Table 2 (southen region). As it can be seen from Table 1, the average of ^{238}U is lower than the international recommended limit (35 Bq/kg) *(UNSCEAR, 1998; UNSCEAR, 2000)* and its concentration levels are found to range from 8.4 to 81.5 Bq /kg within an average 32.9 Bq /kg. On the contrary, as it can be seen from Table 2, the average concentration levels of ^{238}U are found to be higher than the international recommended limit and its concentration levels are found to range from 13.5 to 236.9 Bq /kg within an average 65.6 Bq /kg.

The obtained average concentration levels of ^{232}Th recorded in Table 1, are also found to be lower than the international limit (30 Bq /kg) *(UNSCEAR, 1998; UNSCEAR, 2000)* in the northen side of the province. These values were found to range from 7.3 to 35.6 Bq /kg within an average 22.9 Bq /kg. The concentration levels of ^{232}Th belonging to the southern side are found to be higher than the international limit and ranged from 12.8 to 152.7 Bq /kg within an average 71.3 Bq /kg as seen in Table 2.

The measured average concentration values reprted for ^{40}K have shown that the average concentration is lower than the international limit (400 Bq /kg) *(UNSCEAR, 1998; UNSCEAR, 2000)* and ranged from 67.2 to 393.3 Bq /kg within an average 225.9 Bq /kg in the northen part of the

1- ^{214}Pb (351.9 keV), ^{214}Bi (609.3, 768.4, 934.1, 1120.3, 1238.1 and 1764.8 keV), respectively, and ^{226}Ra (186.2 keV) for the uranium series.

2- ^{228}Ac (209.5, 338.5, 463.0, 911.1 and 2614.7 keV) and ^{214}Bi (727.2, 785.4 and 1620.6 keV) for the thorium series.

3- ^{40}K (1460.8 keV) for potassium.

4- ^{137}Cs (661.3 keV) for cesium.

The brancing ratio (photo peak density) of each peaks was taken into consideration in the activity calculation.

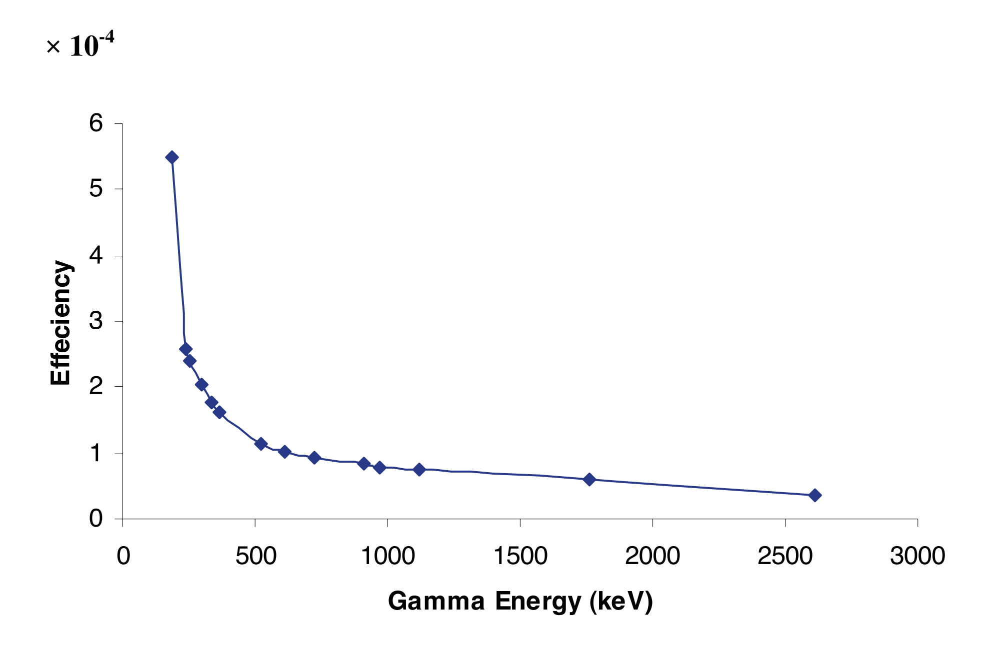


Figure 2: The Photopeak Efficiency of HPGe detector

preamplifier, amplifier, MCA, power supply and Oscilloscope *(Data in Science and Tech., 1991; Klaus and Richard, 1988).*

The detector was surrounded by a cylindrical lead shield to isolate it, with a fixed bottom and movable cover to reduce the gamma rays background from either cosmic rays or terrestrial radiation. The detector has a resolution (FWHM) of 0.9 keV at 122 keV gamma transition of ^{57}Co and 1.9 keV at 1.33 MeV of ^{60}Co gamma transition with Peak- to-Compton ratio of about 62.

The energy calibration of the HPGe detector was performed using the following gamma lines obtained from various gamma standard sources: ^{60}Co (1173.2 and 1332.5 keV), ^{241}Am (59.5 keV), Ra-226 (185.7, 241.92, 295.22, 351.99 and 609.70 keV), respectively, and ^{137}Cs (661.9 keV) *(Knoll, 2000; Helmer, 1982).*

The detection of absolute efficiency of the HPGe detector was determined by using standard ^{238}U with activity 2120.37 Bq (420 gm) and standard ^{232}Th with activity 1333.96 Bq (410 gm). Each of these standard sources was placed in identical polyethylene bottles with the same volume 350 cm^3. The absolute efficiency of the detector for the energy of each gamma rays energy was then calculated from the well known formula:

$$\xi = \frac{Net\ Area\,(c/s)}{A\, I_\gamma} \times 100\%, \quad cps/Bq \tag{1}$$

where ξ is the photopeak absolute efficiency, Net Area represents the net counts per second (c/s) for the standard, A is the activity of the radionuclides in Bq, and I_γ is the absolute intensity of the gamma transition *(Knoll, 2000; Helmer, 1982; Venturini and Vanin, 1995).*

The calibration curve of the efficiency for HPGe detector by using standard sources of thorium and uranium is shown in Figure 2. The gamma ray transitions used to measure the concentration of the assigned nuclides in the series will be performed as follows *(EML, 1990)*:

Methodology

1- Sample Preparation

Two hundred and fifty-two soil samples, that might be representative of the environmental region of the province, were collected from different areas chosen radndomly around factories, farms, dwellings, old dwellings and breakers. The collected samples were obtained at different soil depths (see Figure 1.b). The collected samples represent various soil samples of different types such as sandy, red (clay soil), white and quarries. The samples were collected using a template 30 X 30 cm^2 in area from surface layer and at depths (20, 40, 60) cm, respectively *(Nancy et al., 1992)*.

Samples were prepared as follows: a sample of about 1kg is taken from a certain collected soil sample. This sample is mixed, homogenized and sieved through 1 mm mesh by a crushing machine *(Goet and Jennifer, 1997)*. The selected samples were then placed for drying at 110 ^{0}C for 48 hr to ensure the removal of moisture completely from tha sample. Then, samples were placed in polyethylene bottles of 350 cm^3 that were completely sealed and stored for more than one month. This period of time is sufficient to provide the establishment of radioactive equilibrium between ^{238}U and ^{232}Th and their progeny. This step is necessary to ensure that radon gas is confined within the volume and that the disintegrated daughters will also remain in the sample *(Data in Science and Technology, 1991)*. The individual samples were placed on the detector manually for 20 hrs to detect gamma energy lines produced during the disintegration processes of ^{238}U, ^{232}Th , ^{40}K and ^{137}C radionuclides.

2- Calibration

A high-resolution gamma rays spectrometer was used for gamma analysis. Basically, it is a hyper pure germanium detector (HPGe), model No. GMX-13185-P with study a serial No. 33-TNI0424A. The recommended voltage is (-) 3000 V DC. The system also contains the usual electronic components of

radioactive sources are of particular interest as it is the largest contributor to the external dose of the world population (UNSCEAR, 1998).

The aim of the present study is to initiate a radiological assessment program for Hebron province, which is located in the southern-middle of Palestine (see map in Figure1a). At 35 km south of Jerusalem and Hasan area of 1070 kilometers square. The area under consideration was divided into two main regions, namely the northen and the southern parts shown in Figure 1b. The ultimate aim of this study is the establishment of a baseline map of environmental radioactivity concentration levels for this part of the world that can be used as reference to detect any changes in the radioactivity background concentration levels due to any geological changes or natural nuclear activity processes.



Figure 1.a: Palestine map indicating the location of Hebron province

Figure 1.b: Location of the inspected areas

Introduction:

In the environment, natural radionuclides, such as ^{238}U, ^{232}Th and ^{40}K, are present in the earth's crust. Nuclides emitted gamma rays during the decay series of ^{238}U and ^{232}Th as well as the disintegration of ^{40}K. Therfore, composition material of the earth's crust such as soil, building materials and so on, are considered as a major source of external radiation exposure to humans in the environment (UNSCEAR, 1998).

The radioactive decay processes occur either naturally or artificially. The natural radioactivity may be due to cosmic radiation, terrestrial radiation (Uranium and Thorium and its series, Actinium series, and ^{40}K) and natural radioactivity in the human body. The artificial radioactivity may be due to different sources related to non-nuclear processes represented by industrial supply, medicine, nuclear weapons and nuclear technology *(Khan et al., 1992; Bodansky, 1987)*.

The soil contains small quantities of uranium and thorium radioactive elements as well as their daughter products and potassium. The concentration of these elements varies considerably depending on the type of soil formation *(Eisenbud and Gesell, 1997)*. The soil radioactivity may be diminished by means of the leaching action of moving water and diluted by increasing porosity. The dilution processes are attained by adding water and organic matter.

Calculations of environmental dose levels produced by naturally and artificially radionuclides are of great importance in providing a comprehensive data to be used as an assigned reference of the environmental dose received by humans due to external radiation originating from terrestrial radionuclides having natural origin *(IAEA, 1998; Eisenbud and Gesell, 1997)*. Therefore, measurements of natural radioactivity in soil are required to determine any changes of natural background activity with time as a result of any nuclear activity *(IAEA, 1989)*. Thus, the assessment of radiation doses from natural

ملخص

لقدتم قياس النشاطية الإشعاعية لعينات من التربة جمعت من عشرين موقعا ومن أعماق مختلفة في منطقة الخليل في فلسطين باستخدام مطيافية جاما. لقد وجد أن متوسط تركيز النويدات ذات النشاط الإشعاعي في هذه العينات لسلسلة اليورانيوم-٢٣٨، سلسلة الثوريوم-٢٣٢، نظير البوتاسيوم-٤٠ ونظير السيزيوم-١٣٧ هو ٩, ٣٢، ٩, ٢٢، ٩, ٢٢٥ و٥, ٥ بيكريل/كغم بالتتابع لشمال منطقة الخليل، بينما وجد أن متوسط التركيز هو: ٦, ٦٥، ٣, ٧١، ١, ٤٤٧ و٥, ٧ بيكريل/كغم بالتتابع لجنوب منطقة الخليل. لقد وجد أن متوسط التركيز في منطقة الشمال أقل من مستوى العالمي، بينما متوسط القياسات للعديد من العينات المأخوذة من جنوب منطقة الخليل أعلى من المستوى المسموح به عالميا، وبالتالي إعتبار هذه المناطق مناطق ذات نشاط إشعاعي مرتفع. كذلك تم تقدير الأضرار الإشعاعية الناجمة عن النشاط الإشعاعي الكلي (الناتج من مختلف النظائر المشعة) في عينات الدراسة، حيث تم حساب الجرعات الإشعاعية نتيجة التعرض الخارجي لإشعاعات جاما المنبعثة من المواد المشعة الطبيعية في التربة، كذلك تم حساب نشاط الراديوم المكافىء (Raeq) لجميع العينات، كما تم حساب معامل الأخطار الخارج (Hex) والذي يعكس مستوى التعرض الخارجي وأخيرا تم حساب معامل مستوى الإشعاع (Iγ) وذلك لتقدير مستوى إشعاع جاما المرتبط بالنويدات المشعة في العينات المدروسة. وبناء على ما سبق سيتم وضع خريطة إشعاعية للمنطقة محل الدراسة وبالتالي فإن ذلك يساعدنا على متابعة أي تغيير يحدث مستقبلا لمثل هذه الخلفية الإشعاعية والتنبؤ بأسبابها و دراسة طرق الوقاية منها. ويعزو سبب وجود تركيزات عالية للسيزيوم في تلك العينات هو نتيجة السقط النووي والناتج عن التجارب والصناعات النووية.

Abstract

The activity concentrations of naturally occurring and man-made radioactive materials in soil samples collected from 20 locations at different depths from the northen as well as the southern parts of Hebron province were measured using gamma-ray spectroscopy. The average of the measured concentrations for ^{238}U series, ^{232}Th series, ^{40}K isotope, and ^{137}Cs isotope in the northen region are found to be 32.9, 22.9, 225.9 and 5.5 Bq/kg, respectively; while in the southern region, the avearge of the mneasured concentration levels are 65.6, 71.3, 447.1 and 7.5 Bq/kg, respectivly. On one hand, the averge of the concentration levels for all inspected nuclides in the northen area are generally found to be lower than the assigned international radioactivity concentration levels. On the other hand, the concentration levels for most nuclides in the southen area are found to be higher than the assigned interntional concentration levels. The investigated zone areas may be classified as high to moderate natural concentration levels. The absorbed dose rates (D_r), the radium equivalent activity (Ra_{eq}), the external hazard index (H_{ex}), and the gamma level index (I_γ) for the soil samples are also investigated. The obtained results may be considered to be as reference values that can be used and as baseline data for drawing a radiological map of the regions under consideration. The presence of ^{137}C in the soil samples is mainly attributed to fall-out of the usage of technological nuclear aspects and artificial nuclear processes.

Key Words: Radioactivity Concentration; Environmental Pollution; Radiation Hazard Indices; Gamma Level; Absorbed Doze Rate.

Environmental Nuclear Studies of Natural and Man-Made Radioactivity at Hebron Region in Palestine

K. M. Dabayneh*

A. Sroor**

A. S. Abdel-Haleem***

*	Faculty of Science and Technology, Hebron University, Palestine.
**	Nuclear Physics Lab. ,Ain-Shams University,Faculty of Girls, Cairo - Egypt.
***	Hot Laboratories Center, Atomic Energy Authority, Cairo- Egypt

REFERENCES:

[1] W.B. Weir, Proc. IEEE, vol. 62, No.1, January 1974, pp.33.
[2] M.N. Afsar , J.R. Birch and R.N. Clarke, Proc. IEEE, vol.74, No. 1, January 1986. pp. 183.
[3] S.Y. Liao, Microwave Circuit Analysis and Amplifier Design,3rd Edition, Prentice – Hall, Inc., New Jersey, 1990.
[4] I. Lebedev, Microwave Engineering, Mir publishers, Moscow, 1973.
[5] M. Sucher and J. Fox, Handbook of Microwave Measurements, vol. II, Polytechnic Institute of Brooklyn, Pennsylvania, 1963.
[6] S.O. Nelson, L.E. Stetson and C.W, Schlaphoff, IEEE Trans. Instrum. Meas., vol.IM-23, No.4, December 1974, pp. 4555.
[7]D.G. Fink and H.W. Beaty, Standard Handbook for Electrical Engineering, 12th Edition, McGraw-Hill, New York, 1987.
[8] R.E. Collin, Foundations for Microwave Engineering, 2nd Edition , Wiley-IEEE Press, UK, 2000.
[9] Om P. Gandhi, Microwave Engineering and Applications, Pergamon Press Inc., New York, 1981.
[10] W. Bolton, Engineering Materials Technology, Heinemann Newness, Oxford, 1989.
[11]V.R. Gowariker, N.V. Viswanathan and J. Sreedhar, Polymer Science, Wiley Eastern Limited, India, 1986.
[12] F.W. Bilmeyer, Text Book of Polymer Science, John Wiley and Sons, Inc., New York, 1971.
[13] P.F. Wilson, M.T. Ma and J.W. Adams, IEEE Trans. Electromagn. Compat., vol.EMC -30, No.3, pp. 239, August 1988.
[14] H. Mooijweer, Microwave Techniques, Macmillan Press LTD, London, 1971.
[15] KC Gupta, Microwaves , Wiley Eastern, Ltd., India, 1986.
[16] B.M. Tareev, N.V. Korotkova, V.M. Petrov, and A.A. Preobrazhensky, Electrical and Radio Engineering Materials. Mir Publishers, Moscow, 1980.
[17] J.I. Kroschwitz, Electrical and Electronic Properties of Polymers: A State – of – Art Compendium, John Wiley and Sons, New York, 1988.
[18] L.H. Van Vlack, Materials for Engineering: Concepts and Applications, Addison – Wesley Publishing Company, Inc., London, 1982.

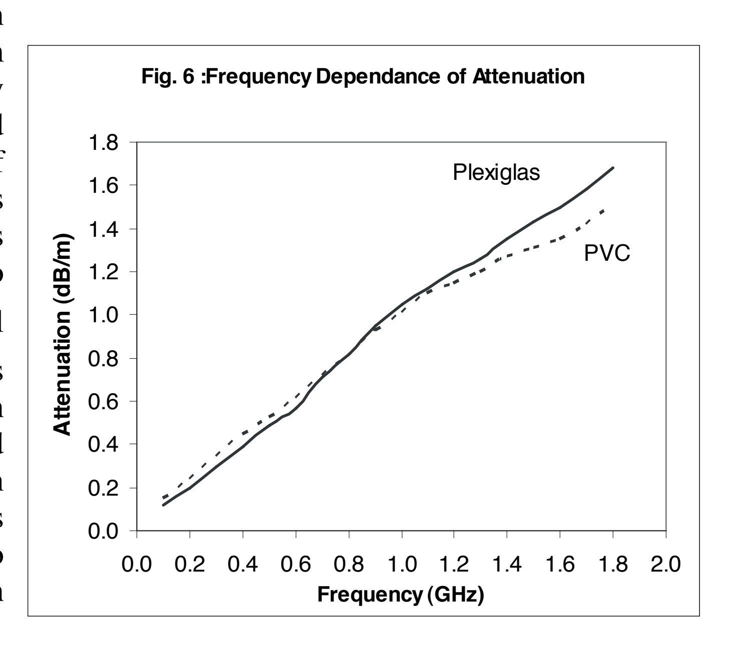
CONCLUSIONS:

Coaxial cable is used as a sample holder to measure some electrical characterization of teflon, PVC, and plexiglas between 5 and 1800 MHz at room temperature. This is done by measuring parameters of reflected and transmitted waves.

It is concluded from fig.3 to fig.6 that dielectric constant and loss factor decrease with frequency, while conductivity and attenuation are direct proportional with frequency. The behavior of the sample holder is satisfactory due to its low attenuation, low reflection coefficient, and approximately constant characteristic impedance over the operating frequency range. The real part of permittivity of Teflon is constant and low compared with plexiglas and PVC whom permittivity decreases with frequency. PVC has larger permittivity due to its content of C1-atoms. The loss factor of PVC and plexiglas decreases with frequency and they have relatively low loss. Teflon has very low loss, and the available instruments are not suitable for measurement of its loss factor because of their relatively large uncertainty. Attenuation due to dielectric material is low because loss factor is low, too,(equation 2.4) and it increases with frequency. This is because the reduction in signal level is caused by the conductivity of the line material and dielectric material inside the line. The conductivity is very large compared with d.c. one, and it increases with frequency. For example dc conductivity of PVC at 20 oC is in the order of 10-14 mho/cm and for Plexiglas it is in the order of 10-12.

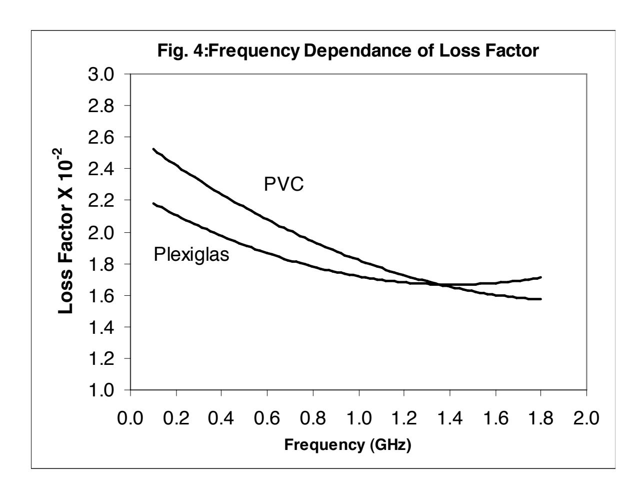
for PVC and plexiglas is shown in figure (5). The conductivity of teflon was not evaluated because its loss factor was not measured.

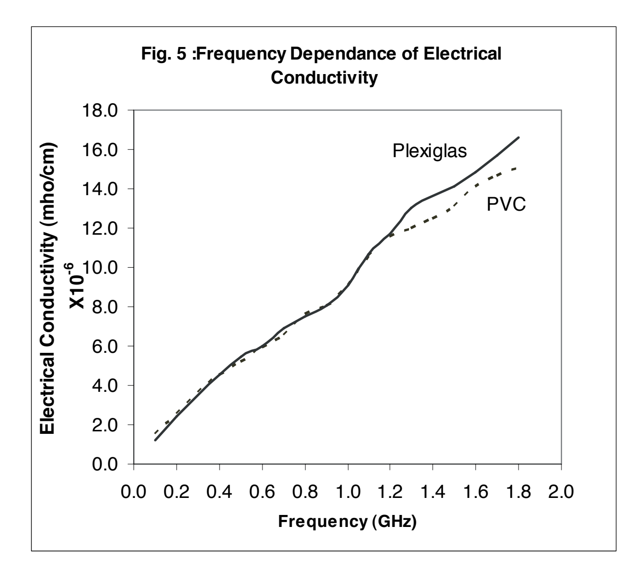
Equation (2.4) can be written in a form containing frequency and the real and imaginary parts of permittivity. This suggests that α is proportional to $f\ \varepsilon_r^{''} / \sqrt{\varepsilon_r^{'}}$ .Both real and imaginary parts decrease with frequency, and therefore the variation of attenuation depends slightly on their ratio and it increases with frequency (fig. 6).



Molecular polarization has limiting operating frequency due to the large mass of molecules compared with electrons. This is because at high frequency, the molecular dipole moments can't rotate fast enough to keep up with the electric field. As a result, its contribution to dielectric constant is neglected. [18].

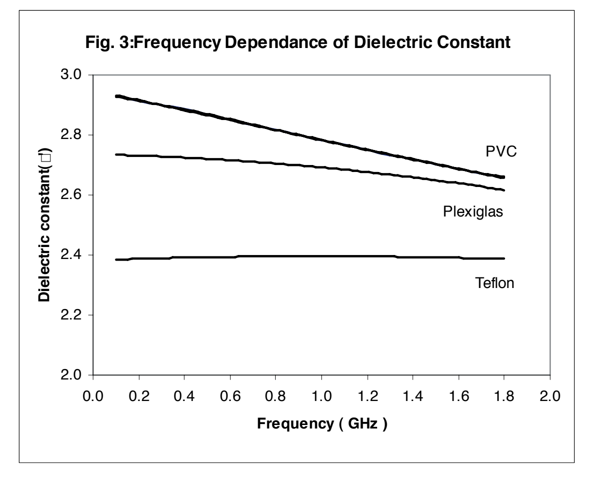
Since the atom in the solid vibrates around the equilibrium position, there is a delay between changes in the field and changes in the polarization. This delay is expressed as a loss angle [18]. In polar polymers, the loss factor represents the sum of leakage and relaxation processes. Leakage loss is inversely proportional to frequency [16]. The variation of the loss factor of PVC and plexiglas with frequency is shown in figure (4). It decreases with increasing in frequency. Teflon has very low loss, and so evaluation of its loss factor by the used network and method is impossible due to uncertainty in the scattering parameters.





Conductivity depends directly on frequency and the loss factor (equation 2.3). Conductivity increases with frequency because the variation of the loss factor is relatively small, and the change in frequency is dominant. The variation of conductivity with frequency

The real part of permittivity decreases with increasing the frequency; this can be attributed to the relaxation phenomena. At low frequency, there will be sufficient time for the polarizing charges to response to the electric field. Therefore, the contribution of these dipoles to permittivity will be large. As the frequency increases, the dipoles will not have the ability to rotate with sufficient speed to follow alternation of the field [7, 16].



The variation of the real part of permittivity with frequency is shown in figure (3). Teflon has low dielectric constant; about 2.4; and independent of frequency. This provides the evidence that teflon is a non-polar polymer, and so it contributes only electronic polarization [17, 18].In the absence of applied field, teflon has zero electrical dipole due to its symmetrical structure. It is one of best materials for low - loss applications; particularly at high frequencies [12]. PVC and plexiglas have larger dielectric constant, because they have molecular polarization in addition to electronic polarization. The magnitude of the dipole moment per molecule for PVC is large because it has numerous polar sites along its chains; one with each chlorine atom. This will shift the dipole orientation with the application of electric field. Plexiglas has lower dielectric constant than PVC because the polar sites at C1-atoms in PVC are larger than those at O-atoms in plexiglas. This means that the dielectric constant depends on the molecular structure of the polymer [18].

(١) Vector analyzer with operating frequency range from 0.1 to 2000 MHz.
(٢) Sweep generator with frequency range from 0.4 to 2500 MHz.
(٣) S-parameter Test adapter with frequency range from 5 to 2000 MHz.

3.5 Measurement Procedure:

The desired quantities which can be measured directly and displayed on the vector analyzer are scattering parameters. The planes t_1 and t_2 are taken to be the reference planes of measurements. Evaluation of complex permittivity requires the measurement of scattering parameters at reference planes $T_{\varepsilon 1}$ and $T_{\varepsilon 2}$. The amplitudes of S_{11} and S_{12} at t_1 and t_2 are equal to those amplitudes of S_{11} and S_{12} at $T_{\varepsilon 1}$ and $T_{\varepsilon 2}$, respectively. The sample is fixed in the middle position inside the holder. Complex permittivity is calculated from equation (2.2) and then equation (2.3) is used to determine the conductivity and equation (2.4) to determine attenuation.

4. RESULTS AND DISCUSSION:

Results of measurements are given in the following table :

Sample	Dielectric Constant		Loss factor X 10^{-2}		Electric Conductivity (mho/cm)X10^{-6}		Attenuation (db/m)	
	From	To	From	To	From	To	From	To
Teflon	2.4	2.4						
PVC	2.66	2.93	1.50	2.77	1.52	15.08	0.15	1.51
Plexiglas	2.61	2.74	1.66	2.22	1.20	16.61	0.12	1.68

diameter. The holder consists of two pieces with total length of 34.4 cm, fixed together via flanges. The advantage of this type of the line is its ease of use and analysis.

The signal used for sample testing is transported via flexible coaxial cable before its entrance and after its departure from the holder. These lines are linked with the coaxial holder by HP connectors. The length of each connector is about 4.8 cm, and the medium between the inner and outer conductors is teflon with 5 mm in thickness. The characteristic impedance of the holder and the connectors is 50 Ω.

The coaxial cable supports TEM-mode, which has no cutoff frequency. The frequency limit of the experiment is determined by the dimensions of the coaxial cable. However, an upper frequency limit could exist due to the appearance of higher-order modes, i.e., if the frequency exceeds this limit, the coaxial cable will not support TEM-mode [13]. The upper frequency limit depends on the coaxial dimensions, and it can be approximately given in terms of the wavelength as $\lambda > \pi\,(a + b)$, where a & b are inner and outer radii of the coaxial cable [14].

The upper frequency limit of the coaxial cable used in the present work is about 1.8 GHz. The higher-order modes are avoided because they destroy the desired incident field distribution, and make the interpretation of results difficult [13].

3.3 Fabrication of Samples:

The samples were prepared from sheets of different thickness. They were made in the form of annular discs with dimensions identical with the inner and outer conductors of the coaxial holder. The thickness of PVC and plexiglas samples is 20 mm, while the teflon thickness is taken to be 10 mm. The samples are smooth and their size fits exactly the coaxial cable.

3.4 Network Analyzer:

The network analyzer is a compact instrument which can be used to measure complex quantities such as impedance and scattering parameters. The use of this device is more convenient when rapid and direct measurements over a board frequency range are required [15]. The experimental set up includes the following equipments:

(2.2)

The scattering parameters in this equation are measured at reference planes $T\varepsilon_1$ and $T\varepsilon_2$, and they are normalized to the characteristic impedance of the coaxial line. Planes $T\varepsilon_1$ and $T\varepsilon_2$ are taken to be the surfaces of the sample as shown in fig.(2).

The conductivity of the medium can be determined from Maxwell's equations, and is given by [6, 7]

$$\sigma = 2\pi f\ \varepsilon_0 \varepsilon_r^{''} = (5.6\text{X}10^{-4}) f\ \varepsilon_r^{''} \qquad \text{mhos/cm}$$

(2.3)

where f is frequency in GHz. Attenuation due to dielectric loss for non-magnetic and low loss materials (tan δ « 1) is given by [8,9] :

$$\alpha = \frac{27.3}{\lambda_0}\sqrt{\varepsilon_r^{'}}\tan\delta \qquad \text{dB/m}$$

(2.4)

where λ_0 is the free space wavelength.

3. EXPERIMENTAL WORK

3.1 Tested Samples:

Measurements were performed on three insulating polymers:

(١) Polytetrafluorethylene (PTFE): Its trade name is teflon and it has good electrical properties [10].

(٢) Polyvinylchlorride (PVC): It is the world's most widely used plastic and one of the cheapest materials [10].

(٣) Polymethylmethacrylate (PMM): It is known also as plexiglas, and it is excellent substitute for glass [11, 12].

3.2 Construction of the Sample Holder:

The sample holder used is the flanged coaxial cable shown in Figure (2). The inner conductor is made from brass with 3.2 cm in diameter, and the outer conductor is made from aluminum with 7.6 cm in

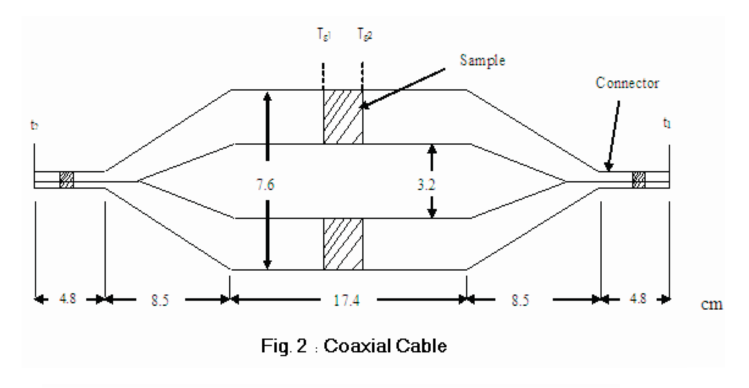


Fig. 2 : Coaxial Cable

2.2 Scattering Parameters:

The relationship between incident and scattered wave components of a junction is given by the scattering parameters. Two- port junction is shown in figure (1) with incident waves V^+_1, V^+_2 and scattered waves V^-_1, V^-_2.

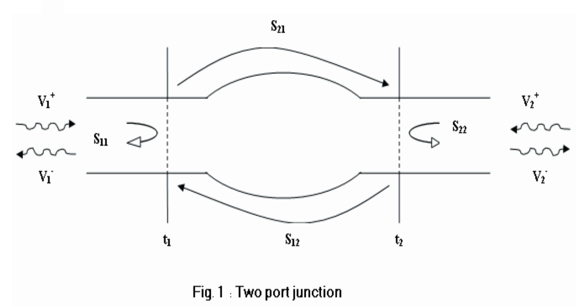


Fig. 1 : Two port junction

Quantities S_{11} and S_{22} represent the reflection coefficients at port 1 (plane t_1) and port 2 (plane t_2) respectively, while S_{21} and S_{12} represent the transmission coefficients from port 1 to 2 and from port 2 to 1 respectively. Shifting reference planes t_1 and t_2 will only affect the phases of the parameters [٥].

2.3 Dielectric Material:

An important quantity related to dielectric material is its dielectric constant. Relative permittivity (complex dielectric constant) can be written as:

$$\varepsilon_r = \frac{\varepsilon}{\varepsilon_0} = \varepsilon'_r - i\,\varepsilon''_r = \varepsilon'_r(1 - i\tan\delta)$$

(2.1)

The imaginary part ε''_r is called the loss factor of the material, and δ is called the loss angle which is proportional to the ratio of the power lost as heat to the stored energy in the dielectric material [1, 5]. When the measurement of scattering parameters is performed in coaxial cable (TEM mode) filled with dielectric material, and then the relative permittivity is given by [5]:

$$\varepsilon_r = \frac{(1 - S_{11})^2 - S_{12}^2}{(1 + S_{11})^2 - S_{12}^2}$$

1. INTRODUCTION:

The electrical and mechanical characteristics of materials are very important for different electrical and electronic applications. Knowledge of their electrical properties such as permittivity (ε), permeability (μ) and conductivity (σ) is very essential for different applications including; microwave heating and biological effects [1]. Measurements of ε and μ are; nowadays; of increasing importance in telecommunication and in the design and specification of circuit components. Determination of dielectric loss is important for the construction of microwave ovens, diathermy applicators and industrial dielectric heating [2]. In the intermediate frequency range; i.e; 1 MHz < f < 3 GHz, an appropriate mean to perform measurements is by using coaxial cable. This cable is capable to support all frequencies from low frequency (≈ dc) up to microwave frequencies without any side effects. Tapered coaxial cable is used as sample holder to perform required measurements on different materials to evaluate some of their characteristics for the required applications [3].

The aim of this work is to construct a special coaxial cable, which will be used as a sample holder in order to measure the electrical characteristics of some insulating materials in the frequency range 5-1800 MHz at room temperature.

2. THEORY:

2.1 Structure of Coaxial Cable:

Coaxial cable consists of a round inner conductor and concentric outer conductor separated by a dielectric medium. The insulating materials used to separate the conductors must have low loss at high frequencies. Teflon and polyethylene are commonly used for these frequencies [3] . The electric field **E** and magnetic field **H** of the propagating electromagnetic wave are confined entirely inside the cable. This is because the thickness of the outer conductor is; in general; many times greater than its penetration depth [3,4].

ملخص

في هذا البحث صمم كابل محوري يحمل العينة المراد اختبارها، وذلك لقياس الخواص الكهربائية لبعض المبلمرات. وقد قيس ثابت العزل الكهربائي (السماحية)، والايصالية الكهربائية والتوهين الكهربائي. أما العينات التي تم اختبارها فهي: التيفلون، PVC وزجاج البلكسي. جميع القياسات تمت في مجال التردد من ٥ إلى ١٨٠٠ ميجاهيرتز عند درجة حرارة الغرفة. وقد قيست معاملات التشتت باستخدام جهاز المحلل الشبكي والذي يقيس مقدار التشتت وزاوية الطور، ومن هذه القياسات حساب ثابت العزل الكهربائي بجزئه الحقيقي الذي يمثل سماحية الوسط والجزء الخيالي الذي يمثل معامل الفقدان. أما الايصالية الكهربائية ومعامل التوهين فقد تم قياسهما من معرفة معامل الفقدان خلال الوسط أو العينة. ولقد أظهر الكابل المحوري كأسلوب للقياس كفاءة في ايجاد الخواص الكهربائية مقارنة مع الطرق الأخرى.

Abstract

In this work a coaxial cable is constructed to be used as a sample holder to measure some electrical properties of polymer samples. Complex dielectric constant, electrical conductivity and attenuation for Teflon, PVC and Plexiglas are measured at certain frequencies. All measurements are carried out at room temperature between 5 and 1800 MHz. Measurements of scattering parameters are carried out using network analyzer device which measures the magnitude and phase angle. From these measurements dielectric constant, which involves permittivity (real part) and loss factor (imaginary part), is determined as a function of frequency. Electrical conductivity and attenuation are measured from their relation with loss factor through the sample or media. The coaxial cable provided us with a satisfactory method for measuring electrical properties.

Electrical Properties of Dielectric Materials at Intermediate Frequencies

S. M. Rabbaa*

M. S. Ahmad**

* Arab American University, Jenen.
** University of Jordan.

Journal Of
Alquds Open University
Research & Scientific Studies

Contents

9. References should follow rules as follows:
    (a) If the reference is a book, then it has to include the author name, book title, translator if any, publisher, place of publication, edition, publication year, page number.
    (b) If the reference is a magazine, then it has to include the author, paper title, magazine name, issue number order by last name of the author.
10. References have to be arranged in alphabetical order by last name of the author.
11. The researcher can use the APA style in documenting scientific and applied topics where he points to the author footnotes.

Guidelines for Authors

The Magazine Publishes Original research documents and scientific studies for faculty members and researchers in Alquds Open University and other local, Arab, and International universities with special focus on topics that deal with open education and distance learning. The Magazine accepts papers offered to scientific conferences.

Researchers who wish to publish their papers are required to abide by the following rules:

1. Papers are accepted int both English and Arabic.
2. each paper should not exceed 25 pages or 7500 words including footnotes and references.
3. Each paper has to add new findings or extra knowledge in its field.
4. Papers have to be on a floppy diskette"Disk A" or on a CD accompanied by three hard copies. Nothing is returnable in either case: published or not.
5. An abstract of 100 to 150 words has to be included. The language of the abstract has to be English if the paper is in Arabic and has to be Arabic if the paper is in English.
6. The paper will be published if it is accepted by at least two revisers. The magazine will appoint the revisers who has the same degree or higher than the ressearcher himself.
7. The researcher should not include anything personal in his paper.
8. The owner of the published paper will receive five copies of the magazine in which his paper is published.

Journal of Alquds Open University
Research & Scientific Studies

P.O.Box 51800
Tel: 2409861
Fax: 2403159
Email: hsilwadi@qou.edu

Journal Of
Alquds Open University
Research & Scientific Studies